

بهلولي سليمان

الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط

173-342هـ

تقديم: غازي الشمري

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية

بهلولي سليمان

الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط

173-342هـ / 789-954م

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

عنوان الكتاب: الدولة السليمانية والإمارات العلوية
في المغرب الأوسط 173-342هـ/ 789-954م

إسم المؤلف: بهلولي سليمان

تقديم: الدكتور غازي الشمري

عدد الصفحات: 392 صفحة

حجم الكتاب: 24X16

الطبعة الأولى 2011

الإيداع القانوني: 230-2012

تقديم

إن هذه الدراسة التي نقدمها للقراء هي من الدراسات النادرة القيمة التي تزيح اللثام عن جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط التي ما يكتنفه الغموض..

وموضوع هذه الدراسة (الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط 173-342 هـ/ 789-954 م) للأستاذ المرحوم بحلولي سليمان يظل جديدا وإن تقادم عليه الزمن، لأنه يتناول فترة مهمة من تاريخ الجزائر لم تحظ بدراسة علمية مستقلة، وإنما كانت هناك إشارات متناثرة في بطون المصادر والمراجع.

لذلك فالكتاب يمثل جهدا علميا كبيرا في لملمة تاريخ العلويين في المغرب الأوسط والكيانات السياسية التي أقاموها وعلاقاتهم بالدول المجاورة من مصادر علمية متنوعة، عربية وأجنبية، تاريخية، جغرافية، كتب التراجم والطبقات والأنساب، كتب الفرق والملل، وتكمن أهمية الموضوع في أن تاريخ الدولة السليمانية والإمارات العلوية يعد ركنا هاما وقاعدة اساسية في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي، نظرا للإنجازات الحضارية التي خلفها العلويون في المغرب الأوسط في مختلف الميادين الفكرية والعلمية، الاجتماعية والاقتصادية.

وقد جاء الكتاب في مقدمة منهجية وخمسة فصول، وهو في الأصل رسالة ماجستير تحت إشرافنا العلمي، ولذلك غلبت عليه الصبغة العلمية (الأكاديمية) لغة وأسلوبا ودقة في أمانة النقل والتوثيق.

وتبدو في المقدمة صفة الرسالة غالبة، ليس فقط في تصريحه في مواطن كثيرة بقوله: «اخترنا موضوع الرسالة»، وقوله: «اهتمت الرسالة»، «وتضمنت الرسالة»، وإنما أيضا

في تضمينها المقدمة إشارات منهجية وضوابط، لعله أراد منها تسهيل المهمة للقارئ في متابعة ما تناوله وتعمق فيه.

فالمؤلف يدرس الشيعة والتشيع في المغرب والمشرق الإسلاميين ووضعية المغرب الأوسط قبل قيام الدولة السليمانية.

وتناول بالبحث الحياة السياسية والإنجازات الحضارية للدولة السليمانية وأهم الإمارات العلوية وخصائصهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وإسهاماتهم الحضارية في المنطقة.

ولعل من أهم المحاور التي تناولها المؤلف بالدراسة القواعد الأساسية الإسلامية التي استخدمها العلويون في تسيير شؤون البلاد خلال فترة حكمهم، تميزها عن غيرها من التنظيمات، و التي تعد بحق تجربة فريدة من نوعها لا في ابتكاراتها ولكن في فعاليتها. حيث تعتبر خطوة جريئة في تطوير المجتمع من خلال تحويله من الترحال إلى الاستقرار وما رافق ذلك من تحول عميق في وسائل العيش والدفاع والتعليم والخدمات.

إن الكاتب وعلى الرغم من تركيزه على الجوانب التاريخية والسياسية والحضارية، إلا انه كان عميقا إلى حد كبير في تحليلاته، وأمانة ما نقله، بل إن هناك قضايا وآراء قدمها المؤلف بأمانة وشجاعة فكرية، على رغم ما قد تثيره من حرج إحيانا.

إن هذا الجهد العلمي يستحق كل الثناء والتقدير، نرجو من الله العلي العزيز أن يجعله في ميزان حسناته ويحسن اليه ويتعمده برحمته لأنه سد ثغرة في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط.

الدكتور غازي الشمري

ولقد بدأت فكرة دراسة هذه الفترة تتبلور بوضوح أثناء تصفحي ودراستي للمصادر التاريخية التي تتعلق بالمغرب الأوسط، ومن خلال التشاور مع أهل العلم والتخصص من الأساتذة الأجلاء، أصبحت الفكرة مشروعا واضح المعالم، استدعى إنجازه ثلاث سنوات من الجهد المتواصل ليظهر بالكيفية التي ترونها أمامكم.

ولاشك بأنني تخوفت كثيرا من الخوض في موضوع المصادر حوله نادرة، وكنت على وشك التخلي عن فكرة الكتابة، واختيار إشكالية أخرى بعد قراءتي لما كتبه المرحوم إسماعيل العربي : «والحقيقة هي أنه لا تكاد توجد في هذا الموضوع معلومات تذكر، وما قد يعثر عليه الباحث في مرجعين أو ثلاثة يشوبه الغموض وعدم تحديد للمناطق التي كانت تسيطر عليها هذه الأسرة الثانية من أبناء علي (أبناء سليمان)...»[1] وغيرها كثير، ولولا الدعم والتشجيع الذي وجدته من لدن الأساتذة الأفاضل للاستمرار في الكتابة.

وعليه، أقول إن موضوع الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، يعد بحق القاعدة الأساسية لدراسة المغرب الإسلامي، وهذا نظرا للإنجازات التي قام بها العلويون في الإقليم الشمالي من المغرب الأوسط، وكانت في مختلف الميادين وبخاصة جانبه الاجتماعي، وعليه ما يمكن ملاحظته من خلال الاطلاع على هذه الدراسة، حينها نعرف أن تلمسان وحواضرها كانت لا تقل تطورا ورقيا عن إفريقية والمغرب الأقصى.

---

(1) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، د.و.م الجامعية، الجزائر 1983م، ص 137.

تتجلى أهداف هذا البحث من خلال العنوان «الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط» خلال القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة.

إن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز مكانة الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، وهذا يتطلب البحث في التسمية والجغرافية الطبيعية في المغرب الأوسط، لأن للمكان أهميته الحضارية وطبيعة المادة تفرض ذلك، وفي ماهية أوضاع المغرب قبل وأثناء وصول العلويين؟ وفي وصول الدعاة قبل أهل الدعوة، في شخص سليمان بن عبد الله وما الأسباب التي دفعته للفرار إلى المغرب؟ وما موقف المغاربة منه ومن بقية العلويين؟ وما علاقة العلويين بالمغاربة؟ وما هي أسباب ودواعي تأسيس الدولة؟... وما مرتكزات الدولة؟ وما هي إنجازاتها الحضارية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟ ثم كيف كانت علاقة الدولة السليمانية مع الإمارات العلوية؟ ومع الإمامة الإدريسية في المغرب الأقصى؟ ثم ما هي علاقة الدولة السليمانية مع الخلافة العباسية في بغداد ثم مع جيرانها في المغرب والأندلس؟

وكثيرا ما توقفت عند نقاط معينة رأيت أنها تزيد الموضوع وضوحا مثل : الأعلام والأنساب والقبائل والبلدان...وبدون شك هناك العديد من القضايا لم أتوصل إلى الفصل فيها، لسبب من الأسباب؟

وأتمنى أن تبرز وثائق جديدة تزيل اللثام عنها، وأن يتصدى لها باحثون أكثر صبرا وتحملا وتفرغا لمشاق البحث العلمي.

كان الدافع إلى اختيار هذا البحث والاهتمام به، وبذل الجهد فيه، أسباب متعددة أهمها : الرغبة الشديدة في إظهار مجهول، أي الفترة السليمانية، وبالتالي سد ثغرة ولو بسيطة في تاريخ المنطقة، ولدور العلويين الحضاري خاصة الاجتماعي منه، ولذلك التفاعل الحاصل بين المغاربة والمشارقة وما نتج عنه من إنجازات إنسانية، ولمعرفة الدوافع الحقيقية للمغاربة من وراء احتضانهم لآل البيت العلوي، وللاطلاع على موقف العلويين من المغاربة، ومن معرفة علم الأنساب وما يحول حوله من حقائق وأوهام، إلى جانب رغبة البحث والتعلم والاكتشاف والمساهمة في بناء ثقافة الأمة.

انتهجت في بحثي هذا منهج الدراسات الحديثة من حيث سبر الأفكار المختلفة، وقد تتبعت قدر الإمكان تأثير الأسباب في المتسببات، وتحليل النصوص واستخراج النتائج ثم إعطاء وجهة نظري المتواضعة في مختلف الموضوعات وهذا بعد عرض الآراء ومناقشتها وفق ما يتطلبه البحث، كما اجتهدت في كثير من الأحيان في استخدام المناهج العلمية الحديثة التي تخدم موضوعي، متبعا الإرشادات والتوجيهات المقدمة لي من قبل السيد المرشد وأساتذتي وأهل التخصص ومن سلك طريق البحث.

ولقد تعمدت انتقاء عنوان البحث «الدولة السليمانية والإمارات العلوية» اقتداء بالدول المعاصرة لها آنذاك في المغرب والمشرق كالدولة الإدريسية في المغرب الأقصى، والدولة الأغلبية في المغرب الأدنى، والدولة الرستمية في المغرب الأوسط، وألحقت بها جميع الإمارات العلوية في المغرب الأوسط مع صعوبة البحث فيها.

لقد سلكت في ذلك مسلكا منطقيا وأكاديميا أيضا، بدأت بحثي هذا بمقدمة (اشتملت على : أهمية الموضوع، أهدافه، دوافعه، منهجه، خطة البحث، صعوبات البحث، نقد المصادر والمراجع) - تمهيد : تطرقت فيه إلى التسمية (المغرب، ثم المغرب الأوسط) والجغرافية الطبيعية لهذا الأخير مقتصرا على سطح الأرض من مرتفعات وسهول ومنخفضات مبرزا الإمكانات الطبيعية مدعما ذلك بخريطة طبيعية (ملتقطة للمنطقة بواسطة الأقمار الصناعية).

-**الفصل الأول : الشيعة في المغرب والمشرق الإسلاميين.**

أولا : الشيعة في المشرق الإسلامي : عرفت الشيعة، ونشأتها، وأبرزت الصراع بين الهاشمية والأموية، ونتائج الصراع القريبة والبعيدة، وتطور الشيعة مع التركيز على الزيدية، وعلاقة الزيدية بالمعتزلة، ثم الصراع العلوي العباسي حول السلطة، انتقال الشيعة إلى المغرب بدل العراق كما كان معتادا.

ثانيا : الشيعة في المغرب الإسلامي : طلائع الشيعة في عصر الولاة في المغرب، أوائل الزيدية، إدريس وسليمان في المغرب يدعوان إلى أخيهما محمد ذي النفس الزكية.

ثالثا : المغرب الأوسط قبل قيام الدولة السليمانية : ركزت على الفترة الممتدة من ثورة الخوارج سنة 122هـ إلى قيام الدولة السليمانية سنة 173هـ، توقفت فيها عند أهم الأحداث كالإسلام المبكر لقبائل منطقة تلمسان، وعرفت خوارج المغرب وفرقها، ومناطق تمركزها، وصراع الخوارج مع الخلافة العباسية، وقيام الدول المستقلة في المغرب عن الخلافة، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن الظروف كانت جد مواتية لقيام الدولة السليمانية والإمارات العلوية، ...

الفصل الثاني : الحياة السياسية والحضارية للدولة السليمانية والإمارات العلوية.

أولا : من هو سليمان بن عبد الله الكامل؟ تحدثت عن عبد الله المحض، وإخوانه ودعمت دراستي بجملة

من نصوص المحدثين والمؤرخين الثقاة، والمهام التي أسندت إليه، وأبرزت مواقفه من بعض القضايا السياسية، واستعرضت النصوص المختلفة التي تحدثت عن شخصه خاصة ما تعلق منها بنجاته من مأساة فخ 169هـ بمحاولة اغتياله، وخلصت إلى نجاته على وجه التأكيد، ...

ثانيا : نبذة تاريخية عن علوي المغرب الأوسط : اشتهر علوي المغرب بصفة عامة باسم الأدارسة وهذا لاعتبارات عديدة قد شرحتها حتى يميز الدارس لهذه الفترة بين أنساب الأسر العلوية، لأن الكثير من الإنجازات الحضارية قام بها السليمانيون ونسبت خطأ إلى آل إدريس (رضو).

ثالثا : نشأة الدولة السليمانية : رسمت حدود الدولة بالرغم من هلاميتها، وتكلمت عن تلمسان العاصمة وأظهرت جل خصائصها التاريخية والحضارية.

رابعا : تطور تلمسان الحضاري : المرافق العامة التي تم إحداثها في تلمسان بالذات كعاصمة للبلد، من مساجد وطرقات وساحات عمومية وقصبات وأسوار... وصنائع وأسواق وطوحن... وكتاتيب ومدارس ومعاهد... وأصبح للمدينة من يومها تقاليدها الحضارية، حيث احتضنت إلى جانب المسلمين جاليات مختلفة من مسيحيين ويهود وعبيد من جل الأقطار السودانية والأوروبية وتجار من المشرق والمغرب، وهكذا

تصبح تلمسان تضاهي باقي الحواضر الإسلامية في المغرب والمشرق من أمثال فاس وتيهرت والقيروان وقرطبة ودمشق وبغداد...

خامسا : الإمارات العلوية في المغرب الأوسط : اقتصرت على أهم الإمارات العلوية وأبرزت خصائصها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وإسهاماتها الحضارية في المنطقة، مثل إمارة جراوة وأرشكول وتنس والهاز، وغيرها...

سادسا : سقوط الدولة السليمانية والإمارات العلوية : تمكنت من جمع وتحليل جل العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى سقوط الدولة والإمارات العلوية الواحدة تلو الأخرى، ...

سابعا : التنظيم السليماني في المغرب الأوسط : مشيرا إلى القواعد الأساسية الإسلامية التي عمل بها العلويون في تسيير البلد طيلة فترة حكمهم، وما ميزها من التنظيمات، وتعد بحق تجربة فريدة من نوعها لا في ابتكاراتها ولكن في فعاليتها، منها : المذهب الزيدي (مع تبني باقي المذاهب الإسلامية الأخرى من سنية وخارجية وشيعية والوصول بالمجتمع السليماني إلى درجة التسامح الديني بين مختلف الملل والنحل)، الخلافة، الإمامة، الإمارة... ووصولا إلى المدينة التي تفردوا فيها عن غيرهم، وهذه ظاهرة جديدة في مجتمعنا وهي تحويل السكان من الوبر إلى الحجر، وتعتبر خطوة جريئة في تطوير المجتمع، وقد رافق ذلك تحولا عميقا في وسائل العيش والدفاع مثل : مد المياه إلى كل محتاج إليها، وتقريب الأسواق من السكان، والمنشآت التعليمية من روادها، والرباطات والقلاع الدفاعية وحماية المسالك وتنشيط الحسبة، ...

الفصل الثالث : الحياة الاقتصادية في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.

أولا : الزراعة : لقد استنطقت الوثائق والنصوص وخرجت بالشروط الطبيعية والبشرية التي وفرها المجتمع إلى هذا النشاط الحيوي، وأمكننا حصر مختلف المنتجات الزراعية وما فاق منها على حاجة السكان وصدر إلى البلدان المجاورة، ويبقى الإنسان مشدوها أمام تنوع المنتجات الزراعية ونوعيتها الجيدة، ...

ثانيا : الحرف الصناعية : تحتاج هي الأخرى إلى إمكانات طبيعية وبشرية وهذه الشروط بحمد الله جلها كان متوفرا في المغرب الأوسط، وخاصة بشماله الذي كان بيد العلويين، وهي ميزة هذا الإقليم إلى يومنا هذا، وكان ثمرة ذلك العديد من المنتجات الحرفية اشتهرت ببلدنا يومئذ مثل : التلمساني والسفاري والكنابيش وهي منتجات نسيجية تصنع من الحرير والقطن والصوف، والمطاحن وعدة الفارس، وجهاز العرس، ولباس العلماء والتجار، وغيره كثير، ...

ثالثا : التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية : فالداخلية تحدثت عن العوامل المساعدة لها من مادية وبشرية، وعلاقة الريف بالمدينة المجاورة، والمدينة بالمدن والقرى التابعة لها، والتخصص الإنتاجي الذي بدأت ملامحه في الظهور، والتجارة الخارجية : عرفتها، وذكرت أهم منتجات التبادل التجاري، ومناطق التبادل السلعي، مشيرا إلى الحوافز التي سهرت السلطة على توفيرها من أجل تدعيم وتنشيط التجارة الخارجية، مستغلة الشروط الطبيعية والبشرية المتاحة، مع وضع قائمة من السلع والبضائع المصدرة والمستوردة من كل إقليم على انفراد، وهذا للمقارنة والاستدلال، دون غض الطرف عن المسالك التجارية الأساسية، وأماكن الاستراحة، والمراكز التجارية المهمة سواء ما تعلق منها بالتجارة البرية أم البحرية، وختمت عنصر التجارة الخارجية بوسائل النقل البرية والبحرية ذات الحمولة المعتبرة.

–الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.

ركزت على التحولات الاجتماعية الحاصلة في شرائح المجتمع طيلة العهد السليماني، مستهلا ذلك بالأسرة العلوية وبالسكان المغاربة من بدو وحضر، محترما التقسيمات القبلية التي توصل إليها كبار النسابة والمؤرخين المحليين أمثال : سابق المطماطي وابن حزم الأندلسي وابن خلدون، ... وغيرهم

ودحضت النظرية الغربية القائلة باحتدام الصراع وديمومته بين البرانس الحضر والبتر البدو، وأثبت بما فيه الكفاية الوحدة والتلاؤم بين فئات المجتمع السليماني، وأن

الفروق العرقية التي ظهرت في بلدان أخرى، لم تظهر حتى بوادرها في المغرب الأوسط، بل نجد العكس أن العلويين كثيرا ما تلقبوا بألقاب بربرية.

وعرف المجتمع السليماني تطورا ملحوظا في المستوى المعيشي، وتجلى ذلك في العديد من المجالات العمرانية والفنية والثقافية، وظاهرة المدن والقرى شدت الانتباه، حيث جدد وشيد السليمانيون جملة منها، من أمثلة ذلك : تلمسان العاصمة، جراوة، أرشكول، تنس، الهاز، متيجة... والقائمة طويلة، ... أما الجانب الثقافي : فقد تحدثت فيه عن المؤسسات التعليمية بمختلف فروعها، ومواد التعليم وعن رجال التعليم، والعلماء العاملين، والقضاة، وعن الصالحين والمصلحين الاجتماعيين، وعن الآفات الاجتماعية ومخلفاتها السيئة، وعليه توصلت إلى أن المجتمع السليماني يعد بحق واضع الحجر الأساس لقاعدة علمية للمغرب الأوسط، مساهما في الحضارة العربية الإسلامية، وهذا دون مبالغة أو تحيز لجهة معينة أو فئة اجتماعية، لأن الجميع لنا.

-الفصل الخامس : العلاقات السياسية الخارجية للدولة السليمانية.

حاولت في هذا الفصل إبراز الجوانب الآتية : مفهوم السياسة، الفرق بينها وبين السياسة الإسلامية، وقد عرجت على السياسة الداخلية لما لها من علاقة وطيدة بالسياسة الخارجية، ورسمت أصول هذه السياسة التي اعتمدها السليمانيون والتزموا بتطبيقها في حياتهم اليومية، ثم قدمت جملة من الأدلة التاريخية عن استقلال الدولة السليمانية والإمارات العلوية عن الدولة الإدريسية، وأن تبعتهم لهذه الدولة اقتصرت على جانب واحد ووحيد هو الدعوة إلى الإمام الذي كان يقيم معظم أوقاته في مدينة فاس، ثم العلاقة الخارجية بين الدولتين، وحددت طابع العلاقة السياسية بينها وبين الخلافة العباسية وبين بني الأغلب ممثلي الخلافة العباسية في المغرب ومحققي رغباتها، والعلاقة السليمانية الخارجية من رستمية ومدرارية وبرغواطية، والعلاقة السليمانية الأموية في الأندلس، والنكارية في العدوة المغربية، وأخيرا العلاقة السياسية السليمانية الفاطمية، والصراع الفاطمي الأموي في أرض المغرب وتورط سكان المغرب الأوسط فيه.

أن صعوبة البحث وعقباته تترك تقدير ذلك لمن كابد عناء البحث، خاصة في موضوع نادر المصادر.

نقد المصادر :

المصادر الأصلية : إن المصادر الأصلية المتعلقة بالدولة السليمانية والإمارات العلوية تكاد تكون منعدمة، وما هو موجود يغطي جزءا بسيطا من تاريخها، وأعني كتاب البلدان لليعقوبي هو : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي المتوفى سنة 284هـ/ 897م حيث يقول عن نفسه الآتي : (إني عنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سني، وحدة ذهني، بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد؛ لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي...)(1). وقد عاين العديد من مدن وقرى المغرب الأوسط وتحدث بشكل مفصل عن الإمارات العلوية والعاصمة السليمانية التي أعجب بها كثيرا، وعن القبائل الأمازيغية وعاداتها وطرق عيشها ومذهبها الديني، وعن المسالك والمسافات الموجودة بين كل بلد وآخر، ويظهر من كلامه أنه طبق علم الجرح والتعديل وهذا ما يمكن استنتاجه من مقدمة الكتاب (وكل ما أسمع به من ثقات أهل الأمصار) وحتى أثناء الكتابة، ولولا اليعقوبي لفاتنا خير كثير عن جغرافية وتاريخ بلاد الإسلام وبخصوص المغرب الأوسط. والمصدر الثاني لابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي) المتوفى سنة 469هـ/ 1076م أقصد كتابه المقتبس من أنباء أهل الأندلس، الجزء الخامس، تحقيق : ب. شالميتا، ف. كورينطي، م. صبح، وغيرهما. يغطي الفترة الممتدة من سنة 300هـ/ 912م إلى سنة 330هـ/ 942م، المعهد الإسباني العربي للثقافة كلية الآداب بالرباط، مدريد 1979م، وما يهمنا منها الرسائل التي تبادلها قادة المغرب الأوسط من علويين وأمازيغ مع عاهل الأندلس، والمصدر الثالث النعمان : وهو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي، المتوفى سنة 363هـ/ 974م افتتاح الدعوة، يعد هذا الكتاب وثيقة مهمة فيما يخص أوائل

(1) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) : كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1988، ص 2.

دعاة الشيعة في المغرب، والعلاقات الفاطمية تجاه قبائل زناتة ومكناسة وعلوي المغرب الأوسط، والصراع الفاطمي الأموي على أرض المغرب الأوسط، ورغم تشيع التعجان للفاطميين إلا أنه كان في كثير من الأحيان متعصبا وعدلا مع خصوم الفاطميين.

والمصدر الرابع : الدينار الذهبي الذي ضرب في سوق إبراهيم أثناء إمرة أميرها أحمد بن عيسى (انظر، الملحق شكل ح). والنقش الذي كتبه الإمام إدريس على منبر المسجد الأعظم بمدينة تلمسان والذي جاء فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رضي الله عنه، وذلك في صفر سنة 174هـ" وهذه الكتابة كانت موجودة إلى عهد عبد الرحمن ابن خلدون، وهناك حفريات تمت في بداية القرن العشرين في عين المكان وتم تحديد مكان المسجد (انظر الفصل الرابع من هذه الرسالة، ص 159).

كتب الجغرافية : تعتبر هي الأخرى، مصادر أصلية كونها كانت قريبة من نهاية الدولة السليمانية أو لأن أصحابها اعتمدوا فيها على من سبقهم من عاصر الأحداث التاريخية التي تدخل في موضوع بحثنا، وأخص بالذكر ابن حوقل (أبي القاسم –النصيبي) المتوفى سنة 367هـ/ 977م من خلال كتابه صورة الأرض، ويحمل كذلك عنوان المسالك والمالك والمفاوز والمهالك، منشورات دار الحياة، بيروت–لبنان (بدون ت)، والذي زار المغرب والبلاد الإسلامية من سنة 329هـ/ 942م إلى سنة 358هـ/ 970م ومن بين ما جاء في مقدمة كتابه الآتي : "هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك وذكر الأقاليم والبلدان، على مر الدهور والأزمان... وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها، وذكر الأنهار الكبار..." وهذا ما وجدناه فعلا في هذه الوثيقة، وأفادنا كثيرا بالرغم ما قيل عنه أنه كان جاسوسا للفاطميين، (انظر العلاقات السياسية بين الدولة السليمانية والدولة الأموية الفصل الخامس من هذه الرسالة)، وأطنب في صفات البلاد، غير أنه لم يضبط الأسماء، ويقول د. علي إبراهيم حسن : "وما من شك في أن الطبعة الثانية من ابن حوقل هي التي يجب على الباحث أن يرجع إليها دون الأولى".

وقد اعتمد ابن حوقل في تأليفه لكتابه على كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة، وقيل «إن كتاب ابن حوقل عبارة عن مراجعة لهذا الكتاب وإضافة بعض الحقائق التاريخية الجغرافية إليه»[1].

لا أنه يظهر لم يطالع الكتابين، واكتفى بأحد الأحكام السابقة، وعند دراستي الجزء المتعلق بالمغرب الأوسط لم أجد ذلك مطلقا، ويبدو لي أن أعظم موسوعة علمية وفنية هو كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب البكري المتوفى سنة 487هـ/ 1094م، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، طبعة ذي سلان، الجزائر 1857م، وأعيد طبعه من قبل مكتبة المثنى ببغداد (ب.ت)، وصف فيه إفريقية والمغرب وصفا تاما ولا يمكن لأي باحث يريد أن يؤرخ لهذه المنطقة أن يستغني عنه، وقد أفادني كثيرا في فصلي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وحتى في تصحيح بعض الأحداث التاريخية المتعلقة بالعلويين، وهذا لكونه ابن المغرب، واشتغل بالوزارة، ورجوعه لأهم الوثائق التي لا يسمح لغيره بالاطلاع عليها، ولكونه من آل الخليفة الأول أبي بكر الصديق (ض)، حظيت هذه العائلة بالاحترام من قبل أهل السنة في المشرق والمغرب لعوامل كثيرة ليس هنا مجالها، بالإضافة إلى معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمران، والسهل والوعر من كل مكان لأبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي المتوفى سنة 626هـ/ 1235م، وفي الجزء الذي خص به المغرب اعتمد كلية على البكري، وفي كثير من الأحيان كلما ذكر مدينة ذكر علماءها، مما أفادني ثقافيا، حيث دفعني إلى مراجعة كتب التراجم ويحبذ لأهل الفضل والعلم أن يجمعوا ما تعلق منه بالمغرب الكبير، على غرار ما قام به المرحوم إسماعيل العربي لما حقق جزء قارة أفريقيا والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ/ 1164م، وبالرغم من كونه متأخرا عن الفترة المدروسة إلا أنه قدم لي خدمة جليلة في الجانب الطبيعي فيما يخص المغرب الأوسط، والمجال العمراني والفلكي، كما لا أنسى كتاب وصف إفريقيا ج1، 2

(1) انظر: استخدام المصادر وطرق البحث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، ص 11.

للحسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1983م، استفدت منه في الانتاج الاقتصادي، وتحديد بعض المناطق لأنه في أحيان كثيرة عاينها وقد أعطى وصفا دقيقا لبعض المعادن والنباتات الطبيعية والزراعية، وقد تكلم على جل المدن المغربية وأرجع أكثرها إلى الفترة الاستعمارية الرومانية، ربما لها ما يبررها منها ظروف إقامته الإجبارية في إيطاليا وندرة المصادر العربية...

كتب التاريخ العام الخاصة بالمغرب : سأقتصر على أهمها، ابن حزم الأندلسي (أبي محمد بن أحمد بن سعيد) المتوفى سنة 456هـ/ 1064م جمهرة أنساب العرب، يعتد به ويرجح على غيره، وهذا بشهادة أعظم المؤرخين منهم عبد الرحمن ابن خلدون، وخاصة في الأسرة الحاكمة وقبائل العرب والأمازيغ، ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي) كان حيا سنة 669هـ/ 1270م، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، يتكون من أربعة أجزاء، تحقيق ومراجعة : ج.س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1948م، استخدمت ج1و2، خاصة الجزء الأول، وكتب في مقدمة كتابه ما يأتي : "...طلب بعضهم إلي، ممن يجب إكرامه علي، أن أجمع له كتابا مفردا في أخبار ملوك البلاد العربية على سبيل الإيجاز والاختصار... فجمعت له في هذا الكتاب نبذا ولمعا من عيون التواريخ والأخبار..."، ويذكر المصادر التي اعتمدها في موسوعته التاريخية من المغرب والمشرق، ويظهر لي إنه التزم بمعظم ما جاء فيها، وقد أخذت من كتابه قدر ما تطلب الموضوع ورجحت قوله عند تعدد الآراء، لما أخاله غير متحيز إلى جانب السلطة في بغداد والأندلس، إلى جانب ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد) المتوفى سنة 741هـ/ 1340م : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، واشتهر بالورع والزهد والوعظ، تولى الإمامة والخطبة بجامع القرويين، وهناك من ينسبه إلى غيره إلا أن أدلتهم لا تصل إلى درجة التشكيك، ولم أتحصل إلا على الجزء الأول من لدن د. غازي مرشدي، وبالرغم من طباعته غير الأنيقة إلا أنني رجعت إليه مرارا لقيمته

العلمية، وانفراده ببعض الروايات، وإن كان من المتغربين والمستشرقين من يتحاملون عليه لكونه متمسك بالخط الإسلامي، وابن خلدون (عبد الرحمن المغربي) المتوفى سنة 808هـ/ 1405م : ترجمان العبر وديوان المبتدأ... 7مج، المجلد الأول المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان 1968م، راجعت جل المجلدات خاصة المقدمة، ومج4 و7، وابن خلدون أشرف من أن يجرح، ورجحته على غيره لمعرفته الواسعة بتاريخ المغرب، وكان منقذي في أصعب المواقف، وربما عيبي الوحيد أني اتخذته القدوة وبضاعتي قليلة، يظهر أنها وصلت درجة الإعجاب. وكتاب نظم الدروالعقيان لأبي عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/ 1397م، قسم تاريخ دولة الأدارسة الذي حققه أ. عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م، وقد استفدت منه كثيرا، لأنه يتحدث عن عائلة سليمان بشيء من التفصيل، وكلما لاحظ السيد المحقق نوعا من الغموض إلا وأجلاه مع الإحالة إلى أهم المصادر، وهنالك بعض المصادر الأخرى التي قدمت لي بعض المعلومات بشكل من الأشكال.

كتب التاريخ العام : من أمثال كتاب سيف بن عمر الضبي الأسدي المتوفى سنة 200هـ/ 815م «الفتنة ووقعة الجمل»، تحقيق، أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت-لبنان، وأعمال ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) المتوفى سنة 276هـ/ 889م، منها : الإمامة والسياسة، المعارف، عيون الأخبار، كتاب الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) المتوفى سنة 310هـ/ 922م، تاريخ الأمم والملوك، دار عز الدين، بيروت، والأصفهاني (أبو الفرج) المتوفى سنة 356هـ/ 973م، مقاتل الطالبيين: تحقيق السيد أحمد صقر، تهران 1970م، وابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم) المتوفى سنة 630هـ/ 1232م : الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981م، هذه وغيرها استفدت منها حسب الحاجة.

كتب الأنساب : اهتم العرب والأمم التي عاشرتهم بالأنساب، وهذا الفن قد قدم لي معلومات لا يمكن الاستغناء عنها لأنها مفقودة في فنون أخرى منها : ابن حزم الأندلسي : «جمهرة أنساب العرب» (المذكور أعلاه)، القلقشندي (أبو العباس أحمد

بن علي) المتوفى سنة 821هـ/ 1420م، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت (ب.ت)، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان: تحقيق، إبراهيم الأبياري، لنفس المؤلف، وغيره...،

كتب الطبقات والملل والنحل : فيها خير كثير، في معرفة تراجم الرجال وإنتاجهم الفكري والفني، وضبط الأعلام، وشرح العديد من القضايا والمفاهيم من أمثال : أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني) المتوفى سنة 333هـ/ 945م، «طبقات علماء إفريقية وتونس»، تحقيق، علي الشابي، نعيم حسن الياقي، الدار التونسية مع م.و.ك. الجزائر، الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث) المتوفى سنة 361هـ/ 971م، «قضاة قرطبة»، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، 1982م... والماوردي (علي بن محمد حبيب البصري) المتوفى سنة 450هـ/ 1058م، «الأحكام السلطانية في الولاية الدينية»، د.م.ج. الجزائر، والشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) المتوفى سنة 548هـ/ 1154م، «الملل والنحل»، 3 أجزاء: تحقيق، فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ت)، وغيرها...،

الموسوعات والمعاجم : وأقصد اللغوية والإصطلاحية، المصادر والمراجع، لأن ضبط المفاهيم والتحكم فيها شيء أساسي وعملي، منها : الزبيدي (السيد محمد مرتضى)، تاج العروس، دار ليبيا، بنغازي-ليبيا (ب.ت)، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم-)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الإصدار (1، 0) 1995م، النشر الإلكتروني، والزمخشري (أبو القاسم محمد بن عمر)، «أسس البلاغة»، تحقيق، عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت...،

المراجع العربية والأجنبية : لا يمكن بأي حال من الأحوال ترك الأعمال الجليلة، لأن المجهودات العلمية، مهما كان الجهد الذي بذل لابد أن يشجع ويثمن، وهناك العشرات من الأعمال القيمة، التي أنارت لي الطريق على الرغم من التفاوت العلمي والتاريخي بينها، منها : الرسائل الجامعية التي تفوق العشرة، غطت الموضوع في نقطة منه، وأفادتني منهجيا، والكتابات حول الدولة الإدريسية والدول المعاصرة لها،

والمقالات الأجنبية بما نشرتها الخاصة دون شك تدفعك إلى التعمق في الموضوع لمعرفة النوايا الحقيقية لهؤلاء وأولئك.

المقالات : بحمد الله استطعت أن أحصل على جل ما كتب في مجلة الأصالة التي كانت تصدرها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، ومن بين ما ضمت إنتاج ملتقيات الفكر الإسلامي، ومن إهتماماته يومها الموضوعات التاريخية فمثلا : عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها، رقم 26 لسنة 1395هـ/ 1975م، وفيه جملة من المقالات تمس موضوعنا، منها مقالة للأستاذ : موسى لقبال تحت عنوان : "زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط"، ص 91، تحدث فيه عن الإمارات العلوية، لكنه معتمد كلية على كتاب البلدان لليعقوبي المذكور سابقا في المصادر الأصلية، وهي جزء من رسالته التي نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة الجزائر[1].

ومجلة الثقافة لوزارة الثقافة والإعلام الجزائرية، ومجلة التاريخ للمركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ومجلة سيرتا جامعة قسنطينة، ومجلة بحوث جامعة الجزائر (راجعوا قسم الدوريات من هذا البحث، ص 248-251).

وفي آخر المطاف كانت الأهداف أكثر طموحا مما تحقق وهذا شيء طبيعي، لأن كل ما يتمناه المرء لا يدركه بأي حال من الأحوال، وفي العموم كانت خطواتي في هذا البحث قريبة مما كنت أبتغي، وحسبي أنني بدأت، وآمل أن يسد باحثون آخرون الفراغات التي يمكن أن تظهر في البحث والهفوات والهنات التي ما كان من الممكن لي تجاوزها، ونسأل الله تعالى أن يسدد خطانا، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

(1) دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، طبع. ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص 209-214.

التمهيد : المغرب هذه الكلمة تتردد كثيرا في كتب الجغرافية والتاريخ وفي غيرهما من الكتب، ماذا يقصد بها؟

يقصد بها لغة : «الغرب والمغرب بمعنى واحد ... خلاف المشرق، وهو المغرب»[1] ثم يقول : «وفي الأصل موضع الغروب، ثم استعمل في المصدر والزمان، وقياسه الفتح، ولكن استعمل كالمشرق والمسجد»[2]، ويقول الحق تبارك وتعالى : «سيقول السّفهاء من النّاس ما ولاّهم عن قبلتهم الّتي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشآء إلى صراط مستقيم»[3]، وفسر الزمخشري قوله تعالى «لله المشرق والمغرب» أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها[4]، وإن كان المرزوقي يقصر جل كلمات المشرق والمغرب في الطلوع والشروق، ويقول : «فأما القمر فإنه يتجاوز في مشرقيه ومغربيه مشرقي الشمس ومغربيها؛ فيخرج عنهما في الجنوب والشمال قليلا؛ فمشرقاه ومغرباه أوسع من مشرقي الشمس ومغربيها»[5]. وهناك من يقول من أمثال : سعدون عباس نصر الله، أن أول من استخدم المغرب للمنطقة إلى جانب الجهة أي أعطاها أكثر من مدلول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ض)[6]، عندما خاطب الخوارج، بعد قتلهم

---

(1) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم-الإفريقي المصري) (ت. 711هـ/ 1311م) : لسان العرب، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الإصدار (0،1) 1995م، النشر الإلكتروني، المادة : المغرب.

(2) ن، م، س، ص، والمادة.

(3) القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية 142.

(4) الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) (ت. 558هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، انتشارات، آفتاب، تهران، (ب.ت)، مج 1، ص 317.

(5) المرزوقي الأصفهاني (الشيخ أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن) (ت. 421هـ/ 1029م) : الأزمنة والأمكنة، ضبط وتخريج : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص 152.

(6) سعدون عباس نصر الله : دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي 172هـ-223هـ/ 788م-835م)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان 1408هـ، ص 13.

الحرث بن مرة العبدي[1] سفير الخليفة إليهم؛ فبعث إليهم قائلا : «أن ابعثوا إلي بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أترككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب...»[2]، ويعني غرب عاصمته، ومن يومها أضحى لها مدلول المنطقة إلى جانب الأول الجهة، وهذا القول لا يستقيم لسبب بسيط.

إن معظم الكتب التي تؤرخ للفتح الإسلامي في المغرب، تسرد جملة من الأحاديث النبوية في فضل المغرب، ولا يهمنا درجة الصحة بقدر ما يهمنا توظيف كلمة المغرب، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لايزال أهل المغرب ظاهرين (على الحق) حتى تقوم الساعة»[3].

وبهذا يكون المغرب استخدم للمعنيين في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الأقل إن لم أقل قبل ذلك، والحديث الشريف عاما لا يعني إقليما محددا.

أما المغرب أرض الإسلام الواقع إلى الغرب من أرض النيل؛ فكان انطلاق فتحها في عهد عمر بن الخطاب (ض)، حيث سار عمرو بن العاص[4] إلى انطباس

(1) وهناك من يقول : «عبد الله بن الخباب؛ فقتلوه وبقروا بطن امرأته...»، انظر : البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل) (ت.322هـ/ 934م) : البدء والتأريخ، ج1و2، تحقيق : خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/ 1997م، ج2، ص 228.

(2) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن) (ت.346هـ/ 956م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4 أجزاء، دار النفائس، بيروت-لبنان 1965م، ج2، ص 405.

(3) الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر) (ت.488هـ/ 1095م) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص 14/ الكلبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن جزي) (ت.741هـ/ 1349م) : القوانين الفقهية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1409هـ/ 1989م، ص8.

(4) عمرو بن العاص (ت.43هـ)، مات بمصر عن سن يناهز 79 عاما، من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تقلد العديد من المناصب : قيادة الجيوش، وولاية مصر في عهد الخليفة الثاني، انظر : أبو الحسن العجلي (أحمد بن عبد الله بن صالح) (ت.261هـ/ 874م) : تاريخ الثقات، ضمنه ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد المعطي قلعتجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1405هـ/ 1984م، ص 365.

وهي برقة[1] فافتتحها وصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار، وكان ذلك في سنة 21هـ[2].

أما تسميتها بالمغرب؛ فيعود ذلك إلى منتصف القرن الأول الهجري، حيث اختلف الناس على عقبة بن نافع الفهري في قبلة مسجد القيروان، وقالوا : «إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فاجهد نفسك في تقويمها»[3]، وكذلك في دعائه لمدينة القيروان حيث قال : «يا رب املأها فقها وعلما... واصلح بها المغرب وأمنها من جبابرة الأرض»[4].

أما أرض المغرب؛ ففيه اختلاف بين الجغرافيين وحتى المؤرخين في تحديد بدايتها ونهايتها، وعدوة الأندلس منه أم غير ذلك؟ لأن الحدود في هذا العصر كانت مائعة لا أسلاك شائكة ولا رجال جمارك، والمسلم حيث اتجه فهو في بلده، وعليه لا أقول بقول ابن عذاري الذي جعل حد المغرب هو من ضفة النيل بالأسكندرية، التي تلي بلاد المغرب، وحدّه مدينة سلا[5]، أي بحر الظلمات، ولا بقول السلاوي الذي أخرج برقة من المغرب[6]. ولكن بقول الجغرافي اليعقوبي، الذي عاينها وتحرى في ذلك من يثق بصدقهم : «...في عمل لوبية وهي كورة تجري مجرى كور الإسكندرية، منها منزل يعرف بمنزل معن، ثم

---

(1) برقة : هي pentapolis ومعناها المدن الخمس باليونانية، ويطلق اسم برقة على ذات الأحجار مختلفة الألوان. وقد سماها العرب بذلك لوجود هذه الأحجار، وهي أحد أقاليم لوبية، وأول ما تم فتحه في المغرب. انظر : ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) (ت.673هـ/ 1274م) : كتاب الجغرافيا، تحقيق : إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، صص 126-127.

(2) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت.310هـ) : تاريخ الأمم والملوك، مج6، دار عزالدين، بيروت، لبنان، ط3، 1413هـ/ 1992م، مج2، ج4، ، ص382.

(3) ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي) (ت. في القرن الثامن الهجري) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق : ج، س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص20.

(4) الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) (ت. في القرن 5هـ) : تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق : عبد الله علي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990م، ص8.

(5) ابن عذاري : ن.م.س، ج1، ص5.

(6) الناصري السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد) : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص71.

المنزل المعروف بقصر الشماس، ثم خربة القوم، ثم الرمادة، وهي أول منازل البربر...»[1]، وبذلك تكون الحدود الشرقية للمغرب هي حدود ليبيا الحالية تقريبا.

أما الأندلس فمعظم الجغرافيين يلحقونه بالمغرب لعوامل جغرافية وتاريخية، ومن هؤلاء الجغرافي الكبير ابن حوقل حيث يقول: «وأما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبر الأصغر من جهة جليقية وإفرنجة، وهي في جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور من مغربها والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها...»[2]، وإذا كانت حدود المغرب الشمالية والغربية محددة، وقد حددنا الشرقية؛ فإن حدودها الجنوبية غير مضبوطة، وإن كان للعلويين والأمازيغ إمارات امتدت إلى جنوب الصحراء.

والمغرب كان يقسم عادة من الشرق إلى الغرب انطلاقا من أرض الحجاز، المغرب الأدنى أو إفريقية، المغرب الأوسط أو الواسطة، والمغرب الأقصى، ثم الأندلس، مع بعض التسميات المختلفة، والحدود غير المستقرة.

ويمتد المغرب الأوسط من بجاية ونهر الصومام شرقا[3]، أي حدود إفريقية الغربية، ونهر ملوية غربا[4]، وممر تازا[5]، وبهذا تكون حدود المغرب الأوسط، من الشمال البحر

---

(1) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) (ت. 284هـ/ 897م) : كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1408هـ/ 1988م، صص 99-100.

(2) ابن حوقل (أبو القاسم-النصيبي) (ت.367هـ/ 976م) : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص65.

(3) ابن عذاري : ن.م.س، ج1، صص 5-6/ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، صص 126-127.

(4) الأيوبي (الملك المؤيد عماد الدين بن إسماعيل صاحب حماة) : تقويم البلدان، صححه وطبعه : رينودو البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطبعة السلطانية، باريس، 1840م، ص122/ السلاوي : ن.م.س، ج1، ص71/ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي) (ت.626هـ/ 1229م) : معجم البلدان، دار بيروت، بيروت-لبنان، 1404هـ/ 1984م، مج3، ص161. ابن خلدون (عبد الرحمن-المغربي) (ت.808هـ) : ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر... المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1968م، ص197

(5) السلاوي : ن.م.س، ج1، ص71.

الرومي أو البحر الشامي[1]، ومن الشرق الوادي الكبير (الصومام)، ومن الجنوب صحراء نوميديا، ومن الغرب واد زاغ ونهر ملوية[2].

والدولة السليمانية والإمارات العلوية، لم تكن تشمل كامل بلاد المغرب الأوسط، بل شاركتها الدولة الرستمية من الناحية الجنوبية، حيث اقتصرت أراضيها على المنطقة الشمالية منه، أي من شمال الأطلس التلي وإن تجاوزته إلى الداخل في إمارة تلمسان والهاز.

الجغرافية الطبيعية للدولة السليمانية والإمارات العلوية :

يمتد ساحل المغرب الأوسط أو الواسطة[3]، من ملوية إلى بجاية والبالغ طوله حوالي 1000 كلم، نسجل ظاهرة ندرة المنعرجات، وفي مجموعه صخري حجري، وتكاد مراسيه الطبيعية أن تكون منعدمة[4].

ويتخلل ساحل المغرب الأوسط، خلجان متورة كخليج وهران، وأرزيو، والجزائر وبجاية، ونجد ظاهرة الرؤوس المتعمقة داخل البحر كرأس ملوية ورأس فلكون[5].

والسهول الساحلية جد ضيقة، وتتسع في بعض المناطق، مثل سهل وهران وسهل متيجة خلف مدينة الجزائر[6]. وأهم سهول «الواسطة» الساحلية سهل وهران الذي يعتبر من أكبر سهول المنطقة، حيث يحده من الغرب جبال تسالا ومن الشرق جبال الظهرة[7].

---

(1) ابن عذاري : م.س، ج1، ص6.

(2) الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) (ت. بعد 957هـ/ 1550م) : وصف إفريقيا، ج1و2، تحقيق وترجمة محمد حاجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م، ج2، ص7.

(3) الزهار (الحاج أحمد الشريف) : المذكرات، تحقيق : أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص7.

(4) المدني (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب.ت)، ص 161.

(5) موسى علي : جغرافية العالم الإقليمية، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/ 1981م، ص 314.

(6) الصياد محمود محمد : جغرافية الوطن العربي، ج1، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص 189.

(7) عيون عبد الكريم : جغرافية الغذاء في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 140.

وتغذيه الكثير من الأودية كواد سيق والحمام ونهر الشلف، وبه معظم الغلات الزراعية. وهذا ما أتكلم عنه في الجانب الاقتصادي. وسهل متيجة وهو امتداد طبيعي لسهل وهران، وأقل من الأول مساحة، يبلغ طوله 100كلم وعرضه 30 كلم، وهو الآخر تخترقه العديد من الأودية كالشفة، وأربعطاش[1]، وهو الآخر غني بثرواته الغذائية.

أما مناخ هذا الإقليم فيتميز بالاعتدال في الحرارة والبرودة والرطوبة، يعرف سقوط أمطار معتبرة خلال فصل الشتاء والربيع[2].

أما إقليم التل : فيتميز بطابعه الجبلي، وتمتد هذه السلاسل الجبلية من الغرب إلى الشرق، مبتدئة بجبال تلمسان ثم تسالا، الضايا، سعيدة، الونشريس، الظهرة، الزكار ثم جبال جرجرة[3]... وتتخلل هذه الجبال سهول داخلية، أكثر ارتفاعا من السهول الساحلية، وأقل مساحة منها، من أهمها : سهل تلمسان، سيدي بلعباس، غريس، السرسو، سهل حمزة...الخ. أما في أقصى المغرب الأوسط فهناك سهل ملوية العظيم، المعروف بروافده الكثيرة المنحدرة من أطلس الدرن (الأطلس الكبير)[4]، والأطلس الأوسط[5].

ويسود هذا الإقليم مناخ البحر المتوسط، وتقل تأثيراته كلما اتجهنا جنوبا، وكمية الأمطار المتساقطة على الإقليم كافية لتلبية حاجة الغطاء النباتي والزراعة[6]. ورياحه التي تسبب هطول الأمطار والثلوج هي رياح غربية[7].

(1) ن.م.س، ص160.

(2) الوزان الفاسي : ن.م.س، ج1، ص72.

(3) موسى علي : ن.م.س، ص320، / بوروبية رشيد وآخرون : العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص14.

(4) الإدريسي (أبو عبد الله الشريف) (ت.548هـ/ 1153م) : القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق : إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص132/ بوروبية رشيد وآخرون : ن.م.س، ص14.

(5) الصياد محمود محمد : ن.م.س، ص197.

(6) موسى علي : ن.م.س، ص323.

(7) الوزان الفاسي : ن.م.س، ج1، ص72.

إقليم النجود أو الهضاب العليا، يقع إلى الجنوب من إقليم التل؛فيحدّه من الشمال جبال الأطلس التلية ومن الجنوب جبال الأطلس الصحراوي، ومن الغرب جبال الدرن، ومن الشرق جبال الأوراس، وتنتشر بهذا الإقليم الشطوط، كالشط الغربي والشرقي وشط الحضنة. ويسوده مناخ شبه جاف وبارد شتاء وحار صيفا، أما الإقليم الصحراوي فكان تابعا للدولة الرستمية.

وبهذا نكون قد تعرفنا على المغرب الإسلامي من حيث التسمية، ومناطقه الأساسية، وعلى الدولة السليمانية والإمارات العلوية من الناحية الجغرافية الطبيعية، وموقعها الممتاز، وهذه الخريطة الطبيعية (شكل -ب- ص216) تبرز ما قلته عن التضاريس، من حيث المرتفعات والهضاب والسهول والمنخفضات (أنهار، وأسباخ).

الفصل الأول
الشيعة في المغرب والمشرق الإسلاميين

أولا : الشيعة في المشرق الإسلامي:

ما كان أحد من المسلمين يعتقد أن تلك الفئة المؤمنة بالله وبرسوله، ما أن توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حتى ظهرت النزاعات القبلية بصورة بارزة، تهدد كيان الإسلام في الصميم، وتقضي على ما بذله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مجهودات في توحيد الأمة، وقد أخذت تلك النزاعات صورة صراع حول الخلافة[1].

ألم تكن المدة كافية لصهر الأمة الإسلامية؟ أم هناك ما هو أقوى من إرادتها؟ خاصة من قبل الأعراب وأصحاب المصالح. وتمثل ذلك في الارتداد عن الإسلام والتحزب إلى كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وإذا كان الخليفة الأول ثم الثاني تمكنا من التغلب على النزاعات القبلية؛ فإنها عادت إلى الظهور وبشكل تدريجي مع خلافة عثمان بن عفان (ض).

وهذا ما أكده عدد كبير من المؤرخين المسلمين، قامت خلافة عثمان وسط مظاهر التحزب والانشقاق فقد انقسم المسلمون إلى هاشمية[2]، وأموية[3]، ووجد حزب

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج3، صص 9-10.

(2) الهاشمية : نسبة إلى هاشم بن عبد مناف بن عبد المطلب، بطن من قريش، كان ظهور الإسلام في بني هاشم سببا في شهرتهم وتفوقهم. انظر : ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) : جمهرة أنساب العرب، تحقيق : عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر 1962م، ص14/ ماجد (عبد المنعم) : التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1971م، ط4، صص 14-15.

(3) أموية : نسبة إلى أمية بن عبد شمس، جد بني أمية، وابن عم هاشم بن عبد مناف، وقيل لعلي بن أبي طالب (ض) : «أخبرنا عنكم وعن بني أمية؛ فقال : بنو أمية أنكر وأمكر وأفجر، ونحن أصبح وأنصح وأسمح». انظر ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد) : العقد الفريد، ج3، تحقيق : أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان 1982م، صص 315-316.

معارض وحزب مؤيد في الوقت الذي كان الخليفة طاعنا في السن ليّن العريكة[1] بطبعه[2].

وفي هذا الجو المشحون بالخلافات نجحت السبئية[3]، فعلا في تحقيق أهدافها من إثارة الفتنة التي انتهت بالإطاحة بحكم عثمان (ض)، وراح الخليفة المظلوم ضحية هذه المؤامرة[4].

وهكذا تم إحياء الخلاف الذي نشب في الجاهلية، بين بني أمية وبني هاشم على وظائف الكعبة في مكة وبالتالي الرئاسة.

وهناك من يحمّل مسؤولية ما وقع إلى مجلس الشورى، الذي تم تعيينه مباشرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، من كبار الصحابة حيث أسفر اجتماع السقيفة على ترشيح سعد بن عبادة من قبل الأنصار، ورشح أبو بكر أبا عبيدة وعمر، ورشح عمر أبا بكر، وفي آخر الأمر رجحت كفة الصديق في غياب علي (ض)[5]، وبقي في الخلافة مدة

---

(1) العريكة : جمع عرائك، سمي بذلك لأن المشتري يعرك هذا الموضع ليعرف سمنه وقوّته، ويقال : فلان لين العريكة أي سلس الخلق مطاوعا منقادا. انظر الزبيدي (السيد محمد مرتضى) : تاج العروس، مج7، دار ليبيا، بنغازي-ليبيا، (ب.ت)، ص161.

(2) عثمان ابن عفان رضي الله عنه آخر خطبة له عن بدر ابن عثمان عن عمه : «... والزم جماعتكم لا تصيروا أحزابا...(واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) سورة آل عمران، الآية 103/ انظر سيف ابن عمر الضبي الأسدي (ت.200هـ) : الفتنة ووقعة الجمل، دار النفائس، بيروت-لبنان، ط4، 1402هـ/ 1982م، ص27./ سيف ابن عمر : ن.م.س، ص37/ ابن الأثير (أبو الحسن علي) (ت.630هـ) : الكامل في التاريخ، الجزء الثالث، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط3، 1980م، ص37/ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان 1971م، ص549.

(3) السبئية : إلا أن شخصية عبد الله بن سبأ ثار حولها اختلاف كبير بين المؤرخين من مؤيد لوجودها ومنكر لها؛ فالمهم إن لم يكن ابن سبأ فإن دور اليهود ونشاطهم السري في تهديم الدولة الإسلامية ثابت تاريخيا، انظر : طه حسين : إسلاميات، دار الآداب، بيروت-لبنان، ط 1967م، ص759/ جاسم (غازي مهدي) : محاضرات، قسم الماجستير لسنة 95/ 1996، معهد التاريخ، جامعة وهران.

(4) جاسم (غازي مهدي) : ن.م.س.

(5) الذهبي (محمد ابن أحمد ابن عثمان) (ت.748هـ) : الخلفاء الراشدون، تحقيق : حسام الدين القدسي، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1992، ص2

سنتين وقبل موته رشح عمر للخلافة، وراح يسأل كبار الصحابة عن عمر بدون شك لا أحد يطعن في شخصه، وعندما استهدف عمر (ض) اختار ستة من كبار الصحابة وهم : عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعيد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد (وهو غائب عن المدينة)[1].

لأن هؤلاء الستة توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض[2]، انتهى التشاور إلى حصر الخلافة في أحد الإثنين علي أو عثمان أي بين الهاشمية والأموية، فتقدم عبد الرحمن بن عوف ورفع يد عثمان مبايعا له.

فكان رد علي (ض) : «ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»[3].

وضح من كلامه (ض)، أن هناك تحيزا الغير آل البيت، وهكذا خيبوا آمال علي (ض) ثلاث مرات بتجاوزه، ولما نالها أي الخلافة خابت آماله وآمال العلويين[4]. وعرف هؤلاء المؤيدون لعلي رضي الله عنه بالشيعة، وقد بلور مقتل الإمام علي اتجاههم.

الشيعة : لغة، هم الصحب والأتباع، وفي اصطلاح الفقهاء والمتكلمين هم أتباع علي وبنيه رضوان الله عليهم[5]، والشيعة اسم عام لعدد كبير من الفرق والطوائف الموالية للخليفة الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام، وجميعها تقول بأنه هو وذريته أولى بالخلافة والإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[6]، وهناك من يرى أن

---

(1) ن.م.س، ص 164.

(2) ن.م.س، ص162.

(3) ابن الأثير (أبو الحسن علي) (ت.630هـ) : الكامل في التاريخ، الجزء الثالث، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط3، 1980م، ص37.

(4) أرنولد توينبي : تاريخ البشرية، ج2، ترجمة : نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1986م، ص91.

(5) ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط3، 1967م، ص348.

(6) الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) : الملل والنحل، ج1، تحقيق : أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان (ب.ت)/ العربي إسماعيل : معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب 1413هـ/ 1993م، ص248.

علي (ض) قال لشرطة الخميس : «تشرّطوا أشارطكم على الجنة، وكان يقول لهم أنتم شيعتي وسهام الأصفياء، الأولياء، وشرطة الخميس الأصحاب»[1].

ولكن الإمام محمد الباقر (ت.117هـ)، كان يقول : «شيعتنا من أطاع الله»[2]، اشترط الطاعة، وهذا ما يتمسك به فقهاء البيت العلوي وكل من انحرف عن الكتاب والسنة ليس من شيعتهم.

فالسنة : هي الطريقة والسيرة، والقول من سنّ سنّة حسنة، طرق طريقة حسنة[3]، أي الطريقة المشروعة في الدين ويقابلها البدعة.

والشيعة : هم الصحب والأتباع ولا يقابلها السنة، لكن لفظ السنة تطور وأصبح مصطلحا يطلق على آراء الجماعة وأفعالهم، ويستعمل خصوصا لتميز هذا المذهب عن مذهب الشيعة[4].

واستعمل لفظ أهل السنة إلا من بعد وفاة الإمامين الكبيرين : أبو منصور بن محمد الماتريدي الحنفي (ت.333هـ)[5]، وأبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الشافعي (ت.330هـ)[6]، وأهل السنة أي الذين التزموا في العقيدة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإمامين وأهل السلف دون غيرهم[7]. أما غير هؤلاء في اعتقاده أهل

---

(1) ابن النديم (محمد بن إسحاق) : الفهرست، تحقيق : الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط2، 1977م، ص217.

(2) الشبنجلي (الشيخ مؤمن حسن مؤمن) : نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1409هـ/ 1989م، ص232

(3) الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر) : أسس البلاغة، تحقيق : عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص221.

(4) إسماعيل العربي : معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ص217.

(5) هو أبو منصور السمرقندي الحنفي من علماء الكلام ودافع عن العقيدة الإسلامية ضد المعتزلة، كان معاصرا للأشعري (أبو الحسن علي)، وإليه تنسب فرقة الماتريدية.

(6) الأشعري تنسب إليه العقيدة الأشعرية، لأنه من علماء الكلام ودافع عن العقيدة الإسلامية ضد المعتزلة، انظر : الشهرستاني : الملل والنحل، ج1، ص81.

(7) البغدادي (عبد القاهر بن طاهر) : الفرق بين الفرق، تحقيق : الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1414هـ/ 1994م.

الأهواء الضالة، ألا يختلف ذلك مع روح الإسلام؟ وما ذهب إليه الأستاذ الزعبي[1] فهو صحيح، إن السنة لا يقابلها شيعة ولكن يقابلها البدعة.

وفيه إقصاء وإبعاد لطائفة كبيرة من المسلمين، إذا كان كل الشيعة وغيرهم من أهل الأهواء والضّالة، وفيهم الصحابة المشهود لهم بالجنة والصحبة والعلم والورع والصلاح... !

ويمكنني أن أقول : إن هذه المصطلحات غير دقيقة؛ فالسنة والشيعة لها نفس المدلول، ويجب أن نبحث عن مفاهيم أخرى أدق وأعمق وفق المقاييس والمعايير التي حددها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وفهم السنة وأهل الجماعة، أن الشيعة يقابلها السنة ولكن في الأصل يقابلها كلمة أمة. والشيعة تعني في الأصل حزب الدولة[2]، أي الدولة التي قادها الخلفاء الراشدون من أهل الحل والعقد الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، وفي القرن الرابع الهجري اقتصرت الكلمة هذه (الشيعة) على الذين يريدون الخلافة لعلي ثم لولديه الحسن والحسين[3]، إلاّ أن هذا لا يعمل به العديد من المؤرخين من أهل السنة[4].

ويرجعون تميز الشيعة إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكرون بعض أعضائها من الصحابة رضوان الله عليهم، واشتداد تميزها أواخر أيام عثمان بن عفان (ض)، ومقتل الحسين بن علي رضوان الله عليهم آل البيت[5].

وحزب الدولة في بدايته ضم العلويين وباقي أهل البيت مع العديد من أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار وأهل العراق، من كان يحب أهل البيت والعطف

---

(1) الزعبي (محمد علي) : لا سنة ولا شيعة، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1961م، ص66.

(2) الزعبي (محمد علي) : ن.م.س، ص66.

(3) ن.م.س، ص67.

(4) البغدادي (عبد القاهر) : صاحب الفرق بين الفرق/ والشهرستاني (أبو الفتح محمد) صاحب الملل والنحل، وغيرهم كثير...

(5) حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن : النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج.م.ع، ط3، 1963م، صص 89-90.

عليهم لتصريحات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم»[1]. وحديث : «ذرّية النّبي في صلب فاطمة»[2]، وحديث : «وأنشدكم الله في أهل بيتي»[3]، وغيره كثير... وآي القرآن الكريم منها «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا»[4]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «نزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة»[5]، وهناك العديد من الآيات في هذا الصدد.

أما في علي كرم الله وجهه العشرات من الأحاديث كحديث غدير خم[6]، وحديث النظر إلى وجه علي (ض) عبادة[7]، وعلي مني وأنا منه[8]، وأنت أخي في الدنيا والآخرة[9].

---

(1) الأصفهاني (أبو الفرج) : مقاتل الطالبيين، تحقيق : أحمد صقر، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، تهران، ط2، 1970م، ص68/ رواه أحمد والترمذي، لكن بلفظ قريب منه، انظر : مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، الحديث رقم 10.681، مسند الترمذي، باب المناقب، الحديث 3.720، موسوعة الحديث الشريف، الإصدار الأول، شركة صخر لبرامج الحاسب (1991-1996).

(2) الحشلاف (عبد الله بن محمد بن شارف بن علي) : سلسلة الأصول في معرفة أبناء الرسول صلّى الله عليه وسلم، المطبعة التونسية، تونس، 1929م، ص15./ قصة وفد أهل نجران والدعوة إلى المباهلة، تنطبق مع الحديث، انظر : ابن كثير (عماد الدين) : تفسير ابن كثير، ج2، دار النفائس، بيروت-لبنان، ط3، 1981م، ص52.

(3) الشبنجلي (الشيخ مؤمن حسن مؤمن) : نور الأبصار في مناقب آل البيت المختار، ص223./ رواه الترمذي، بلفظ آخر، المسند، المناقب، 3722.

(4) سورة الأحزاب، الآية 33.

(5) ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل) : تفسير القرآن العظيم، الجزء الخامس، دار الأندلس، ط3، 1401هـ/ 1981م، ص456.

(6) رواه مسلم (أبو الحق بن الحجاج النيسابوري) : الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة (رضوا)، ج7، المكتب التجاري، بيروت-لبنان، ص122.

(7) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين) : لسان العرب، المادة : نظر.

(8) النسائي (أبي عبد الرحمن) : كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ض)، تخريج : أبي إسحاق الجويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 77.

(9) محمد رضا : الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه رابع الخلفاء، مطبعة البابا الحلبي، القاهرة، مصر، 1939م، ص6./ رواه أحمد، من حديث طويل (أما أنت يا جعفر، ...)، مسند أحمد، باب المناقب، الحديث 731 الموسوعة الحديث الشريف، ن.م.س.

ويقول الإمام أحمد بن حنبل : «لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي»[1]. هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتنوعة، والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة دفعت الأمة إلى أن تؤيدهم وتقف إلى جانبهم.

وبالمقابل كان بنو أمية وحاشيتهم، أي حزب العثمانية الذي كان يطالب بدم عثمان بن عفان (ض)، وهو الذي أوصل معاوية بن أبي سفيان[2] الذي اتخذ من المطالبة بدم عثمان ابن عفان (ض) ذريعة، ووسيلة للوصول إلى السلطة، وقيادة المعارضة التي أشهرت السيف في وجه الأمة والخلافة الشرعية، وفي وجه الإمام علي (ض) الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «...خير الناس حمزة وجعفر وعلي»[3].

وجل المعارضة كانت من بني أمية وأهل الشام، وهذا طبيعي لأن جل الولاة الذين أثروا في عهد عثمان ابن عفان (ض)، لجؤوا إلى بلاد الشام عندما عزلهم الخليفة علي (ض)، ومعاوية بن أبي سفيان الذي مكّنته إمكانات بلاد الشام الكبيرة من تكوين حزب قوي. وسعي بني أمية الشديد إلى إعادة السلطة التي فقدوها لأكثر من أربعين سنة، والتي استرجعوا منها جزءا كبيرا في عهد الخليفة الراحل رحمه الله، وخاصة أن الخليفة الجديد من بني هاشم، ولا يمكن نسيان الخلفية التاريخية بسرعة، وبيئة أهل الشام التي تربت على النظم البيزنطية التي تقدس السلطة الزمنية، وبلاد الشام لازالت لم تفقه معنى الحرية التي نادى بها الإسلام.

(1) قطاع (مناع خليل) : التشريع والفقه في الإسلام، تاريخا ومنهجا، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1982م، ص181.

(2) الإمام علي (ض)، يقول : «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكن يغدر ويفجر، ولولا كراهيتي الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة، والله ما استغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة»، أما ما قالته نخبة من العلماء الذين علقوا وراجعوا الكامل في التاريخ لإبن الأثير في معاوية : «وقد كان من رأي معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد... ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ولا إتباع سنة هادية ولا قدوة من أئمة الحق ماضية إلا الرغبة في هلاك دينه وآخرته والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة». انظر علي بن أبي طالب : نهج البلاغة، ج2، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، شرح : محمد عبده، مطبعة الاستقامة، مصر، ص206/ انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، ص 56.

(3) الأصفهاني (أبو الفرج) : مقاتل الطالبيين، ص17 عن سعيد الخذري.

وقد قال فيهم الإمام علي (ض) : «جفاة طغام، عبيد أقزام، جمعوا من كل أوب والتقطوا من كل شوب، ممن ينبغي أن يفقه ويؤدب، ويعلّم ويدرّب، ويولّى عليه ويؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوءوا الدار والإيمان...»[1] وكانوا في كثرة بينما كان أهل العراق في قلة[2].

ومن المفروض أن هذه الشرذمة القليلة التي كانت مع ليث بني طالب[3] ومع الحق والشرعية، أن تصمد وتعتصم بحبل الله إلاّ أنّها خيبت الآمال، وهذا الذي اشتكى منه ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج سيدة النساء، فاطمة ابنة محمد بن عبد الله رضيَ الله عنه في إحدى خطبه قائلا : «...المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم، فرق الله بيني وبينكم»[4].

وإشهار الخارجين السيف على الخلافة، والتي كانت في صالح المعارضة الأموية، عمل بمبدأ عدو العدو صديق، وفي جو مفعم بالمشاكل والمؤامرات، قتل الخليفة الرابع في أربعين للهجرة/ 661م[5].

(1) الإمام علي ابن أبي طالب : نهج البلاغة، ج2، تحقيق محمد عبده، مطبعة الاستقامة، القاهرة (ب.ت)، ص258.

(2) المعتزلي (أبو الحسن عبد الجبار بن الخليل بن عبد الله الهمذاني) : شرح الأصول الخمسة، ج1، موفم للنشر، الجزائر 1990م، ص19.

(3) أبو راس (الناصري محمد الجزائري) : فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربي ونعمته، تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري، م.و.ك، الجزائر 1990م، ص18.

(4) الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) : البيان والتبيين، مج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1968م، ص68. ومن خطبه له عليه السلام في ذم أصحابه، في نفس هذا المعنى، انظر : الإمام علي : نهج البلاغة، ص121.

(5) الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد) : الإعلام بالوفيات، تحقيق : رياض عبد الحميد مراد، عبد الجبار زكار، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط2، 1993م، ص34./ ألفرد بال : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح الإسلامي إلى اليوم، تر : عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987م، ص 152.

وخلفه الخليفة الخامس الراشدي، الحسن بن علي بن أبي طالب مدة خمسة أشهر ونصف الشهر[1]، وقيل ستة أشهر على إثر بيعة شرعية من أهل العراق وشبه الجزيرة العربية، وكثيرا ما تجد المصادر، ثم المراجع الحالية تسكت عنه، وتقفز إلى نهاية القرن الأول الهجري، إلى عمر بن عبد العزيز (ض)، وتصفه بالخليفة الخامس، لماذا هذا الإطباق كله؟

أخوفا من بني أمية وبني العباس أو إرضاء لهم، أم مواصلة اغتصاب حقوق آل علي رضوان الله عليهم؟؟

وأن الخليفة الخامس ما قام به إلا تنفيذا لوصية جدّه رسول الله صلى عليه وآله وسلم : «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين»[2].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه من معجزاته، على أن يكون العهد له بعد معاوية[3]. وإن كان هذا التصرف الإنفرادي لم يرض العلويين ولا الشيعة؛ فكان أصحاب الحسن يقولون له : «يا عار أمير المؤمنين؛ فيقول العار خير من النار»[4]، وقال له رجل آخر : «سلام عليك يا مذل المؤمنين؛ فقال : لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك»[5].

أما الخلافة فانتقلت إلى بني أمية ل92سنة، مع نقل العاصمة الإسلامية إلى دمشق،

---

(1) المقريزي (أحمد بن علي) : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 1956م، ص13.

(2) ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين) : الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، هامشه، الاستعاب للقرطبي، ص 329/ القرطبي المالكي (أبو عمر يوسف بن عبد الله-النمري) : الاستعاب في أسماء الأصحاب، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ص369. (بمعناه).

(3) ن.م.س، والصفحة.

(4) ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين) : الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص 329.

(5) السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 1995م، ص217.

ظلموا وجاروا فيها، وصوّرها المقريزي رحمه الله في سطرين : «وصارت الخلافة ملكا عضوضا»[1]، أي فيه عسف وعنف، وانتقل الأمر إلى بني أمية. وأول من ولي منهم معاوية بن أبي سفيان، واسمه صخر بن حرب بن أمية[2]، وأعطى المقريزي اسمه الحقيقي لإبرازه على حقيقته على ما يبدو، وظاهرة الاستبداد هذه طبعت الدولة العربية الأموية، من بدايتها إلى نهايتها باستثناء بعض الفترات كخلافة عمر بن عبد العزيز 99-101 هـ، الخليفة العادل.

وهذا لن ينسينا دورها العظيم في الفتح الإسلامي وخدمتها للحضارة العربية الإسلامية، ونشر اللغة العربية وإرساء قواعد النظم العربية، وغيرها من الإسهامات الحضرية.

وحسب الاتفاق الذي تم بين الحسن (ض) ومعاوية، كان من المفروض أن يسلم له الخلافة بمجرد موته، إلا أن الآجال بيد الله فمات الحسن[3] قبل معاوية، وقيل أن الخليفة معاوية لما أتاه خبر وفاة الحسن من قبل عامله بالمدينة الذي كان يراقب أهل البيت، أظهر فرحا وسرورا حتى سجد وسجد من كان معه[4].

وغضب لهذا التصرف غير الإسلامي ابن العباس وغيره... وهكذا خلت الساحة لبني أمية من الالتزامات التي كانت له.

وما إن وصل يزيد بن معاوية إلى السلطة حتى خالف القيم والمبادئ الإسلامية، قال

---

(1) عضوض : عسف وظلم، انظر : الزمخشري : أساس البلاغة، ص 304.

(2) المقريزي (أحمد بن علي) : ن.م.س، ص13.

(3) الحسن بن علي : هو الحسن بن علي، سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. ويكنى أبا محمد، ولدته أمه فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في 15 رمضان، 3 للهجرة، ولما قتل أبوه علي (ض) بايعه أكثر من أربعين ألف. صيّر الأمر إلى معاوية ولكن بشروط، ولفظ رحمه الله طائفة من كبده لأنه سقي سمّا، وعلى الأرجح أنه استشهد في سنة 49هـ، انظر : القرطبي المالكي : الاستعاب في تميز أسماء الأصحاب، ج1، ص370/ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص 328/ الذهبي الدمشقي (شمس الدين) : الإعلام بوفيات الأعلام، ص36.

(4) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : الإمامة والسياسة، ج1، تحقيق : طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ص150.

نوفل بن أبي الفرات : «كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد؛ فقال : قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال تقول أمير المؤمنين ! وأمر به؛ فضرب عشرين سوطا»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2]، ويزيد أخافهم عديد المرات.

وكان من الواجب الأمة أن تقول للظالم قد تجاوزت الحدود، ورأى الجمهور جواز الخروج على من كان مثل يزيد والحجاج، ومنهم من جوز الخروج على كل ظالم[3].

وكان لها الحسين بن علي (ض) هذه المرة، وخرج على يزيد الظالم، يوم التروية سنة 60 هـ[4]، ولكن ذلك لم يكن إلا بعد أن أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية[5]. وانتقل الحسين (ض) من مكة إلى الكوفة، وكان اللقاء مع جيش يزيد في كربلاء[6]، ولم يكن الحسين (ض) يعرفها فسأل عنها، أي أرض هذه قالوا كربلاء، قال : «كرب وبلاء» وأردف قائلا : «هذا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا»[7].

وانتهت المعركة بمأساة حقيقية ندر ما شهد التاريخ لها مثيلا، وكان ذلك يوم 10 محرم 61هـ/ 682م[8]، ومثل بشهداء كربلاء من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(1) السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء، صص 236-237.

(2) ن.م.س، ص 237، قريبا منه ما رواه مسلم في كتاب الحج، باب فضل المدينة، الحديث رقم 1366، ج2، ص944، وما بعدها.

(3) ابن عماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص68.

(4) انظر : ابن الإثير : الكامل، ج3، ص277.

(5) ابن الحجر العسقلاني (شهاب الدين) : الإصابة في تمييز الصحابة، ج1، ص332.

(6) كربلاء : بأرض العراق بناحية الكوفة وتعرف كذلك بالطف، انظر : البكري (أبي عبيد عبد الله بن العزيز) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، تحقيق : مصطفى السقا، ج3، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة-مصر، 1949م، ص1123/ القرطبي المالكي : الاستعاب في أسماء الأصحاب، ج1، ص337.

(7) الشبلنجي (الشيخ مؤمن حسن مؤمن) : نور الأبصار في مناقب آل بيت المختار، ص261.

(8) ابن الأثير : الكامل، ج3، ص296/ سعدون (عباس نصر الله) : دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي، (172-233هـ/ 788م- 835م)، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1987م، ص35. جاء في الرسالة الثانية التي كتبها الخليفة أبو جعفر المنصور إلى محمد ذو النفس الزكية : «... وكانت بني أمية تلعنهم كما تلعن الكفرة في الصلوات المكتوبات». ويقصد علي كرم الله وجهه، انظر : ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء

وحزت رأس الحسين (ض)، ونقلت إلى دمشق وفي أول صفر 61هـ وضعت أمام يزيد، واعتبر هذا اليوم من كل سنة عيد بني أمية[1].

إلى جانب معظم البيت العلوي، حيث أكد الحسن البصري رحمه الله : «أصيب مع الحسين ستة عشر رجلا، من أهل بيته، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه[2]، أي من خيرة شباب الأمة الإسلامية آنذاك وخلدت هذه الكارثة، واستنكرها الجميع خاصة الشيعة وآل البيت، وقال الشاعر :

عين جودي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسول

سبعة كلهم لصلب علي ... قد أصيبوا وتسعة لعقيل[3]

ولم يتوقف بنو أمية، عند القتل والنهب والإذلال، بل ذهبوا إلى تدبير المؤامرات والدسائس والتحامل عليهم[4]. وسبّ الإمام عليّ (ض) على المنابر، ولم يمسك عن ذلك إلاّ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز[5].

وما مصير أمة كانت تسب علي (ض) لأزيد من 80 ثمانين سنة ونبي الرحمة يقول : «من سب علي فقد سبني»[6]، وسباب الرسول يعني الكثير...

إسماعيل) : البداية والنهاية، ج10، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص86.

(1) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة-مصر، ط3، 1956م، ص145.

(2) ابن عماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) : ن.م.س، ص67.

(3) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : المعارف، تحقيق : ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1969م، ص204.

عقيل : ابن أبي طالب أخو علي (ض)، حارب في بدر مع المكيين وأسر ثم أسلم ونزل المدينة، انظر : القرطبي المالكي : الاستعاب في معرفة أسماء الأصحاب، ج3، ص157.

(4) سعدون (عباس نصر الله) : ن.م.س، ص45.

(5) رواه مسلم عن قتيبة بن سعيد... عن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه قال : «أمر معاوية ابن أبي سفيان سعدا فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب؟». انظر : الجامع الصحيح، الجزء السابع، ص120/ انظر : ماجد عبد المنعم : التاريخ السياسي للدولة العربية، الجزء الثاني، ص259.

(6) النسائي (أبو عبد الرحمن بن شعيب) : ن.م.س، ص94، والحديث إسناده حسن.

وما فعلوه -أي بنو أمية- مع الصحابة رضوان الله عليهم، حيث أعلن زياد بن أبيه: «أنه يأخذ بالظنة ويعاقب بالشبهة»[1]، مما جعل الناس تخافه خوفا شديدا، وكان يقول ذلك في عهد معاوية كاتب الوحي... !واستمر في ذلك، ومارسه في ولاية البصرة، ومن طرف من؟ رجل قيل في نسبه الكثير، وفي سنة 160 هـ أمر الخليفة المهدي برد آل زياد إلى عبيد وأخرجهم من قريش[2].

وبطانة السوء عملت جاهدة في زيادة تظليل قيادتها، وهذا ما نفهمه من قول الزهري[3] رحمه الله: «دخلت على الوليد بن عبد الملك؛ فقال لي: ما حديث حدثني به هؤلاء، وأشار إلى بعض بطانته؛ فقلت: ما هو؟ قال: حدثوني، إن الله إذا استرع عبدا رعية (أي جعله حاكما) كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات !»[4]. وأي بشر هؤلاء، ولكن مصيبة الأمم أن يجلس أمثال هؤلاء بجوار الحكام.

وهذا لا يعني أن المجتمع العربي الإسلامي سكت عن جرائم المجرمين، أو أن الثورات انتهت بانتهاء ثورة الحسين بن علي، بل استمرت بأساليب أخرى. «وظلوا يناضلون ابتغاء الوصول إلى الخلافة بالسيف تارة، وبالمكيدة والدهاء تارة، وبالكلام والشعر تارة أخرى»[5]. وفعلا نجد العلويين برعوا في كل ميدان، منهم العلماء والفقهاء والدعاة والقضاة والشعراء والثوار والعباد والزهاد، والمعارضون السياسيون... وفي كثير من الأحيان نجد العلوي الواحد، يجمع العديد من الخصال والتي قلما وجدت في غيرهم.

---

(1) ماجد عبد المنعم: ن.م.س، ج2، صص 28-29.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص56.

(3) الزهري: هو أبو بكر بن عبد الله بن شهاب الزهري (58-124هـ)، أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، وحفظ علم الفقهاء السبعة، وقال فيه علماء الإسلام: الإمام أحمد: «أحسن الناس حديثا وأجودهم إسنادا الزهري»، النسائي: «أحسن الأسانيد الزهري عن علي ابن الحسين عن أبيه عن جده علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». الليث: «ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب». انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص340/ مناع القطاع: التشريع والفقه في الإسلام، ص251.

(4) الزعبي محمد علي: ن.م.س، ص56.

(5) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (132-232هـ)، الجزء الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، ط7، 1964م، ص145.

ولإثبات هذه الخصال العلوية الفريدة، ووصولا إلى السليمانيين موضوعنا، وثاني ثورة في الشهرة بعد ثورة الحسين بن علي (ض)، ثورة زيد بن علي بن الحسين[1] سنة 122هـ، وكنيته أبو الحسن، وقبل الحديث عن الثورة يجدر بنا أن نذكر بعض جوانب هذه الشخصية الفذة، عن ابن الجارود[2] قال: «قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذلك حليف القرآن»[3]. وهذه الصفة لم نسمعها من قبل وتعني الكثير، منها أنه كان مواكبا على فهم القرآن الكريم وملتزما بتطبيقه، ثم عالما جليلا في علم الكلام، هذا ما وصل إليه الباحث ناجي حسن[4]: «وغدا زيد علما من أعلام الكلام، حتى عرف عنه ذلك بين الناس»[5]. وصاحب مذهب مشهور، وعرف المتسبون إليه بالزيدية[6] وهم أقل الرافضية[7] غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج[8]، ولهم فقه محترم، كان فقههم حديثا وحديثهم فقها[9]. والرافضية لا تطلق على الزيدية، ولكن على الذين رفضوا الخروج مع زيد[10]، إلا أن ابن قتيبة يشرك الجميع».

---

(1) ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد العزيز بن مسلم): المعارف، ص216.

(2) ابن الجارود: هو زياد بن المنذر الهمذاني، توفي بعد 150هـ/ 767م، من أهل الكوفة من الشيعة، وفرقته إحدى الفرق الزيدية، انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص157/ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص513/ إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ص103-104.

(3) الأصفهاني (أبو الفرج): مقاتل الطالبين، ص130.

(4) ناجي حسن: ثورة زيد بن علي، رسالة ماجستير من جامعة بغداد، سنة 1386هـ/ 1966م، مكتبة النهضة، بغداد-العراق، 1386هـ/ 1966م

(5) ناجي حسن: ثورة زيد بن علي، ص37.

(6) ابن قتيبة: المعارف، ن.م.س، ص623/ ابن النديم: الفهرست، ص221.

(7) الرافضية: هم الذين رفضوا زيدا عندما امتنع عن لعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، انظر: الأشعري: أبو الحسن علي بن اسماعيل) (ت. 324هـ/ 935م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج1، ص87/ انظر: إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ص178.

(8) ابن قتيبة: ن.م.س، ص623.

(9) وقد دخل الفقه الزيدي إلى الأزهر الشريف للتدريس سنة 1379هـ، انظر: الزعبي: ن.م.س، ص167.

(10) ناجي حسن: ن.م.س، ص167.

وأكثر المحدثين عن هذا المذهب سفيان بن عيينة[1] وسفيان الثوري[2][3]، والزيدية تقول بصحة إمامة المفضول مع وجود الأفضل. أما المفضول عندهم فهو الفعل دون غيره، وهو أربعة أقسام : (أ) القدم في الإسلام، (ب) الزهد في الدنيا، (ج) الفقه في الدين، (د) المشي بالسيف[4]. من وجدت فيه هذه الصفات عند الزيدية فهو المفضل[5]. ونجد أن معظم المحدثين من الزيدية منهم : أبو جارود بن منذر العبدي، زيدي المذهب رافضيا وإليه تنسب الزيدية الجارودية توفي 150هـ، جعفر بن محمد بن قولوية القمي، صاحب كتاب جامع الزيادات وله تصانيف كثيرة توفي 368هـ، الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن زيد بن عمر بن الحسن له أكثر من مائة كتاب، أبو جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي من كتبه كتاب التفسير وكتاب الكبير وكتاب سير الأئمة العادلة، الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن حسن بن زيد بن حسن صاحب طبرستان، من كتبه الكتاب الجامع في الفقه، الجامع في البيان، كتاب الحجة في الإمامة[6]. يظهر أن الفقه الزيدي كان له أثر كبير في الفقه الإسلامي[7].

(1) سفيان بن عيينة : هو هلالي سكن مكة، قال فيه الشافعي : «لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز»، وقال ابن حبان في الثقات : «كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين»، توفي سنة 198هـ. انظر : ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب، جزء أربعة، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1325هـ ص117.

(2) سفيان الثوري (97-161هـ) : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. وقال النسائي : «هو أجل من يقال فيه ثقة». وقال ابن حبان : «كان من سادات الناس فقها وورعا وإتقانا». انظر : ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب، ن.م.س، ج4، ص111.

(3) ابن النديم : الفهرست، ص221.

(4) المشي بالسيف : عادة كانت منتشرة في الجزائر إلى عهد قريب، ألا يوجد لها علاقة بالسليمانيين؟

(5) ابن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط3، 1967م، ص350/ ناجي حسن : ن.م.س، ص170.

(6) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل، ج1، ص162.

(7) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد) وإنتاجه الرائع في الفقه الإسلامي، وكان من أهل الزيدية. انظر : ناجي حسن : ن.م.س، ص170.

أما مؤلفاته فقاربت المائة كتاب -أعني زيد بن علي-، ذكر ابن النديم أربعة عشر (14) كتابا[1]، ومعظم هذا الإنتاج في العلوم النقلية.

إلا أن ابن النديم يشكك في العدد، والحقيقة أن المتصفح لكتاب الصفوة[2]، يدرك أن زيد بن علي لم يشذ عن القاعدة العلوية القائلة بأحقية أهل البيت بوراثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ أن موقفه هذا لم يكن متشددا بالنسبة لباقي الفرق الإسلامية الأخرى، لكن ما كان يحز في نفسه الانحراف عن مبادئ وقيم الدين الإسلامي.

منذ مقتل الحسين بن علي (ض)، الشيعة تعتمد على مبدأ التقية (التخفي)[3]، وتقويم الخطر بالتي هي أحسن، وانتظار الفرصة إلى أن ضاقت بهم الأرض ذرعا وسدت كل الأبواب أمامهم؛ فلخصها محمد بن عمير[4] قائلا : «إن زيدا لمّا رأى الأرض قد أطبقت جورا ورأى قلة الأعوان وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميات إليه»[5]، ومن الشعارات المفضلة لديه والتي كان يرددها دائما : «ما أحب أحد الحياة قط إلا ذلّ»[6].

وابن جرير الطبري، يذكر أكثر من سبب لخروجه، منها مفارقة الرافضية له، اكتشاف أمر الثورة قبل قيامها بيوم واحد، وحصار أهل الكوفة في المسجد الأعظم[7]...؛ فتعجل

---

(1) ابن النديم : الفهرست، ص 240.

(2) كتاب لزيد بن علي مخطوطة في المتحف البريطاني تحت رقم 203، فيه صورة مع رسالة ناجي حسن المذكورة في الصفحة 170 وما بعدها.

(3) التقية : من الآية : «... إلاّ أن تتقوا منه تقاة...»، سورة آل عمران، الآية 28. إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه، وقرئ تقية، قيل للمتقي تقاة وتقية، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع. انظر : الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) (ت. 538هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، انتشارات أفتاب، تهران (ب.ت)، ص422. وهذا المبدأ لم يكن مقتصرا عليهم بل يعمل به الإباضية كذلك.

(4) محمد بن عمير : هو محمد بن عمر بن الفضل الخثعمي، عاصر أحداث الثورة وقيام الدولة العباسية، - انظر : الأصفهاني : مقاتل الطالبين، ص239.

(5) الجاحظ (أبو عثمان عمر ابن بحر) : البيان والتبيين، ج1، ص208.

(6) ن.م.س، ص208.

(7) ن.م.س، ص92.

قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة[1]، وهذه العوامل ستكون من بين أهم العوامل التي أدت إلى فشل الثورة.

وثورة زيد بن علي بالكوفة ضد الدولة الأموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، كانت في سنة 122هـ/ 740م، إلاّ أنّ الأصفهاني يحدد مقتل زعيم الثورة بيوم الجمعة 3 صفر 121هـ، معنى ذلك أن الثورة كانت قبل ذلك، والأصح الأول، لأن الطبري وابن الأثير ومن نقل عنهم يؤكّدون على أن وفاة الإمام زيد كانت في بداية صفر 122هـ، وهذا هو المرجح عندنا، لأن هناك من يقول ثورة 122هـ، وأن ما ذكره الأصفهاني عن وفاة قائد الثورة بصفر 121هـ، يبدو تحريفا من قبل النساخين في السنة فقط، خاصة أن كتابة الواحد والإثنين بالأرقام الهندية متقاربة. وإن ثورة زيد لم تشذ عن باقي ثورات العلويين السابقة واللاحقة في نهاياتها، وإن كان زعيم الثورة يرجعها إلى سبب حقيقي واحد هو «خذلان الناس إيّاه»؛ فالتفت إلى ابن خريمة[2] قائلا : «يا نصر، أتخاف أن يكون قد جعلوها حسينية»[3]. وجرت على الألسن مثلا بين الناس، ومهما قيل عنها من عدم توفر الشروط، إلاّ أنّها لقيت تأييدا كبيرا من البيت العلوي لعلمه وورعه ومواقفه العادلة، والدليل : وقوف عبد الله الكامل وأبناؤه معه، مع اعتراض الإمام جعفر الصادق على عدم اكتمال شروط الخروج[4]. وقال ابن الأثير : «كانت طائفة أتت جعفر بن محمد الصادق قبل خروج زيد فاخبروه ببيعة زيد؛ فقال : بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا، فغادروا وكتموا ذلك»[5]، ويبدو أنها طائفة من الرافضية وأيده الإمام أبو حنيفة النعمان، وأرسل إليه بثلاثين ألف درهم وحث الناس على نصرته[6].

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج7، ص91.

(2) ابن خريمة : هو نصر بن خريمة أو جذيمة العبسي توفي 122هـ/ 740م، شجاع من أنصار الإمام زيد بن علي (ض)، وشارك معه في ثورته، وعاهد الإمام أن يضرب بسيفه حتى يموت، ومات نصر من نزف دمه. انظر : الزركلي : الأعلام، مطبعة كرستا توماس، 1956م، ج8، صص 339-340.

(3) الطبري : ن.م.س، ج7، ص206.

(4) محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي، القاهرة-مصر، 1983م، ص120.

(5) ابن الأثير : الكامل، ج7، ص246.

(6) ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، ص159.

والسؤال الذي يجب طرحه هنا قبل الخوض في فصل آخر، ما علاقة الزيدية بالمعتزلة؟ وما علاقة الشيعة على اختلاف فرقها بالمعتزلة؟

فالمفكر العربي الإسلامي محمد عمارة يرى : «بأن بداية الزيدية ثورة معتزلية ضد حكم بني أمية على عهد هشام بن عبد الملك، ثم استمرت ثورتها ضد الأمويين والعباسيين... ولقد ضلت طوال هذا التاريخ تقول في القواعد بأصول المعتزلة الخمسة»[1][2].

ثم راح يؤكد ما توصل إليه من خلال قراءته للزيدية والاعتزال في جانبها الفكري مصرحا : «بأن الزيدية استمرت ممثلة للتيار الثوري في أمراء آل البيت الذين قادوا تيارا فكريا، يتمذهب بأصول المعتزلة الخمسة في العقائد، مع اختلافات طفيفة في بعض المسائل السياسية الخاصة بمبحث الإمامة على وجه التحديد»[3]. وفي آخر المطاف يصل إلى نتيجة مفادها «فهم معتزلة في الأصول وهم تيار الثورة في آل البيت والاعتزال على السواء»[4] !

ولما لا يكون العكس، أن المعتزلة تأثروا بعلماء أهل البيت، وكما قلنا سابقا إن هؤلاء الآخرين تميزوا عن غيرهم بكثير من الخصال، خذ مثلا الإمام زيد، محمد ذو النفس الزكية، أبوه، عبد الله المحض، جعفر الصادق، ... وهذا ما توصل إليه الشيخ عبد الله نعمة : «إن الشيعة هم الذين أسسوا علم الكلام، وعلى أئمتهم تتلمذ علماء المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية»[5]. ولكن هذه النتيجة لم يصل إليها ولم يقتنع بها إلا بعد

---

(1) أصول المعتزلة الخمسة : التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر المعتزلي : شرح الأصول الخمسة، ج1، القسم الأول/ الشهرستاني : الملل والنحل، ج1، ص38.

(2) المعتزلي : ن.م.س، ج1، المقدمة لبوزيدة عبد الرحمن : يرى الإمام أن عند المعتزلة عقد يتم بين الإمام وأفراد الأمة الإسلامية، صXIV / محمد عمارة : ن.م.س، ص120.

(3) محمد عمارة : ن.م.س، ص97.

(4) محمد عمارة : ن.م.س، ص97.

(5) الشيخ نعمة (عبد الله) : فلاسفة الشيعة، حياتهم، آراؤهم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان (ب.ت)، ص42.

عرض طويل لقائمة من علماء آل البيت، الذين تتلمذ على أيديهم قادة الاعتزال كواصل بن عطاء، قائلا : «أما آراء الشيعة؛ فإن الكثير منها يتفق مع جملة من الآراء الاعتزالية، وخاصة في مسألة العدل، ونفي رؤية الخالق، وفي إثبات الحسن والقبح العقليين وقاعدة اللطف...»[1].

ولماذا توقفت بعض الشيء عند ثورة زيد والحركة الزيدية، لأنها كانت فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الشيعية[2]، التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين[3]، وتتزامن مع ثورات الخوارج في المغرب ضد بني أمية.

وتتوصل الحركة الزيدية إلى إقامة العديد من الدول، كالدولة الإدريسية والدولة السليمانية ثم الحمودية في الأندلس معاصرة للخلافة العباسية.

بعد فشل كل من ثورة زيد بن علي ثم ثورة ابنه يحيى بن زيد[4]، اجتمع بنو هاشم من علويين وعباسيين في الأبواء[5] سنة 127هـ/ 745م، وقرروا اختيار محمد بن عبد الله الملقب بـ«ذو النفس الزكية» ليكون خليفة بعد نجاح الثورة[6].

أما لماذا محمد بن عبد الله؟ لأن محمد بن عبد الله كان أهلا لها من جوانب شتى، وكان يدعى بـ «ذوالنفس الزكية» لزهده ونسكه[7]، وكان يكره سفك الدماء ويحب

---

(1) ن.م.س، ص42.

(2) ن.م.س، ص49.

(3) بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط8، 1979م، ص157.

(4) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة المنورة، توجد بين الجحفة والمدينة، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2، 1984م، صص79-80.

(5) الخضري (الشيخ محمد بك) : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة-مصر، 1970م، ص497.

(6) بيطار (أمينة) : تاريخ العصر العباسي، مطابع مؤسسة الوحدة، جامعة دمشق، 1981م، ص118.

(7) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص295.

الخير للناس، كما لقب بالمهدي[1]، وقد وصفه صاحب شذرات الذهب بأدق وصف يوصف به علوي : «... وأحبّه الناس حبا عظيما وكان من الكمال وخصال الفضل، ويشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الخلق والخلق، واسم أبيه، حتى قيل أنه خاتمه بين كتفيه، وكان أهل المدينة يعدون فيه من الكمال، ما لو جاز أن يبعث الله نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان هو...»[2].

وهذا الإعجاب والتعظيم كان عاما، حتى من قبل أبناء محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي، كالمنصور والسفاح؛ فجعفر كثيرا ما سوّى ثياب محمد بن عبد الله على السّرج، وكان يقول : «هذا مهدينا أهل البيت»[3]، بالإضافة إلى أن بني العباس هم أقل آل الرسول صلّى الله عليه وسلم حقّا في اعتقاد الشيعة وأنصار آل البيت[4]، حيث جاء الشيعة بمجموعة من الأحاديث النبوية المذكورة سابقا في علي (ض) وقالوا أنها : «تدل على تعيين علي (ض) وتشخيصه، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده»[5]. وكما سنرى أن بني العباس : «يزعمون أن أبا هاشم بن الحنفية، لما مات بعرض السراة[6] منصرفا من الشام أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم...»[7].

ولكن عندما أتيحت لهم الفرصة لم يضيعوها بأية حال من الأحوال؛ فأوجدوا الشرعية الدينية[8] والعسكرية، والقوة المالية، والسلطة السياسية، وبمجرد أن استخلف

---

(1) الخضري (الشيخ محمد بك) : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ص63.

(2) ابن العماد الحنبلي : ن.م.س، ج1، ص213.

(3) الإصفهاني (أبو الفرج) : ن.م.س، ص239.

(4) شعبان (محمد عبد الحي محمد) : الدولة العباسية، الفاطميون (132-448هـ)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1982م، ص14.

(5) ابن خلدون : المقدمة، ص349.

(6) السراة : تطلق على الجبال المتواجدة بين اليمن والشام، وهو أعلى جبل من أرض الحجاز من جهة بلاد الشام. انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج3، ص205.

(7) ابن خلدون : المقدمة، ص353.

(8) وصية أبا هشام إلى محمد بن علي والد أبي جعفر المنصور، انظر : ابن عماد الحنبلي : ن.م.س، ص166.

أبو جعفر جنّد كل الإمكانات من أجل رصد تحركات محمد ذو النفس الزكية[1]. ومن بين ما ميز عصره جهز التجسس القوي، الذي كان يفرق به بين العدو والصديق، وكانت هذ الشبكة التجسسية جد ناجحة[2]، وبواسطتها قضى على مختلف الثورات وحقق استتباب الأمن ونال لقب المنصور واستطاع أن يرهب أصدقاءه.

ووصل الحال بالمنصور، أنه سنتا 143 و144 للهجرة، حبس من بني الحسن بن علي بن أبي طالب أحد عشر رجلا وقيدهم[3]، وأهانهم ومات البعض منهم في سجن أبي جعفر المنصور بالكوفة، عبد الله بن حسن، وحسن بن حسن، وإبراهيم بن حسن[4].

وأمام هذه الاستفزازات والصعوبات المتكررة والمتنوعة، ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة المنورة في مائة وخمسين رجلا[5]، وتوجه إلى السجن وفتحه وأطلق من فيه، ثم توجّه إلى المسجد وصعد المنبر وخطب في الناس، وكان ذلك في أول رجب 145هـ، وكان قد بويع له في كثير من الأمصار[6]، وكانت الجماهير متعطشة لخروجه خاصة أهل خراسان[7].

فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى إليه؛ فوصل المدينة وخندق محمد ذو النفس الزكية في المكان الذي اختاره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الأحزاب[8].

---

(1) الطبري : ن.م.س، ج4، ص144.

(2) شعبان : ن.م.س، ص24.

(3) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل) : المختصر في أخبار البشر، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، (لا.ب) (ب.ت)، ص3.

(4) ابن سعد (محمد) : الطبقات الكبرى السيرة النبوية الشريفة، ج5، دار بيروت، بيروت-لبنان، 1380هـ/ 1980م، ص319.

(5) الخضري : ن.م.س، ص498.

(6) المسعودي : ن.م.س، ج3، ص295.

(7) الخضري : ن.م.س، ص498.

(8) أبو الفداء : ن.م.س، ج2، ص3.

إلاّ أن الثورة لم يكتب لها النجاح كباقي ثورات آل البيت العلوي، ولم تدم إلاّ شهرين وأربعة عشر يوما منذ خروج صاحبها إلى مقتله في 14 رمضان 145هـ[1].

وليشفي عيسى غليل سيده المنصور، قام بحزّ رأس محمد بن عبد الله، وأرسله مع بشارة الفتح وأموال بني الحسن[2]. ولم يكن محمد بن عبد الله (ض) الوحيد الذي حزّ رأسه بل كان قبله كثير كالحسين بن علي رضوان الله عليهم.

وقيل عن هذه الثورة الكثير من عدة وجوه: اختيار المكان، الزمان والاستراتيجية العسكرية عند زعيمها، وكفاءة جيشه وجيش المنصور، وغيرها كثير... ومن وصفها بما يلي: «ولكن هذه الثورة كانت كغالبية الثورات الشيعية، سيئة التنظيم، أقرب إلى الهياج السياسي، منها إلى محاولة جدية تعمل على إنشاء نظام جديد»[3].

هذا اتهام خطير وغير مؤسس على قواعد علمية سليمة، ونحن نعتقد أن الأسباب الرئيسة وراء فشل ثورة 145هـ هي: إن وقت الظهور لم يكن قد آن أوانه، ولكن دفع له دفعا لعوامل متلاحقة (تعذيب أهل بيته في السجن وموت الكثير منهم، ...)، بيئة المدينة غير مناسبة لمثل هذا الحزب، كفاءة النظام الإداري العباسي وخاصة جهاز الأرصاد والتجسس في الكوفة والمدينة، والآلة العسكرية غير المتساوية، ولم يوفر العلويون جل الشروط المادية والبشرية لضمان النصر.

أما الآن؛ فيجب أن نعرف موقف الأمة من ثورة محمد ذو النفس الزكية وأخيه إبراهيم، معظم فقهاء ومحدثوا وعلماء الأمة كانوا مع الثورة. وهذا ما أكدته معظم المصادر العربية الإسلامية؛ فمثلا الإمام مالك بن أنس: «أنه أفتى عند قيام محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي المسمىّ المهدي بأن بيعة جعفر لا تلزم لأنها على الإكراه»[4].

---

(1) الخضري: ن.م.س، ص68.

(2) ن.م.س، ص68.

(3) شعبان: ن.م.س، ص28.

(4) ابن فرحون (برهان الدين بن محمد): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان (ب.ت)، ص28.

وضرب الإمام مالك من قبل جعفر بن سليمان والي المدينة، وكان ذلك سنة 146 هـ وما قيل عن الإمام مالك يقال عن أبي حنيفة[1]. وتذهب المصادر إلى حد أنه أراد أن يخرج معه لولا ظروف قاهرة منعته من ذلك وإليكم نص الرسالة التي بعثها إليه : «أما بعد، فإني قد جهزت إليك أربعة آلاف درهم، ولم يكن عندي غيرها، ولولا أمانات الناس عندي للحقت بك؛ فإذا لقيت القوم وظفرت بهم، فافعل كما فعل أبوك في أهل صفين، أقتل مدبرهم، وأجهز على جريحهم، ولا تفعل كما فعل أبوك في أهل الجمل؛ فإن القوم لهم فئة»[2]. إلى جانب باقي العلماء والفقهاء، باستثناء إمام واحد شذ عن هذا التوجه والموقف، بحجة عدم اكتمال كل الاستعدادات هو الإمام جعفر الصادق، إمام الشيعة الإمامية لم يحرك ساكنا وأوصى أصحابه بالخلود إلى السكينة، حتى تحين الفرصة للخروج[3]، وقد بينا السبب أثناء الحديث عن ثورة زيد بن علي (ض)، وقد حكى عن جماعة من العلماء والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورهما[4].

وذهب البعض إلى ميل الخوارج إلى محمد وأخيه إبراهيم[5]. وهذا راجع في اعتقادي إلى أن الخوارج يؤيدون كل من يخرج على السلطة الظالمة في نظرهم، ولم أعثر في مصادر الخوارج ما يؤيد أو ينفي ذلك، ويجوز أن التأييد كان قلبيا، ومرة أخرى يؤكد محمد عمارة بأن ثورة محمد ذو النفس الزكية هي الأخرى ثورة معتزلة «وكانت هي الأخرى ثورة معتزلة بقيادتها وقادتها ودعاتها»[6]، وحسب ما توصل إليه الأستاذ محمدٌ عمارة أن

---

(1) ن.م.س، ص28/ مالك ابن أنس) : رسالة في أدب الدنيا والدين (من الإمام مالك إلى هارون الرشيد الخليفة العباسي)، تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار هومه، الجزائر، 1997م، ص6./ الشرباصي (أحمد) : الأئمة الأربعة، دار الجيل، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص41.

(2) الداوودي (السيد أحمد بن علي) : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق : نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، (ب.ت)، ص86./ حسن إبرهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج2، ص130.

(3) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج2، ص124.

(4) ابن كثير : البداية والنهاية، ج10، ص95.

(5) ابن كثير : ن.م.س، ج10، ص95.

(6) محمد عمارة : ن.م.س، ص81.

أبناء عبد الله الكامل كلهم معتزلة، وهذا يعني أن إدريس وسليمان هم الآخرون تمذهبوا بالاعتزال.

قد أثبتنا سلفا أن واصل بن عطاء قد تتلمذ على يد الكثير من العلويين، وأثّروا فيه مما أحدث تقاربا بين زيد بن علي (ض) وواصل بن عطاء، مما دفع الخصوم إلى اتهام أتباع الإمام زيد بالاعتزال للاستغلال ذلك سياسيا، وخاصة أن المعتزلة قد شاركوا في أغلب ثورات آل البيت ودعوا إليهم مشرقا ومغربا، وهذا قبل احتواء المعتزلة من قبل الخلافة العباسية (198-234هـ)، هذا أحدث لبسا عند الأستاذ ومن نقل عنهم.

وأن ثورة 169هـ العلوية، كانت قيادتها علوية زيدية وأيدها المعتزلة وبهذا يمكننا طرح السؤال الآتي: هل المعتزلة فرقة سياسية أم فلسفية؟ أم فرقة سياسية وفلسفية في آن واحد؟

وانتهت انتفاضة أبناء عبد الله المحض، إلاّ أن اضطهاد المنصور إلى العائلة العلوية لم يتوقف حيث صادر أموالهم وباع أملاكهم لأسباب سياسية واقتصادية وحتى نفسية، منها أن الخليفة المنصور كان جد بخيل، جماعا للمال لقول عبد الله الكامل في السجن عندما سمع بخروج الثوار، قال: «والله لقد قتل صاحبكم البخل ينبغي له أن ينفق الأموال ويستخدم الرجال...»[1]. ولإضعاف الأسرة العلوية اقتصاديا حتى لا تثور مرة أخرى، وحتى تكون عبرة، ... وكل هذه الأسباب وغيرها، لا تدفع الهاشمي أن ينزل بشهامته إلى ما وصل إليه المنصور وأمثاله، لنراجع ما قاله علي (ض) عن معاوية[2].

ولما حج المنصور، صاحت به عاتكة[3] بنت عبد الملك: «يا أمير المؤمنين أيتامك بنو عبد الله بن الحسن، مات أبوهم في حبسك، وامرت بقبض ضياعهم»[4]. وهذا ما كان

(1) ابن كثير: ن.م.س، ج10، ص84.

(2) انظر هذا الفصل من الرسالة، فيما سبق هامش رقم: 76.

(3) عاتكة: هي عاتكة بنت عبد الملك، زوجة عبد الله الكامل، أم إدريس وعيسى وسليمان، انظر: سعدون: دولة الأدارسة، ص43.

(4) سعدون (عباس نصر الله): ن.م.س، ص43.

يتوقعه المحض من السلطة وعبدتها الذين لا يقدرون مواقف الرجال ولا يعتبرون، حيث يقول أبو حنين[1] إلى عبد الله بن حسن في حبسه : «قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ولا أرى أحدا يقدم على شرائه»؛ فقال : «ويحك يا أبا حنين ! والله لو خرج بي وبناتي مسترقين لاشرينا»[2]. إن إقدام المنصور على مصادرة وبيع ممتلكات العلويين يخالف العرف والشهامة الهاشميين، ولم يكفه ما فعله بأبناء عمومته من قتل وتشريد وحبس، كما أمر بالحجر على أئمة الشيعة، وهذا بالإقامة بمرأى منه في بغداد[3].وما دبره الخليفة أبو جعفر المنصور وأبناؤه من بعده ضد العلويين، دفع هؤلاء إلى الاستعداد والعمل من أجل الثورة مرة أخرى.

وهناك عوامل كثيرة أدت بالحسين بن علي[4] إلى الخروج سنة 169هـ، وأهمها أن الخليفة موسى الهادي (169-170هـ)، ألح في طلب العلويين[5]، وقطع صدقة أهل البيت، وبعث إلى الآفاق في طلبهم وحملهم؛ فلما اشتد خوفهم، وكثر من يطلبهم ويحث عليهم[6]، عزم آل علي وشيعتهم وغيرهم على الخروج؛ فكان لها الحسين بن علي؛ فجرى بينهم وبين عامل الهادي على المدينة قتال كبير فكانت نهايته لصالح الحسين بن علي فبايعه

(1) أبو حنين : أحد أصحاب محمد بن عبد الله ذو النفس الزكية، حبسه أبو جعفر المنصور، وضربه مائة سوط، انظر : الطبري : ن.م.س، مج4، صص 264-270.

(2) الطبري : ن.م.س، مج4، ص264.

(3) الخضري : (الشيخ محمد بك) : ن.م.س، ص500.

(4) الحسين بن علي : هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي (رضوا). انظر : الطبري : ن.م.س، مج 4، ص422.

(5) صدقة أهل البيت (الأرزاق والأعطية) تعطى لآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلم من بيت مال المسلمين، والذين حرمت عليهم الصدقة هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب وأزواج النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وبناته. انظر : الفوزان (صالح بن الفوزان) : كتاب التوحيد، مطبعة سفير، الرياض (ب.ت)، ص85.

(6) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن أبي واضح) : تاريخ اليعقوبي، ج2، دار بيروت، بيروت-لبنان، 1960م، ص404.

الناس على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضى[1]، من آل محمد، ثم توجه إلى مكة المكرمة[2].

وعن المادائني[3] قال : خرج مع الحسين صاحب فخ[4] من أهل بيته، يحي، سليمان، إدريس، بنو عبد الله بن الحسن بن الحسن وعلي وعلي بن إبراهيم بن الحسن بمكة، والتقى مع أمراء بني العباس في عدة وخيل، يوم التروية سنة تسع وستين ومائة بفخ.

فقتل الحسين في مائة من أصحابه، وكان الذي تولى قتله محمد بن سليمان، وموسى بن عيسى، والعباس بن محمد، أمراء بني العباس. ويبدو أن مصائب الطالبيين لم تنته بكربلاء، وأحجار الزيت[5]، وفخ... وقيل عن مصيبة فخ أنها من بين أعظم مقاتل الطالبيين وقال عنها محمد الجواد بن علي الرضا : «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ»[6]. وكانت هذه الموقعة من الشدة حتى سميت سنة 169 هـ، بسنة الحسين[7]، أضحى يؤرخ بها لعظمة الهول وشدة التمزيق.

ويتضح أن هذه الفاجعة لم تكمّل أهميتها في أحداثها أو الموقع المقدس، أو في توقيتها، أيام عبادة وكذلك في نتائجها القريبة والبعيدة عن الأمة الإسلامية، وخاصة الخلافة العباسية من إضعاف وتمزيق «وقد كانت سببا في ميلاد حركات شيعية أخرى،

---

(1) المرتضى : كانوا يكنون بذلك عن الإمام المستور إلى أن يقدر على إظهار أمره. انظر : سرهنك بك (إسماعيل) : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، دار الطباعة البهية، بولاق، القاهرة-مصر، ص284.

(2) ن.م.س، والصفحة.

(3) المدائني : هو علي بن محمد (135-224هـ)، نسب إلى المدائن (مجموعة مدن جنوب مدينة بغداد)، أخذ عنه كل من الطبري والبلاذري، مؤرخ وأديب، أحد أئمة التاريخ في زمانه، كتب عن أيام الفتح في آسيا الوسطى. انظرك ابن كثير : البداية والنهاية، ج10، ص291.

(4) فخ : مكان يبعد عن مكة بفرسخ، به مقبرة الشهداء. انظر : ابن سعد (محمد) : الطبقات الكبرى، ج4، ص184، إلا أنه من يقول فج وليس فخ، انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج1، ص269. والأصح فخ، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4، ص239.

(5) أحجار الزيت : موضع بالمدينة قريب من الزوراء، وهو موضع صلاة الاستسقاء، انظر البكري : معجم ما استعجم، ج1، ص117/ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج1، ص108.

(6) ابن عماد الحنبلي : ن.م.س، ج1، ص269/ ابن قتيبة : المعارف، صص380-381/ الداوودي : عمدة الطالب، صص 149-150.

(7) ابن سعد (محمد) : الطبقات الكبرى، ج5، صص 187-188.

ستكون لها نتائج هامة وسيكون تأثيرها واضحا في ظهور دويلات منفصلة عن الخلافة العباسية»[1].

هكذا ينتهي الفصل الأول من مأساة آل البيت العلوي في المشرق لينتقل إلى الغرب. وبهذا تكون الملاحقة العلوية شرقا وغربا، ورغم ما كبدته هذه العائلة الشريفة من خسائر في الأرواح والعتاد إلى أنها بقيت صامدة وقد حققت جزءا يسيرا مما كانت تصبو إليه. وصدق الإمام علي (ض) في قولته المشهورة، إن بقيت السيف أنمى. بدليل أنهم متواجدون في كل مكان ولهم من الأتباع ما شاء الله.

وسأنتقل إلى جزء آخر، لايقل أهمية عن الأول وإن كان يختلف عنه طبيعيا، لكن بينها صلات وروابط كثيرة، لا تقل أحداثا ومآسي.

ثانيا : الشيعة في المغرب الإسلامي :

سال حبر غزير عن تحديد مناطق المغرب عبر العصور الإسلامية، وبعض ذلك يعود إلى أمير المؤمنين علي (ض)، ومفهوم المغرب لديه وبالخصوص من الجغرافيين والمؤرخين، ويبدو لي للخروج من هذه الدوامة المفهوماتية أكتفي بالمفهوم الذي اقتصر في البداية على بلاد المغرب ابتداء من بلدة بجاية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ثم أن هذا المفهوم اتسع فأصبح يضم كل مناطق إفريقيا الشمالية، ابتداء من حدود مصر حتى ساحل المحيط. ويقول ياقوت الحموي : "وأصل هذه القسمة من أهل مصر وعليه بقيت عادتهم إلى الآن (عصره)؛ فإنهم يسمون من عن إيمانهم إذا استقبلوا جنوب مغربا وعن شمائلهم مشرقا"[2]، وإذا أردنا التدقيق المغرب لا يشمل إفريقية بل يبدأ من ما يليها غربا إلى المحيط الأطلسي، والدليل : «فقد ولي يزيد بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي إفريقية والمغرب»[3].

---

(1) بيطار (أمينة) : تاريخ العصر العباسي، ص126.

(2) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج1، ص 54/ ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت لبنان (ب.ت)، ص64.

(3) البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر) : فتوح البلدان، القسم الأول، تحقيق : صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص233.

وإن الاتصالات بين المشرق والمغرب لا تعود إلى أيام الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ولكن تعود إلى فجر التاريخ، لكنها تعززت وقويت عن طريق الروابط الآتية : الدين، اللغة، العرق، الثقافة المشتركة، ... وبوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ابتلي المشرق بالاضطرابات السياسية بسبب الخلافة والتعصب القبلي؛ فنتج عن ذلك فتن وحروب واضطهادات وأزمات، وبلغت ذروة ذلك العذاب مع الدولة الأموية ومقتل الحسين بن علي (ض) في 10 محرم 61هـ/ 680م[1]..«وكان عدد من قتل من أصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلا... وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى»[2]، وضخم المحدثون العدد كحسين مروة حيث عدد القتلى 300 في زعمه[3]. من أين له بهذا العدد الضخم؟

ألا يكون ذلك حاجة في نفس يعقوب... !

في جل المصادر لا يتجاوز عدد قتلى الطرفين 180 قتيلا، ومن يومها جل المسلمين لعنوا يزيدا بسبب هذه المذبحة[4].

وفرّ على إثرها وإثر المآسي الأخرى المتلاحقة إلى المغرب جمع غفير من المشارقة، وكان عددهم كبير من المضطهدين من أصحاب العقائد القوية والدعاة النشطين حيث وجدوا متنفسهم ومجالا خصبا لدعواتهم وآرائهم[5]، مما كان له آثاره الإيجابية وحتى السلبية منها على المغرب ومجتمعه، لأن كثرة الثورات والانتفاضات على الخلافة الأموية ثم العباسية، دعا إليها أمثال هؤلاء وجلهم كانوا من الخوارج، وهذا لا ينفي وجود

---

(1) محمود باشا مختار اللواء : كتاب توقيتات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية والميلادية بالسنين الإفرنكية والقبطية، ج1 (1-750هـ) تحقيق محمد عمارة، ص93 (10 محرم 61هـ يوافق 11.10.680م)

(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج3، ص296.

(3) حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ج1، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط5، 1985م، ص479.

(4) حسين مروة : ن.م.س، ص482.

(5) شكري فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، نشأتها، مقوماتها تطورها اللغوي والأدبي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط5، 1981م، ص179.

أقليات من الشيعة، لأن العلويين اعتادوا السير إلى العراق اقتداء بسنة علي (ض)[1]، ولوجود الأنصار والتقدير والمحبة. إلاّ أنّ هذا التّوجه نحو العراق يقل بمرور الزمن، لهذه المواقف كتب الحسين بن علي (ض) إلى الأحنف يدعوه لنفسه؛ فلم يرد الجواب وقال : «قد جربنا آل أبي الحسن؛ فلم نجد عندهم إيالة للملك[2] ولا جمعا للمال ولا مكيدة في الحرب»[3].

وهذه الآليات فعلا لها دورها في الاستراتيجية العسكرية لكسبها وتجنيد الجماهير حولها، والحرب اشتهرت بالخدعة وهذا الرأي يؤكده الشعبي[4] : «ما لقينا من آل أبي طالب ! إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار»[5].

فعلا إنه لامتحان صعب على الجماهير العربية الإسلامية كيف تعمل في هذه الظروف الحرجة خاصة ذوو العقول النيرة والقلوب المؤمنة، أحلاهما مرّ، الموت السريع مع تشريد الأهل والأصحاب، أو الخلود في النار مع الندامة حيث لا تنفع، وعامل نقل العاصمة إلى بغداد في صفر 146هـ[6]. وثوار الأمس، عادة ما كانوا يعلنون الثورة في أطراف البلاد[7]، ثم يتوجهون إلى العاصمة من أجل كسب الأنصار واستدراج الخصم إلى ميدان المعركة الأنسب لضمان موارد أساسية للجيش ودائمة.

---

(1) ماجد (عبد المنعم) : التاريخ السياسي للدول العربية، ج2، ص71.

(2) إيالة من أول، آل الرعية يؤولها، وحسن الإيالة، أي سائس محتكم، انظر الزمخشري : أسس البلاغة، ص 12.

(3) ابن قتيبة : عيون الأخبار، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1925م، صص 211-212.

(4) الشعبي : هو شعبة بن الحجاج العتكي الأزدي (82-160هـ) وكان من سادات أهل زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا وهذا ما قاله فيه ابن حبان. انظر : الن حجر : تهذيب التهذيب، ج4، ص345/ أحمد أمين : فجر الإسلام، ص154-184.

(5) ابن قتبة : عيون الأخبار، ج1، ص212

(6) ابن الأثير : الكامل، ج5، ص20

(7) خوف معاوية بن أبي سفيان من عقبة واستقلاله ببرقة وبإفريقية المتطرفة من أملاك الدولة الأموية، انظر : السيد عبد العزيز سالك تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ج2، دار النهضة العربية بيروت-لبنان، 1981، ص209

أما اليوم مع تمركز مختلف وسائل الإعلام والسفارات الأجنبية وجل المرافق في العاصمة؛ فإنّ الثوار كثيرا ما يتموقعون فيها للاستيلاء على مراكز القرار، وعوامل أخرى لا داعي لذكرها هنا.

إذا كان أبو المهاجر دينار (55-62هـ) فتح حاضرة المغرب الأوسط، تلمسان في العقد السادس من القرن الأول الهجري[1]؛ فإن المغرب الأقصى لم يفتح حتى سنة 62هـ/ 681م، في عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ) على يد عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية، كان أول ما فتح منه طنجة ثم وليلي، وهما إذ ذاك حاضرتا المغرب[2]. وأسباب ذلك كثير منها : توقف الفتح الإسلامي نتيجة الأزمات الداخلية، بعد المغربين الأدنى والأقصى عن المشرق الإسلامي وعن مقر الولاية مصر. والفتح الإسلامي غير المنظم، وشدّة المقاومة للإسلام في المغرب. وإن خروج العرب إلى إفريقية كان له أكثر من هدف : نشر الإسلام ثم الاستقرار والدليل على ذلك الانطلاق مع العشيرة، ثم المفهوم الحياتي لهذه الجيوش المتمثل في الإسلام الحضاري، لأن إفريقية توفرت على جملة من الشروط الطبيعية والبشرية غير موجودة في شبه الجزيرة العربية[3].

وهذه الجيوش العربية التي استقرت في المغرب، تبعتها بعد ذلك جيوش أخرى من المضطهدين من رجال الفكر والدعوة، وبدون شك كان فيها الهاشمية، لأن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، كان له عقب كثير ملؤوا السهول والحزون[4]، من الأقاليم الإسلامية من أقصى حجر في بلاد المغرب إلى بلاد ما وراء النهر في أواسط آسيا[5].

(1) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق : ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ص28/ ، السلاوي : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق : جعفر الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ص80

(2) ابن الأبار : الحلة السيراء، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعين، بيروت، 1962، ص525

(3) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان 1964، صص 20-21

(4) الحزون : جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض، انظر : الزمخشري : أسس البلاغة، ص83

(5) الخضري بك : ن.م.س، ص5

وبهذا يكون قول علي كرّم الله وجهه قد تحقق، لأنه كان يردد هذه العبارة : "بقية السيف أنمى عددا وأطيب ولدا"[1]، أي يريد أن يقول إذا أسرع السيف في أهل البيت كثر عددهم ونما ولدهم، والأدلة كثيرة، أبناء علي (ض) العلويين، وأبناء الزبير بن العوام الزبيريين، وما أكثرهم عددا... !

وروى ابن خلدون إن لعلي (ض) ولاية على صنهاجة[2]، كما لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان (ض). «لصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب، كما لمغراوة ولاية لعثمان ابن عفان»[3]، إلاّ أننا لا نعرف سبب هذه الولاية ولاأصلها، وعدم معرفتنا لهذه الولاية لم ينف احترامها وتطبيقها من قبل صنهاجة، والدليل «إنّ زيري بن مناد بن منقوش، لما عظم ملك الدولة الفاطمية بإفريقية تحيز إليهم، للولاية لعلي(ض) فيهم»[4]. وما قام به بلكين بن زيري بعد سنة 362هـ حيث نقل سكان تلمسان إلى أشير، ألم يكن لتغس الولاية؟

وإذا كانت المصادر العربية الإسلامية، لم تسجل لنا أوائل دعاة وعلماء الشيعة في المغرب – هذه الظاهرة عامة مع باقي الفرق الإسلامية – وخصوصا في القرن الأول الهجري، هذا لا ينفي وجودهم على الإطلاق، لأن القرائن متوفرة فإنه وبدون شك كان من أهل المغرب، المتعاطفين معهم من صنهاجة ومن المعتزلة[5]. للاتصال الذي حصل

---

(1) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد، ج1، ص103

(2) ال، والولي هو النصير، ولاية من ولي ولياء أدناه وقرب والولاية هي القرابة، ومنه الله ولي المؤمنين، والولي هو المحب والصديق ومنه قوله تعالى : لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، والولاية أنماط وتخص الولاية الخاصة، انظر الماوردي : الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، د.م.ج. الجزائر 1983، ص3 وما بعدها.

(3) ابن خلدون : ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص311

(4) ن.م.س، ص313

(5) والمعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية، لقب أطلق على المعتزلة لكن متأخري المعتزلة يرفضون هذه التسمية بحجة أنها تنطبق على أولئك الذين قالوا بأن الخير والشر من الله. نظر: المقريزي: الخطط المقريزية، مطبعة الساحل الجنوبي، بيروت-لبنان،/ الشهرستاني: الملل والنحل: ج1، ص38/ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص115/ فيليب حتي: الإسلام منهاج حياة، تر: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1979م، ص110

بين زيد بن علي وواصل بن عطاء[1] أثناء الإعداد للثورة، ومن المعلوم إن واصل بن عطاء الغزال قد بعث القادة والدعاة إلى مختلف الأقاليم حيث بعث إلى المغرب عبد الله بن الحارث[2]، وأجابه خلق ولم يقتصر على الرجال بل كان فيهم النساء كبنت أبي علي الجبّائي[3]، ويقولون عنها أنها قد بلغت في العلم مبلغا عظيما[4]. ثم الزيدية-المعتزلية، وواضح إن «واصل أنفذ دعاته إلى بلاد المغرب وخراسان واليمن والجزيرة وأرمينية»[5]، وهذا في الربع الأول من القرن الثاني للهجرة، وهذا يدل على أن المعتزلة عملوا لمصلحة آل البيت العلوي «لم يكن التأثر والتأثير المتبادل بين مذهب الزيدية والاعتزال قاصرا على الجانب الفكري، بل انسحب على العمل الدعائي السياسي المشترك»[6]، وسبق وأن أكدنا أن واصل بن عطاء قد تتلمذ على آل البيت[7]، لذا نجد فيه محاكاة بين علم الكلام عند الزيدية وعند المعتزلة، مما سيكون له آثاره الإيجابية على الدعوة الزيدية في العهد العباسي ، وقيام الدولة الإدريسية والسليمانية في المغرب الإسلامي.

---

(1) واصل بن عطاء (80-131هـ): هو وعمرو بن عبيد اعتزلا حلقة الحسن البصري، واستقلا عنه. انظر المعتزلي: شرح الأصول الخمسة، ج1،ص7/ أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط10، 1969م، ص288.

(2) عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي القرشي (ولد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم 84-هـ)، من أهل المدينة، كان ورعا ظاهر الصلاح، ولاّه ابن الزبير على البصرة سنة 64 هجرية، ثم هرب إلى عمان من الحجاج إلى أن توفي بها. انظر: ابن الأثير: الكامل، ج4، ص95./ الزركلي: الأعلام، ج4، ص205.

(3) بنت أبو علي الجبائي، هو أبو علي بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (235هـ)، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، وله مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. له تفسير حافل مطول، ورد عليه الأشعري، اشتهر في البصرة وكان شيخ المعتزلة، ورأسا في عم الكلام، أخذ العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري. ومن تلاميذه أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، وابنته «قد بلغت في العلم مبلغا، وسألت أباها عن مسائل فاجاب عنها، وكانت داعية النساء انتفع بها في تلك الديار. انظر: بدوي عبد الرحمن: مذاهب الإسلاميين، المعتزلة والأشاعرة، ج1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1971م، ص339.

(4) محمد عمارة: ن.م.س، ص59/ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص250.

(5) إسماعيل محمود: الأدارسة (172-375هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، 1991م، ص27.

(6) ن.م.س، ص25.

(7) محمد عمارة: ن.م.س، ص62 «إن فكرة المعتزلة قد ولد في بيت محمد بن الحنفية (21-81هـ)» ألا يعني ذلك تناقض في نتائج الأستاذ محمد عمارة.

وكما أوضحنا سابقا، إن الخوارج قد تعاطفوا مع الزيدية في ثوراتها[1] المتلاحقة على أئمة الجور، وبهذا يكون آل البيت العلوي قد اقتربوا من الفكر الخارجي في القول بالثورة العلنية المشروعة[2]، وهذا عامل مساعد على نشر الدعوة الشيعية في المغرب، في الوقت الذي كثر فيه أعداء الخلافة الأموية.

وإذا عدنا إلى النص الذي ذكره الأستاذ أبو ضيف «وفي سنة 69هـ/ 688م، ولّى الخليفة عبد الملك زهير بن قيس البلوي، قيادة جيش إفريقية... رغم انتمائه لقبيلة بلي[3] اليمنية بمصر التي كانت علوية في ولائها، وأقام بعضها في الرمادة من لوبية مع آخرين من جهينة وبني مدلج»[4]. إن الشيعة كانوا موجودين بمصر وبالمغرب على الأقل من مأساة كربلاء سنة 61هـ، هذا التعيين بدون شك سيعطي دفعا وخدمة لتيارهم في المنطقة.

ولم يكن الوالي الأول والأخير، بل تبعه العديد من الولاة منهم موسى بن نصير[5] «الذي كان من المتعاطفين لآل محمد صلّى الله عليه وسلم، هذا الولاء الذي لم يستطع أن يخفيه حتى علمه بنو أمية، حيث قال له عمر بن عبد العزيز (ض): «إنّي أحبّك يا موسى لأربع... والثانية حبك لآل محمد صلّى الله عليه وآله وسلم...»[6].

---

(1) انظر هذه الرسالة الفصل الأول.

(2) إسماعيل محمود: الأدارسة (172-375هـ)، ص24.

(3) قبيلة بلي: (والنسبة لها بلوي)، بلي بن عمرو بن الأصل بن قضاعة يمنية من قضاعة، انظر القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1982م، صص 45-46/ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب واضح): كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1988م، صص 99-100.

(4) أبو ضيف (مصطفى-أحمد عمر): القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين، د.م.ج، الجزائر، 1982م، ص36.

(5) موسى بن نصير: هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء (19-97هـ)، كان من التابعين، روى عن تميم الداري، وكان عاقلا، كريما، شجاعا. انظر : الذهبي الدمشقي (شمس الدين): الإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، عبد الجبار زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط2، 1993م، ص53./ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) (ت.681هـ/ 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1972م، ص318/ بسام العسلي: موسى بن نصير، ص10.

(6) ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): الإمامة والسياسة، ج2، ص75.

ولما أصبح موسى بن نصير واليا على إفريقية وهذا سنة 77هـ/ 696م، قام بتعيين مجموعة من العمال تتمثل مهامهم في توفير الأمن للسكان والجباية؛ فكان هؤلاء العمال في معظم حواضر المغرب كتونس وقابس وطرابلس وطبنة وتلمسان وطنجة[1]، ألا يكون العمال من محبي آل محمد صلّى الله عليه وسلم؟ لما قلناه عن موسى بن نصير سابقا، والخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، يعلن أمام الملأ أنه من أتباع علي كرّم الله وجهه، وهذا لما حضر زريق مولى علي بن أبي طالب، وحاول إنكار موالاته؛ فبكى عمر بن عبد العزيز حيث صاح قائلا: «وأنا مولى علي»[2] وموالاته تعني محبته لآل البيت، وبالخصوص العلويين لأن علي (ض) كان لا يذكر بين أيدي بني أمية، هكذا وصل بهم الحال إلى منع ذكر زوجه البتول فاطمة بنت محمد صلّى الله عليه وآله وسلم.

وبدون شك لقي العلويون الأمان، كما لقيه غيرهم في عهد الخليفة الصالح إلاّ أن ذلك لم يدم طويلا، لأنه حكم على آل علي أن يعيشوا التشرد والاضطهاد.

إذا كان الحسن البصري[3] قد اشترط شروطا في حياته لإزالة المظالم، عن طريق الثورة، من أهمها التمكن من أجل ضمان النصر[4]، ويذهب الأستاذ محمد عمارة بعيدا ويحكم على شيخ واصل بن عطاء بالآتي: «كان الحسن البصري معتزلا ووصف بعالم الفتن والدماء أي الثورات والحروب»[5]، أي اعتزال فلسفي أم سياسي أم جهادي؛ فإن من المعروف والمشهور «اعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بين المنزلتين، وسمي هو وأصحابه معتزلة»[6]، وهنالك أكثر من مصدر واحد يؤكد إن زيدا بن علي تتلمذ

(1) بورويبة رشيد وآخرون: العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني، ص59.

(2) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد القرشي): سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تحقيق: السيد الجميلي، دار مكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 1997م، ص36.

(3) الحسن البصري هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري (19-110هـ)، كام من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل الفن من علم زهد وورع وعبادة. انظر: بن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص69.

(4) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص172/ محمد عمارة: ن.م.س، ص44.

(5) محمد عمارة: ن.م.س، ص45.

(6) الشرستاني: الملل والنحل، ج1، ص22.

على واصل وليس الحسن البصري، كما اعتقد الأستاذ»، و«قد تتلمذ له زيد بن علي لواصل وأخذ الأصول منه؛ فلذلك صارت الزيدية كلها معتزلة»[1]، وراعى في ذلك الأماكن الاستراتيجية والحيوية لتوزيع الدعاة على الطرق التجارية والحواضر الكبرى الإسلامية كطنجة[2] والبيضاء[3]، وهي مواطن تجارية بين إفريقية والأندلس[4].

وعلى إثر فشل ثورة زيد بن علي 122هـ/ 739م، لجأت الدولة الأموية إلى نفي المعارضة إلى خارج البلدان غير التابعة لها. وهذا ما أكده سير توماس أرنولد «إن هجرة العرب إلى شرق إفريقيا، كانت على إثر نفي الزيدية أتباع زيد بن علي سنة 122هـ/ 739م ويسمى هؤلاء الزيدية (أمو زيديج)»[5].

مما سيكون له أثر جيد على الحركة الزيدية ومستقبل المذهب، وهذا الأثر له حضوره إلى يومنا هذا. وإذا كانت ثورة زيد بن علي لم تثمر في وقتها؛ فإنها كانت فاتحة سلسلة طويلة من الحركات الشيعية التي أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين[6]. وكان من المفروض أن يتنفس العلويون الصعداء جراء سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/ 750م، إلاّ أنّه حدث ما لم يكن في الحسبان فقد تعرضوا على أيدي خلفاء بني العباس وتحديدا منذ خلافة المنصور (136-158هـ) «وكان المنصور أول من أوقع الفتن بين العباسيين

(1) ن.م.س، ص22.

(2) مدينة مغربية تقع على مضيق جبل طارق تقابل الجزيرة الخضراء وهي ببلاد المغرب الأقصى، وهي أزلية، وخصبة وهي على ظهر جبل، وبينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد. انظر: بن حوقل: صورة الأرض، ص100/ ياقوت الحموي: البلدان، ج4، ص43.

(3) اسم لعدد كبير من المدن الإسلامية في المغرب والمشرق، وأنه يقصد هنا البيضاء بالمغرب الأقصى على بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) القريبة من آسفي. انظر: البكري: المغرب، ص86./ الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1983م، ص143.

(4) محمد عمارة: ن.م.س، ص59.

(5) انظر إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، ط2، 1964م، ص28.

(6) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص157/ فيليب حتي: الإسلام منهاج حياة، ص117.

والعلويين، وكانوا قبل شيئا واحدا، وآذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك، منهم أبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس رحمه الله»[1]. واستمر ذلك حتى خلافة المتوكل (232هـ-247هـ)، جاهر بعدائه لآل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، من أمثلة ذلك: في سنة 236هـ «أمر بهدم قبر الحسين (ض) وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته، وخرب وبقي صحراء»[2]. وهذا الأمر تكرر أكثر من مرة، وفي سنة 244هـ قتل المتوكل يعقوب بن السكيت الإمام في العربية، كان قد ندبه إلى تعليم أولاده؛ فنظر المتوكل يوما إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لإبن السكيت من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر، يعني مولى علي خير منهما؛ فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات[3].

وإذا قارنا تقتيل بني أمية لآل علي بتقتيل آل العباس لهم لوجدنا في عهد بني العباس أهول وأفضع[4]، هذا بحسب رأي الشيخ محمد الخضري، وفي رأي التقتيل تقتيلا لا يمكن التقليل من الإجرام والظلم واحد، وربما يكون أشد وقعا على النفس عندما يكون من أبناء العمومة.

هذا التعذيب الذي استنكرته الشعوب الإسلامية بمختلف توجهاتها خاصة علماء الأمة، مما سيكون له عواقبه الوخيمة على الخلافة الإسلامية في بغداد. «وكان أغلب هؤلاء المظلومين من آل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم. وقد ظلمهم أبناء عمومتهم العباسيون، وقد برز من مواطنينا في هذه الفترة المبكرة رجال مؤمنون بشرعية مطالب آل البيت»[5].

---

(1) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، 1995م، ص303.

(2) ن.م.س، ص393.

(3) ن.م.س، ص 395.

(4) الخضري: ن.م.س، ص62.

(5) لقبال موسى: عناصر التكامل والوحدة ودور أبناء المغرب الأوسط (الجزائر) في تدعيمها وتعميمها مغربيا

هذا شيء طبيعي أن يقف المغاربة إلى جانب العلويين لاعتبارات دينية وإنسانية، وهذا ما تم تجسيده خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي، قيام الدويلات العلوية في المغرب والأندلس. وهذه العوامل وغيرها دفعت بحركة الهجرة إلى المغرب من مختلف الأقطار الإسلامية، أن تتضاعف خاصة من المشرق؛ فمثلا: «أن عدد من دخل من المهاجرين والجند في عهد الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور بلغ أكثر من مائة ألف نسمة»(1). هذا فضلا عن العشرات من الآلاف التي دخلت مع جند الفتح والتي ستساهم أكيدا في تغيير الوضع الاجتماعي والعرقي.

وإذا كان الشيعة رجلين إمامي وزيدي(2)؛ فالمغرب وصله الطرفان، وهذا في عهد الدعوات قبل وصول أصحابها(3)، ومن الإمامية أبو سفيان(4) والحلواني(5) اللذين بعثهما أبو عبد الله بن جعفر بن محمد (ض) (80-148هـ)، وأمرهما ببسط ظاهر علم الأئمة (صلوات الله عليهم)، وينشرا فضلهم. وامرهما أن يتجاوزا إفريقيا إلى حدود البربر، ثم يفترقان؛ فينزل كل واحد منهما ناحية، وكان ذلك سنة 145هـ، وتشيع على أيديهما خلق كثير(6).

ولأعود إلى الدعوة الزيدية وأساليب انتشارها في المغرب الإسلامي بعد نجاح الثورة الهاشمية على الأمويين، محمد ذو النفس الزكية وتمسك آل العباس بالسلطة بدلا

وعربيا منذ أقدم العصور، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، 1988/ 1989، ص28.

(1) بورويبة رشيد: ن.م.س، ص31.

(2) الشبنلجي (الشيخ):ن.م.س، 251.

(3) مرمول محمد صالح: المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية ق3هجري، مج الأصالة، ص59.

(4) أبو سفيان: كانت إقامته في مرماجنة في الشرق الجزائري والأربص، وكان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما قد اشتهر به ذكره، وبسببه تشيعت المدينتان. انظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ش.ت.ت، تونس، ود.و.م.ج، الجزائر، ط2، 1986م، صص 27-29.

(5) الحلواني: نزل الناظور من أرض سوجمار، وقد تتلمذ عليه أبو المفتش، وخلف ابنة تدعى أم موسى، وقد تشيع على يديه الكثير من كتامة ونفزة وسماته؛ فكان بين دخولهما المغرب ودخول أبو عبد الله الشيعي 135 سنة. انظر: النعمان: افتتاح الدعوة، صص 27-29.

(6) النعمان: كتاب افتتاح الدعوة، صص 26-29.

من محمد ذو النفس الزكية، الذي عينه المؤتمر الهاشمي السري سنة 127هـ[1]؛ فبايعوا جميعا محمدا ومسحوا على يده بما فيهم المنصور والسفاح وأعيان بني هاشم وهذا بمكة، لكن اتضح أنهم ليسوا أهل عهد[2].

فلما ظهرت الدعوة لبني العباس حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم لما في أعناقهم من البيعة إلى محمد، وتواريا فلم يزالا ينتقلان في الاستتار والطلب يزعجهما من ناحية لأخرى، حتى ظهرا فقتلا (رضى الله عنهما)[3].

وقبل هذه الفتنة انفصلت الدعوة الزيدية عن العباسية وتزعمها محمد ذو النفس الزكية بتعضيد من المعتزلة[4]. ما كان المعتزلة متحفظين منه في عهد زيد بن علي وواصل بن عطاء، الاتحاد العلوي-العباسي قد انكشف أمره على حقيقته، وزال دون رجعة. وتعاظم أمر الدعوة ولم يجد المعتزلة ما يحول دون انضمامهم إليها دعائيا وسياسيا وعسكريا[5]، وهذا ما كان ملحوظا خلال ثورة محمد ذو النفس الزكية سنة 145هـ، ثم ثورة أخيه إبراهيم التي هي استمرار للأولى، ورغم فشلهما إلا أن المعتزلة استمروا في دعم الزيدية ما دام الإمام عادلا «كما واصلوا تعضيدها بعد أن آلت رياستها إلى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، وما فتئوا على موقفهم هذا حتى قيام دولة الأدارسة»[6].

وتفطن العلويون إلى المغرب كان متأخرا بالنسبة لباقي الفرق الإسلامية الأخرى، حيث استطاع الخوارج الانفصال بأجزاء من المغرب مثلا «وانتفضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة فقتل عامله عمر بن عبد الله المرادي، وكان من تولّى ذلك ميسر بن الفقير البربري ثم المدغري، وهو الذي قام بأمر البربر وادعى الخلافة وكان سنة

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص370/ الإصفهاني: مقاتل الطالبيين، 233.

(2) الإصفهاني:ن.م.س، ص206.

(3) ن.م.س، صص 233-234.

(4) إسماعيل محمود: الأدارسة (172-375هـ)، ص27.

(5) ن.م.س، ص29.

(6) ن.م.س، ص30.

122هـ/ 739م[1]. ثم تمكن الأمويون سنة 140هـ من إقامة دولتهم في الأندلس[2]، والمعتزلة يسيطرون على أجزاء كبيرة من المغرب فكريا[3] وغيرهم.

وقد راهن محمد ذو النفس الزكية على المغرب لاعتبارات سياسية وعسكرية وحتى اجتماعية حيث نجده يبعث إلى المغرب ثلاثة من ألمع عناصره، إيمانا منه بأفضليتهم علما وورعا وصبرا؛ فكان أولهم عيسى بن عبد الله[4] «فأجابه خلق كثير من قبائل البربر»[5]. لكن ابن أبي زرع لم يذكر لنا القبائل التي لبت الدعوة ولا المكان الذي حلّ به عيسى بن عبد الله، وربما كان ذلك في بداية قيام الخلافة العباسية. ولم يطل مقامه في المغرب ورجع إلى المشرق لإطلاع محمد ذو النفس الزكية على النتائج التي حققها في ظرف وجيز.

ويبعث في المرة الثانية أخاه أي أخ محمد ذو النفس الزكية سليمان بن عبد الله إلى المغرب فنزل تلمسان[6]. أما الحشلاف فيقول بعثه إلى مصر، يدعو الناس لمبايعته فلما وصل إليه خبر وفاة أخيه، فرّ إلى بلاد النوبة ومنها إلى السودان ثم رجع إلى زاب إفريقية ثم ارتحل إلى تاقدامت (تيهرت)، وأقام بها أياما ثم انتقل إلى إلى تلمسان[7]. معنى ذلك أنه لم يشارك في ثورة أخويه محمد وإبراهيم لغيابه في المغرب؛ فمكث في تلمسان ولكن هذه المرة يدعو للحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي، وأحرز نجاحا ملحوظا، وعاد إلى المشرق للمشاركة في ثورة 169هـ[8].

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح إفريقية والأندلس، ص94/ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص64.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص360/ ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص64.

(3) ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، 64/ مثلا ابن حزم ذكر معظمهم بدون زناتة، ثم يختم حديثه «وكل ما ذكرنا معتزلة»، انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص498.

(4) عيسى بن عبد الله: هو عيسى بن عبد الله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضو) أخ محمد ذو النفس الزكية. انظر: الفصل الثاني من الرسالة.

(5) ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م، ص15.

(6) ن.م.س، ص16.

(7) الحشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، الطبعة التونسية، تونس، 1929م، صص 25-26.

(8) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص425/ إسماعيل محمود: ن.م.س، 48.

كما بعث محمد ذو النفس الزكية أخاه إدريس للمغرب للدعوة له، وهذا بحسب رواية الأشعري في كتابه تاريخ الشيعة[1]. وهذه الرواية تخالف معظم الروايات الأخرى التي تقول: أن إدريس لم يدخل إلى المغرب قط قبل ثورة 169 هـ، إلاّ أن فيه رواية أخرى تقول أنه دخل إلى المغرب يدعو إلى الحسين بن علي، وليس إلى محمد ذو النفس الزكية، إلاّ أن مقامه بتلمسان لم يطل وهذا من أجل المشاركة في ثورة الحسين بن علي[2].

ومما حققه الإخوة الثلاثة في المغرب الإسلامي، وبالخصوص منطقة تلمسان هو نشر الدعوة الزيدية (الشيعية) في قبائل الناحية، ومنهم قبيلة مكناسة[3] التي كانت تتواجد في مختلف مناطق المغرب و"حول هذه المدينة (تلمسان) قوم من البربر، يقال لهم مكناسة..."[4]، وهذه القبيلة كانت متواجدة في مختلف مناطق المغرب، الزاب، تلمسان، فاس، سجلماسة، الأندلس[5]. وتمكن فصيل منها إعلان ثورة في الأندلس من أجل تحقيق الفكر العلوي[6] في إقليم شانت بريه في الشرق من الأندلس، بقيادة شقنة بن عبد الواحد المكناسي وأمه فاطمة، وادعى أنه من ولد فاطمة عليها السلام ومن ولد الحسن عليه السلام[7]. أما ابن الأثير فيقول أنه من ولد الحسين بن علي (ض)[8]،

---

(1) نقلا عن: Laroui Abdallah : L'histoire du Maghreb, Tome 1, p .99

(2) ابن أبي زرع: ن.م.س، ص16.

(3) مكناسة: قبيلة بربرية وهي من ورصطف بن يحي، ومن يحي بزناتة وكلهم وسمكان ورصطيف، وبطون يحي تعود إلى بني مادغيس الأبتر (البتر). ويقول ابن خلدون عن مكناسة: "وما كان من مكناسة من مشايعة المسلمين أولا، ثم ردتهم ثانيا، وتحيزهم للمغرب الأقصى وفرارهم أمام عقبة بن نافع ثم غلبهم بعد ذلك طوالع بن هاشم بأرض المغرب. أما ديارهم كانت عى نهر ملوية، وعليه كانت ديار مكناسة معروفة بهم منذ في القديم"، انظر: ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص 205/ ن.م.س، ج6، ص202/ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص495.

(4) اليعقوبي: البلدان، ص112.

(5) ومن بيوتات البربر بالأندلس "مكناسة منهم بنو وانسوس، رهط الوزير سليمان بن وانسوس"، انظر: ابن حزم:ن.م.س، ص499.

(6) ثورة الفاطمي (150-160هـ): بقيادة شقنا بن عبد الواحد المكناسي، أمه فاطمة، وأصله من لجرانية، معلم قرآن، ادعى أنه من آل علي (ض)، ورجل انتسب إلى علي رحمه الله ثار في الهوارين". انظر: ابن القوطية (أبو بكر): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص40.

(7) ابن عذاري: البيان، ج2، ص54.

(8) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص34/ ابن خلدون: ترجمان العبر، ج4، ص267.

وتسمى بعبد الله بن محمد «فوثب على سالم بن أبي زعبل عامل ماردة ليلا فقتله، وغلب على ناحية قورنه، وأفسد يمينا وشمالا؛ فخرج إليه الأمير (عبد الرحمن الأموي) في الغزاة التي تسمى غزاة الرور؛ فهرب إلى المفاوز فدوّخ الأمير البلد ووطنه، ونزل لكل من شايعه أو دخل في شيء من أمره النكال»[1].

من خلال النصوص المتوفرة لدينا عن هذه الثورة، إن جلوس شقنة للتدريس كان غرضه نشر الدعوة الشيعية في الإقليم، وأن الدعوة استجاب لها كثير من الأتباع، وأن عبد الرحمن الأموي دخل فيهم ذبحا «فهو يخرب ويحرق وينسف حتى قدم عليه كتاب من قرطبة»[2]. وهذه الأعمال الزجرية من لدن الأمير الأموي شيء من التاريخ العلوي والمكناسي، لأن عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) نزل على قبيلة مكناسة الشيعية؛ فطلبته أثناء هروبه من المشرق إلى المغرب «فسار عبد الرحمن بن معاوية

إلى موضع يقال له باري (المغرب الأوسط) فنزل في قبيلة يقال لها مكناسة فكان له عنده مطيق يطول ذكره»[3]. وهذا دليل قاطع على أن الدعوة الشيعية وصلت المغرب قبل وصول إدريس وسليمان للمرة الأخيرة لإعلان الدولة العلوية في المغربين الأوسط والأقصى.

واستطاع الزيدية نقل الصراع العلوي-العباسي إلى بلاد المغرب، وهذا منذ اعلان الخلافة العباسية في العراق «كان للزيدية من الحسينين الطالبيين، وذرية علي بن أبي طالب دعوة زاحموا بها أيام العباسيين»[4]، واستمر هذا العدد إلى سقوط الخلافة العباسية[5].

---

(1) مؤلف مجهول (توفي في النصف الأول من ق 4 هجري): كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص153.

(2) ن.م.س، والصفحة.

(3) ن.م.س، ص125/ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص362.

(4) ابن الخطيب (لسان الدين): تاريخ المغرب العربي الوسيط أعمال الأعمال، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص188.

(5) الخضري (الشيخ محمد): المرجع السابق، 503.

وهذا ما أمكننا تأكيده مسبقا، إن الدعوة الشيعية الزيدية والإمامية حلت بالمغرب وخاصة تلمسان ونواحيها[1]، قبل قيام الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى والدولة السليمانية في المغرب الأوسط، وإنه لا يعقل أن يأتي شخص من المشرق إلى المغرب، ويقيم دولة بدون صعوبات تذكر، ودون تحضير لذلك كما فعل إدريس وأخوه سليمان.

والدور الذي قام به المعتزلة في المشرق والمغرب، وبالخصوص في مرحلة التطابق الزيدي-الاعتزالي (محمد بن عبد الله، الحسين بن علي، يحي بن عبد الله، إدريس بن عبد الله)، أي مرحلة الانشقاق العباسي - العلوي، إلى درجة التغازل وهذا ينطبق على المغرب كذلك.

ثالثا: المغرب الأوسط قبيل قيام الدولة السليمانية :

و إن كان المغرب الأوسط موطنا لزناتة؛ فهذا لا ينفي وجود قبائل أخرى في هذا الوطن المفذى كهوارة وامتاهه، وضريسة ومغيلة وورفجومة، وهي من نفزة ونفزة من البتر[2]، ووليطة ومطماطة وصنهاجة وكتامة ولواتة ومزاتة وزبوجة ونفوسة ولمطة وصدينة ومصمودة وعمارة وقالمة وأوربة[3]، وغيرها كثير من القبائل سواء من البتر أو البرانس.

والبتر فرحالة في معظمهم، وتتوفر فيهم جميع خصائص ومميزات البدو الرحالة. ولإدراكهم لرابطة النسب البعيدة بالعرب، والتشابه في الخصال، لم يجد الفاتحون منهم مقاومة كبيرة في بداية الفتح[4].

وهذه خصائص البدو قديما وحديثا، سواء كانوا بربرا أم عربا أم جرمانا، ولكن الأستاذ لوبان جانب الصواب حيث يقول: «فقد انقسم البربر إلى زمر لا تحصى تبعا لغريزتهم التي كانت تمنعهم من تأليف أمة كبيرة»[5]. أي غريزة يتحدث عنها؟ هل

(1) انظر هذا الفصل من الرسالة.

(2) أما التعرف أكثر على هذه القبائل فسيكون بإذن الله في فصل الحياة الإجتماعية والثقافية من هذا البحث.

(3) ابن خرذادبة (أبو القاسم عبيد الله): المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد-العراق، صص 90-91.

(4) بورويبة رشيد وآخرون: ن.م.س، 15/ ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص217.

(5) لوبون غوستاف: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة-

البربر هم دون غيرهم، لهم غريزة تمنعهم من التعاون والترابط والتلاحم؟ أم مرحلة قبلية تمر بها الشعوب قبل التوصل إلى تأليف الدولة وصناعة المدن؟.

أما زميله «تورنو» يزعم أنها عادة، وليست غريزة ودليله في اعتقاده المحافظة على النظام، تتطلب تدخل القوة في كثير من الأحيان، لأن المغاربة لم يكونوا قد اكتسبوا عادة العيش معا[1].

ونسي هؤلاء وغيرهم، إن المجتمع البدوي يقوم على العصبية، وهي العامل الأكبر، في توحيد شعور الأفراد في العشيرة[2]، وتكون العشائر متقاربة النسب قبيلة واحدة، والقبائل المتقاربة تؤلف الشعب، والشعب عنصر أساسي من عناصر قيام الدولة.

وكثيرا ما راهن المتغربون، أي المهتمون بالمغرب من غير المغاربة أمثال شارل اندري جوليان، جورج مارسي، ألفرد بال، وغيرهم... على الصراع بين الحضارة والبداوة، أي بين البرانس والبتر، ويحاولون تفسير كل أحداث تاريخ المغرب على ضوء هذه الظاهرة.

فإن صراع صنهاجة مع زناتة هو صراع شريف ونظيف، لأنه حول السلطة لا كما يروج له من قبل الغربيين. وها هو أحد قادة المغرب بالأندلس ينور الأمازيغ المغاربة: «كنا في بلادنا نتصارع على السلطة ونتقاتل لأجلها، أما الآن ونحن ببلاد الأندلس في بلاد الناس، يعتبروننا جميعا غرباء، يجب أن نتعاون مع بعضنا ونضم جهدنا؛ فإن اعتدى عليكم أحد فأنا مستعد لنجدتكم، وإن تعدى علينا أحد فكونوا مستعدين لنصرتنا»[3].

مصر، ط4، 1964م، ص259.

(1) روبي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12، 13م، ترجمة: أمين الطيبي، دار الكتاب العربي، تونس، 1982م، ص6.

(2) فليب حتي: تاريخ العرب (موجز)، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1964م، صص 23-24.

(3) باديس بن حبوس، نقلا عن سليمان (ابن الحاج داود بن يوسف): ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1981م، ص79.

وإذا كانت النصوص تذكر إن البرانس كانوا أكثر مقاومة للإسلام من البتر في بداية الفتح؛ فإن هذا واضح وطبيعي، لأن البرانس المستقرين كانوا قد تأثروا بالحضارة البيزنطية وبالديانة المسيحية[1]. أما الجذم الثاني فكانوا في صراع دائم مع الغزاة الغربيين.

وعندما تمكن الإسلام من البرانس، خاصة قبيلة أوربة وكتامة وصنهاجة، تحولوا إلى بناة يساهمون في إنشاء الدولة العلوية، وبالتالي في الحضارة العربية الإسلامية، وهذا خلال القرون الموالية للقرن الثاني للهجرة. وهكذا الإسلام لم يحتاج إلى خميرة عربية لوحدها تتولى نشره، بل كانت الخمائر الأولى من البربر ونشرته في المغرب وجزائر بحر الروم والأندلس[2].

وبحمد الله ونعمته منذ أن اعتنق البربر الإسلام، وهم قائمون على نشره بين الشعوب المجاورة لهم، خاصة غرب إفريقيا ووسطها. وهذا حدث بفضل المجهودات التي قام بها قادة الفتح والخلفاء الذين أرسلوا الفقهاء والعلماء يعلمون الإسلام واللغة العربية[3].

«وعلى الرغم من تعرض شمال إفريقيا لغارات وهجمات منذ 26هـ/ 647م؛ فإنه لا يوجد من الأدلة ما يثبت زوال رخائها أو ضعف قدرتها الأساسية على الانتاج»[4].

هذا دليل على سلوكيات العرب الحضارية والإنسانية ومبادئ الإسلام السامية، وما حدث مع نهاية الخلافة الأموية (122-132هـ) للدولة الإسلامية من خروقات تتنافى مع الروح افسلامية العربية، هو طارئ وليس أصلا في المسلمين العرب مع الشعوب الإسلامية الأخرى.

---

(1) الحسن الوزان : وصف إفريقية، ج1، ترجمة: محمد حاجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1983م، صص67-68.

(2) شكري (فيصل) : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، ص170.

(3) المدني (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر، م.و.ك، الجزائرن (ب.ت)، ص19.

(4) أرشيبالد، ر، لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط (500-1100م)، تر: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1960م، ص129.

في ظل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المزدهرة في المغرب الإسلامي إبان الخلافة الأموية، كما أوضحنا سلفا، وصلت طلائع الخوارج إلى بلاد المغرب. من يكون هؤلاء الخوارج؟ وما الذي دفع بهم إلى المجيء إلى المغرب بدل البقاء في المشرق؟

الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي (ض)، حين قبل التحكيم حقنا لدماء المسلمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة[1]. و«اسم الخوارج جاء من أنهم خرجوا على علي وصحبه»[2].

كما يقال لهم المحكمة والشراة[3]. هم عشرون فرقة، وهذه بعض أسمائها: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية ثم العجاردة المفترقة فرقا[4]، وما يجمع الخوارج على مختلف مللها ونحلها بحسب رأي أبي الحسن أستاذ البغدادي صاحب «الفرق بين الفرق»: تكفير علي وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وصوب الحكمين أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر[5]، ويتفق التلميذ مع الأستاذ في ذلك.

إلاّ أنّ أتباع الإباضية قدماء وجددا يتنصلون من ذلك، ويعدونه دس عليهم، وكتب الشيخ سليمان داود بن يوسف الإباضي الجزائري كتابا ووسمه الخوارج هم أنصار الإمام علي.

وإذا عدنا إلى المصادر الإباضية المتوفرة، لا نعثر على نصرة علي (ض)، بل على العكس من ذلك تماما؛ فمثلا: بن سلام الإباضي المتوفي في القرن 3 هـ، في كتابه «الإسلام»

---

(1) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص134.

(2) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص199/ أمين (أحمد): فجر الإسلام، ص257.

(3) الشراة: الشراة: الخوارج، سموا بذلك لأنهم غضبوا ولجوا، أي الذين باعوا أنفسهم لله ورسوله، وقطعوا على أنفسهم كل غرض من أغراض الدنيا، غير الجهاد، بذل النفس في سبيل الله، من قوله تعالى «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله». انظر ابن منظور: ن.م.س، مادة شرى. سورة البقرة، الآية 207، انظر: عون (عبد الرؤوف): الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص330.

(4) البغدادي: ن.م.س، ص78.

(5) ن.م.س، ص79.

وهو من أقدم المصادر الإباضية وأول مصدر مغربي يقول فيه: «وندين بالشهادة لأهل الهدى بهداهم وولايتهم عليه والشهادة على الضلالة بضلالتهم والبراءة منهم؛ فمن أقر للمسلمين بهذه الشرائح التي ذكرناها من أول الكتاب وعمل بها؛ فهو مسلم قد وجبت ولايته ومودته والاستغفار له ووجب حقه ما لم يحدث حدثا يخرجه من ولاية المسلمين»[1]. واستهل ابن سلام كتابه بـ:كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين ونكت من فضائل الصحابة المهتدين ولمع من أخبار الجبابرة المعتدين وذكر فوجا من الصحابة الأخيار ابتداء من أبي بكر... إلى عبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم، ولم يذكر منهم الإمام علي (ض)، وعثمان بن عفان (ض)،... وعندما ذكر عمار بن ياسر يقول: «وديننا دين عمار بن ياسر...فقتل يوم صفين وهو يقاتل مع علي بن أبي طالب فعطش ودعا بشراب فأوتي بلبن النوق فشربه وقتله أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وقال النبي صلّى الله عليه وسلم: «قاتل عمار وسالبه في النار...»[2].

وأبو زكريا يحي بن أبي بكر، كثيرا ما يذكر (جماعة المسلمين) ويعتبرها مرادفة لجماعة الإباضية[3]، وبهذا الإمام علي (ض) وكل السلف الصالح لم يكونوا من جماعة المسلمين لأنهم ليسوا إباضية، وعند ذكره للإمام علي (ض) كأنه من أولئك الناس دون وظيفة أو رحمة[4]. أما الإباضية فالعكس يثني ويترحم عليهم.

وأما اختيار الخوارج لبلاد المغرب فكان لأكثر من عامل، أكتفي بذكر أهمها في نظري: إن بلاد المغرب كانت لا تزال بكرا، لم يصبها بعد بلاء التمذهب والتعصب لدعوة ما. والعامل الثاني، إن نجاح الدعوات الخارجية ممكنة وبيسر لأسباب اجتماعية. والعامل الثالث، المهم النجاة من الموت على يد الحجاج وأمثاله...الخ.

---

(1) انظر : ابن سلام الإباضي: الإسلام وتاريخ من وجهة نظر إباضية، تحقيق: ر.ف، شفارتز، وسالم بن يعقوب، دار إقرأ، بيروت-لبنان، 1405هـ/ 1985م، ص105.

(2) انظر: ن.م.س، صص 83-84.

(3) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص66.

(4) انظر: ن.م.س، ص109.

وكان الحجاج يقتل كل من اشتبه في أنه خارجي، ويقطع أيديهم وأرجلهم ويصلبهم، مما جعلهم يهربون من المشرق إلى أطراف الدولة[1]، وقبل الخوارج كان دور بني هاشم، وهذا الرجل السفاح لم يسلم من سوطه أي مخلوق بما فيهم المستضعفون[2].

وأثمر هذا اللقاء الخارجي-الأمازيغي «بأن كانت بلاد المغرب أكثر بقاع العالم الإسلامي تقبلا لعقائد الخوارج وأكثرها حماسا لنصرتهم»[3]. متى؟ ولماذا؟ وأي الفرق الناجية؟

فيما يخص الوصول وبداية العمل الدعوي الخارجي؛ فإن فيه اختلاف بين الكتابات العربية الإسلامية بمختلف مشاربها، وهذا التضارب يتراوح بين نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري، وأميل إلى القول الذي يرى أن الخوارج ظهروا بإفريقية وبلاد المغرب قبل نهاية القرن الأول[4]، لاعتبارات عديدة منها وفاة الحجاج كانت سنة 96هـ/ 714م، وحياة عمدة الإباضية عبد الله ابن إباض كانت بين 26–86هـ، (وإن كان الخوارج لا يعدونه من أئمتهم)، وفتنة سنة 102هـ ضد يزيد بن أبي مسلم...الخ.

أما لماذا كان المغاربة أكثر بقاع العالم الإسلامي تقبلا لعقائد الخوارج؟

هذا في اعتقادي الخاص يعود إلى جملة من العوامل الأساسية منها: ابتعاد بعض ولاة إفريقية والمغرب وعمالهم على الأقاليم عن روح الإسلام أمثال: يزيد بن أبي مسلم[5]

(1) ماجد عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج2، ص160.

(2) سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج ظلما وعدوانا، انظر: ابن سلام الإباضي: الإسلام، ص89.

(3) إسماعيل محمود: الخوارج في المغرب الإسلامي، ليبيا، تونس، المغرب، موريتانيا، دار العودة، بيروت–لبنان، 1976م، ص5.

(4) المجدوب عبد العزيز: الصراع المذهبي في إفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975م، ص20.

(5) يزيد بن أبي مسلم (102–103 هـ): عزله عمر بن عبد العزيز عن إفريقية لمخالفته الحق وارتكابه جورا وهو مولى الحجاج بن أبي يوسف وصاحب شرطته وفي سنة 102هـ ولي إفريقية. انظر: ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله): الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، تحقيق: أحمد عبيد، دار

مولى الحجاج بن أبي يوسف، وعبيد الله بن الحبحاب السلولي[1] الذي خمس البربر[2]، ومن ورائهم خلفاء بني أمية في دمشق، وسياسة التعسف المطبقة عليهم. صعوبة البيئة الجغرافية في المغرب الإسلامي، وبعدها عن مقر الخلافة الإسلامية في دمشق، الفتح الثقافي الإسلامي لم يتمكن من شريحة كبيرة من سكان المغرب رغم مرور أكثر من ربع قرن عن الفتح الإسلامي العسكري الشامل، استعداد المغاربة لإعلان الثورة على الخلافة الأموية من أجل العودة إلى الشرعية.

أما الفرق الناجية التي وصلت إلى بلاد المغرب، أهمها الإباضية والصفرية. وإن الإباضية والصفرية فرقتان متميزتان، وقد انفصلتا منذ بداية تاريخ الخوارج، وذلك من الناحية السياسية والعقدية معا[3]، ولم يحدث أن كان إمام الإباضية إماما للصفرية للخلاف الجوهري بين النحلتين؛ فالصفرية هم أتباع زياد بن الأصفر[4] وعقيدة الصفرية تمثل حلا وسطا بين الإباضية المعتدلين والأزارقة المتطرفين، حول التعرض لقتل الأطفال المسلمين المخالفين لهم ونسائهم وغيرها، وهم يجوزون التقية في القول دون عمل ولا يكفرون القعدة عن القتال، وإذ كانوا موافقين في الدين والاعتقاد[5].

ويرى حنظلة[6] بجواز السيف في الصفرية لأنهم يستحلون دماء المسلمين وسبي

الهدى، عين مليلة-الجزائر، ص46/ ابن عذاري: البيان، ج1، ص48.

(1) عبيد الله بن الحبحاب السلولي (116-123هـ)، فلما أفضى الأمر إليه، مناهم بالكثير أي خلفاء بني أمية وتكلف لهم وكلفوه أكثر مما كان؛ فاضطر إلى العسف وسوء السيرة. انظر: ابن عذاري: ن.م.س، ج1ن ص52.

(2) بن القوطية أبو بكر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص28.

(3) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: ن.م.س، ص66.

(4) زياد الأصفر (القرن الأول الهجري): كان من أتباع نافع بن الأزرق، ثم انفصل عنه وكون لنفسه فرقة خارجية عرفت بالصفرية، لها ما يميزها عن الفرق عنهم، وهناك اختلاف بين كتب الفرق والتاريخ فيما يخص انتساب الخوارج الصفرية لزياد بن الأصفر، أم عبد الله بن الصفار السعدي، انظر: الشرستاني: ن.م.س، ج1، ص134/ إسماعيل العربي: معجم الفرق، ص250.

(5) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر/ ن.م.س، ص26/ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ج2، ص534.

(6) حنظلة بن سفيان الكلبي، الولاية من (119-129هـ)، واليا على مصر ثم على إفريقية والمغرب، قتل

ذراريهم وأخذ اموالهم[1]، ربما للتجاوزات التي قاموا بها في المغرب، وخاصة في أحداث 122 هـ بقيادة ميسرة المدغري، ما نبرزه في وقته.

وإذا كانت رواية الإمام أفلح عن أبيه عبد الوهاب عن أبيه عبد الرحمن بن رستم تقول: بقدوم سلمة بن سعيد الإباضي[2] مع عكرمة[3] مولى بن العباس الصفري، في وقت واحد وهما راكبان جملا واحدا[4]؛ فإن الأستاذ حاجيات وآخرون، يرون أن النحلة الصفرية سبقت النحلة الإباضية في ميدان العمل الدعائي والحزبي ضد بني أمية في المغرب[5].

يبدو أن فيه داعية أو مجموعة من الدعاة سبقوا عكرمة البربري، ولأفتح قوسا هنا وأقول: إن الأستاذ الشيخ سليمان بن داود دخل في تناقض فيما يخص عكرمة، مرة يقول أنه يدعو إلى الإباضية وأخرى إلى الصفرية - راجع كتابه[6]-.

وعندما تمكن الصفرية في المغرب الإسلامي، استغلوا ظروف المغرب السياسية السيئة التي استحدثها عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ)، الوالي الجديد الذي

خوارج المغرب الإسلامي، انظر: ابن عذاري: ن.م.س، ج1، صص58-59.

(1) القيرواني (الرقيق): تاريخ إفريقية والمغرب (قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثالث هـ)، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس 1968م، 123.

(2) سلمة بن سعيد الإباضي: المتوفى في مطلع القرن الثاني الهجري «هو الذي وصل إلى المغرب يدعو الناس إلى هذا المذهب، وهو يتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في الآخر»، وهو الذي دل حملة العلم إلى المغرب على موضع أبو عبيدة بالبصرة، انظر: الشمخاني (أبو العباس أحمد بن سعيد): السير، طبعة القاهرة 1301هـ ص98/ أبو زكرياء يحي: ن.م.س، صص 26-27.

(3) عكرمة: عكرمة بن عبد الله البربري (25-105هـ)، مولى بن العباس، تابعي كان أعلم الناس في التفسير والمغازي، وروى عنه ما يقارب 300 رجل...ومن المغرب عاد إلى المدينة ولما طلبه أميرها اختفى حتى مات، انظر: الدرجيني (أبو سعيد أحمد) طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، تحقيق: أحمد إبراهيم طلاي، صص 11-12/ ميزان الاعتدال، ج2، ص208/ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، صص 265-266.

(4) أبو زكرياء يحي: ن.م.س،، صص 25-26.

(5) بورويبة رشيد وآخرون:ن.م.س، ص34.

(6) انظر مثلا سليمان داود بن يوسف: ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، ص24/ لنفس المؤلف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص50.

أراد تخميس البربر[1]؛ فتنح عنها وعن غيرها أعمال شغب «فثارت البربر بالمغرب الأقصى؛ فكانت أول ثورة فيه وفي إفريقية في الإسلام»[2]، كانت انطلاقتها من المغرب الأقصى (إقليم طنجة) بداية من سنة 122هـ/ 740م، ويظهر أنهم تجاوزوا كل الحدود بقتلهم أهل طنجة بما فيهم الصبيان[3]، وتحالفت فيها الصفرية مع الإباضية[4]. فإذا أساء السيرة عامل الخليفة وظلم المغاربة[5]، وشكل هؤلاء وفدا بقيادة ميسرة وتوجهوا إلى الخليفة هشام بن عبد الملك لإطلاعه على شؤونهم؛ فإن الخليفة لم يتمكن من استقبال الوفد المغربي، هذا لا يعني بالضرورة أنه كان متواطئا مع عماله في ما يقومون به من سلب ونهب وإرهاق لكاهل المغاربة بالجباية الباهضة.

وعندما قال ابن عذاري: «وفي سنة 122هـ كانت ثورة البربر بالمغرب؛ فخرج ميسرة المدغري رأس الصفرية، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة؛ فقتله وثارت البربر كلها مع أميرها ميسرة الحقير»[6] الذي ادعى الخلافة سنة 123هـ/ 740م.

وكما يقول المثل الشعبي الجزائري: «قلبي ملهوف عليك يا تلمسان»[7]؛ فإن المؤرخين الغربيين وتلامذتهم المخلصين من المشرق والمغرب، جعلوا منها مشكلة المشاكل، وأن الفاتحين ما قاموا به في المغرب إلا الإساءة والظلم والحرق والتدمير[8]. وعن ثورة المغاربة كان هدفها القضاء على السلطة العربية وقيام دولة البربر المسلمين،

---

(1) ابن عذاري: البيان، ج1، ص52/ ابن خلدون يقول: «انتقض البربر» وهي فتنة عنده، انظر ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص 221

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ج7، ص97/ ابن عذاري: ن.م.س، ج1، ص52.

(3) مؤلف مجهول: كتاب أخبار مجموعة في فتح الندلس وذكر أمرائها، تحقيق إسماعيل العربي، ص109.

(4) ن.م.س، ص109.

(5) خطاب (محمود شيت): قادة فتح المغرب العربي، ج1، ج2، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1984م، ص177.

(6) ابن عذاري: ن.م.س، ج1، ص52.

(7) من الأمثال الشعبية المتداولة في الجهة الغربية من الجمهورية الجزائرية.

(8) Charles André julien : Histoire de l'Afrique du nord, p .29.

وتكشف كلها عن المرارة التي شعر بها البربر اتجاه العرب[1].

وإذا كان الاستبداد والجور طبيعة بشرية، رافقت العديد من الحكام طيلة تاريخ السلطة في أي بلد من البلدان وفي أي زمن من الأزمنة، والانتفاضات الشعبية كانت وستستمر، ولم تقتصر على أمة دون الأمم الأخرى. وكيف تفسرون الثورات التي قام بها البربر ضد السلطة البربرية، والتي قام بها العرب ضد الحكام العرب؟

ونتج عن الثورات المتلاحقة في المغرب، قيام العديد من الدويلات المنفصلة عن الخلافة الأموية ثم العباسية. أخص بالذكر الدولة الصفرية في تلمسان، والدولة الإباضية في تيهرت؛ فالدولة الصفرية في أحواز تلمسان (122-164هـ/ 740-780م)[2]، ومن أشهر زعمائها أبو قرة بن دانوس اليفري الصفري[3]، الذي تمكن من جمع صفرية المغربين الأوسط والأقصى، واتخذ من تلمسان قاعدة له[4]، وحققت هذه الثورات الاحتجاجية مكتسبات لها في إقامة العديد من الدويلات المنفصلة عن الخلافة العباسية، ابتداء بالإمارة الحميدية 91هـ وانتهاء بقيام الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، ورغم ما أظهره من شجاعة وبسالة، إلا أنه في نظر البعض، أمثال الأستاذ دبوز لم يكن في مستوى خالد بن حميد الذي سبق أبا قرة في رئاسة زناتة، أي أن أبا قرة كان أقل دهاء وعبقرية من سلفه خالد بن حميد[5]، لأن الأول تصدى للجند العربي، وهزمهم في أكثر من وقعة.

(1) أبو العرب (محمد أحمد بن تميم القيرواني): طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: نعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر، م.و.ك، الجزائر، ط2، 1985م، ص7 (الهامش المحققان)/ حاجيات عبد الحميد، مقابلة في الفندق الملكي بمدينة وهران، يوم 15 يونيو 1999م.

(2) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص225/ ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص169.

(3) بني يفرن قبيل من زناتة وفي هذه الفترة مع بني مغراوة كانوا من أعظم بطونها. ابن عذاري: البيان، ج1، ص66.

(4) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص225/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص347.

(5) دبوز (محمد علي): تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص35.

فإذا كانت الدولة الصفرية في (تلمسان) لها قيمها ومبادئها التي تعتمد عليها في نظرها؛ فإن صفرية ورفجومة استباحت كل شيء وخرجت عن الدين الإسلامي، بدليل أن زعيمها عاصم[1] الكاهن ادعى النبوة، وأتى بدين جديد، وأعود إلى ذلك في الحياة الاجتماعية والثقافية.

ولما استولت ورفجومة على القيروان، قتلت كل من كان قريشيا وهذا بعد تعذيبهم، كما ربطوا دوابهم في المسجد الجامع[2]، واستنكر هذا الفعل الشنيع معظم خوارج المغرب، «وأنكرت ذلك من فعل ورفجومة ومن إليهم من نفزاوة برابرة طرابلس الإباضية من هوارة وزناتة؛ فخرجوا واجتمعوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن الشيخ المعافري[3] سنة 140هـ، وورفجومة هذه قبيلة من نفزة[4]، كانت تقيم في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري في الجنوب الغربي من إفريقية[5]، وبتصدي الإباضية لها وإجلائها عن القيروان وتمكنهم منها[6]، تخلت ورفجومة عن المذهب الصفري المتطرف ودخلت المذهب الإباضي[7].

وإذا قلت ذلك عن ورفجومة؛ فغرضي أن أميز بين الفصيلين، وإذا كانت معظم معلوماتنا عن الصفرية اليفرينية هي عسكرية[8]، كانت نظيفة في معظمها سواء مع إباضية تيهرت أو الخلافة العباسية، وحتى مع دولة الحميديين[9]، كما قدموا مساعدات

---

(1) عاصم بن جميل الورفجومي النفري (138-142هـ). انظر ابن عذاري: البيان، ج1، ص70.

(2) الرقيق القيرواني: تاريخ المغرب، ص141/ ابن عذاري: البيان، ج1، ص70/ ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص224.

(3) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج6، ص224.

(4) الرقيق القيرواني: ن.م.س، ص140.

(5) دبوز: ن.م.س، ج3، ص88.

(6) ابن عذاري: البيان، ج1، ص71/ ابن خلدون: ن.م.س، ج6، ص224.

(7) دبوز: ن.م.س، ص88.

(8) Charles André julien :Ibid, p.32.

(9) دولة الحميديين: هي أولى الإمارات العربية في المغرب الأقصى، وكانت بدايتها إقطاعا، من قبل الوليد بن

إلى الأمويين وبالخصوص عبد الرحمن الداخل، لما حلّ بالمغرب قبل ولوجه إلى الأندلس.

أما الفرقة الإباضية: فهم من الخوارج ينسبون إلى عبد الله بن إباض، وهو من بني مرة بن عبيد من تميم من رهط الأحنف بن قيس[1]، وهي الأخرى تفرقت إلى العديد من الفرق، أشهرها: الحفصية، الحارثية، اليزيدية[2]، ولكن هذه الفرق يجمعها القول: «بأن كفار هذه الأمة، براء من الشرك والإيمان وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم»[3].

إلا أنّ اتباع الإباضية الحالية ينكرون النسب إلى عبد الله بن إباض[4]، ويصرون على أنهم أتباع جابر بن زيد[5] وابن سلام الإباضي المتوفى في القرن 3هـ، من أقدم مصادر الإباضية يذكر جل علمائهم وأئمتهم ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد لعبد الله بن إباض المنتسبة إليه الطائفة الإباضية، ويبدأ القائمة بجابر بن زيد الأزدي ويجعله أعلم أهل الأرض[6]، كما أنه لم يتطرق للتقارب الذي حدث بين الإباضية وبني أمية في عهد عبد الملك بن مروان (26-86هـ)، وخصوصا في عهدي عبد الله بن إباض وجابر بن زياد (61-86هـ)، حيث أصبح الأول مستشارا للخليفة[7]، مطبقين مبدأ التقية للعوامل التي حدثت بعد وفاة عبد الملك بن مروان، وخروج جابر بن زياد إلى عمان

عبد الملك إلى صالح بن منصور الحميدي من عرب اليمن، ومن الفاتحين الوائل سنة 91هـ، انظر: دروزة محمد عزة: العرب والعروبة من القرن 3هـ حتى القرن 4هـ، دار اليقظة العربية، دمشق-سورية، 1960م، ص371.

(1) ابن قتية: المعارف، ص622

(2) البغدادي (الإمام عبد القاهر) : الفرق بين الفرق، صص103-104.

(3) ن.م، س، ص103.

(4) ابنسلام: الإسلام، ص129.

(5) جابر بن يزيد(18-93هـ): أحد أكبر العلماء والذي يسمونه عمدة المذهب الإباضي، انظر: ابن سلام: الإسلام، ص13/ إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ص40.

(6) انظر ابن سلام:ن.م.س، ص129.

(7) أبو زكرياء يحي: ن.م.س، ص3.

فارا من الحجاج. والأستاذ دبوز يبدو له أن كل من هادن بني أمية فهو على الأقل خائن، وماذا يقول الأستاذ عن الدولة الرستمية في علاقاتها مع الدولة الأموية في الأندلس؟

وللعوامل السابقة بعث الإباضية دعاتهم إلى بلاد المغرب، وتمكنوا من نشر مبادئهم بين مختلف القبائل البربرية بما فيهم زناتة التي كانت تقوم بدعوة الأمويين، لما كان بين جدهم خزر بن صولات وعثمان بن عفان (ض)، حيث أسلم على يديه وعقد له إلى قومه[1].

وبالرغم من سقوط الخلافة الأموية في سنة 132هـ/ 749م، إلا أنّ حركة التمرد والعصيان بقيت مستمرة، لأن لاشيء تبدل بالنسبة للخوارج، وحتى للشيعة الزيدية- المعتزلة بل العكس[2].

وبعودة بعثة (حملة العلم) التي من بينها أبو الخطاب الذي عينه أبو عبيدة رئيسا، وعبد العلا بن السمح المعافري وعبد الرحمن بن رستم الداعية الإباضي الشاب بحلوله على المغرب الأدنى، اختارت له أمه فتاة من بني يفرن، لتجعل بهذه المصاهرة قربة ومودة ورحمة وحتى تضحى قبيلة بني يفرن العظيمة والقوية عصبيته التي تعزز جانبه، وترفع رأسه وتحمي ذماره، والمكانة الأدبية التي كانت تتمتع بها هذه الأسرة الرستمية وعنايتهم بالعلوم والفنون وحرصهم الشديد على تطبيق الشورى التي هي روح الإسلام، هي أحد أصول السياسة الداخلية للدولة الإسلامية، وهذا في زعمهم، وما هي إلا شهور قلائل حتى ولي عبد الرحمن الفارسي، قاضي طرابلس، وأحد زعماء الإباضية على إفريقية، وقسم من بلاد المغرب الأوسط، وكان ذلك في سنة 141 هـ.

ولما تمكن محمد بن الأشعب والي إفريقية من قبل المنصور من البربر، وقتل زعيمهم، أبا الخطاب في السرت، فر عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى تيهرت بالغرب الأوسط. وإجتمعت عليه طوائف البربر الإباضية من لماية ولواته، وبني يفرن ... فنزل بها (تيهرت) واختط مدينتها سنة 144 هـ.

(1) ان عذاري: البيان، ج1، ص252.

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، صص 16-17.

والتقارب الإباضي الصفري، رغم الخلاف العقائدي بين المذهبين، يمكن إرجاعه إلى العديد من الروابط الإجتماعية والسياسية . كرباط المصاهرة الذي عقده عبد الرحمن مع بني يفرن، والتحالف الفارسي مع قبيلة لماية زناتية، ودخول العديد من قبائل زناتة لأي المذهبين، والعدو المشترك الواحد بني هاشم خاصة آل البيت.

وعزم المنصور الخليفة العباسي، على إخضاع الأقاليم التي غلب البربر عليها في المغرب وأمام هذه الضربات العباسية الموجعة. إتفق عبد الرحمن مع أبي قرة زعيم دولة تلمسان على توحيد فصائل البربر، لطرد العباسيين من إفريقية . وبهذه الخطوة الوحدوية، قويت الحركة الخارجية، وشنت 375 وقيعة على الخلافة . في تونس وإفريقية.

وكان من نتائجها الأولى محاصرة جيش الخلافة الإسلامية، وقتل أبو حاتم الإباضي، عمرو بن حفص سنة 154 هـ.

ولم تهدأ الأوضاع في إفريقية إلا في ولاية يزيد بن حاتم (155 – 170 هـ)، حيث تمكن من طرد الخارجية، عن بلاد إفريقية وأرسى أسس الدولة بها. وقام بإصلاحات داخلية، وجعل لكل حرفة سوقا خاصة بها، وشهدت البلاد في أيامه إزدهارا لم تشهده من قبل.

أما بقية بلاد المغرب، فعرفت أوضاعا جد سيئة نتيجة ثوارت الخوارج الكبرى والتي دامت حوالي 60 سنة. وهذه الأنتفاضات والثورات كانت كافية للقضاء على البنية الإقتصادية والإجتماعية في المغربين الأوسط والأقصى.

أما الإنتعاش الإقتصادي لم يعرف إنطلاقته، إلا مع قيام دويلات المغرب المنفصلة عن الخلافة العباسية . الدولة الأموية في الأندلس والدولة الرستمية في المغرب الأوسط، والدولة الصفرية في سجلماسة، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى، والدولة السليمانية في المغرب الأوسط.

الفصل الثاني
الحياة السياسية والحضارة للدولة السليمانية والإمارات العلوية

أ/ سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ض)

من الأنسب والأفضل أن نقدم ترجمة لمؤسس الدولة السليمانية، ألا وهو سليمان بن عبد الله ... ! وهذا لاعطاء فكرة ولو تقريبية عن حياة الرجل السياسية والعسكرية والعلمية والدينية، و حتى يتفاعل معها الدارس، من يكون سليمان بن عبد الله ؟ من الأحسن والأجدر، أن نتحدث عن المدرسة التي تخرج منها سليمان بن عبد الله قبل الحديث عنه.

إنه خريج مدرسة عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ض)، وكان يكنى بأبي محمد[1]، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (ض)، فتزوجها ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي، فولدت له عبد الله وإبراهيم وحسنا وزينب[2]، وفاطمة هذه عمة زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم.[3] أما لماذا وسم بالمحض؟ لأن أباه الحسن بن الحسن، وأمه فاطمة بنت الحسين. واشتهر بأنه انتهى كل حسن إلى عبد الله بن الحسن، وهذا ما حدّث به علي بن أحمد الباهلي[4] قال : سمعت مصعبا الزبيري يقول «انتهى كل حسن إلى عبد الله بن الحسن» وكان يقال : «من أحسن

---

(1) إبن قتيبة : المعارف، 122.

(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج 8، ص 473، 474.

(3) ابن الأثير : الكامل، ج 4، ص 240.

(4) أحمد الباهلي، توفي في أصفهان 231 هـ/ 845 م . تتلمذ على الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد في البصرة، وقد عاش في بغداد، أما ابنه علي لم أجد ترجمة له.

الناس؟ فيقال عبد الله بن الحسن، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن، ويقال من أقول الناس ؟ فيقال عبد الله بن الحسن»[1]. وسئل رحمه الله مرة، حيث قيل له، بما صرتم أفضل الناس ؟ قال : لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد[2]، وكان خيرا فاضلا وكان يشبّه برسول الله، وشيخ بني هاشم[3]، كما سمي بعبد الله الكامل لما قلناه سابقا.

أما من مواقفه الكريمة فكثيرة ما ناظر زيد بن علي، وإذا قام من عنده أسرع عبد الله إلى دابة زيد فأمسك له بالركاب[4]، رئي يوما عبد الله يمسح على خفيه[5]، فقيل له تمسح «فقال نعم، قد تمسح عمر بن الخطاب، ومن جعل عمر بن الخطاب بينه وبين الله فقد استوثق.»[6]، وهذا يبرز موقفه من الخليفة الثاني. وكان الكامل يقول : إلى إبنيه محمد وإبراهيم : «إن منعكما أبو جعفر المنصور أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين»[7]. ولما سأله أبو جعفر عن محمد ذو النفس الزكية، أين ابنك ؟ قال لا أدري، قال : لتأتيني به، قال : لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما عنه.[8] ولهذه المواقف النبيلة، تم حبسه مع عائلته المعارضة للإستبداد. «وحبسوا في سرداب تحت الأرض، لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل ... حتى ماتوا، وذلك على شاطئ الفرات بالقرب من قنطرة الكوفة، ومواضيعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت، وهي سنة 332 هـ.» [9]

(1) الأصفهاني : مقاتل الطالبين، ص 181.

(2) الداوودي : ن، م، س، ص 82.

(3) ن، م، س، ص 82.

(4) الأصفهاني : مقاتل الطالبين 129.

(5) المسح على الخف : إمرار اليد على الشيء الممسوح، انظر، قلعتجي محمد رواس، قنيبي حامد صادق : معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، 1405 هـ ص 428.

(6) ابن قتيبة : المعارف ص 212.

(7) الطبري : ن، م، س، مج 4، ص 415.

(8) ن، م، س، ص 406

(9) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، ص 299.

وكلّف الربيع رسالة[1] شفوية إلى المنصور : «قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والملتقى يوم القيامة»[2]. فمات في الحبس ومات معه ابناه حسن، وداود.[3] اما أم سليمان بن عبد الله فهي عاتكة بنت عبد الملك، وهي أم عيسى وسليمان وإدريس، وهي التي صاحت في وجه المنصور، لما قبض أموال عبد الله زوجها قائلة : «يا أمير المؤمنين أيتامك بنو عبد الله بن الحسن مات أبوهم في حبسك، وأمرت بقبض ضياعهم».[4] هذه المدرسة الكاملية (المحضية)، تخرج فيها العظماء أمثال : محمد ذو النفس الزكية[5] إبراهيم[6]، موسى الجون[7]، يحيى صاحب الديلم[8]، سليمان[9]، إدريس[10]، ... وإليكم نظم صاحب الشجرة القادرية :

محمد إبراهيم موسى ... سليمان إدريس وعيسى

كل الثلاثة أشقاء فريق ... يحيى ومـاله شقيـق[11]

---

(1) الربيع : هو أبو الخصيب الربيع بن يونس المتوفى سنة 169 هـ والتي استوزر فيها وكان قبل ذلك حاجب للمنصور ثم لابنه من بعده، أنظر، إبن الأثير : الكامل، ج 5، 75.

(2) المسعودي : ن، م، س، ص 300.

(3) ابن قتيبة : المعارف ص 212، 213.

(4) الأصفهاني : ن، م، س، ص 396.

(5) محمد ذو النفس الزكية : أنظر، الفصل الأول من هذه الرسالة، صاحب ثورة 145 هـ ص 28.

(6) إبراهيم إبن عبد الله، أنظر، الفصل الأول من هذه الرسالة، ص 29 شارك إلى جانب أخيه محمد في ثورة 145 هـ قتيل باخمري.

(7) موسى الجون : ابن عبد الله الكامل، عينه أخاه محمد ذو النفس الزكية على بلاد الشام، أنظر، ابن الأثير : الكامل، ج 5، ص 7، 11.

(8) يحيى : ظهر يحيى بن عبد الله الكامل سنة 176 هـ وأمنه الرشيد وعندما مسك به، حبسه إلى أن مات، أنظر، ابن الأثير : الكامل، ج 5، ص 70.

(9) سليمان : المترجم له.

(10) إدريس : عرف بإدريس الأكبر، فرّ إلى المغرب الأقصى، وأقام دولة الأدارسة في وليلي سنة 172 هـ

(11) الخشلاف (عبد الله بن محمد) : سلسلة الأصول في ذكر أبناء الرسول، ص-19.

ولم يتطرق إلى الحسن، وداود الذين ماتا في سجن المنصور حسب رواية ابن قتيبة كما ذكرنا، هذه المدرسة النقية ما خاب فيها أحد، فبعد أن تعرفنا على هذه الدوحة الطاهرة التي نشأ فيها سليمان بن عبد الله الكامل.

فإنني أقول إنه من مواليد نهاية الربع الأول من القرن الثاني الهجري نحو 120 هـ، للإعتبارات الآتية : هو وأخوه إدريس نحو هذه السنة، لأن عبد الله أبوهما توفي في سجن المنصور سنة 144 هـ[1]، وإذا كان عبد الله أقام في الحبس ثلاث سنين[2]، معنى ذلك أنه خرج إلى بلاد المغرب قبل 141 هـ، يدعو إلى أخيه محمد ذو النفس الزكية ونزل تلمسان، ولم يشارك في ثورتي 145 هـ، يستنتج من ذلك أنه كان بالغا راشدا شجاعا عارفا بأصول الدعوة الزيدية، مطلع على مبادئ الإعتزال يعتقد ناجي حسن وأمثاله. «إن أهل البيت يختلفون عن سائر الناس، في إكتساب العلوم والمعارف ذلك أنهم لا يتعلمونها من أحد، وإنما العلم يحصل لهم قبل التعلم فطرة وضرورة» [3]، هذا يحصل مع سليمان وأخوته ومع من تمسك منهم بتعاليم الإسلام، لا مع كامل السلالة الشريفة في إعتقادي.

وإذا كان ابن أبي زرع يرى أن من وصلها (بلاد المغرب)، من رجال محمد ذو النفس الزكية أخوه عيسى[4]، فإن الحشلاف يرى غير ذلك إن مولانا[5] سليمان هو أول من دخل المغرب، ونزل بتلمسان[6].

وإذا كان سليمان بن عبد الله دعا في الوهلة الأولى إلى أخيه محمد ذو النفس الزكية فإنه بمجرد أن سمع بموت أخيه ومبايعة الحسين بن علي «أخذ يدعو إليه، ويبدو أنه أحرز

(1) ابن الأثير : الكامل، ج 4، ص 375.

(2) الأصفهاني : ن، م، س، ص 216.

(3) ناجي حسن : ثورة زيد بن علي، ص 187.

(4) ابن أبي زرع : ن، م، س، ص 15.

(5) مولى : ج، موال، تطلق على السيد، الشريف، من العلويين في المغرب، ولا زالت تستعمل إلى اليوم.

(6) الحشلاف : (عبد الله بن محمد) : سلسلة الأصول، ص 116.

نجاحا ملحوظا قبل عودته إلى المشرق للمشاركة في ثورة الحسين ضد العباسيين،»[1] وإن مشاركة سليمان في ثورة 169 هـ باتت أكيدة، إلا أن إختلاف المؤرخين في قتله أو عدم قتله بفخ.

جل المصادر العربية الإسلامية التي تطرقت إلى الثورة المذكورة، وأمكنني استخلاص الآتي : «إن المؤرخين انقسموا إلى ثلاثة رؤى متباينة، الفريق الأول : ومنهم الطبري[2]، أبو الفداء[3]، وأبو الفرج الأصفهاني[4] ... يتفقون على مقتل سليمان بن عبد الله بفخ»، أما المسعودي في المروج فيقول : «أسر في هذا اليوم وضربت رقبته بمكة صبرا»[5].

أما الفريق الثاني : ومنهم الأشعري[6]، ابن الأثير[7]... فلا يذكرون سليمان بن عبد الله لا من المقتولين ولا من الفارين.

وأما الفريق الثالث والأخير : وهم يمثلون العدد الأكبر ومنهم ابن عذاري[8]، وصاحب مفاخر البربر[9]، وعبد الرحمان بن خلدون[10]، ويحي بن خلدون[11]،

(1) إسماعيل محمود : الأدارسة (172 375 هـ)، ص 48.

(2) الطبري : الأمم والملوك، مج 4، ص 599.

(3) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل : المختصر في أخبار البشر، ج 2، ص 11.

(4) الاصفهاني : ن، م، س، ص 451.

(5) المسعودي : مروج الذهب ... ج 3، ص 327.

(6) الأشعري : مقالات الإسلاميين، ج 1، ص154، 155.

(7) ابن الأثير : الكامل (في كامل الأجزاء).

(8) ابن عذاري : البيان المغرب، ج 1، ص 210، 211.

(9) مؤلف مجهول : مفاخر البربر، تحقيق : بوباية عبد القادر، رسالة ماجستير تحت اشراف الدكتور غازي جاسم، من جامعة وهران، معهد التاريخ، 1995/ 1996 م، ص 113.

(10) عبد الرحمن ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 24.

(11) يحيى ابن خلدون : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق : عبد الحميد حاجيات، م. و. ج. الجزائر، 1400 هـ/ 1980 م، ص 91.

والبكري[1]، ... وكلهم مغاربة، أكدوا دخول سليمان المغرب، ونزل تلمسان، وملكها ... وأنا أرجح الفريق الثالث، فيما ذهب إليه للأدلة الآتية التالية : ميلاد محمد بن سليمان بمذكرة[2]، دليل على وجود سليمان في المغرب الأوسط رفقة عائلته، والدليل الثاني وجود قبر سليمان بتلمسان وهذا من خلال قصيدة مشهورة من بين ما جاء فيها :

وثالثهم مولاي سليمان فقبره في ثغور تلمسان[3]

والدليل الثالث إمتلاك سليمان للمغرب الأوسط «قد فر إلى المغرب في أيام بني العباس بعد أخيه إدريس إلى تلمسان فملكها وما معها من بلاد المغرب الأوسط»[4] الدليل الرابع «لحق بإدريس أخوه سليمان، وكان ممن حضر وقعة فخ ونجا على الصحيح»[5]، وكانت وفاته رحمه الله حوالي سنة 195 هـ. مما أحدث إضطرابات سياسية في الدولة السليمانية، ولم يتمكن محمد بن سليمان من القضاء على فتنة الخوارج الصفرية بتلمسان، إلا بمساعدة الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل سنة 199 هـ.

ب / نبذة تاريخية عن علويي المغرب الأوسط

من الصعاب التي تلاقي الباحث في تاريخ المغرب الأوسط خلال العهد السليماني، لا يميز معظم المؤرخين بين أبناء سليمان وإدريس، وفي معظم الأحيان يلحقون أبناء

(1) البكري (أبي عبيد) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، 1857 م، ص 122.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 109/ صادق محمد حاج، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989 م، ص 22.

(3) العشماوي (أحمد بن محمد) : السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961 م، ص 241.

(4) السويدي (أبو الفوز محمد الأمين البغدادي) : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1329 هـ ص 79.

(5) مبارك محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ن تحقيق : محمد الميلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1396 هـ/ 1976 م، ص 475.

سليمان بإدريس رحمات الله عليهم. كما ألحقوا أبناء جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ض) بإدريس. ولم يكن ذلك مقتصرا على الدوحة الحسنية الشريفة، بل إمتد إلى دوحة الحسين بن علي بن أبي طالب (رضوان الله عليهم)، مع أحفاد الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن أبي طالب (ض)، الذين ملكوا هاز[1]، وسوق حمزة[2]، أي الإقليم الشرقي من الدولة السليمانية.

أما لماذا هذا الإلحاق بالإمام إدريس الحسني العلوي ؟ هناك عوامل كثيرة من وراء ذلك، منها إن إدريس بن عبد الله الكامل هو الأول من دعيّ له في المغرب كإمام للشيعة، وكذلك شهرته التي عمت الآفاق، مشرقا ومغربا وتمكنه من إقامة أول دولة شيعية في التاريخ[3]، وأحد الفواتح الثلاثة الكبار الحقيقيين للمغرب[4]، ومؤسس «أول دولة عربية مستقلة في المغرب، تم إقتطاعها من جسم الخلافة العباسية، وإزالة كل سلطة دينية أو سياسية كانت عليه» [5]، وأخلاق آل البيت التي تميزت بها عند المغاربة، بالإضافة إلى تستر بقية الدوحة عن نفسها أمام الأخطار المحدقة بها، في بحر الأهوال (الخارجية، العباسية والأموية ...)، والدليل على ذلك الإمام سليمان بن عبد الله المحض لما دعا إلى نفسه بنواحي تيهرت اشتبهوا فيه، فما كان عليه إلا أن نجا بنفسه إلى مقر إقامته بتلمسان[6].

(1) هاز : مدينة سليمانية تقع إلى الغرب من الزاب (إلى الغرب من المسيلة)، على نهر شتوي، كانت إحدى الإمارات العلوية، أجلى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي، أنظر، اليعقوبي : البلدان، ص 108/ البكري : المغرب، ص 143، راجع الفصل الثاني، الحياة السياسية، من هذه الرسالة، ص 69.

(2) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 55.

(3) وقد أشار إلى أن الدولة الإدريسية دولة شيعية الميلي، لقبال، سعدون عباس، حتي من المؤرخين المعاصرين، إلا أن المؤرخين القدماء أحجموا عن وصفها بالدولة الشيعية، أنظر، الميلي : ن، م، س، ص 469/ لقبال : دور كتامة، ص 207/ سعدون عباس : ن، م، س، ص 116/ حتي : تاريخ العرب المطول ص 541.

(4) كنون عبد الله : النبوغ في الأدب العربي، ج 1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، لبنان، ط 2، 1961 م، ص 15، 16.

(5) ن، م، س، ص 15، 16.

(6) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 242/ محمد شيت خطاب. قادة فتح المغرب العربي، ج 2، ص 221.

وعملا بالقاعدة التي تقول «إن العم أب عند العرب»ولو كان عمّا له لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلاها واحدا ونحن له مسلمون»[1] والذي ذهب إلى أن العم أب[2].

وهذا شائع عند المغاربة، الإنتساب إلى العم إذا كان مشهورا وفاضلا ومن أدلتنا على ذلك ما ذكر التنسي عن محمد المتوكل على الله الزياني (866-873 هـ). «لما كان نسب أمير المؤمنين مولانا المتوكل نصره الله، يختص من بني عبد الله الكامل بإدريس عند قوم، وبأخيه سليمان عند آخرين»[3]، هذا مع عائلة مالك للمغرب الأوسط، من المشهور أن تكون أصولهم معروفة، فما بالك مع عامة الشعب.

وهذا ما درج عليه المؤرخون والجغرافيون الذين كتبوا عن المغرب، ومن أمثلة ذلك قبائل الجنوب الوهراني، أولاد سيد الشيخ (أحمد المجدوب، محمد بن عبد القادر)، [4] أولاد سيدي خليفة (أحمد، مسعود) وهم أخوة، والخليفة هو أحمد، ولا يميز بين أبناء الشقيقين، إلا العارفون بعلم الأنساب.

قدمت هذا لأجعل المتتبع لهذا العمل المتواضع في الصورة، لأنه يمكن أحيانا أن يقوم فصيل علوي بفعل تاريخي وينسب إلى فصيل آخر من الفصائل التي أقوم ببحثها، فمثلا ابن خرداذبة يقول : «وفي يد ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن ... تلمسن (كذا)»[5]

---

(1) سورة البقرة، الآية 133.

(2) النويري (شهاب الدين أحمد بنعبد الوهاب) : نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الثاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، القاهرة (ب، ت)، ص 280.

(3) التنسي (أبي عبد الله) : تاريخ دولة الأدارسة «من كتاب نظم الدر والعقيان «تحقيق : أ. عبد الحميد حاجيات، م.و.ك. الجزائر، 1984، ص 33.

(4) قبيلة : مغربية تنسب إلى الخليفة الثاني، أبي بكر الصديق (ض)، مضاربها بالمغربين الأوسط والأقصى، أنظر، سيد الشيخ محمد بن عبد القادر : الياقوتة، (ب، لا)، (ب.ت)، المقدمة، ص 5.

(5) ابن خرداذبة : المسالك والمهالك، ص 88، 89.

وهي في يدي ولد سليمان بن عبد الله الكامل، وليس إدريس، والوزاني الفاسي يقول : «إذا كان الأمير عليها أحد أعمام إدريس مؤسس مدينة فاس، واستمرت إمارة الأدارسة عليها ...»[1] يعني مدينة تاقدمت (قرب تيهرت) والصحيح إن الحسن بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، وأحفاده كانوا عليها وأن الحسن هو ليس عم إدريس الثاني، وإنما هو إبن عمه، وغيرها كثير.

ج / نشأة الدولة السليمانية.

حدود الدولة : إذا كان لا بد من تحديد المجال الجغرافي للدولة السليمانية والإمارات العلوية هذا لا يعني بأي حال من الأحوال تقزيما للأمة الإسلامية ووحدتها الحضارية والتاريخية .«لم يكن من شأن هذا الإنقسام وتعدد أمراء المؤمنين، أن يؤدي إلى ضيق في معنى الإسلام، أو في الوطن الإسلامي، بل صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الإسلام تميزا لها عن مملكة الكفر، وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة»[2]، وهذا شيء معلوم لدى جل العارفين بالتاريخ الإسلامي وأسرني نص للأستاذ : محمد حاج صادق جاء فيه ما يلي : «ولم يكن بين تلك الآيالات الثلاث (دول المغرب) حدود بالمعنى العصري لهذه اللفظة وإنما كان بينهما تخوم لا محل بها للشرطة ولا للديوانة، فكان المسلم في دار الإسلام غربا وشرقا يشعر دائما بنفسه في وطنه سواء كان سنيا أو غير سني، فالأفكار العصرية في معنى الجنسية كانت معدومة تماما في ذهنه والحقيقة الوحيدة كانت وقتئذ دار الإسلام لا غير».

وظاهرة الحدود غير الرسمية والثابتة كانت عامة في سائر الدول الإسلامية آنذاك وهذا انطبق كذلك على الدول المجاورة لها كالدولة الأغلبية، والرستمية والإدريسية وخلاصة القول : «أن فكرة الحدود بمعناها الحالي، لم تكن معروفة في تلك العصور»[3].

(1) الوزان الفاسي : وصف إفريقيا، ج 2، ص 40، 41.

(2) متز آدم الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج 1، تر : محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1967 م، ص 21.

(3) بكير بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية (160 – 296 هـ) (777 – 909 م) دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، رسالة ماجستير لسنة 1984 م، من جامعة بغداد، كلية الآداب، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، 1994 م، ص 98.

وإنما غرضي من ذلك ضبط المجال الجغرافي والسياسي، وبيان الإسهامات الحضارية للمغرب الأوسط، في الحضارة العربية الإسلامية إبان تلك الفترة، مع الإقرار مسبقا إن الحدود كانت مائعة، خاصة مع الدولة الرستمية. وإليكم الحدود التقريبية للدولة السليمانية والإمارات العلوية.

يحدها من الشمال بحر الروم[1] (البحر الأبيض المتوسط) وهو الحد الطبيعي الوحيد لهذه الدولة الفتية. ومن الناحية الشرقية، نهاية حد إقليم الزاب من جهة الغرب[2]، ثم إلى نواحي سطيف وتيفاش[3] وبشرة[4] والغدير[5] (قريبة من برج بوعريريج) ومجانة المطاحن[6][7]، أما حدودها الجنوبية، فكانت دائما تتسع على حساب الدولة الرستمية، خاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أي بعد سنة 258 هـ، وإن كانت الدولة الرستمية في معظم تاريخها، لم تتوسع شمالا «فلا هي متطرفة جنوبا ولا شمالا»[8] فإن السليمانيين كثيرا ما توسعوا على حساب جيرانهم الرستميين «لم يقتصر العلويون في مد نفوذهم السياسي والروحي على المناطق الساحلية فقط بل توغلوا في المناطق الداخلية أيضا»[9] والدليل إقامة مدينة الهاز (قرب مدينة المسيلة) وإمارة تاقدمت

(1) ابن خلدون : ترجمان العبر ... ج 6، ص 196.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(3) تيفاش : تقع على الطريق الرابط بين القيروان وقلعة أبي طويل، «وهي مدينة أولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة »، أنظر، البكري : المغرب، ص 53.

(4) بشرة : وهي قاعة بشر بن أرطاه، إفتتحها موسى بن نصير، وهي في نواحي مجانة، أنظر، البكري : المغرب، ص 145.

(5) الغدير : مدينة حسنة، وأهلها بدو ولهم مزارع ... وبينها وبين القلعة ثمانية أميال وبين المسيلة والغدير ثمانية عشر ميلا، الإدريسي : النارة، ص 162.

(6) مجانة : أو مجانة المطاحن، أو مجانة المعادن، وهي مدينة كبيرة، عليها سور طوب وبها جامع وحمامات ومعادن كثيرة، الإدريسي : ن، م، س، ص 194/ البكري : ن، م، س، ص 195.

(7) خطاب محمود شيب : ن، م، س، ص 223.

(8) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1980 م، ص 166.

(9) موسى لقبال : زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، العدد 26، الجزائر، ص 96.

(تيهرت القديمة) والتي «إستمرت إمارة الأدارسة (يعني السليمانية) فيها زهاء 150 عاما»[1]. أما الحدود الغربية، فبمجرد أن سلم إدريس إلى أخيه سليمان السلطة في تلمسان، أصبحت الحدود الغربية للدولة السليمانية تمتد إلى أرض الريف[2]، وأحيانا أخرى إلى نهر ملوية.

وبهذا تكون الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، تمتد من أرض الريف غربا حتى أرض الحضنة من قسنطينة شرقا[3]، ومن الشمال بحر الروم، ومن الجنوب سلسلة الأطلس التلي، وإن تغلغلت أراضيها أحيانا إلى السهول العليا (إقليم النجود) كأراضي إمارة هاز، وتاقدمت.

تلمسان عاصمة الدولة السليمانية الموقع : تقع تلمسان في الجهة الغربية من المغرب الأوسط «وهي أحسن مدن الشمال الإفريقي الغربي موقعا، لكونها في ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى»[4].

أما موقعها الفلكي فهي تقع على دائرة عرض °34.52 شمالا، وخط طول °1.30 غرب غرينيتش[5]، وعلى إرتفاع 830 م، على مستوى سطح البحر، [6]ومدينة تلمسان على الجانب الشمالي من سلسلة لالة ستي[7][8]، وفي شمالها، يمتد سهل الحنايا العظيم،

(1) الحسن الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ج 2، ص 41.

(2) عويس عبد الحميد : دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)، رسالة ماجستير، من جامعة القاهرة، كلية الآداب، (ب، ت)، دار الشروق بيروت، لبنان، 1980 م، ص 35.

(3) ن، م، س، ص 35، 36.

(4) شاوش محمد بن رمضان : باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1965 م، ص 29.

(5) الإدريسي : ن، م، س، ص 149، الهامش (المحقق)، إسماعيل العربي.

(6) ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد المديوني) : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق : محمد بن أبي شنب، وتعليق : طالب عبد الرحمن، د.و.م.ج، الجزائر، ط 2، 1986 م، ص 8، المحقق، والمقدم./ بلغرد محمد : تلسمان، مجلة الأصالة، العدد 26/ شاوش : ن، م، س، ص 29.

(7) شاوش : ن، م، س، ص 33.

(8) لالة ستي : إمرأة صالحة، تلميذة سيدي أحمد بن يوسف، كان هذا في القرن 10هـ/16 م. المتواتر لدى سكان الجهة.

الغني بمنتوجاته المختلفة ... وموقعها الفلكي عند ابن سعيد «تقع تلمسان المشهورة حيث الطول أربع عشرة درجة، وأربعون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وإثنان وأربعون دقيقة.»[1]

التسمية : ضبطها، تلمسان بكسرتين وسكون وسين مهملة والبعض يقول : تنمسان بالنون عوض اللام[2]، ويسميها كل من ابن عبد الحكم[3]، وابن خرداذبة[4] وابن الفقيه[5] بتلمسان.

وكلمة تلمسان ومعناها، حولها إختلاف كبير من جغرافيين ومؤرخين وغيرهم، وما هو قريب من الصحة في إعتقادي، ما ذهب إليه الأستاذ شاوش، أنها زناتية وأن أصلها تلمسين جمع تلمت، بمعنى عين، أي ينبوع الماء، الذي تحيط به الأشجار،[6] وهذا مايطابق البيئة التي وجدت فيها المدينة.

أما الإسم الذي وسمت به، منذ أن أهل عليها أبناء عبد الله الكامل، وبهم كملت واشتهرت، ودليلي على ذلك كتابات تاريخية وجغرافية الأولى للمغرب الإسلامي المذكورة سابقا.

نشأة تلمسان : لموقع تلمسان الإستراتيجي العسكري، إتخذها الرومان إحدى قلعه الحربية، لصد هجمات المغاربة، وكانت تدعى (POMARIA) بوماريا.[7] بقيت أثارها

(1) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بنعيسى) : كتاب الجغرافية، تحقيق : إسماعيل العربي، د.م.ج، ط 2، 1982م، ص 140.

(2) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص 4، المادة تنمسان.

(3) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس، ص 95.

(4) ابن خرداذبة : المسالك والممالك، ص 88، 89.

(5) ابن الفقيه الهمداني (أبو بكر أحمد) : مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، بريطانيا، سنة 1302 هـ، ص 80.

(6) شاوش : ن، م، س، ص 33/ دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 452.

(7) ألفريد بل : دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 452.

على الأقل إلى ق 5 هـ، حيث يقول البكري : «وفيها آثار قديمة»[1]، ولما تمكن المغاربة من طرد الإستعمار البيزنطي، وأقاموا العديد من الحواضر منها، الجدار أو مدينة الجدار.[2] ولأيام الفتح كانت عاصمة إمارة صولات بن وزمار المغراوي الزناتي[3] : «ولم هلك (صولات) قام بالأمر إبنه خزر، ولما هلك خزر خلفه ولده محمد، وقد غلب بني يفرن على أغادير وإستقام له أمرها»[4].

أما تاريخ فتحها، فكان في عهد معوية بن أبي سفيان، وعلى يد قائد الفتح الإسلامي، أبو مهاجر دينار، بمعية قبيلة أوربة[5]. مع قائدها كسيلة، الذي إستماله أبو المهاجر فاعتنق الإسلام وأسلم معه كثير من قومه، وتمكن أبو المهاجر بفضل هذه القوة الجديدة من السيطرة على المغرب الأوسط[6]، وهذا حوالي 55 هـ/ 675 م. كما دخلها عقبة بن نافع الفهري في ولايته الثانية عندما كانت غايته المغرب الأقصى[7]. وما أن أصبحت القيروان ولاية للمغرب بدل مصر، حتى أضحت أغادير أحد حواضر الإسلام، ويقيم

---

(1) البكري : المغرب، ص 76.

(2) الجدار : تلمسان قرية قديمة بالمغرب، ذكروا أنها القرية التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر وموسى : «فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ... أَجْرًا » سورة الكهف، الآية 77 قيل أنه جدارا عاليا عريضا مائلا فمسحه الخضر عليه السلام، بيده فإستقام، إلا أن ما يريب قول القزويني، إن نبي الله موسى، عاش بين مصر وبلاد الشام، ولم يثبت عنه أنه توجه إلى بلاد المغرب، أنظر، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، عن إسماعيل العربي : المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 136.

(3) صولات : هو الذي ذهب إلى المدينة المنورة، وأسلم على يد عثمان بن عفان (ض)، وعقد له على قومه من زناتة. أنظر دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير، ج 3، دار إحياء الكتب العربية، (لا. ب) ص 33/ عبد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 144.

(4) الطمار محمد بن عمرو : تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، م.و.ك. الجزائر، 1984 م، ص 24.

(5) أوربة : قبيلة بربرية، من ولد برنس مثل كتامة، وصنهاجة، ولها بطون كثيرة، وكان التقدم لها لعهد الفتح، وأميرها سكرديد، ثم كسيلة. أنظر، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 495/ ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 296.

(6) الرقيق القيرواني : ن، م، س، ص 45.

(7) سعدون عباس نصر الله، ن، م، س، ص 65، 66.

بها عمال الوالي، وعلى رأسهم طارق بن زياد (رحمه الله) «بعث الموندو إليه ويومئذ بتلمسان»[8]، وبنى بها موسى بن نصير أول جامع سنة 89 هـ/ 708 م.[9] وسبق إن قلت إن موسى بن نصير كان متشيعا لآل البيت، ويختم القزويني حديثه عن تلمسان بما يلي : «وحدثني بعض المغاربة أنه رأى بتلمسان مسجدا يقال له مسجد الجدار ويقصده الناس للزيارة»[10] ألا يكون هذا المسجد الذي بناه موسى بن نصير الذي كان يحبه عمر بن عبد العزيز لأنه كان يحب أهل البيت، كانت تلقى به دروس في فضائل آل البيت، وبه جلس دعاة الشيعة الأوائل.

أما عن الفترة الممتدة من (122 هـ – 173 هـ)، أي المدة التي إنفصل فيها المغرب الأوسط عن الخلافة الأموية ثم العباسية، والإضطرابات التي عرف المغرب الإسلامي، فقد تحدثت عن ذلك بما فيه الكفاية في الفصل الأول.

تلمسان السليمانية : عرف سليمان وأخوه إدريس تلمسان، وهما من الدعاة للحركة العلوية، وأطلعا على الصراع وخلفياته ما بين بني يفرن ومغراوة، [11]وشاء القدر أن ينجوا من مذبحة فخ 169 هـ، وأن يعودا إلى المغرب، وهما يدعوان لإمامة أخيهما يحي بن عبد الله الكامل، «قيل إن راشد بن المرشد القرشي هو الذي بنى مدينة معسكر، في القرن الثاني الهجري، ثم نزل عليه بها إدريس بن عبد الله الكامل وأخوه سليمان مكثا عنده في معسكر، ستة أشهر ومنها انتقل إدريس وراشد إلى المغرب الأقصى[12]، ويقول الشيخ بلهاشمي، كما في الكتاب روضات الأزهار. «وإذا كان إدريس قد واصل المسير، معنى ذلك أن سليمان بقي بالمنطقة يدعو لأخيه يحي، تاركا مدينة معسكر، متوجها إلى مدينة تلمسان «إن إدريس حتى وصوله تلمسان، كان يدعو لإمامة أخيه يحي

(8) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 297/ شاوش : ن، م، س، ص 53.

(9) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس، ص 72/ شاوش : ن، م، س، ص 53.

(10) القزويني : ن، م، س، ص 136.

(11) أبو راس الناصري : فتح الإله ومنته، ص 107.

(12) بلهاشمي بن بكار : حاشية رياض النزهة منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، مطبعة إبن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961 م، ص 34.

بن عبد الله، الذي اسس دولة زيدية في بلاد الديلم»[1] في سنة 176 هـ[2].

ما إن أسس إدريس دولته في المغرب الأقصى، حتى أخضع القبائل المجاورة لوليلي ثم توجه إلى المغرب الأوسط، وكان ذلك : «في منتصف رجب 173 هـ في جموع مطغرة وغيرهم»[3] وأثناء إقامة إدريس بتلمسان للإشراف على الإنجازات الحضارية، كبناء المسجد الأعظم، وإخضاع قبائل زناتة، وترتيب أمور الدولة، مع معتزلة المغرب الأوسط، وإنتظار وفد بني راشد. «لحق بإدريس أخوه سليمان. وكان من حضر وقعة فخ ونجا على الصحيح»[4] وفي مطلع سنة 174 هـ/ 791 م رحل إدريس عن تلمسان وأسند حكمها إلى أخيه سليمان[5]، بعد أن قسم معه الجيش.[6] لماذا بقي سليمان في تلمسان مع قسم من الجيش ؟ وهذا لحماية الحدود الشرقية لنشر الإسلام والعربية بين قبائل المغرب الأوسط، والتوسع على حساب الصفرية والاباظية في كل من سجلماسه وتيهرت، واتجه شرقا يريد غزو افريقية[7] ويبدو أنه أخضع العديد من اقاليم المغرب الأوسط، بدليل ولادة إبنه محمد في مذكرة (مليانة).

وقد يكون ذلك في أوائل قيام الدولة الإدريسية، لأن ذلك أقلق الخلافة العباسية، والتي دبرت مقتل إدريس، كما تناقلته المصادر العربية الإسلامية.

وإذا كان سليمان الحاكم على المغرب الأوسط، قد تنازل له أخوه إدريس عن ذلك بمجرد أن ترك تلمسان ورجع إلى المغرب الأقصى. فإن سليمان وما قام به من فتح بمساعدة قبائل الزناتة الموالية له فإن ذلك كان تحت إمامة إدريس، لأنه لا يجوز أن

---

(1) إسماعيل محمود : دولة الأدارسة (172-375 هـ)، ص 56.

(2) ابن الأثير : الكامل، ج 5، ص 90.

(3) الملي مبارك بن محمد، ن، م، س، ص 474.

(4) البكري : المغرب، ص 122/ الميلي : ن، م، س، ص 475/ الخطاب محمود شيت : ن، م، س، ص 221.

(5) المالكي (عبد بن أبي عبد الله) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية في القرن الرابع، ج 1، ص 21.

(6) العشماوي : ن، م، س، ص 242.

(7) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 21.

يكون هناك إمامان في وقت واحد.[1] ويمكن طرح السؤال الآتي، لماذا اقتصر سليمان على المغرب الأوسط، ولم يتوجه إلى المغرب الأقصى، ويدعو إلى نفسه خاصة أن كرسي الإمامة بقي شاغرا.

المتتبع لأوضاع المغرب خلال هذه الفترة، يجد العديد من العوامل التي لا تساعد حاكم المغرب الأوسط، إلى الإنتقال إلى المغرب الأقصى، منها القوة الجديدة التي كونها لنفسه ومعظمها من الزناتة وقبائل المغرب الأوسط وإن قاعدته تلمسان أكثر أمنا ومنعة – فشل محاولته الأولى إلى تيهرت – والخروج منها معناه عودة الصفرية إليها، ثم رغبته الملحة في التوجه إلى المشرق، لإعادة الخلافة الى العلويين لا لإقامة إمارة في المغرب الأقصى، على غرار ما يفعل الشيعة الإسماعيلية فيما بعد. وللحساسية الموجودة بين الزناتة وأوربة على السلطة.

فلما هلك سليمان بن عبد الله الكامل قبيل نهاية القرن الثاني الهجري، تملك من بعده إبنه محمد.[2] الذي رزقه الله نعالى بالبنين فكان له من الولد : إدريس، عيسى، إبراهيم، أحمد، علي، حسن.[3] وكل هؤلاء الستة أعقبوا،[4] هذا الخلف السليماني،[5] سيكون له آثاره الإيجابية على المغرب الأوسط. وحتى يحافظ الأمير محمد بن سليمان على وحدة الأسرة العلوية وتماسكها، ويجنب البلاد والعباد أهوال الحروب والفتن، أقدم على تفريق أبنائه على أعمال الدولة السليمانية كأمراء، ألا يكون ذلك إقتداءً

(1) ابن خلدون : المقدمة، ص 350.

(2) التنسي (أبو عبد الله) : ن، م، س، ص 65/ ابن خلدون : ترجمان العبر، ص 34/ الكيالي عبد الوهاب : الموسوعة السياسية، ج 1، ص 549.

(3) ابن حزم الأندلسي : جمهرة، 48.

(4) ن، م، س، ص 48.

(5) آل سليمان : يجب أن نميز بين السليمانيين الحسنيين، أبناء سليمان بن عبد الله الكامل، الذين حكموا المغرب الأوسط بين (173–342 هـ). وما بين آل سليمان الحسني، أبناء سليمان بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي (رضو) أمراء مكة لعهد القلقشندي القرن التاسع هجري. أنظر، القلقشندي : قلائد الجمان، 16، 161/ التنسي : ن، م، س، ص 66.

بمحمد بن إدريس الثاني، الذي عمل بنصيحة جدته كنزة،[1] وقسم أملاك أبيه بين أخوته[2] وهو ولي العهد. وهذا مما يدل على أن محمد بن سليمان توفي بعد سنة 213 هـ، أي بعد إدريس الثاني، ذلك جبل وهران، عندما كان في زيارة تفقدية للبلاد والعباد، لأن إقامته الرسمية كانت في عين الحوت[3]، من ناحية تلمسان.[4] والشيء الذي قام به ولي العهد أحمد بن محمد بن سليمان. لما هلك والده تملك تلمسان وأبقى أخوته على نحو ما فعل أبوه، فصار كل منهم بموضع يتوارثه أعقابه، وإختص هو وأعقابه بدار الملك التي هي تلمسان.[5] وبعد معرفتنا للاسركزية التي أحدثها السليمانيون على غرار الأدارسة، أتوقف للحديث على الإنجازات الحضارية التي حدثت في تلمسان وفحوصها إبان عهد السليمانيين (173 -319 هـ)/ (789 - 931م)، ثم رصد الإمارات العلوية في المغرب الأوسط ومناطق نفوذها.

د / تطور مدينة تلمسان الحضاري:

ما إن تسلم المولاي [6]إدريس الأكبر مدينة الجدار حتى وضع حجر أساس المسجد[7]، ويذكر أ. شاوش صاحب كتاب باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، أنه من خلال الحفريات التي أجريت بمكانه في السنوات الأخيرة [8]، تبين أن المسجد كان يتألف من ثلاثة بلاطات وأحد عشر رواقا وأن محرابه ومنبره كان في

---

(1) كنزة : إمرأة بربرية تزوجها الإمام إدريس الأكبر، وهي أم إدريس الثاني، وهي التي أشارت على إبنها محمد بتقسيم البلاد بين أبنائه أنظر، السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 172.

(2) التنسي : تاريخ دولة الأدارسة، ص 41.

(3) عين الحوت : هي القصبة الجديدة التي أنشأها محمد بن سليمان لتكوين مقرا له، قربة العاصمة تلمسان، أنظر، محمود شيت خطاب : ن، م، س، ج 2، ص 221.

(4) الطمار (محمد بن عمرو) : ن، م، س، ص 28.

(5) التنسي : ن، م، س، ص 66.

(6) المولاي : السيد، تطلق على الأشراف الحسنيين في المغرب، أنظر، الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص 56.

(7) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 157.

(8) تم تأليف هذا الكتاب في نوفمبر سنة 1983م.

الرواق الأوسط من جهة القبلة[1]، وصنع له منبرا نقش عليه ما يأتي : «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، (رضي الله عنهم)، وذلك في شهر صفر أربع وسبعون ومائة»[2]، وبقي النقش على المنبر إلى عهد ابن خلدون عبد الرحمن القرن 8 هـ[3]، وهذا دلالة على صلابة الإنتاج والتحكم في صناعة الخشب. كما واصل سليمان وأبناؤه من بعده، سياسة التعمير والبناء، وهذا ما أكده عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين، حيث يقول اليعقوبي «ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالغرب التي يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة وخلفه آخر من الحجارة، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة»[4] وأن اليعقوبي قد زار المدينة في منتصف القرن الثالث الهجري، يقول عنها مشهورة، وبها خلق كبير، وقصور، وأضيف لأنها سور جديد، لأن السور قد أصابه عطب نتيجة فتنة (199 201 هـ)، وتم إخراج القصبة إلى عين الحوت بضواحي المدينة.

وهكذا نلاحظ إن العاصمة السليمانية لم يمر عليها وقت طويل حتى تطورت بهذا الشكل الكبير. وان ابن خرداذبة المعاصر للدولة لا يصف مدينة تلمسان، ولكن الطريق المؤدي لها من تيهرت، فيقول : «عمران كلها»[5]، وابن حوقل الذي زارها بعد سقوطها بمدة قصيرة، يقول : «ولها أنهار جارية، وأرحية عليها، وفواكه، ولها سور من أجر حصين ومنيع، وزرعها سقي وغلتها عظيمة ومزارعها كثيرة.»[6] وهذا كله عن عاصمة الدولة، وهذا العمران والخيرات كلها من مخلفات الدولة السليمانية. لأن الفترة الممتدة من 319 هـ/ 931 م إلى 454 هـ/ 1063 م، تعتبر من أحرج الفترات التي مرت بها تلمسان في تاريخها أغلبه حروب ودماء وتدمير، بين الدولة الفاطمية وقبائل صنهاجة

(1) شاوش : ن، م، س، ص 56.

(2) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 25.

(3) مبارك محمد الميلي : ن، م، س، ص 474/ رابح بونار : المغرب العربي، وثقافته، ج 1، 2، ش.و.ن.ت. الجزائر، ط 2، 1981 م، ص 39.

(4) اليعقوبي : البلدان، ص 112.

(5) ابن خرداذبة : ن، م، س، ص 89.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 88.

وكتامة من جهة، وبين الدولة الأموية وقبائل زناتة من جهة ثانية[1]. وإذا عدنا إلى ما دونه البكري المتوفى سنة 487 هـ، حول الدولة السليمانية وعاصمتها تلمسان، يعطينا جملة من الحقائق التاريخية القيمة منها، موقعها الممتاز والسور، والأبواب الخمسة، والجاليات المسيحية، الكنسية، قنوات المياه، الأسواق، المساجد، مسجد الجامع، الطواحين، ودار مملكة الزناتة مقصد التجار.[2] ... إلخ ويختم حديثه عن عمران تلمسان، بنزول محمد بن سليمان وأحفاده بالمدينة، وكأنه يقول لنا إن معظم ما حدثتكم عنه، كان نتاج هذه البذرة الطيبة.

وقبل أن نترك مدينة تلمسان، اود أن ألفت إنتباه ذوي القلوب النيرة والأرواح الطيبة إن هذه المدينة قد دعا لها المولاي سليمان (صلاة الحاجة، أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا)، أسوة بالقيروان،[3] والمدينة المنورة، ومكة المكرمة وكان عليه أن يذكر ملح البلد (العلماء والشعراء كعادته)، «ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله»[4]. وأخالها كذلك إلى يوم الدين، والله سميع مجيب، آمين.

هـ/ الإمارات العلوية في المغرب الأوسط

كنا قد أشرنا قبل الآن، أن المولى محمد بن سليمان، قد قسم مملكته إلى إمارات (أعمال) على أبنائه، وأبناء الأسرة العلوية، سأتحدث عن أهم هذه الإمارات.

1) إمارة جراوة : نسبة إلى قبيلة جراوة الأمازيغية البترية إحدى فروع زناتة وأهمها وهذا من بداية الفتح الإسلامي، وكانت تقطن جبال الأوراس[5]، وفرع منها إنتقل إلى المغرب الأقصى، وإستقر بسهل ملوية.

---

(1) السلاوي : الإستقصاء، ج1، ص 187/ ابن الخطيب : ن، م، س، ص 220.

(2) البكري : ن، م، س، ص 76، 77.

(3) يروى أن عقبة بن نافع الفهري رحمه الله، «فدعا الله سبحانه وتعالى، وأصحابه يؤمنون على دعائه «أنظر، ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 20.

(4) البكري : ن، م، س، ص 77.

(5) ابن عميرة محمد : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، م. و. ك. الجزائر، 1984 م، ص 20.

أما موقع المدينة، فهي إلى أقصى الشمال الغربي من الدولة السليمانية، وبالضبط بين مدينة أرشكول[1] شرقا ونهر ملوية غربا، على بعد ثمانية أميال منه[2]، وعن بحر الروم بستة أميال. إلا أن ياقوت الحموي لم يصب هنا ووقع في الخطأ حيث قال : «جراوة موضع بإفريقية، بين قسنطينة وقلعة بني حماد».

أما واضع حجرها الأساسي فهو عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان[3]، سنة 259 هـ أو سنة 257 هـ[4] المدعو أبو العيش. ويصفها البكري بما يأتي : «بأنها مدينة تقع في سهل من الأرض كان عليها سور مبني بالطوب، وداخلها قصبة، وحولها أرباض من جميع جهاتها وعيون ملحى وداخلها آبار عذبة وخمس حمامات، ينسب أحدهما إلى عمر بن العاص[5] وجامع من خمس بلاطات على عمدة حجارة ... وكان لها بابان شرقيان، وثالث غربي، ورابع جوفي.»[6] ما يلفت الإنتباه إن مسجدها أكبر من المسجد الذي بناه إدريس الأكبر بتلمسان للوهلة الأولى، وكذلك القصبة (قصر الحكومة)، والحمامات الخمس وظاهرة الأسوار مما يدل على أهمية المدينة ورغبة السلطة في إستمرارها، والدفاع عنها. من هجمات الأعداء ... ثم يستطرد قائلا : «وحواليها بسائط عريضة للزرع والضرع، وجبل ممالوا[7] في قبليها، وفيه حصن بناه الحسن بن أبي العيش، حواليه بساتين ومياه تدطرد وبين المدينة أربعة أميال.»[8] قد وفر لها جملة من الشروط الطبيعية

---

(1) أرشكول : هي الإمارة الموالية لهذه الإمارة أي الصفحة المقبلة.

(2) الإدريسي : القارة الإفريقية، ص 149/ البكري : المغرب ص 89.

(3) البكري : ن، م، س، ص 132.

(4) هناك خلاف بسيط بين البكري وابن عذاري حول سنة التأسيس، بين سنة 259 هـ وسنة 257 هـ. أنظر، البكري : ن.م.س.، ص 132/ ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 169.

(5) حمام عمر بن العاص يظهر أن تسمية المؤسسات بأسماء الصحابة والعلماء كانت منتشرة بالدولة السليمانية والإمارات العلوية.

البكري : ن، م، س، ص 132.

(6) البكري : ن، م، س، ص 132.

(7) ممالوا : جبل يقع إلى الجهة الشرقية من مدينة جراوة. بنى به الحسن بن أبي العيش حصنا، وإلى اليوم النهر الذي كان يمر بجراوة لازال يدعى مولويا، أنظر، البكري : المغرب، ص 142.

(8) البكري : ن، م، س، ص 132.

والبشرية، منها الحصن المنيع الذي جعله على جبل ممالوا، لمراقبة المدينة وحراستها من أي طارئ يلحق ضررا بها. وهذا الإجراء قد قام به جده محمد بن المولاي سليمان (ض) في عين حوت، قال حافظ إبراهيم :

قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها بنعمة الله حصنا من أعـاديـها.[1]

وكانت ظاهرة الحصون عامة في المشرق والمغرب، وكان لهذه الإمارة نفوذ على القرى والقبائل القريبة منها، مثل «بنو يزناس وزواغة وزناته : كما كان يقع بقربها قرى مدغرة على البحر المتوسط.»[2] وكان أحد أبواب مدينة فاس العظيمة يدعى باب جراوة.[3] ألا يدل ذلك على مكانة القبيلة والمدينة معا لدى أئمة الدولة الإدريسية.

وكانت جراوة من نصيب إدريس بن محمد[4]. ثم خلفه إبنه أبو العيش عيسى، ولما هلك هذا الأخير، خلفه ابنه الحسن، وكان ذلك سنة 291 هـ[5] الذي طور الإمارة ودافع عنها دفاع الإستماتة أمام جيش موسى بن أبي العافية [6]. وسأتطرق إلى ذلك في قسم العلاقات الخارجية مع الدولة الفاطمية.

وأثمرت عددا لا بأس به من العلماء والأدباء منهم «عبد الله بن محمد الجراوي كاتب شاعر مليح النظم والنثر[7] توفي سنة 415 هـ شاعر الموحدين أبو العباس بن عبد السلام الجراوي[8] وغيرهم ...

---

(1) مجموعة من المؤلفين : القاموس الجديد الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 4، 1983 م / ص 282.

(2) حركات إبراهيم : المغرب عبر التاريخ، المجلد الأول، دار السلمي الدار البيضاء المغرب 1965 م، ص 134.

(3) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة . ملوك تلمسان وفاس وقرطبة . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1983 م، ص 82.

(4) التنسي : تاريخ دولة الأدارسة، ص 66.

(5) ن.م، س، ص 66 (الهامش).

(6) ابن الخطيب : ن.م، س، ص 213، 214.

(7) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 2، ص 117.

(8) ابن الخطيب : ن.م، س، ص 214 (الهامش).

2) **إمارة أرشكول** : لقد وردت التسمية باشكال وصيغ مختلفة «أرشقول، أرشغون، أرشغول، أرشكون، أرشكوك، أرجكوك، أرشكول [1]» وأذهب مع الرسم الذي أختاره، أستاذنا د.حاجيات أرشكول لأنه ابن المنطقة وعادة يكون أبناءها أدرى من غيرهم لعوامل كثيرة.

أما موقع أرشكول، فهي تقع على نهر تافنا يقبل من قبلها ويستدير بشرقها، [2] وبينها وبين البحر ميلان. [3] أما تاريخ تأسيس أرشكول، فهي أزلية تعود إلى أيام المماليك البربرية، قبل الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، والجزيرة ومدينتها تبعد عن الشاطئ بنحو ربع ميل وغير بعيد من خرائب (سيقا)، التي تسمى الآن «تكمبريت»، والتي كانت من أكبر عواصم مسايسيل البربرية». [4] وما إن أصبحت تحت النفوذ السليماني حتى عرفت تطور جد ملحوظ، خاصة في عهد أميرها عيسى بن محمد المتوفى سنة 295 هـ [5]، الذي عمر كثيرا، وقد وصفها البكري بأدق التعابير قائلا : «وهي مسورة، وبمدينة أرشغول جامع حسن فيه سبعة بلاطات، وفي صحنه جب كبير، وصومعة متقنة البناء، وفيها حمامات أحدهما قديم، ولها من الأبواب باب الفتوح غربي، وباب الأمير قبلي، وباب مريسه شرقي، ... وبها آبار عذبة لا تغور ...» [6] وإذا أضفنا إليه نص الإدريسي الذي يقول فيه : «وكانت فيها سلف حصنا عامرا، له مرسى وبادية وسعة في الماشية، والأموال السائمة، ومرساها في جزيرة فيها مياه ومواجل كثيرة للمراكب، وهي جزيرة مسكونة» [7].

---

(1) عند ابن خلدون : أرشكول، البكري : أرشقول، ابن حوقل : أرشكوك، ابن حزم : أرشقول، التينيسي : أرشكوك، الإدريسي : أرشقول وأرشكون.

(2) ...بكري : ن، م، س، ص 78.

(3) ...وت الحموي : معجم البلدان، ج 1، ص 144.

(4) ...يسي : ن، م، س، ص 254 (الهامش).

(5) ...بكري : ن، م، س، ص 78.

(6) ن، م، س، ص 77، 78.

(7) الإدريسي : ن، م، س، ص 254، 255.

أما ابن الحوقل فيضيف «وأهلها والمحتاجين إليها في سقي سوائمهم»[1] إن هذه النصوص الثلاثة تقدم لنا صورة متكاملة عن مدينة أرشكول وجزيرتها وميناءها، وإنها تعد من مدن بحر الروم الكبرى، ومن أهم مراسي الدولة السليمانية، وكانت إمارة أرشكول ذات شهرة واسعة، ويأتيها التجار وذوو الحاجة من جميع الأصقاع، ولها نفوذ سياسي وإقتصادي على المنطقة، وجمعت بين البر والبحر، ولعبت دورها الحضاري.

وتكمن أهميتها في موقعها الإستراتيجي العسكري والإقتصادي، والدليل مقاومتها للخطر الأموي، والفاطمي في آن واحد. عندما تمكن الفاطميون من المغرب الأوسط، وإتخذوا من ابن العافية صنيعة لهم ذبح وسفك دماء العلويين من أدارسة وسليمانيين. وهذا ما سنوضحه في العلاقات الخارجية، ولجوء آل سليمان إليها عندما سقطت العاصمة ومعظم الإمارات وجل المدن والقرى السليمانية وبقيت صامدة مدة بعد العاصمة تلمسان بعشرين سنة. وهي عاصمة جديدة للدولة السليمانية إلى سنة 338 هـ، على أنه تواصل المسيرة تنس، وينقل أهلها إلى الأندلس.

أما أمراؤها من السليمانيين فهم أربعة أيضا : «عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل ثم ابنه إبراهيم[2] ثم ابنه يحيى، ثم أخوه إدريس بن إبراهيم».[3] ومن السكان الدين هجروا إلى الأندلس.[4] سيكون منهم من العلماء والأدباء...الخ. وأرجع ذلك إلى فصل الحياة الاجتماعية والثقافية.

3) إمارة تنس[5] : التسمية هي اختصار للاسم الروماني catennas (كارطيناس)،

---

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 79.

(2) إبراهيم : الذي خلف والده عيسى سنة 295 هـ. وكان يدعى إبراهيم أرشغولي أنظر، البكري : ن، م، س، ص 77.

(3) الأغا بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود (في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 م)، ج 1، تحقيق : يحي بوعزيز، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1960 م، ص 31.

(4) الإدريسي : ن، م، س، ص 255 (الهامش).

(5) تنس : علينا أن نميز بين تنس المغرب الأوسط، وتنيس المصرية، (مع إضافة الياء بعد النون). البكري : ن، م، س، ص 86/ الإدريسي : ن، م، س، ص 231، 232، 238/ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص 51، 52، ...54/ الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 186، 188، 193.

كارط تنس[1]، ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم تنس.

أما موقعها الجغرافي فهي على ساحل المغرب الأوسط، إلى الشرق من مدينة مستغانم ب 157 كلم على الطريق الساحل، وإلى الغرب من مدينة شرشال ب 108 كلم، على الطريق الساحل دائما، و إلى الشمال من مدينة شلف ب53 كم[2] وهي تتربع على هضبة صغيرة تطل على بحر الروم.

أما تاريخها فيعود إلى العهد الفينيقي أثناء توسعهم في الحوض الغربي لبحر الروم (البحر المتوسط)، وكانت تنس أحد مراكزهم التجارية، [3] وخربها الوندال، وأعيد بناؤها في عهد الدولة السليمانية في سنة 262 هـ، بالاشتراك مع تجار الأندلس من أهل البيرة[4]، وتدمير، [5] وهكذا تكون الشراكة الحقيقية، ويرسم لها البكري صورة رائعة حيث يقول «تنس بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة، داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها العمال لحصانتها، و بها مسجد جامع، وأسواق كثيرة، ...وبها حمامات، وتنس هذه هي التي تسمى تنس الحديثة».[6] وأما ابن حوقل فيقول : «تنس مدينة عليها سور، ولها أبواب عدة، وبعضها على الجبل، قد أحاط بها السور، وبعضها في سهل، وهي من البحر على نحو ميلين، على واد كثير الماء، و شربهم منه، وهي مدينة فوق الصغيرة، وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر، وبها فواكه حسنة...، وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمواكبهم

(1) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 35 (الهامش).

(2) خريطة الجزائر، تونس : الطريق رقم 172، رسم ميشلان سنة 1972 م، باريس فرنسا.

(3) المدني أحمد توفيق : قرطاجنة في أربعة عصور، ص 24/ دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 497، مادة تنس.

(4) البيرة : هو أحد أقاليم الأندلس، يقع إلى الجنوب من إقليم مجانة ومن مدينة غرناطة. أنظر الإدريسي : ن، م، س، ص 259.

(5) تدمير : ولاية أندلسية وقاعدها مرسية، وفتحها عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة95 هـ/ 714 م، أنظر الإدريسي : القارة، ص 285، (الهامش)

(6) البكري : ن، م، س، ص 61.

ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها.»[1] هذه النصوص دلالة واضحة على التطور الكبير الذين شهدته مدينة تنس خلال العهد السليماني، مدة ثمانين سنة (262-342 هـ)، كانت كافية لتغيير إقليم بكامله، قل أن يحدث ذلك في مدن أخرى ويكفي أحفاد سليمان من عرب وبربر، من انجازات حضارية، و لو كان ذلك مقتصرا على تنس لكفارهم فخرا وسموا. ولم يكن ذلك يخص تنس بل تعداه إلى باديتها، « ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة، وبها من الفواكه والسفرجل المعنق، ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته.»[2] هذه الصورة لا تجدها إلا في المدن الحقيقية، التي تستطيع أن تميز بين المدينة والريف ولن يتحقق ذلك في ظل قيادة رشيدة.

أما أصحاب تنس من العلويين السليمانيين، فهم «إبراهيم ولما هلك إبراهيم، خلفه ابنه محمد مع أخوه عيسى، فلما هلك محمد بن إبراهيم، خلفه ابنه يحيى، فلما هلك يحيى خلفه ابنه علي.»[3] أما من ملحها أي تنس المعطاء، عدد كبير من الفقهاء والعلماء والأدباء والتجار الكبار، منهم على سبيل المثال : إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي، مفتي جامع الزهراء، توفي رحمه الله سنة 307 هـ،[4] وسأعود إلى ذلك في وقته.

4) **إمارة تاقدمت** : أو تاقدمت ومعناها العتيقة[5] وهذا ما إرتضاه الأمازيغ لها وكانت إحدى الإمارات البربرية قبل الفتح الاسلامي.

إلا أن تاقدمت عرفت صحوة حضارية وتطورا عمرانيا كبيرا مع الفتح العربي الإسلامي للمنطقة، «ولما فتحها المسلمون، عادت مدينة متحضرة جدا تضم عددا وافرا من العلماء والشعراء، »[6] وهذا ينطبق كذلك على مدينة تيهرت الرستمية.

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78/ شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية مج 1، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، (ب.ت).

(2) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(3) التنسي : تاريخ دولة الأدارسة، ص 68/ المزاري : طلوع سعد السعود، ج 1، ص 31.

(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص 49.

(5) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 40.

(6) ن، م، س، ص 40.

وتاقدمت تقع إلى الشمال من مدينة تيهرت الحالية، وتبعد عنها بـ 9 كلم[1] وهي الآن إحدى بلديات ولاية تيهرت.

أما أصحاب هذه الإمارة «الحسن صاحب تيهرت، فإنه لما هلك خلفه حناش، فلما هلك حناش، خلفه إبنه بطوش، »[2] وحسب الحسن الوزان الفاسي، إن مدة حكم هذه الأسرة، قاربت 150 سنة، وخربت المدينة على يد الفاطميين في سنة 365 هـ، ولم يبق منها إلا آثار الأسس، كما شاهد ذلك بنفسه.[3] وإذا كان ذلك صحيحا، فإن تاقدمت هي آخر إمارة سليمانية تسقط على يد الفاطميين.

وإذا عدنا إلى المصادر التي تطرقت إلى هذه الإمارة لا نجدها تذكر تاقدمت وإنما تذكر الحسن بن محمد بن سليمان وأحفاده بالمنطقة. بإستثناء التنسي، الوزان، المزاري، لذا وجدت الأستاذ إسماعيل العربي رحمه الله متحفظا في ذكر تاقدمت في إنتظار روايات جديدة أخرى.[4] أما أستاذنا عبد الحميد حاجيات حفظه الله، فيرى إن التنسي ربما يقصد نواحي تيهرت، كجبل الونشريس الذي كثر به أبناء محمد بن سليمان.[5] وهذا عين الصواب في إعتقادي لأن تيهرت في مفهوم عدد كبير من المؤرخين والأدباء والمفكرين المسلمين انذاك لا تعني المدينة فقط ولكن تعني في نفس الوقت الجهة، وهذا ما نوضحه لاحقا. أما علي وإبنه حمود وأحفادهما فتحجم المصادر العربية الإسلامية عن ذكرهم. وعن المدن والقبائل التابعة لهم.

وبهذا نكون قد إنتهينا من البحث، في الامارات العلوية السليمانية أي التي تولى أحفاد سليمان قيادتها. وننتقل إلى باقي الإمارات العلوية من أحفاد الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب، (رضوان الله عليهم).

---

(1) ن، م، س، ص 40 (الهامش).

(2) حناش : ويقول ابن حزم حنانش أنظر الجمهرة، ص 48، اما المحقق : فيرى ان بطرش بن حناش

(3) التنسي : ن، م، س، ص 68/ المزاري : طلوع سعد السعود، ج 1، ص 31.

(4) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 146.

(5) التنسي : ن، م، س، ص 68، المحقق : أنظر، الهامش.

5) إمارة الهاز : الموقع تقع إمارة الهاز (قرب مدينة المسيلة)، وهي إلى الغرب من منطقة الزاب وسميت باسم كبريات المدن فيها وهي هاز[1] والبكري يقول : «أنها تقع على نهر شتوي»[2] وعند الإدريسي إنها في فحص رمل ومنها إلى المسيلة مرحلة.[3] أما سكانها من البربر فهم قبائل زناتة، من العلويين آل الحسين بن علي (رضو)، إلا أن إشكالية النسب تطرح مرة أخرى، أي قبائل زناتة بني يرنان أم بني يرنيان، ولحسم الخلاف إنهم «بنو يرنيان، وعند اليعقوبي وهو الأصح»[4] لعوامل كثيرة، لا يسمح المقام لذكرها هنا، أما عن الفرع العلوي هل هم حسنيون أم حسينيون ؟

فإن معلوماتنا قليلة عنهم ولكن ما دام فيه حضور للتقاة أمثال، إبن واضح اليعقوبي، وابن حزم الأندلس، فإن كفتهم أرجح، خاصة أن كلا الأستاذين حاجيات[5] وإسماعيل العربي[6] مال إليهم، وسلسلة النسب صحيحة إلى الحسين (ض).

فإنني أقول إن سكان إمارة هاز من آل الحسين، ونقطع الروايات التي تقول : إن الحسينيين لم يتشرف بهم المغرب الإسلامي، وهنا طرحت مرة أخرى عند النسابين، تغليب العم لأن العم أب عندهم.

أما صاحب إمارة هاز فهو الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ض)[7] واحفاده من بعده، لكن لا نملك معلومات أخرى غير أن حمزة بن

---

(1) اليعقوبي : البلدان، ص 108/ إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 139.

(2) البكري : ن، م، س، ص 133.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 157.

(4) إسماعيل العربي : ن، م، س، ص 68، المحقق : (الهامش).

(5) التنسي : ن، م، س، ص 68/ المحقق : (الهامش).

(6) إسماعيل العربي : ن، م، س، ص 139 (الهامش).

(7) اليعقوبي : ن، م، س، ص 108/ ويقول ابن حزم : ومنهم عبد الله بن ابراهيم ... حتى الحسين بن علي (رضو). وأمه أي عبد الله بريكة ... حتى الزبير بن العوام، ألا تكون هي التي سميت عليها مدينة بريكة ؟ (التي لازالت تحمل هذا الاسم)، وعليه أن النفوذ السليماني قد تغلغل إلى شرق شط الحضنة في أراضي إفريقية. ويكون جزءا من الزاب قد خضع للدولة السليمانية أنظر، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 55.

الحسين يؤسس مدينة حمزة (البويرة)، التي كانت في بدايتها عبارة عن سوق ثم أصبحت مدينة، وبهذا يكون إمتد نفوذ آل الحسين، من غرب الزاب إلى مرسى الدجاج على بحر الروم شمالا.[1] وإستطاع آل الحسين أن يجمعوا بين قبائل البتر والبرانس، الذي وصفهم الرحالة اليعقوبي، بأنهم «أصحاب عمارة، وزرع، وضرع»[2] وسقوط النظرية الغربية بين الصراع البتر والبرانس أزلي ومستديم، إندهاش إبن واضح، عند زيارته للمنطقة في القرن الثالث هجري، وراح يسجل ذلك الواقع المتفرد، الذي صنعه العلويون في المغرب الأوسط. أما الثمرة الحضارية لهذه الأسرة الشريفة، سأذكر ذلك حينه.

6) إمارة متيجة : التسمية نسبة إلى قبيلة أمازيغية، تدعى متيجة[3] كانت تضطجع في السهل الفسيح الواقع إلى الجنوب من جزائر بني مزغنا[4] ومع وصول العلويين إلى المغرب الإسلامي، تم إنشاء العديد من المدن قبلهم منها، قزرونة، بوفريك...،

وسهل متيجة بما أنه زراعي، إستقرت قبيلة متيجة به، وبنت مدينتها تحت إشراف السادة العلويين، «ويقال لها أيضا قزرونة، وتدعى البليدة، »[5] والبكري يقول لها «أقزونة متيجة»[6] وليس قزرونة.

وإذا كانت قزرونة هي البليدة، أو احد الأماكن القريبة منها، فهي تقع إلى الجنوب من مدينة الجزائر بـ 50 كلم، وإحدى مدن سهل متيجة المعروف بخيراته الزراعية، وقال عنها الرحالة والجغرافيون المسلمون، منهم اليعقوبي «وهو بلد زرع وعمارة واسع فيه عدة مدن وحصون، »[7] والمقديسي «ومتيجة في مرج لهم، ماء جار عليه أرحية وشعبه

---

(1) ابن خلكان شمس الدين : وفيات الأعيان، ج 1، ص 16.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(3) ابن تومرت : أعز ما يطلب، تحقيق : عمار طالبي، ص 16.

(4) الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) : المسالك والممالك، ص 33.

(5) مبارك محمد الميلي : ن م، س ص 478/ إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 139 (الهامش).

(6) البكري : ن، م، سن ص 76.

(7) اليعقوبي : البلدان، ص 109.

من النهر تدخل الدور، كثيرة البساتين، »[1] أما ابن صاحب حمادة عندما يتطرق إلى جزائر بني مزغنا يقول عن ضواحيها، أي سهل متيجة «ولها بادية كبيرة، »[2] والبكري يقول : «ومن المدية إلى قزرونة، وهي مدينة على نهر كبير، عليه الأرحاء، والبساتين، ويقال لها متيجة، ولها مزارع، ومسارع، وهي أكثر تلك النواحي كتانا، ومنها يحمل، وفيها عيون سائحة، وطواحين ماء، ومنها إلى مدينة آغزر، ومنها الأى مدينة جزائر بني مزغنا، »[3] أما الوزان المدعو ليون الإفريقي فيقول : «سهل متيجة، الذي يبلغ طوله حوالي 45 ميلا، وعرضه 36 ميلا، حيث ينبت القمح الجيد بكثرة.»[4] من خلال هذه النصوص المختلفة، نؤرخ لخلفية مدينة الجزائر، ولإمارة متيجة ولمدينة البليدة الحالية، وبهذا نكون قد عرفنا أحد محاولات الإصلاحات التي إستهدفت سهل متيجة الغني بموارده الطبيعية، وثرواته الزراعية. والتي هي متواصلة الى يومنا هذا.

أما أصحاب هذه الإمارة الثرية من العلويين فهم من الفرع الحسني، لكن ليس من أبناء عبد الله الكامل، بل من أبناء جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضو) وجعفر هذا، أخ عبد الله الكامل، ولكن مرة أخرى إصطدم بالروايات المختلفة، وإنعدام التواريخ، وسلاسل النسب المتضاربة.

وأصح ما يمكن إستنتاجه من مقارنة الروايات والمصادر، أمكن إعتماد روايات إبن واضح اليعقوبي[5] والأشعري[6] وابن حزم الأندلسي[7] وإتفاقهم، إن جل أبناء جعفر

---

(1) المقديسي (شمس الدين) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة الخياط، بيروت، لبنان، (ب.ت) ص 228.

(2) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) : تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، (ب.ت) ص 125.

(3) البكري : ن، م، س، ص 65، 66.

(4) الحسن الوزان الفاسي : وصف إفريقيا، ج 2، ص 37.

(5) اليعقوبي : البلدان، ص 109.

(6) الأشعري (الإمام أبي الحسن) : مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين، ج 1، ص 155، 156.

(7) ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص 44، 45.

بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضو) فروا إلى المغرب الأوسط، وكان إستقرارهم بسهلي متيجة وحمزة، ومن المخلدين منهم حتى الآن، أبوفريك الكبير (المدينة)[1] وهؤلاء هم مؤسسوا، مدن إمارة متيجة، وبعض مدن سهل حمزة، ومدينة متيجة قزرونة (البليدة)، من مدن الجزائر، التي تشرفت بزيارة ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي[2]ومن علمائها أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عيسى المتيجي.[3] وبهذا أكون قد بحثت أعظم الإمارات العلوية الأساسية في المغرب الأوسط، على أن فيه إمارات أخرى، على شكل (دولة المدينة)، التي ظهرت في المغرب الإسلامي، والتابعة لإحدى هذه الإمارات الكبرى، وبالتالي تبعيتها لها سياسيا وروحيا إلى الدولة السليمانية في تلمسان، وأحيانا نجد الأمير بوفاة والده، يترك إمارة المدينة الصغيرة، وينتقل إلى الإمارة الكبرى كحمزة بن الحسن الحسيني.

ومن إمارات المدينة، وما أكثرها إمارة ترنانا، تابحريت، الحسنة، نمالته (مغنية) العلوية ... هذه الإمارات وغيرها تابعة مباشرة إلى العاصمة تلمسان. ولإمارة هنين، ندرومة، أرداجة (وهران) تابعة إلى إمارة أرشكول البطحاء (المطمر)، إمارة الخضراء، سوق أبراهيم، مذكرة (مليانة)، برشك، مستغانم ... تابعة إلى إمارة تنس، وهنلك إمارات تابعة إلى متيجة، قزرودة، كبو قريك، جزائر بني مزغنة[4] وسأعود إلى بعض هذه الإمارات عند دراسة المدن.

و/ سقوط الدولة السليمانية والإمارات العلوية

هناك عوامل كثيرة، إجتمعت على إسقاط الدولة السليمانية يمكن حصرها في عوامل داخلية وأخرى خارجية.

---

(1) ن، م، س، ص 45.

(2) ابن تومرت : أعز ما يطلب، ص 16.

(3) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 5، ص 53.

(4) اليعقوبي : البلدان، 109/ ابن حوقل : صورة الأرض، ص 75 وما بعدها / البكري : ن، م، س، ص 52، وما بعدها / لقبال موسى : زناتة والأشراف، مجلة الأصالة، العدد، 26، ص 91.

* العوامل الداخلية : وهي نقاط ضعف تعود إلى طبيعة الدولة السليمانية نفسها.

1 - موقع الدولة، وجودها في وسط قوى متصارعة لها أطماع سياسية، وعقيدة، الدولة الأغلبية من الشرق وهي ممثلة للخلافة العباسية في المنطقة. الدولة الرستمية الإباضية من الجنوب، والدولة الإدريسية من الغرب، التي جعلت منها دولة حاجزة بينها وبين الأغالبة ولها أطماع سياسية وروحية في المنطقة، والروحية المتمثلة في الدعوة إلى الإمام المقيم في فاس، والدليل بقاء إدريس الثاني لمدة ثلاثة سنوات في تلمسان من 199 هـ 201 هـ، ومن الشمال التهديدات الأموية، والأطماع الأوربية في المنطقة.

2 - النظام اللامركزي، الذي طبقته الدولة السليمانية[1]لظروف سياسية وطبيعية، وحتى بشرية في المغرب الأوسط، مما أدى إلى تفكك قوة الدولة إقتصاديا وعسكريا وإن أفاد المجتمع في مجال العمران والثقافة[2] نحن نرى فيما ذهب إليه الأستاذين الكريمين، كان هذا التنظيم عائقا على الأقل عسكريا.

3 - ضعف القوة العسكرية، لأن الدولة كانت مقسمة إلى إمارات، وتجنيد الجيش يتطلب وقت كبير، وتظافر جهود أمراء الإمارات. وبدليل أنها لما أرادت قمع الفتنة الداخلية الصفرية، طلبت المساعدة من الدولة الإدريسية في نهاية القرن الثاني الهجري، وفتن مدينة وهران 297 هـ، و343 هـ.

4 - مداخل الدولة القليلة، نظرا لتمسك الأسرة السليمانية بقيم ومبادئ وروح الإسلام، ولم تلجأ إلى فرض جباية جديدة وتقيدوا بما فرضه الشرع الإسلامي. ومن جزية من أهل الكتاب والفيء والغنائم إن وجدت، والجزاء، وهو مبلغ من المال يؤديه الأشخاص مقابل البناء في أرض لا يملكها، أما الخمس أي حصة آل البيت لم أجد ذلك في المصادر التي عملت بها، كما هو الشأن في المشرق الإسلامي، والسماح لجميع المذاهب والنحل بالنشاط داخل الدولة، فرغم مذهبهم الرسمي الزيدي، إلا أن المذهب السني المالكي كان سائدا في مختلف أرجاء الدولة.

---

(1) عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي : مختصر تاريخ الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1985 م، ص 87.

(2) ن، م، س، ص 87.

5 - النزعة الفردية، المتأصلة في العقلية العربية والأمازيغية، رغم محاربة الإسلام لها، وتدخل أطراف مختلفة في شؤون السياسة، من الادلة على ذلك علي بن حامد بن مرحوم الزناتي الذي إمتلك مدينة العلويين.[1] 6 - والشراكة السليمانية الأندلسية، أدى إلى إثر هذه الجالية، وأضحت تتطلع للزعامة السياسية.

* العوامل الخارجية :

1 - إستمرار التوسع الفاطمي، على حساب الدولة السليمانية وإماراتها العلوية من (296 - 342 هـ) أي قرابة الخمسين سنة، وهذا منذ أن توجه الجيش الفاطمي، إلى سجلماسة لإنقاذ الأمام عبيد الله المهدي وإبنه أبا القاسم سنة 296 هـ[2]، فإن هذه القوات مرت بأراضي الدولة السليمانية وأحدثت بها خسائر، وجرت بأراضي الواسطة معظم المعارك التي دارت بين القوتين الفاطمية والأموية، وحاول قادة الدولة السليمانية أن يسايروا الأحداث فوقفوا العديد من المرات إلى جانب الفاطميين، ومرات أخرى إلى جانب الأمويين، إلا أن هذه المواقف لم تنقذ بلادهم حيث سقطت تنس آخر إمارة لهم سنة 342 هـ على يد الفاطميين وهذا ما سنعرفه في حينه.دون أن ننسى ما أحدثه موسى بن أبي العافية من تقتيل في حق العلويين[3]وأعمل السيف فيهم[4]وهذا قليل من كثير، ونرجعه إلى وقته.

2 - التدخل الأموي (315-342 هـ) إستغل الأمويون ظروف المغرب الأوسط العامة، وبعثوا بجواسيسهم إلى المنطقة لشراء الذمم، وإستمالة بعض القبائل بحجج مختلفة، ونقل الصراع الأموي الفاطمي إلى المغرب، بدل جزيرة الأندلس أو إفريقية، فكان المغربان الأوسط والأقصى مسرحا وميدانا خصبا لهذا الصراع التاريخي العقيدي بين الفصيلين.

---

(1) اليعقوبي : البلدان، ص 112.

(2) الصنهاجي (أبو عبيد الله محمد) : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص 21.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 213/ السلاوي : الإستقصاء، ص 187.

(4) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 4.

3 - لقد أحدثت فتنة أبي يزيد[1] بن كيداد (322 هـ - 336 هـ) من خراب في إفريقية والمغرب الأوسط، وما أحدثه في الدين من بدع وتجاوز كل الأعراف، وما فعله من تقتيل في السكان العزل[2] إلا أن الشيخ سليمان بن داود يستبعد ذلك، ويقول عنه أنه كانثائرا، ولم يستند في ذلك إلا على المصادر والمراجع الخارجية.[3] هذه العوامل وغيرها، كانت سببا في تعجيل سقوط الدولة السليمانية، وإن كان أمراء تنس العلويون حاولوا إحياء الدولة السليمانية، لكن دون جدوى، وإن بقى لهم النفوذ الروحي، في بعض المناطق، وخلفوا ذرية لا تزال منتشرة في بعض هذه الديار المغربية إلى يوم الناس هذا.[4]

ز / التنظيم السليماني في المغرب الأوسط.

هذا التنظيم السليماني يحتاج إلى الإجابة على السؤال الآتي : كيف تمكن الشيعة الزيدية في المغرب الأوسط، من قيادة عناصر شتى من مذاهب مختلفة ؟ سنة، شيعة زيدية، شيعة إمامة، وخوارج إباضية، صفرية، معتزلة ... قلّ ماحدث ذلك في تاريخنا العربي الإسلامي دون صعوبات تذكر.

في إعتقادي يعود ذلك لعوامل شتى داخلية وخارجية مجتمعة، منها :

1 - سيرتهم الحسنة : تمتع الحسنيون في المغرب الأوسط والأقصى بسيرة حميدة. وهذا بسبب تقيدهم بالكتاب، والسنة، وأخلاق آل البيت، لذا ملكوا القلوب قبل البلاد[5] وهذه السيرة الحميدة، لا زال بعض أشراف المغرب يتمتعون بها إلى الآن.

---

(1) معناه بالأمازيغية، صاحب الحمار، أنظر، سليمان بن داود : ثورة أبا زيد بن كيداد ص 24/ الصنهاجي أخبار ملوك بني عبيد، ص 25 (الهامش)

(2) الصنهاجي : ن، م، س، ص 31

(3) سليمان بن داود : ثورة أبا زيد بن كيداد، من الحجم الصغير، عدد الصفحات 110.

(4) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 5.

(5) الصنهاجي (أبو عبيد الله) : ن، م، س، ص 7 (الهامش).

2 – تطبيقهم للشورى : تمسك العلويون بهذا المبدأ وفق ما رسمه الإسلام وعمل بها نبي الرحمة، حيث يقول النبي (ص) : «ما شقي إمرؤ عن مشورتي ولا سعد بإستبداد برأي، »[1] وهذا عن طريق الأشياخ (الآمغارن).[2]

3 – حسن إختيار الحاشية : يظهر أن علويي الدولة السليمانية، قد انتقوا من حاشيتهم، أمناء الناس وأتقيائهم وخيارهم، والدليل على ذلك ندرة الآفات الإجتماعية التي سجلها التاريخ.

4 – توظيف المساجد : توصلنا مسبقا، وقد قلنا ما خلت مدينة أو قرية من مسجد، وقد استغلت للدعوة لهم[3] سواء من طرفهم أو من قبل الزائرين لهم، وذلك بمناسبة وبدونها.

5 – إعتمادهم على النسب الشريف : وظف آل الحسن والحسين (رضو) النسب الشريف إلى أبعد الحدود[4] واستغلوا الأحاديث النبوية التي أخصتهم من دون غيرهم، ومصحف فاطمة[5]، وبطولة علي (ض)، وقربهم من الرسول (ص) وما قالته فاطمة (ض) في البربر.[6] 6 – تنظيم الندوات العلمية والثقافية : ما مرّ ببلاد المغرب الأوسط

---

(1) الشهر ستاني : الملل والنحل، ج 1، ص 32/ ويقول النبي (ص) : «ما ندم من إستشار، ولا خاب من إستخار ...» أنظر ابن عبد الله الأندلسي : العقد الفريد، ج 1، ص 61/ رواه الطبراني في المعجمين الصغير والوسيط، أنظر، د.عاظم القريوتي : كتاب حديث صلاة الإستخارة رواية ودراية، ص 31.

(2) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، ج 2، ص 502.

(3) بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص 297.

(4) سرنهك إسماعيل : حقائق الأخبار، ج 1، ص 287/ فرانتش تشنر، وفريتس شتيباب، وسلوى الخماش تاريخ العالم العربي، تر : نقولا زيادة، وسلوى الخماش، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1975 م، ص 85.

(5) مصحف فاطمة : ويقول الإمام الصادق : «عندنا مصحف فاطمة، أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه من إملاء الرسول وخط علي. »، أنظر، أبو ريان محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1986 م، ص 158.

(6) ابن مريم : البستان، ص 15/ لقبال موسى : ملحمة أبي عبد الله الإكجاني، ص 23/ روجي لي تورنو : حركة الموحدين في المغرب، ص 12 (الهامش) / ابن عذاري : البيان، ج 1، (المقدمة) / ابن خلدون يحي : بغية الرواد، ص 85.

والأقصى عالما أو أديبا، إلا واغتنم العلويون كل فرصة تتاح لهم، سواء كان من المغرب أو المشرق، إلا وطلبوا منه إلقاء سلسلة من الدروس والندوات العلمية والأدبية حول الإسلام وتعاليمه، وفضل آل البيت، من أمثال الشماخ[1] وبكر بن حماد التيهرتي.[2]

7 - عرف آل علي (رضو)، بتمكنهم من العلم، وبرز العديد من المفكرين والعلماء منهم، ووقف جل الفقهاء الكبار إلى جانبهم في محنتهم من أمثال أبو حنفية، مالك[3] الشافعي [4] أحمد بن حنبل ... إلخ، ومدح العلماء لهم فقط «سجن وجلد أبو حنيفة في العهدين الأموي والعباسي، وأحضر الشافعي من اليمن لبغداد، وعرض على السياف، وأهين مالك، وأحمد بن حنبل، وخرج الأوزاعي من مجلس والي دمشق متلمسا رأسه.»[5] 8 - تطبيق تنظيم اللامركزية : لأنه أكثر تنظيم يتناسب مع رغبة سكان المغرب الأوسط، حيث يترك ولي الأمر يعيش معه مطلع على أحواله، وطبقه على علوي الجزائر : «هي اللامركزية التي إقتضتها طبيعة الوطن، الذي كان أهله يكرهون الحكومة المركزية.»[6] هذه العوامل مجتمعة إجتمعت عليها كلمة أهلها[7] يعني الإمام إدريس وباقي أئمة الأدارسة والسليمانيين وهو التنظيم الذي إستمد من النظام العباسي، الذي ساد العالم الإسلامي حتى قرطبة كانت نسخة منه.[8]

---

(1) سرنهك إسماعيل : ن، م، س، ج 1، 285/ سعدون عباس نصر الله : ن، م، س، ص 117.

(2) رابح بونار : المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 124.

(3) مالك بن أنس : في أدب الدنيا والدين، ص 42، 43 (الهامش).

(4) الحشلاف : ن، م، س، ص 20/ ويقول التجيني :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

(الصلاة البتراء)، أنظر التجيني (عيسى بن موسى) : بغية الكالب، ص 399 / وهذا ما يريد أن يقول ابن حجر العسقلاني، في الإصابة، كلما قال «(ص)، إلا وقال : صلى الله عليه وآله وسلم.

(5) الزعبي : ن، م، س، ص 46، 47.

(6) عبد الله شريط، الميلي محمد : ن، م، س، ص 87/ إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 197.

(7) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 405.

(8) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس، تر : ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ب.ت)، ص 52.

المذهب الزيدي : هو أحد المذاهب الشيعية الأساسية، والشيعة لغة الصحب والأتباع.[1] واقتصرت التسمية على أتباع علي وبنيه رضوان الله عليهم، والإمامة عندهم «ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم.»[2] وأن النصوص الشرعية التي جمعوها تنطبق على علي (ض)[3]وعن حرب الدولة الأموية ثم العباسية يشكك في جلها ويؤولها خلافا لما توصل إليه الشيعة.[4] واختلف الشيعة في أحقية الإمامة بعد علي (ض)، فكان منهم الإمامية والزيدية وأخص الزيدية لأنه مذهب الدولة السليمانية.

والزيدية يجمعون بين المبدأين : مبدأ الإنتخاب، ومبدأ حصر الإمامة في آل البيت، ولهذا فهم يذهبون إلى القول بحق المسلمين جميعا في إختيار الإمام والخليفة، بشرط أن يكون من ذرية النبي (ص)[5] وهذا ما تم تجسيده في المغرب الإسلامي مع إشتراطات أخرى، مثل لا تفضيل بين آل الحسن وآل الحسين رضوان الله عليهم[6] والإمام يشترط فيه العلم والزهد والشجاعة والسخاء والخروج للإمامة. ولا يتبرؤون من أبي بكر وعمر، ولا يلعنوهما، ولا يقولون بعصمة الأئمة، كما لا يجيزون التستر والإختفاء. ولذلك كثير من أئمتهم يخرجون فيقتلون.[7] في اعتقاد بروكلمان، إن سر نجاح المذهب الزيدي في المغرب، يعود إلى تنكره لعقائد الشيعة المتطرفة منها، ومن هنا لم يكن الخلاف

---

(1) ابن خلدون : المقدمة، ص 348.

(2) ن، م، س، ص 348.

(3) النسائي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب) : كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ض)، تخريج : أبي إسحاق الجويني الأثري، بدار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1996 م، ص 10.

(4) أبو ريان محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ط 4، 1986 م، ص 129.

(5) أنظر، الفصل الأول من هذه الرسالة، ص 24.

(6) ضمت الدولة السليمانية، أمراء من أبناء الحسن والحسين، أنظر، إمارة الهاز، وسوق حمزة من هذه الرسالة الفصل الثاني، ص69.

(7) بيطار أمينة : تاريخ العصر العباسي، ص 269.

بينها وبين الأكثرية السنية حاد جدا[1] إلا أنه لم يحدد فصيلا بعينه، والحق يقال إن شيعة المغرب الإسلامي، إشتهروا بالوسطية في جل إنجازاتهم الحضارية.

وأن التقارب الذي حدث في المشرق بين الزيدية والمعتزلة، كان له آثاره الطيبة في إقامة الدولة الإدريسية والسليمانية[2] وقد مر معنا ما فعله الدعاة المعتزلة في المغرب، حتى أن البعض لم يفرقوا بين الإعتزال والتزيد.[3] «وراء تيهرت ... بلد المعتزلة، وعليهم رئيس عادل وعدلهم فائض، وسيرتهم حميدة، ودارهم طنجة ونواحيها.»[4] وإن كانت الدولة السليمانية، والإدريسية، لم يثبت عنهما، أن ناصرتا الإعتزال، كما فعل خلفاء بني العباس من سنة (198 – 234 هـ)، وإجبار الناس عليه. وإن كان موجودا بها طائفة كبيرة منهم، كما نوضحه في الجانب الثقافي، وهذا ما جعل مقدم كتاب شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي، يقول : «ظهرت الزيدية معتزلة في التوحيد والأصول، حنفية في الفروع، شيعية في السياسة.»[5] وبهذا يكون قد جانب الصواب، لأن حكمه كان من خلال كتاب الأصول الخمسة، والصحيح إن للزيدية مذهبها المتجدر، وفقهها المشهور.

2 – الخلافة : وهي الإمامة الكبرى «وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها.»[6] لم يتجرأ البيت العلوي في المغرب الإسلامي على التلقب بالخليفة، كما سيفعل الفاطميون، ثم بني أمية في الأندلس لأنهم» كانوا يدركون جيدا أن الخلافة كلمة جامعة وشاملة للأمة جمعاء ولا يستحقها إلا

---

(1) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 157، (الهامش).

(2) الشابي علي، وأبو لبابة حسين، عبد المجيد النجار : المعتزلة بين الفكر والعمل، الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1979 م، ص 50.

(3) التزيد : من الزيدية على غرار الإعتزال (إن صح هذا التعبير).

(4) ابو الفرج (قدامة بن جعفر البغدادي) : كتاب الخراج وطبعة الكتاب / مع كتاب المسالك والممالك، لأبن خردادبة، ص 365، 366.

(5) المعتزلي (عبد الجبار) شرح الأصول الخمسة، ج1، ص 17، (مقدمة الناشر).

(6) ابن خلدون : المقدمة، ص 336.

من ملك الحرمين الشريفين بالحجاز» ولا يخاطبون بالخلفاء، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم، إلا من كان مالكا للحرمين، غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين.[1] لذا رأينا رغبة كل من إدريس وسليمان في التوسع شرقا، والكتابة إلى والي مصر لمساعدتهم للوصول إلى أرض الحجاز.[2]

3 - **الإمامة** : من كلمة أمم، ولغة «كل من أئتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين»[3] والإمامة إصطلاحا : «الإمامة موضوع لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.»[4] وهذا ما فهمه الأستاذ صبحي الصالح عندما قال : «فالإمام يخلف النبي (ص) مقتديا به في حراسة الدين وحمايته، لا في شرحه والتبديل فيه، وفي سياسة الدنيا أيضا، بهذا الدين فيما أتى به من النظم التشريعية المفصلة المسعدة لبني الإنسان.»[5] والظاهر أن علوي المغرب أدركوا ذلك وتقيدوا به، ولقب الإمام كثيرا ما إستخدمه ابن أبي زرع قبل أئمة الدولة الإدريسية[6] وإن كانت العبارة التي أمر بها إدريس بتدوينها على منبر مسجد تلمسان، لم يضع أمام لقبه كلمة إمام[7] وابن خلدون رأى هذا المنبر، وقرأ ماكتب عليه، لما إستقر في تلمسان لمدة من الزمن، لكنه لم يسجل الكتابة على الأقل في الخبر عن دولة الأدارسة.[8] بينما الكثير من المراجع، تتبثها قبل إسمه، أي الإمام إدريس[9] من أين جاءوا بذلك ؟

---

(1) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 1، ص 183.

(2) سأتطرق إلى ذلك في فصل العلاقات الخارجية من هذه، ص 187 وما بعدها.

(3) ابن منظور : لسان العرب، مادة أمم، / أنظر، القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية 124 / وسورة القصص، الآية 5، تؤكد نفس المعنى.

(4) الماوردي علي بن محمد : الأحكام السلطانية، ص 5.

(5) الصبحي الصالح : النظم الإسلامية، ص 292.

(6) ابن أبي الزرع : روض القرطاس، ص 20 وما بعدها.

(7) ن، م، س، ص 21.

(8) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 25.

(9) الميلي : ن، م، س، ص 474 / عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 183.

ويقول الأستاذ عبد اللطيف السعداني : إن ذلك كان في السنوات الأولى من حكمه[1] ربما يكون ذلك إنتظار للبيعة الشاملة، أو وصول أخيه سليمان من معسكر، أو التأكد من أن البيت العلوي راض عن إمامته، أو مصير يحي المسجون في بغداد. والمهم إن الإمامة إنعقدت في المغرب الإسلامي لأبناء الحسن بفاس على الأقل. وظلوا يتوارثونها إلى سقوط الدولة الإدريسية سنة 375 هـ.

4 – الوزارة : لغة من الوزر وهو الثقل أو العبء، لأن الوزير يتحمل أعباء الحكم وأثقاله[2] إذا كانت الدولة الإدريسية قد لجأت في عهد إدريس الثاني، إلى تعيين الوزراء من العرب والبربر، وإذا كان الأستاذ، إسماعيل محمود يرى أن دولة الأدارسة، دخلت في مرحلة إقطاعية، بوفاة محمد بن إدريس الثاني سنة 213 هـ، ودلل على ذلك بالفتن الداخلية بين العائلة العلوية حول الحكم، مما نتج عنه «تقسيم الإقطاع بين الأبناء والأحفاد.»[3] فإنه يظهر لي ليس بالضرورة، إن وجد الإقطاع بأوربا الغربية، أن يتواجد في البلاد الإسلامية، لأن الإقطاع ظاهرة إجتماعية فرضتها ظروف حضارية معينة. ومن خلال المصادر التي حضرت منها هذه الأطروحة الجامعية، لم أعثر على ما يحاكي الإقطاع في بلاد المغرب.

أما وظيفة الوزير يظهر أن السليمانيين، لم يعينوا وزراء، لأنهم لأم يكونوا في حاجة إليهم، لأن لكل إمارة أميرا ولكل مدينة واليا عليها، والمدن كانت منتشرة في الدولة السليمانية، كالقطر وهذا إذا لم تطالعنا مصادر جديدة بعكس ما وصلنا إليه.

5 – الإمارة : عرف المغرب الأوسط نوعا واحدا من الإمارة، وهي إمارة الإستكفاء[4] حيث أن الإمام محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل، قام بتعيين ابنائه على

---

(1) عبد اللطيف السعداني : إدريس الأول، منشئ دولة، وباعث دعوة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 514، نقلا عن : إسماعيل محمود : دولة الأدارسة، ص 58.

(2) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص 20.

(3) إسماعيل محمود : دولة الأدارسة (172 375 هـ)، ص 89.

(4) الماوردي : الحكام السلطانية، ص 20 / الونشريسي (أحمد بن محمد) : كتاب الولايات ومناصب الحكومات الإسلامية والخطط الشرعية، تعليق محمد الأمين بلغيت، م. لافوميك، الجزائر، (ب.ت)، ص 26.

أهم الإمارات في الدولة السليمانية، عملا بما قام به الإمام محمد بن إدريس في الدولة الإدريسية «فلما هلك محمد بن سليمان، تملك تلسمان من بعده إبنه أحمد وولي عهده، فأبقى أخوته على نحو ما فعل أبوه.»[1] وبنفس الطريقة كان يعين العمال في المدن المهمة، وأحيانا يكون العامل من غير آل البيت العلوي كمحمد بن أبي عون بوهران[2] وعلى بن حامد بن مرحوم الزناتي بمدينة العلويين (صبرا).[3] أما إمارة الهاز ومتيجة وأعمالها، لم نعثر على الكيفية التي كان يتم تنصيبهم بها، إلا أنه لا يظهر ما يخالف القاعدة المعمول بها في الدولة السليمانية.

6 - **القضاء** : هو وظيفة دينية يقوم بها إمام الأمة، أو يعين من ينيب عنه، ومن ولاهم الرسول (ص) القضاء عليا (ض) على اليمن[4] وقال الرسول (ص) : «لا يقضي بين الناس، إلا ذو شرف في قومه.»[5] وهذا ما فهمه العلويون ووعوه، كما أن لهذه الوظيفة أهمية بالغة، وعلى أساسها تبني الدول، حيث قام الإمام إدريس الأكبر، في المغرب فقد بقيت الدولة الإدريسية بدون قاض، لأن الإمام إدريس الأول يجلس للناس يحكم بينهم ولم تكن مشاكل معقدة، تتطلب جهدا لحلها. وفي سنة 189 هـ / 804 هـ، وفد على الإمام إدريس الثاني الوفود من الأندلس وإفريقية، فإختار منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي وعينه على القضاء.[6] وهذا ما كان معمولا به في الدولة السليمانية والإمارات العلوية على الأقل في عهدي المولى سليمان، ثم إبنه محمد (ض)، إلا أن الأمر إختلف بتطور الدولة، حيث وجدنا إمارة جراوة، يقوم أميرها بتعيين

---

(1) التنسي : تاريخ الدولة الإدريسية، ص 66.

(2) البكري : المغرب، ص 70.

(3) اليعقوبي : البلدان، ص 112 / لقبال موسى : زناتة والأشراف الحسنيون ...، مجلة الصالة، العدد 26، سنة 1975 م، ص 94.

(4) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص 61/ صبحي الصالح : النظم الإسلامية، ص 319.

(5) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد، ج 1، ص 22.

(6) سعدون عباس نصر الله : ن، م، س، ص 125

عيسى بن جنون في منصب القضاء.[1] أما الحكم فكان يتم وفق المذهب المالكي، لأنه انتشر في بلاد المغرب والأندلس في وقت واحد، هو نهاية القرن الثاني هجري، وهذا ما سنوضحه في القسم الإجتماعي والثقافي وكان ابن عامر القيسي يحكم وفقه في بلاد الأدارسة[2] وهذا السائد في إفريقية الأغلبية، إلى جانب المذهب الحنفي.

7 - الحسبة : عكس المكافأة، فعل الشيء حسبة، أي بدون مقابل، ابتغاء الثواب من الله، وعادة ما كان يقصد بها «الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»[3] وهي نوع من أنواع القضاء، لكن تختلف عنه في سرعة البث، «أعلم أن الحسبة من أعظم الخطط الدينية، وهي بين خطة القضاء، وخطة الشرطة جامعة بين نظر شرعي ديني، وزجر سياسي سلطاني، فلعموم مصلحتها وعظيم منفعتها تولى أمرها الخلفاء الراشدون.»[4] وكثيرا ما إرتبطت بالأسواق والأماكن العامة، وكثيرا ما عرف المحتسب بصاحب السوق.[5] وفي معظم الأحيان، كان المحتسب يقوم بجولات تفقدية في الأسواق، والأماكن العمومية، لمراقبة المكاييل والموازين، وإذا تمادى التجار في التطفيف، أخرج من السوق، وقد ينفى من البلد.[6] ومن الأمكنة التي كان يقوم بتفتيشها الحمامات، الشوارع، الطرقات، الصيادلة، العطارون، أصحاب الحرف[7] ... إلخ.

---

(1) البكري : ن، م، س، ص / عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 190.

(2) سعدون عباس نصر الله : ن، م، س، ص 126.

(3) قلعتجي محمد رواس، وقنيبي : معجم لغة الفقهاء، ص 179.

(4) المجيلدي (أحمد سعيد) : كتاب التيسير في أحكام التسعير، ص 42.

(5) لقبال موسى : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب نشأتها وتطورها، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر، كلية الآداب، سنة 1970 م، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1971 م، ص 35.

(6) المقري (الشيخ أحمد بن محمد - التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تحقيق : إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1968 م، ص 203.

(7) المجيلدي : كتاب التيسير في أحكام التسعير، ص 103، وما بعدها.

أما شروطه، ومهامه، ومنزلته[1] وتنظيمه للأسواق، ومن تقلدها أي الحسبة، فإن المقام لا يسمح بذلك.

ولهذه الوظيفة الحيوية، وغيرها من وظائف الدولة تطورت الحياة الإجتماعية والإقتصادية، وعرف المجتمع السليماني رقي حضاري وثقافي، قد ساهم بشكل في الحضارة العربية الإسلامية المتميزة.

8 - **المكاييل** : عرف المغاربة قبل الفتح الإسلامي للمغرب المكاييل لتنظيم تجارتهم الداخلية والخارجية.، ولما حل المسلمون بهذه الديار أولوها عنايتهم الخاصة، إلتزاما بما جاء في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، ومنها ما جاء في سورة الإسراء[2] الشعراء [3] والمطففين [4] وذكر عن الرسول (ص)، أنه كان يقول : «إن الميزان ميزان مكة، والمكيال مكيال المدينة.»[5] ولما كان العلويون في المغرب، من أكثر الناس تمسكا بالإسلام، سهروا، على ضبط المكاييل والموازين، وأوكلوها إلى مراقبة المحتسب، وإستخدموا المكاييل الشرعية الرسمية. وهي تلك المكاييل الثمانية، التي أقرها الرسول (ص) في فجر الإسلام إلى جانب المكاييل العرفية للمغرب الأوسط.[6] وكثيرا ما أشار إلى ذلك المؤرخين «وكيلهم ستون مدّا بمد البني (ص)، ويسمونه عمروة، ورطلهم إثنتان وعشرون أوقية»[7] وهذا عند أرشكول. أما عند تنس «فكيلهم يسمى الصفحة وهي ثمانية وأربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة إمداد بمد النبي (ص)، ورطل اللحم بها

---

(1) علي محمد عبد الباقي : نظام الإحتساب ... مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، العدد 4، سنة 1980 م، ص 19.

(2) «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً »، الإسراء، الآية 35.

(3) «أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ »، الشعراء، الآية 181.

(4) « وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) »، المطففين، الآية 1، 2 .

(5) فهمي سامح عبد الرحمن : المكاييل في صدر الإسلام، ص 24 رواه أبي داود في كتاب البيوع، باب المكيال مكيال أهل المدينة، رقم الحديث 2899 موسوعة الحديث الشريف.

(6) ن، م، س، ص 26.

(7) البكري : ن، م، س، ص 78.

سبعة وستون أوقية، ورطلساير (كذا) الأشياء إثنان وعشرون أوقية»[1] وهناك مكاييل وموازين، لمعظم مدن المغرب، إلا أن معاييرها تختلف عن المدينة الثانية.

9 – السكة : أو العملة «وهي الختم على الدنانير والدراهم، المتعامل بها بين الناس، بطابع حديد، ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم.»[2] ويكون التعامل بها، إما وزنا أو عددا، وإن العد بدأ العمل به، بعد ثورة الدراهم في القيروان على عهد الأغالبة، في سنة 275 هـ[3] والوزن كان شائعا في المغرب خلال هذا العهد.

وضرب السكة يتطلب وجود فنيين كالسكاكين والفتّاحين، حيث يقتصر نشاط السكاكين في عمل السبائك الذهبية والفضية وتقطيعها. أما الفتاحين فيختصون بعملية النقش أو الحفر[4] وهذا يقودنا إلى وجود جملة من الحرفيين والفنيين وأصحاب الأذواق الرفيعة لإنجاز ذلك.

والظاهر أن عملة الدولة السليمانية، لم يكن ضربها مقتصرا على العاصمة تلمسان، بل ضربت كذلك في الإمارات، حيث ضربت في سوق إبراهيم في عهد أحمد بن عيسى[5] وكان يراعي فيها الأوزان الشرعية تقريبا، لذا إستقر الإجماع على أنها نقود شرعية.[6] ورغم تكريه الفقهاء للنقود التي عليها آيات قرآنية[7] إلا أن العملة السليمانية لم تتقيد

(1) البكري : ن، م، س، ص 62، أنظر، الملحق للمقارنة، والزيادة.

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص 462.

(3) ابن عذاري المراكشي : البيان، ج 1، ص 120.

(4) ابن قربة صالح : المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 33، 35.

(5) La voix , m.H. catalogue de monnaie musulmane P. 397

(6) الكبيسي حمدان عبد المجيد : البعد القومي لعملية النقود، جامعة قسنطينة، مجلة سيرتا، العدد 6/ 7، ص 124.

(7) ن، م، س، ص 120.

بهذه الفتوى[1] كما سجلوا أسماءهم على النقود[2] لما فيها من مظاهر سيادة الدولة[3] وإستقلالهم عن الدولة الإدريسية، والنقود المتداولة في الدولة السليمانية، خاصة في الأسواق الكبرى في المغرب الأوسط، لم تكن كلها سليمانية، حيث وجدت عملات أخرى من المشرق والمغرب.

ومما سجله الرحالة في موانئ المغرب الأوسط في أرشكول : «ودرهمهم ثماني خراريب والخروبة أربع حبات»[4]، وعن ميناء تنس «ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل، بوزن قرطبة، والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبتان مضروبة كلها، ودرهمهم اثنا عشر صقلية عددا» وتأكيده على أنه درهمهم على أنها عملة محلية، مما يدل أن هناك نقود للمغرب الأوسط.

والعملة التي كانت سائدة في المغرب الأوسط، والمغرب بكامله كانت من الدينار الذهب، لاحتكار المغاربة لذهب غرب افريقيا «فقد ظلت العملة السائدة في شمال افريقيا هي الدينار الذهبي لا الدرهم الفضي، الذي جرى عليه الأمويون في الأندلس والكارونجيون في فرنسا، »[5] وهذا خلال القرن 2 هـ / 8 م . وتميز المغرب عن دول حوض البحر الأبيض، لقربه من مصادر التبر، والتحكم في تجارته.

10 – الجباية : هي قيام الدولة بجمع المال، المترتب على الرعية من زكاة، وجزية[6]

---

(1) جاء في الكتابة الدائرية : «... لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ...» سورة الروم، الآية 4، 5.

(2) دينار أحمد بن عيسى، أنظر، سجل النقود الإسلامية، La voix ID. p. 397 / الملحق ص 221.

(3) ابن قربة صالح : المسكوكات المغربية، ص 432، 433، وجدت بالهاشمية (قرب سوق حمزة)، نقود مدرارية من سجلماسة.

(4) البكري : ن، م، س، ص 78.

(5) ارشيبالد.ر.لويس : القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، ص 194.

(6) الجزية : النص القرآني الذي يوجبها، «قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ». سورة التوبة، الآية29، وهي مبلغ من المال معين يوضع على رؤوس الذميين لا على الأرض وتسقط بالإسلام، انظر، الصبحي الصالح : النظم الإسلامية، ص 363.

وخراج[1] ونحو ذلك. وابن خلدون لفت الانتباه إلى معيار جديد، لتقدم الدولة وانحطاطها، حيث يقول : «أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع قليلة الجملة (ما يتوزع على الأشخاص)، كثيرة الجملة، وآخر الدولة، تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة.»[2] وقد وضح العلل والأسباب، وهذا ما لم تنج منه الدولة السليمانية، لأن نفقاتها تعددت، الجيش، القضاة، الشرطة، المحتسب، نفقة أهل البيت، وباقي الخدمات الاجتماعية الأخرى.

وإذا كان حول مسألة الإنفاق من غير الزكاة أي في مال المسلم حق سوى الزكاة، فيه اختلاف بين الفقهاء، فان الثابت هو «اتفاق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة، بعد أداء الزكاة فانه يجب صرف المال إليها.»[3] ويظهر أن الأستاذ : متزآدم لم يدقق في المسألة حيث قال : «وكان الفقهاء المسلمون، يعتبرون كل مازاد عن الشرع الإسلامي ضرائب غير قانونية.»[4] وعادة ما كانت الجبايات الباهضة سببا في انتفاضة الشعوب على الحكام المسلمين، وغير المسلمين، ولنا في تاريخنا الإسلامي أمثلة عديدة، ثورة 122 هـ على بني أمية في المغرب الإسلامي. وكان الخليفة بن عبد العزيز، قد نبه إلى أخطارها على الدولة، واعتبرها البخس الذي نهى الله عنه، وبعدها عن قيم ومبادئ الإسلام، وشرع في إصلاح ذلك، حتى عم الخير الأمة[5]، إلا أن خلفاء بني أمية من بعده، رجعوا إلى سياسة التعسف الضريبي.[6] إن ظاهرة نشوء المدن، وتطورها بسرعة

---

(1) فهو ما وضع رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها من غير العشور، على الأرض المفتوحة عنوة وأرض الصلح...، انظر، الماوردي : الأحكام السلطانية، ص 127.

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص 493.

(3) ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله) : الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، تحقيق : أحمد عبيد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1966م، 127/ السيد سابق : فقه السنة، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، (ب، ت)، ص 417.

(4) متز آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ج1، ص233.

(5) الجنحاني الحبيب : سياسة الخلافة الأموية، اتجاه المغرب، ص 58.

(6) شعبان محمد عبد الحي محمد : الدولة العباسية والفاطميون، ص 31.

مذهلة في المغرب الاوسط، ودخول معظم قبائل المغرب إلى الإسلام، أصبحت هذه المناطق معفية من الجباية غير الزكاة، ولم يوضع لها نظام جديد يكون بديلا لنظام الجزية المتقضي في المدن والقرى.[1] وهذه الظاهرة انطبقت على الدولة السليمانية، كما أنها عمت الخلافة العباسية بكاملها، مما أدى إلى ضعفها ماليا، لأن المداخل كانت غير منظمة لعدم فرض توابع(رسوم) دائمة من غير المداخل المعروفة.[2] إذا كان المكس[3]، قد انتشر في بعض البلدان المغربية والمشرقية في بداية القرن الرابع الهجري، لقوله أبي ربيع سليمان بن زرقون[4] : «وأنه ليس لله علينا أن نشري حجة.»[5] يشير إلى المكس الذي كان يفرض على الحاج المتوجه من المغرب إلى المشرق أي إلى الحجاز، ويظهر أن المكس كان غير موجود، لأني لم أعثر عليه في الدولة السليمانية.

1-1 - الجيش : هم طائفة من الناس أوكلت لهم مهمة الدفاع عن الأمة، والسير إلى الحرب، وقيادة الجيش، قبل قيام الدولة السليمانية، كان الجيش تحت قيادة إدريس الأول، وفتح به العديد من المناطق والأقاليم، وكانت تلمسان من بين المدن التي تم فتحها طوعا.[6] وفي هذه المدينة تم إقتسام الجيش بين إدريس وسليمان، [7] وهذه القيادة أصبحت حكرا على رؤوس الدولة، وأثناء فتنة 199 هـ/ 814 م، نرى إدريس الثاني، يقود الجيش نفسه. ويترك العاصمة فاس، ليبقى في مدينة تلمسان لمدة ثلاث سنوات دون أن يعود إلى العاصمة فاس، وهو يخوض المعارك، وتسجل له كتب التاريخ أروع

---

(1) Abdallah Laroui Histoire du Maghreb t1. p84.

(2) فرض أنواع جديدة من الجباية كالأثمان في السواق وأعيان السلع في أموال المدينة.انظر، ابن خلدون : المقدمة، ص496.

(3) المكس : جباية البخس، يأخذها الماكس ممن يدخل البلد من التجار. انظر، ابن عبد الحكيم : الخليفة العادل...ص102.

(4) ابو ربيع سليمان بن زرقون النفسي : عاصر أبو يزيد مخلد بن كيداد، من علماء الاباضية، انتقل بين سجلماسة، وتيهرت، وافريقية، انظر، أبوزكرياء : سيرالأيمة، ص 128.

(5) سليمان الحاج داود بن يوسف : ثورة أبو يزيد، ص 27.

(6) التنسي : ن، م، س، ص 34.

(7) الحشلاف : السلسلة الوافية، ص242.

صفحات البطولة والشجاعة.[1] وعند إقتسام الدولة السليمانية إلى إمارات، أصبح كل أمير له جيشه الخاص به،[2] لحماية إمارة، واستتباب الأمن، وكثيرا ما توسعوا على حساب الدولة الرستمية، بسبب، الإضطرابات الداخلية التي تعرضت لها في النصف الثاني من حياتها.[3] والجيش في بدايته أنه كان من المتطوعين البربر من قبائل زناتة وغيرها، وفي الإمارات الشرقية (الهاز ومتيجة) من قبائل زناتة وصنهاجة، إلا أننا لا نعرف إن كان لهم جيشا نظاميا.

أما الاسلحة، يظهر أنها لا تختلف عن الأسلحة التي كانت موجودة عند جيرانه والدول القريبة منهم في النشأة كالأدارسة والاغالبة من السيف والرمح والترس.[4] أما الأسطول البحري العسكري، إذا رجعنا إلى الإمكانات الطبيعية والبشرية التي توفرت للدولة السليمانية، والظروف الدولية المحيطة، فإننا نقول : إن لهذه الدولة أسطولها الذي شاركت به في رد هجمات الأمويين، والفاطميين، وحتى من دول أوربا، وإخماد الفتن الداخلية خاصة من الخوارج الصفرية. وبرزت القوة العسكرية في عهد عيسى بن العيش بن إدريس بن محمد بن سليمان، باني مدينة جراوة،[5] وقد لاحظنا صمود إمارة أرشكول في وجه الأسطول الأموي،[6] كيف حدث ذلك إذا لم يكن عن طريق الأسطول السليماني ؟ دون أن ننس أن المال، كان ولا زال أداة التجنيد الفعالة، فكان الأمير، تكثر أجناده أو تقل تبعا لكثرة المال في خزائنه أو قلته.[7] وهذه الظاهرة عامة عند السليمانيين وغيرهم.

---

(1) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 118.

(2) عبد شريط، ومحمد الميلي : مختصر تاريخ الجزائر، ص 87.

(3) إسماعيل محمود : الخوارج في المغرب الإسلامي، ص 115.

(4) بورويبة رشيد : الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977 م، ص 127.

(5) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 167.

(6) البكري : ن، م، س، ص 78.

(7) عون عبد الرؤوف : الفن الحربي في صدر الإسلام، ص 101.

أما الثغور الإسلامية في المغرب من سبتة إلى الإسكندرية، فكان لها محارسها (المنارات)، لحماية السواحل وكان إبن يثيب[1] «هو الذي بنى لأهل المغرب المحارس على ساحل البحر من سبتة إلى الإسكندرية.»[2] أعود إلى الموضوع عند الحديث عن المدن والرباطات بها.

12 – المدينة : لها أصل في اللغة، حيث ترجع أصلا إلى كلمة دين، وبهذا يكون لها جذور في الآرامية والعربية،[3] وجاء ذكرها في القرآن الكريم، «وقد وضح من التفسير القرآني، إن كل المواضع التي أطلق عليها لفظ «مدينة» كان عليها حكام وملوك، وفيها على وجه التحقيق الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية[4] فجاء تمييز المدينة عن القرية في القرآن الكريم على أساس سمة التقاضي.»[5] لذا جاءت تعاريف الجغرافيين العرب والمسلمين قريبة من المفهوم الإسلامي للمدينة.«كل بلد جامع تقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه»[6] وتطورت المدينة الإسلامية مع تطور المجتمع الإسلامي وحاجاته المتزايدة.

والمدينة في المغرب الإسلامي في عهد الدولة السليمانية والإمارات العلوية، توفرت لها جملة من المرافق الضرورية والحيوية. سأتوقف على أهمها : دون إطناب وتوسع، لقد شيد الاشراف الحسنيون في المغرب الأوسط العشرات من المدن، إما سميت بأسمائهم،[7]

(1) ابن يثيب : يعني كل مقطوع العرقوب (وفي الذاكرة الشعبية أن كل من كان عرقوبه مقطوع فهو من الخوارج الإباضية)، وهو من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . أنظر، أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر) : كتاب سير الأئمة، ص 106.

(2) ن، م، س، ص 106.

(3) عثمان محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية عالم المعرفة العدد 28 1988، الكويت، ص 17

(4) ن، م، س، ص 17.

(5) المقديسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 47

(6) ن، م، س، ص 47.

(7) من ذلك سوق حمزة، سوق إبراهيم، بوفاريك، العلوية ... أنظر صادق : مليانة ووليها ص 146.

أو أسماء بربرية، (1) أو تم إحياء اسمها القديم. (2)

نشأة المدينة : بما أن المدينة ظاهرة بشرية (3) نشأت بطرق مختلفة في أماكن متعددة في العالم، فعلى سبيل المثال، مدينة فاس تطلب شهور لإختيار الموقع، من قبل وفد من الخبراء المهندسين. (4) وهذه الجهود بدلت في إختيار القيروان وغيرها من المدن الإسلامية، ويرى موريس (لومبارد) : «إن من الآثار الإيجابية للفتوحات الإسلامية هي بناء المدن» (5) وإن المدن كما هو معلوم لها أغراض في بداية نشأتها، عسكرية، (6) دينية، (7) تجارية، (8) ... إلخ. وجل مدن المغرب الأوسط، حصنت بجملة من وسائل الدفاع. «اعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام» (9).

من أمثلة ذلك : «هنين (10) مدينة صغيرة ... لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة، وتحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما في جهة البحر» (11). وعن مدينة

---

(1) من ذلك جراوة، ترارا، ندرومة، متيجة، أنظر ابن خلدون : ترجمان العبر ج 6، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب قسم البربر.

(2) كتنس، برشك، تاقدمت، هنين، أرشكول ... أنظر الزاهري زهير موقع برشك، مجلة الأصالة، العدد 25 السنة الرابعة 1975، ص 5، 6.

(3) حليمي علي عبد القادر : أصول النشأة لمدينة الجزائر، ص 7.

(4) سعدون عباس نصر الله : ن، م، س، ص 149 / 162.

(5) أنظر، الفتوحات الإسلامية الأولى وأثرها ... مجلة الأصالة، العدد 56، ص 11.

(6) من ذلك القيروان، الفسطاط.

(7) منها مكة، النجف، كربلاء.

(8) من ذلك سوق عبد إبراهيم، تنس، وهران...

(9) عثمان محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص 135

(10) هنين : هذا الشكل كتبها جل الجغرافيين المسلمين القدماء، مثل البكري : ن، م، س، ص 80، الإدريسي : ن، م، س، ص 247، 254 ... إلا أن الأستاذ فخار إبراهيم يرى أهنين وليس هنين وهو يصر على ذلك في مقابلة معه بتاريخ 19/ 09/ 1998، بمدينة وهران.

(11) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ج 2، ص 15.

وهران[1] بنيت في سنة 290 هـ . «وعليها سور تراب متقن.»[2] والمدينة في المغرب الأوسط لا تختلف عن باقي المدن الإسلامية في المغرب والمشرق، في شوارعها وطرقاتها وبرزت ظاهرة الشوارع في المدن المصرية القديمة والإغريقية والقرطاجية، [3] مما يدل على أن المدينة قبل قيامها كان يخطط لها إستقامة شوارعها وتقطعها شوارع عريضة مستقيمة، [4] وهذه الظاهرة إستمرت في مختلف المدن إلى اليوم، إلى جانب الشوارع الخاصة الضيقة الملتوية ... ولتسهيل المرور، كثيرا ما كان يتدخل المحتسب لمعاقبة المخالفين لقانون المرور.[5] وكان يحرص على إضاءة وتبليط، شوارع المدينة وتزينها بالأشجار ... وتم ربط المغرب الأوسط، بالعديد من الطرق من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. ومعظم كتب الجغرافية خصصت جزء لذكر الطرق التي ربطت المدن الإسلامية، وتقدير مسافاتها. إما بالمراحل[6] أو الميل، وتم ربط الموانئ بالمدن الداخلية بالعديد من الطرقات، من أمثلة ذلك «بجاية قطب لكثير من البلاد»[7] وطرق قسنطينة مع جيجل والقل، تلمسان مع رشجون أرشكول وهنين.[8] والعاصمة السليمانية، ثم ربطها بمعظم مدن البلاد، وبعواصم المغرب «ومنها إلى أرشغون فرضة[9]

---

(1) وهران : آر، وجمعها ايران، تعني الأسود، أي مدينة الأسود، أنظر، مسلم ابن عبد القادر أنيس الغريب والمسافر تحقيق رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974، ص 6. وأنا أرجح أن أسمها عربي «من بني وهران، بطن من بني صخر عرب الكرك، مساكنهم بجبل عوف من الشام ذكرهم الحمداني » والمعروف أنه كانت هناك شراكة أندلسية من عرب الكرة ويظهر أن أصولهم من عرب وهران، أنظر القلقشندي : نهاية الأرب، ص 396، لنفس المؤلف : قلائد الجومان، ص 68.

(2) الإدريسي : ن، م، س ص 153.

(3) عثمان محمد عبد الستار : ن، م، س، ص 169.

(4) عثمان محمد عبد الستار ن، م، س ص 171.

(5) المجيلدي : ن، م، س، ص 109.

(6) أنظر الملحق من هذه الرسالة ص ؟.

(7) الإدريسي : ن، م، س، ص 161.

(8) ألفرد بال : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص 204.

(9) فرضة : ج، فرض، ويقال : فرضة من نهر ماء، ثلمة ينحدر منها الماء، أنظر، الزمخشري : أسس البلاغة، ص 339.

تلمسان وحيث ينصب النهر، الذي ينصب فيه نهر يسر الكبير، سبعون ميلا. ومنه فرضة هونين (كذا) إثنا عشر ميلا، ومنه إلى فرضة وهران المشهورة ثمانون ميلا»[1] وسأعود إلى الطرق مع التجار والمواصلات.

* أما المنشآت القاعدية في المدينة السليمانية، فتنوعت من حيث أغراضها.

المنشأة الدينية : وسأقتصر على المسجد الجامع المسجد، الرباط.

* المسجد الجامع، وهو المسجد الكبير الذي تؤدي فيه صلاة الجمعة، وتتبع إليه عادة جملة من المرافق الدينية. وهذه المؤسسة الحيوية، عادة ما كان في العاصمة والإمارات العلوية، وفي بعض المدن الأساسية، لأهميته ووظيفته الدينية والسياسية والإجتماعية والثقافية «فبالإضافة إلى الوظيفة الدينية، كان مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية والإجتماعية، »[2] منها «تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ... ومسجد جامع، »[3] وفي تنس «بها مسجد جامع، »[4] وفي معظم المدن الأساسية في المغرب الأوسط، كمرسى الدجاج،[5] وغيرها.

* المسجد، هو مؤسسة دينية تقام فيه الصلوات الخمس، وبعض الرغائبالأخرى، كصلاة التراوح،... وهذا النوع من المؤسسات الدينية، كانت عادة تبنى قبل بناء المدينة، لما قلناه عن المدينة الإسلامية. لكن المسجد، يأتي في مرتبة ثانية في المؤسسات الدينية، بعد المسجد الجامع ففي مدينة تلمسان، كان بها العديد من المساجد إلى جانب المسجد الجامع، ولا تخلو مدينة أو قرى في المغرب الأوسط من مسجد أو عدة مساجد، «ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع، »[6] عن تلمسان.

---

(1) ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا، ص 144.

(2) عثمان محمد عبد الستار : ن، م، س، ص 234.

(3) البكري : ن، م، س، ص 61.

(4) ن، م، س، ص 61.

(5) ن، م، س، ص 65.

(6) ن، م، س، ص 76.

* الرباطات، مفردها رباط، وهي رباطان : رباط الإقامة (المرابطة) في حدود البلاد مقابلة للعدو إخافة له.[1] ورباط (الزاوية) مكان عبادة لرجال الصوفية، يمكثون به للأشغال بالعبادة والتفكر. وما أكثرها في بلاد المغرب الأوسط، وأحيانا للوظيفتين في آن واحد، وتعود إلى القرن الثاني الهجري. ومن أقدمها رباط المونستير بإفريقية.[2] ومن رباطات الدولة السليمانية، «ورباط حسن مقصود، »[3] وهذا الرباط كان بالقرب من ندرومة وهي إحدى مدن إمارة أرشكول، وكان له أكثر من دور عسكري وإجتماعي وإقتصادي وثقافي «والمرسى مغيلة بني هاشم، وهو مرسى صيفي لا يكن من ريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير.»[4]

* المنشأة التعليمية : أرجع ذلك إلى الجانب الإجتماعي والثقافي، في الفصل الرابع.

* المنشأة الإجتماعية : منها الحمامات العامة، التي وجدت في كامل مدن المغرب الإسلامي، ولم تكن مقتصرة على الحواضر الكبرى، بل كانت عامة وشاملة، كما أن المغرب وجدت به بعض الحمامات المعدنية، والبعض منها لازال يستغل إلى أيامنا هذه، ومن أمثلة ذلك : «أفكان، هذه مدينة كانت لها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة، »[5] ومدينة أفكان، في الجهة الغربية من مدينة معسكر. وفي مدينة تلمسان عدة حمامات متفاوتة القيمة، [6] ومدينة فاس التي بنيت بها الحمامات والفنادق.[7]

* الأسواق : معظم مدن المغرب الأوسط، كانت في بداية نشأتها مراكز تجارية، ثم تحولت إلى مدن كبيرة، كسوق حمزة، سوق إبراهيم، تنس، أرشكول ...

---

(1) قلعتجي، وقنيبي : ن، م، س، ص 219.

(2) البكري : ن، م، س، ص 82.

(3) ن، م، س، ص 80.

(4) البكري : ن، م، س، ص 81.

(5) الإدريسي : ن، م، س، ص 151.

(6) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج2، 20.

(7) سر تهيك إسماعيل : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 1، ص 286.

وإهتم العرب قبل الإسلام بالنيران والأسواق، وخلدوا ذلك في أشعارهم وكتاباتهم، [1] وواصلوا إهتمامهم بذلك أثناء الإسلام، لذا تجدهم كلما حلوا ببلاد ما عمروها بالأسواق، والمرافق العامة، وظاهرة الأسواق، كانت منتشرة بشكل غريب حتى القرى النائية لها أسواقها الأسبوعية.

أما المدن فلها أسواقها اليومية والأسبوعية، وكل حي مخصص لبضاعة معينة، والنظام الذي وجد في القيروان، تأمم في كامل مدن المغرب.[2] ومن الأسواق الأسبوعية «ومن مدينة مليانة إلى كزناية مرحلة، وهي حصن أزلي له مزارع وأسواق، وهي على نهر شلف، وله سوق يوم الجمعة يقصده بشر كثير»، [3] وعن مستغانم «وهي مدينة صغيرة لها اسواق»، [4] وفي أسواق المدن، كان أهل الذمة يسمح لهم بالبيع والشراء حسب شروط، منها الزي الذي يميزهم عن المسلمين.»[5] ومما ساعد على تطوير اسواق المغرب الأوسط، الإنتاج الزراعي والصناعي الكثيف وقرب المدن من الريف، وقربها من الأسواق الكبرى الأندلسية والمغربية والمشرقية وحتى الأوربية. ونظام الإحتساب المتطور الذي عمل وفق مبادئ الإسلام، وقاعدة لاضرر ولا ضرار.

* المياه الصالحة للشرب : كثيرا ما توقف الرحالة العرب والمسلمون عند شرب أهل المدينة. لماذا ؟ لأن ذلك شيء أساسي، في تطوير المدينة وأمنها ونظافتها وصمودها أمام الأعداء فأرشكول «فمرساها في جزيرة، لها فيها مياه، ومواجن كثيرة للمواكب وأهلها المحتاجين إليها في سقي سوائمهم.»[6] وعندما يتكلم عن المسيلة يقول : «وفيها من داخلها عينان جاريتان، أحدهما تسمى عين رباح والأخرى تسمى عين زياد أطيب،

---

(1) القلقشندي : نهاية الأرب، ص 427.

(2) لقبال موسى : الحسبة المذهبية، ص 39، 40/ حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج 1، مكتبة المنار، تونس، 1964 م، ص 57.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 155.

(4) ن، م، س، ص 172.

(5) المجيلدي : كتاب التيسير في أحكام التسعير، ص 70.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 79.

وعليها معول في شربهم، وماؤها صحيح.»[1] هذه بعض المرافق العمومية في مدن المغرب الأوسط، خدمة لسكانها وضمانا لإستمرار الحياة، وجذبا للتجار، والعلماء، والمسافرين للإقامة بها، وبقية المرافق الأخرى، سأتطرق لها عند الحديث عن الحياة الإجتماعية والثقافية.

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 86.

الفصل الثالث
الحياة الإقتصادية في الدولة السليمانية والإمارات العلوية

من بين ما تهدف الزراعة معرفة الكيفية التي سارت عليها الحياة الزراعية، من إنتاج نباتي وحيواني ومن حياة حرفية طبيعية وبشرية وتفاعل الإنسان معها، ومن حياة تجارية، داخلية، وخارجية ومسالك، ومحطات تجارية، محليةودولية، مع إبراز أهمية وسائل النقل في الحياة الإقتصادية . وهذا في المغرب الأوسط خلال العهد السليماني (173 -342 هـ) .

ولعل من أهم الأهداف التي كان يسعى إليها العلويون في المغرب الأوسط، هو تحقيق مستوى معيشي لائق بهم، في إطار نهضة حضارية عربية إسلامية شاملة.

أولا : الزراعة :

يعرفها عمر حسن بقوله : «فلاحة الأرض من بذر وري وصرف وحصاد لإستغلال القوى الطبيعية، الأرض الصالحة للزراعة في سبيل الحصول على الحاصلات الزراعية سواء كانت مواد غذائية توجه لأغراض الإستهلاك أو المواد الخام أو الأولية التي تستخدم في الصناعة.»[1] والزراعة قديما وحديثا تتطلب شروطا طبيعية وأخرى بشرية. ما هي إماكانات الدولة السليمانية الطبيعية لزراعة إقليمها ؟ خاصة أن الزراعة لهذا العهد تعد العمود الفقري. للإجابة على هذا السؤال يمكن إيجاز الشروط الطبيعية فيما يأتي :

أ) الموقع الجغرافي : إحتلت الدولة السليمانية والإمارات العلوية موقعا جغرافيا متميزا بالنسبة لجيرانها، تطل على ساحل يمتد على نهر ملوية إلى نهر الصومام يقدر

---

(1) عمر (حسن) : موسوعة المصطلحات الإقتصادية، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط 3، 1979 م، ص 121.

بحوالي 1000 كلم، به أهم مدن وموانئ المغرب الأوسط. والمساحة المقدرة بحوالي 100 ألف كلم^2.(1)

ب) المساحة الزراعية : بالنظر إلى الخريطة الزراعية للدولة السليمانية من خلال ما سجله الجغرافيون والرحالة، يستنتج أن حوالي 40 ٪ من مساحة الدولة الكلية، كانت مستغلة زراعيا أي حوالي 40 ألف كلم^2، وهذه مساحة جد معتبرة.

جـ) السهول : هناك نوعان من السهول بها، سهول ساحلية، كسهل ملوية، ووهران وسهل متيجة وسهول داخلية كسهل تلمسان، تسالة، حمزة، ... إلخ.

د) خصوبة التربة : التربة هي : «النتاج الأخير لعوامل طبيعية مناخ ونباتات، وعوامل حيوية قد عملت متعاونة في أزمنة مختلفة لتغيير طبيعة المواد الصخرية الأصلية.»(2) وعلى ضوء هذا التعريف ان تربة الإقليم التلي للمغرب الأوسط هي تربة فيضية، وتربة خفيفة. فالتربة الفيضية، تنتشر في معظم السهول الساحلية والداخلية، كسهل وهران متيجة «وهي تربة ثقيلة غنية بالمواد العضوية والمعدنية.»(3) أما التربة الخفيفة أو التربة الجبلية، تسود سفوح الجبال وحتى الهضاب، «وهي غير ناضجة وفقيرة.»(4)

هـ) الشبكة المائية : وتتحكم فيها عوامل مختلفة هي : «المناخ، التضاريس، التربة، الغطاء النباتي ...»(5) أنهار الإقليم التلي، تدعى «الأودية الشمالية» لأنها تتميز بالجفاف في فصل الصيف وأنها متذبذبة من فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى، ومن أشهرها من

---

(1) أدبيح محند (بن أرزق) : انجراف التربة وحمايتها في التل الجزائري، المؤسسة الوطنية للمكتب، الجزائر، ص 65. «مع إضافة إقليم جراوة وإمارة الهاز، واستبعاد الشرق الجزائري.»

(2) حليمي (علي عبد القادر) : جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والإقتصادية، ص 52.

(3) ن، م، س، ص 54.

(4) ن، م، س، والصفحة.

(5) ن، م، س، ص 54.

المغرب إلى الشرق وواد ملوية[1]، وواد التافنة[2]، وواد سيق[3]، وواد شلف[4]، وواد الشلفة، وواد يسر، وواد الصومام.

و) المناخ : يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط، «المتميز بفصلين متباينين، أحدهما مطير دافئ طويل وهو فصل الشتاء، والثاني فصل جاف حار قصير وهو فصل الصيف»[5]. وأمطاره تزيد عن 400 ملم سنويا[6]، أي إرتفاع المطولات مع حرارة معتدلة.[7] هذه العوامل الطبيعية مجتمعة ساهمت في تطوير الإنتاج الزراعي، والإستقرار الكافي، وبالتالي إقامة حضارة على مر الأيام.

ما هي الشروط البشرية ؟ هناك جملة من الشروط البشرية، التي وفرها السليمانيون لضمان إنتاج زراعي راق ودائم وتلبية السوق الداخلية والخارجية، منها :

1) **اليد العاملة** : عرف المغرب الأوسط بوطن زناتة، معناه أن معظم بطون زناتة كانت تقطنه بالإضافة إلى قبائل صنهاجة وكتامة وزواوة ... إلخ وقد قلنا إن الدولة السليمانية، ضمت الجذمين[8] الأمازغيين معا، إلى جانب العرب وأهل الذمة والعبيد، ...وهناك أهل الأرياف والمدن والقرى والبدو الرحل، كل هؤلاء كانوا يشتغلون في الزراعة . فمثلا : الطريقة من أشير إلى تنس ... إلى أنه يقول وهي عامرة آهلة.[9] وعن

---

(1) حاليا تابعا للمغرب الأقصى، كان إستغلالا لامارة جراوة ومن المدن السهل الواقعة في حوض ملوية.

(2) وادي تافنة : منبعه جبال تلمسان، تردفه العديد من الأودية منها، يرّ، أسلي، سطيف، متشاكة، أنظر الطاهر محمد : تلمسان عبر التاريخ، ص 7.

(3) واد سيق : هو مجمع للعديد من الأودية الحمام، مكرة «مجمع الأودية ووادي ميرة «البكري : المغرب ص 72.

(4) واد الشلف : هو أطول واد في المغرب الأوسط، أنظر أبي سعد المغربي : كتاب الجغرافية، ص 141.

(5) حليمي علي عبد القادر : جغرافية الجزائر الطبيعية والبشرية والإقتصادية، ص 50.

(6) صاري الجيلالي : دور البيئة في الجزائر، ص 26.

(7) عيون عبد الكريم : جغرافية الغذاء في الجزائر، ص 158، 159.

(8) الجذم : ج الجذام، القطع أي قطع الخوض فيها فوق عدنان وقحطان، وهو الطبقة الأولى، النويري : نهاية الأرب، القسم 2، ص 278.

(9) البكري : المغرب، ص 69.

تهودة يقول : «وهي مدينة آهلة كثيرة»[1] وعن مدينة الخضراء[2] وهي مدينة كبيرة، على نهر خرار عليه الأرحاء وإذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين من القبائل البربر مدغرة وبنو دمر ومديونة وبنو وارفين[3] كل هذه النصوص تؤكد على وجود يد عاملة كافية من وراء هذا الإنتاج الزراعي.

2) **النظام الزراعي** : وجدت بالمغرب كما وجدت بالمشرق مختلف أنواع الملكية، من أرض العنوة، [4] أرض الصلح، [5] وأرض الطوع[6]...

أما أنواعها : الأراضي الأميرة[7]، أراضي الخراج، أراضي العشر، أراضي الإقطاع[8]، أراضي الملك[9]، أراضي الوقف[10]، أراضي المشاعة (السابقة)، أراضي الموات[11]... وهذا ما عرفه المغرب الأوسط، من أنواع الأراضي الزراعية.

---

(1) ن، م، س، ص 72.

(2) مدينة الخضراء (عين الدفلة الحالية)، أنظر، بورويبة، رشيد، الدولة الحمادية ص 131.

(3) البكري : ن، م، س، ص 75.

(4) أرض العنوة : فتحها المسلمون حربا، إما أن توزع على الجند، أو يتم تعويضهم عن نصيرتهم، وهي أول ما يؤخذ عن الخارج عن الارض.

(5) أرض الصلح (الفيء) : يفرض عليها مقدار معين عينا أو مالا يسمى خراج، أنظر الفصل الثاني من الرسالة .81.

(6) أرض الطوع : أسلم أهلهاطوعا لا كرها، فتبقى لهم وعليها العشر الزكاة (المعروفة).

(7) الأراضي الأميرة : هي أرض الروم وحلفائهم ونصيب الوالي من أرض العنوة، ومراث من لا وريث له. ابن عذاري، ج 1، ص 198، هذه الأراضي انتقلت إلى العلويين، انظر جودت عبد الكريم : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، ص 14.

(8) الإقطاع : (تمليك وإستغلال). وهذا النوع لم يكن شائعا في المغرب الأوسط، أنظر الأحكام السلطانية، ص 167.

(9) الملك : فردية، جماعية، حيث قام حسان بن نعمان : «وجعل لكل قبيلة قطعة، من الأرض تستغلها وتكون مسؤولة عن صدقتها، أنظر، لقبال (موسى) : المغرب الأوسط، ص 71.

(10) الوقف : حبس الأراضي للمؤسسات الدينية، المساجد، الرباطات، الزوايا ...

(11) جودت عبد الكريم : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، ص 11 وما بعدها ...

3) الري : حث الإسلام على سقي الأرض وإحيائها، وتنافس المسلمون فيها، فالبصرة قبل سنة 16 هجرية، كانت قفرا، فأصبحت مناطق زراعية، يجري فيها 120 ألف ساقية سنة 116 هـ[1].

وكذلك الأمر بالنسبة إلى وادي ملوية، الذي يقع إلى وادي صاع ويصبان جميعا إلى بحر الروم ما بين جراوة أبي العيش، مليلة ومنها إلى صاع مدينة لطيفة على واد عظيم يدخل على جميع دورهم.[2] وعن تلمسان يقول ابن حوقل «ولها أنهار جارية وأرحية وزرعها سقى وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة. وعن العلويين وهي قرية عظيمة : آهلة على نهر ولها أجنة وعيون، »[3] وغيرها كثير.

4) أحياء الموات (إستصلاح الأراضي) : حث النبي (ص) المسلمين على إستصلاح الأراضي حيث قال : «من أحيا أرضا ميتة فهي له»[4]. كما أعطى محييها حق تملكها وزرعها ومزارعتها وتأجيرها وإكراء الأنهار (السواقي) ومنها، وتعميرها بما فيه صلاحها، سواء من ذلك المسلم وغيره من الذميين .«فالمسلم يدفع العشر أو نصفه، والذمي يدفع الخراج، »[5] وعن المغرب الأوسط، أفادنا البكري واليعقوبي وابن حوقل إن جل مدنه وقراه بنيت في العهد السليماني، معناه تحول الناس من الترحال إلى الإستقرار والإشتغال بالزراعة مما يستوجب إصلاحها وريها، منها إن زيري بن مناد وزع أحواز أشير «وزرع الناس فيها.»[6]

---

(1) علي محمد عبد الباقي : عناية المسلمين بالزراعة ووسائلها في صدر الإسلام، مجلة سيرتا، العدد 2، ص 40.

(2) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 88.

(3) ن، م، س، والصفحة.

(4) رواه أبو داود والترميذي وقال أنه حسن / المازري (أبو عبد الله محمد) : المعلم بفوائد مسلم، ج 2، ص 275.

(5) البخاري (أبو عبد الله محمد) : صحيح البخاري، ج 2، كتاب المزارعة، باب، من أحيا أرضا مواتا، وباب المزارعة مع اليهود، ص 818 وما بعدها.

(6) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 1، ص 202.

5) **تنظيم الحمى (المراعي)** : إشتهر البربر في المغرب الأوسط بتربية الماشية، ولكل قبيلة ماشيتها فكان عليها أن تجد أراضي للرعي، خاصة أمام زحف المدن والقرى وهجرة العرب إلى المغرب الأوسط، فحمى السليمانيون إقتداء بحمى النبي (ص) النقيع[1] وأن عمر حمى الشرف[2] والربذة[3] «وحمى زيري أهل تلك الناحية»[4]. والغرض حماية الكلأ والعشب لرعي خيل الجهاد والزكاة، وما في معنى هذا.

6) **وسائل الزراعة** : أعنى كل الوسائل التي يلجأ إليها الفلاح لفلاحة الأرض من آلات زراعية، وقنوات سقي وصرف ... وإذا كان للمغرب الأوسط، أوديته القليلة مقارنة مع العراق ومصر والمغرب الأقصى. فإن الواسطة إشتهرت بكثرة الينابيع والعيون والآبار ذات المياه العذبة[5] وعن منطقة مستغانم يقول مولاي بلحميسي : «غنية بمياهها الحلوة الصالحة للشرب كالمطمور، ومزغران، الحروبة وغيرها ونادرا لا نجد بئر للشرب في أي تجمع سكاني لذا عرفت المنطقة العديد من الزراعات كالقطن،»[6] وسخرت الحيوانات، من بغال وحمير وخيول وأبقار وإبل للحرث والدرس ونقل الإنتاج إلى مناطق الإستهلاك. ومر الشيخ أبو عبد الله الصنعاني في الطريق «بأنذر[7]، والبقر فيه تدرس الزرع»[8]. وهذا سنة 280 هـ كما أن الزراعة تتطلب آلات حديدية، خاصة المغرب الأوسط، مشهور بمعادنه وكثرة صناعه فإنه بدون شك تم إطراق آلات حديدية كالسكة، المنجل، القادوم : الفأس المقص والسكين ...

---

(1) النقيع : عين قريبة من المدينة المنورة.

(2) الشرف : موضع من أعمال المدينة المنورة.

(3) الربذة : قرية بينها وبين المدينة ثلاث مراحل، الإمام البخاري : صحيح البخاري، ج 2 تحقيق، مصطفى ديب البغا، (الهامش) ص 835، نشر موفم، الجزائر 1992.

(4) ن، م، س، والصفحة.

(5) علي محمد (عبد الباقي) : عناية المسلمين بالزراعة ووسائلها في صدر الإسلام، ص 39.

(6) Belhamissi, Moulay – Histoire de Mostaganem, P.19.

(7) أندر (بيدر) : المكان الذي يدرس فيه القمح، أنظر الزمخشري أسس البلاغة، ص 451.

(8) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في الأخبار ... ج 1، ص 155.

7) - طرق الإستغلال : يبدو وطرق الإستغلال لم تتغير على ما هي عليه الآن. حيث الفلاح السليماني يجمع ما بين زراعة الأرض وتربية الماشية . «أهل شاة وبقر وخيام يطعنون في نواحيها وينتحلون الفلح في معاشهم.»[1] وإما يقوم المالك للأرض بإستغلالها بنفسه أو يؤجلها لفلاح ثان يقوم بفلاحتها بمقابل عيني أو نقدي، كما إستثمر التجار الكبار أموالهم في المجالات الزراعية.[2] مما كان له آثاره الإيجابية على تطوير الزراعة . وأن كبار الملاك حافظو على ممتلكاتهم إلى عهد ابن حوقل على الأقل، «وفي حاضرتها دهقنة[3] وحذق[4]» يعني وهران وهذه الضياع الكبيرة، لا ندري الطريقة التي تم تجميع كل هذه الممتلكات، أكان ذلك عن طريق الشراء، أم أحياء الموات، أم عن طريق إقطاع الأرض، الثابت أنها كانت موجودة في العهد السليماني. أما الأساليب الزراعية، فعرف المغاربة أسلوب المناوبة، وتسوية التربة وتقليم الأشجار وتلقيحها، والزراعة الواسعة والزراعة الكثيفة، حيث أن الحبوب في بعض المناطق كانت تزرع مرتين في السنة.[5] وهذا لا يمنع من وجود بعض الكوارث الطبيعية كالجليد (الصقيع)، البرد، والآفات الزراعية كالجراد «تأكل من الأشجار الفواكه والأوراق . وتترك عند ذهابها بيضا يتولد منه جراد آخر لا يطير، لكنه أسوأ من أمهاته، يلتهم حتى لحاء الأشجار حيثما مر الجراد، ترك مجاعة كبيرة لا سيما في موريتانيا.[6]

---

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر وديوان ج 4، ص49.

(2) جودت عبد الكريم يوسف الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية... ص 19.

(3) دهقنة : ورد في القرآن الكريم : «وكأسا دهاقا» سورة النبأ، الآية 34، وقد فسرها نخبة من المفسرين، وعلى رأسهم ابن العباس (رضا). مترعة مملوءة، تقال : أدهقت الكأس : أي ملأتها، وكأس دهاق أي ممتلئة، قال : ألا فاسقيني صرفا ساقني الساقي من سائنها بكأس دهاقا وعليه تكون الدهقنة كناية عن الغني الزائد. أنظر، القرطبي : برنامج القرآن الكريم، البريد إلكتروني، شركة صخر، الإصدار السادس، 31، 6 (1991 - 1996 م).

(4) ابن حقول : صورة الأرض، ص 79.

(5) يقول البكري : «إن فلاحي مدينة باديس كانوا يزرعون الشعير مرتين في العام على مياه، سائحة كثيرة عندهم»، أنظر البكري : المغرب، ص 93.

(6) الوزان الحسن : وصف إفريقيا، ج 2 / 278، 279.

ز / الإنتاج الزراعي : تنوع الإنتاج الزراعي في المغرب الأوسط حتى شمل جل منتجات مناخ البحر الأبيض المتوسط، وهناك بعض المنتجات حتى خارج هذا النطاق، وسأتعرض لأهم منتجات هذه الفترة للمغرب الأوسط موظفا نصوص المؤرخين والجغرافيين ورجال الفقه قدر المستطاع.

1 - الحبوب : وأخص بالذكر القمح والشعير وهي متوفرة تقريبا في كل نقطة من الدولة السليمانية بإستثناء المناطق الجبلية، لأن جل الشروط الطبيعية والبشرية متوفرة، ولأنها تشكل المصدر الأساسي لمعاش الناس، والمغرب إشتهر منذ العهد القرطاجي وفترة الإحتلال الروماني بثلاثية الإنتاج الزراعية (القمح، الزيتون، الكروم) وعرف المغرب بمطمورة روما. واستمر ذلك طيلة العصور الوسطى، وهذا ما أكده عدد كبير من الجغرافيين فإبن حوقل عن مدينة برشك[1] : «ولهم من الزرع والحنطة[2] والشعير ما يزيد عن حاجتهم، »[3] وعن وهران : «وغلاتهم من القمح والشعير ...»[4] وعن أرشكول : «ومن الزروع الكثيرة والحبوب والغلاة الجسيمة، فزال أكثرها»[5] بدون شك بسبب الحروب التي دارت بين الفاطميين والأمويين في أرض المغرب خلال ق 4 هـ وعن باغاي : «وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير»[6] وعن طبنة : «كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير» ونفس الشيء عن المسيلة، والأصطخري عن تيهرت : «وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه، »[7] وعن جزيرة

---

(1) برشك : مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب، وهي على ضفة البحرين شرشال وتنس أنظر الإدريسي : القارة الإفريقية ص 158.

(2) الحنطة : القمح من أسمائها في اللغة العربية، القمح، الحنطة، البر، الطعام، كما أطلق عليها اسم الفوم، أنظر أحمد قدامة : قاموس الغذاء والتداوي بالنبات، المادة قمح ص 546.

(3) صورة الأرض : ص 78.

(4) نفس المصدر، ص 79.

(5) نفس المصدر والصفحة.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 85.

(7) أنظر المسالك والممالك ص 34.

بني مزغنا : «مدينة عامرة يحف بها طوائف من البربر وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن»[1] والسلطان عماد الدين يقول عن مدينة قسنطينة : «عامرة وبها أسواق وتجارات والحنطة تقيم في مطاميرها مائة سنة لا تفسد»[2] وعن طبنة : «مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والزرع وأكثر زرعهم سقي» والعبدري البلنسي (محمد) : عن مليانة : «إلى البلدة الخصبة» وعن الجزائر : «قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر»[3] والإدريسي عن برشك : «وحنطة كثيرة وشعير»[4] وعن شرشال : «ولهم من الزراعة الحنطة والشعير ما يزيد عن الحاجة»[5] وعن مدينة الجزائر : «وزراعتهم الحنطة والشعير» وعن مرسى الدجاج : «ولها أرباض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زراعتهم واسعة وحنطتهم مباركة» وهذا يسير من كثير وهذا يدل على إنتشار زراعة الحبوب في الدولة ... وفق حاجة السكان وتوجهوا بها إلى البلدان المجاورة لهم وغيرها ووجود المطامير[6] في كل جهة حتى تحول البعض منها إلى مدن وقرى دليلا على ثروة البلد وطاقته التخزينية.

2 – الخضر والبقول : يشتد الطلب على الخضر والبقول من قبل سكان الحضر لذا نجد زراعتها تتمركز حول الحواضر، حيث تتوفر الشروط الطبيعية والتربة الخصبة والمياه. «وإذا كانت الخضر فقيرة بالبروتين، فإن البقول غنية به»[7] ومنها الربيعي كالطماطم، البطيخ، البذنجان، الفلفل .. والشتوي : البطاطس، البصل، الجزر، الخس، اللفت، الخرشف، الفصولياء ... كثيرا ما تحدث الجغرافيون عن الخضر والبقول بصفة

---

(1) نفس المصدر والصفحة.

(2) أنظر تقويم البلدان ص 180.

(3) أنظر الرحلة المغربية ص 22.

(4) نفس المصدر ص 23.

(5) أنظر التارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ص 158، 159.

(6) المطمورة والجمع مطامير : تحفر على شكل آبار في أمكنة معتدلة البرودة لتخزين القمح والشعير، وحارس المطامير يدعى الطمار. ومن المدن البطحاء (المطمر)، أنظر البوعيدلي.

(7) عيون (عبد الكريم) : جغرافية الغذاء في الجزائر، ص 102.

عامة. ولم يحددوا أنواعها، هل يعود ذلك إلى كثرة أنواعها، وبالتالي هروبا من ذكرها أم لقلة إستهلاك الناس لها أم تنتج للإستهلاك العائلي؟ ومما ذكره الإدريسي عن بني وازلفن (قرب تنس): «قرية كبيرة لها كروم وجنات ذوات سوان[1] يزرعون عليها البصل»[2] وعن مسيلة: «... وجنات وعيون وفواكه وبقول ...» وابن خلدون عند حديثه عن الأسواق: «..فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة والشعير، وما في معناها كالباقلا[3] والحمص والجلبان وسائر حبوب الأقوات ومصلحاتها كالبصل الثوم وأشباهه»[4] وابن حقون عن البصرة القريبة من جراوة ومن «غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم من ذلك وافر»[5] مما يدل إن الخضر والبقول كانت تعرض في الأسواق للبيع، وقد شاهد ذلك بعينه.

ومن المصادر التي تتحدث عن إدريس الأكبر رحمه الله، تقول أنه «مات مسموما في بطيخة»[6] مما يدل على وجود هذه الثمار في المغرب أثناء العهد السليماني. ويبدو أن جل الخضر والبقول الموجودة الآن في المغرب الأوسط، كانت موجودة في الدولة السليمانية والدول المعاصرة لها مثل: «اللفت، الجزر، الثوم، البصل، الكرنب، القرنبيط، السلق، الخس، الخرشف، القرعة، البسباس، الفول، القثاء.[7] [8]

---

(1) سوان: (كذا) في الكتاب، والأصل صنوان جمع ومفرده صنو، يقال شجرٌ صنوان: من أصل واحد ويقول الله تعالى: «صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد» سورة الرعد، الآية 4.

(2) الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 154، 156.

(3) البقالا – الفول) في مصر، انظر قدامة: قاموس الغذاء، المادة، فول ص 508، والبقول (القطاني): ويقصد بهم الفول، الحمص، العدس، النصوليا، الجلبان، ... والقطاني. إما يؤكل أخضرا أو يابسا. أنظر الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 57.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص 646.

(5) أنظر، صورة الأرض، ص 81.

(6) ابن الآبار: حلة السيراء، ج 1، ص 53.

(7) القثاء (القثاء): من النصيلة القرعية. ورد في القرآن الكريم «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا» البقرة الآية 61.

(8) جودت (عبد الكريم يوسف): الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ... ص 42، (وهذا ما جمعه من جملة من المصادر دون تحديدها).

3 - الزيتون : من أقدم النباتات التي عرفها الإنسان وأنه وجد في معظم البلدان العربية الإسلامية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، والعراق، وذكر في الكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن في سبع سور منه.[1] وقال النبي (ص) : «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجر مبارك.»[2] والمغرب الإسلامي من بين أقدم البلدان المنتجة والمصدرة له، ولم ينقطع في أي عهد من العهود. من العهد الفينيقي إلى يوم الناس هذا.

ومن الجغرافيين الذين ذكروا هذه الشجرة المباركة، ابن حوقل، يقول عن قابس بإفريقية «... إلى زيتون وزيت وغلاة»[3] وعن أفكان «... قرية عظيمة لها أنهار وأشجار، وفواكه ...» معناه أشجار غير الفاكهة ألا تكون الزيتون. وعن فاقس «مدينة جل غلايتها الزيتون والزيت».

والبكري عن بسكرة يقول : «وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون»[4] وعن جيجل «من مدينة ميلة إلى مرسى الزيتون وهو جبل جيجل»، وعن مدن بنطيوس «وأكثر ثمارها النخل والزيتون»، وعن طولقة «وهي كثيرة البساتين بالزيتون»، وعن قرية يكسم بواد مقرة (المسيلة) : «وزيتها أطيب الزيتون» والقدسي عن البطحاء : «البطحة الزيتونية»[5] وعن قاس : «وهو بلد كثير الخيرات والتين والزيتون»[6] وابن الفقيه عندما يصل غلي السوس الأدنى بالمغرب الأقصى يتعجب «وليس في بلادهم نخل ولا كرم ولا زيتون ولهم القمح والشعير»[7] ومعناه أنه كان يعتقد أنه يجد في السوس الأدنى هذه الثمار الثلاثة التمر، العنب، الزيتون.

---

(1) قدامة (أحمد) : قاموس الغذاء، ص 265.

(2) ن، م، س، والصفحة.

(3) أنظر، صورة الأرض، ص 72، 73، 75.

(4) أنظر، المغرب، ص 52، 63، 73، 144.

(5) أنظر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 218.

(6) ن، م، س، ص 299.

(7) أنظر، مختصر كتاب البلدان، ص 84.

4 - الكروم : جمع الكرم شجرة العنب، إسم الشجرة الواحدة منه «كرمة» والجفنة والحلبة[1] «تعتبر الكروم من أقدم النباتات التي زرعت في الأرض ورد ذكرها في الإنجيل، وزرعت في مصر قبل 6 آلاف سنة، وتحسنت زراعتها في عهد الإغريق والرومان.»[2] وعرف العرب والبربر الكرم[3] منذ آلاف السنين، وتردد ذكر «العنب» ثماني مرات في القرآن الكريم[4]. والكروم وجد في كامل أنحاء المغرب الأوسط حتى المناطق الصحراوية منها. حيث ذكره الساسي العوامر من بين نباتات الصحراء «العنب : يقال له الكرم، والملاحية وهو أنواع : أبيض يسمى مسكن والأحمر حلوى، والذي بين الحمرة والبياض بزول خادم يصفي الدم وينفع السوداء.»[5] وتعود زراعته التوسعية في المغرب الأوسط إلى العهد الفينيقي وتطورت في الممالك البربرية، وأثناء الإحتلال الروماني، لإستخراج الخمور منه، وكان الخمر يعد من بين الصادرات الأساسية من المغرب إلى روما وبلاد اليونان خلال الإحتلال الروماني (146 ق م -430 م). واستمر إنتاج الخمر إبان الفتح الإسلامي، لعدم معرفة المغاربة بأنه محرم حتى عهد تلامذة الإمام مالك[6]. ألا يكون ابن عذاري النبيد، [7] لأن المحرمات من المأكولات والمشروبات قليلة في شريعتنا الإسلامية يمكن معرفتها بسهولة. واستعمل كزبيب للمائدة.

---

(1) قدامة : قاموس الغذاء، ص 580.

(2) ن، م، س، والصفحة.

(3) الكرم : كره النبي (ص) تسمية العنب كرما لقوله : «لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، الكرم : الرجل المسلم» وفي رواية «إنها الكرم : قلب المؤمن» رواه الدرمي، م .ج .ش . الإصدار 1.1 شركة صخر لبرامج الحاسب (1991 - 1996 م)، رقم الحديث 2584.

(4) القرآن الكريم منها.

(5) الساسي العوامر (إبراهيم) : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 61.

(6) أنظر، ابن عذاري : البيان المغرب، ج1، ص 48.

(7) النبيد : إلى عهد زيادة الله الأول (201 223 هـ) نجده يسأل عن النبيذ، أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصي فقيه إفريقية المتوفى سنة 227 هـ وكانت إيجابته معبرة، فقال له : «كم دية العقل» قال «ألف دينار»، قال : «أصلح الله الأمير ! يعمد الرجل إلى ما قيمته ألف دينار، فيبيعه بنصف دينار ! ابن عذاري البيان، ج 1، ص 108.

وممن ذكره من الجغرافيين ابن حوقل عن مدينة برشك «وأعناب» وعن نهالة (مغنية) «واد نهالته، وعليه كروم وبساتين كثيرة» وعن كرائطة (قرية من جراوة) «لها وادي آخر يأتيها من القبلة عليه من الفواكه والكروم والسقي الكثير الغزير»[1] والبكري عن تيهرت. «وفيها جميع الثمار» وعن طولقة «وهي البساتين بالزيتون والأعناب»[2] والإدريسي عن بني وازلفن مرة أخرى يقول عنها «ولها كروم كثيرة معظمها على نهر شلف» وعن الخضراء (عين الدفلى الحالية)» وهي مدينة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وكروم.»[3]

5 – الفواكه : إن كلمة الفاكهة هي مؤنث الفاكهة، وهي : «كل ما يتفكه به أي يتنعم بأكله رطبا كان أم يابسا»[4] مثل : التفاح، الخوخ، التين، المشمش، ... إلخ وعادة تقسم الفواكه بحسب صفاتها الأساسية إلى سبعة رتب هي :

أ) الحمضيات كالبرتقال.

ب) المزة (بين الحلو والحامض) كالخوخ.

ج) السكرية كالعنب.

د) الزيتية كالجوز.

هـ) المائية كالدلاع.

و) العطرية كالمنغا.

ز) النشوية والقابضة كالسفرجل[5].

ونحن نحاول أن نحترم هذا التقسيم للحديث عن فواكه المغرب الأوسط. إبان الفترة التي ندرسها مكتفين بما هو أساسي.

---

(1) أنظر، صورة الأرض، ص 78، 88.

(2) البكري : المغرب ن، م، س، ص 67، 72.

(3) أنظر، التارة الإفريقية وجزيرة الاندلس، ص 154.

(4) قدامة (أحمد) : قاموس الغذاء، المادة الفواكه، ص 499.

(5) ن، م، س، ص 502.

أ) الحمضيات (الموالح) : يطلق على فصيلة البرتقالات، وهي البرتقال[1] والليمون واليوسفي ... إلخ، وكل ما وجدته الآن بين يدي، نص لإبن خلدون في مقدمته «ثم إن النارنج والليم والسرو وأمثال ذلك، مما لا طعم فيه ولا منفعة كذا هو من غابات الحضارة»[2] وإعتبر ابن خلدون، أن المدينة إذا كثر فيها غرس النارنج[3] تأذنت بالخراب. ربما قصد إذا كان ذلك بشكل كبير على حساب مواد أخرى أساسية. لأن الأصل في الغراسة كفاية حاجة الناس ثم الزينة، أما النارنج كشجرة لا علاقة لا بالخراب الحضاري. وأن الحمضيات تأخر وصلها إلى المغرب إلى سنة 970 م[4] مما يدل على أن إنتشارها خلال العهد السليماني كان قليلا، لأن وصولها من الصين البلد الأصلي لهذه الثمرة، كان متأخرا لدار الإسلام في المشرق ثم نقله إلى المغرب تطلب وقتا آخر.

ب) المزات : كالخوخ والتوت الشوكي، والتفاح، ... وهذا النوع من الفواكه عرف في المغرب الأوسط، ورصد من قبل الجغرافيين، فالوزان عن هنين يقول : «وتنتج الممتلكات المجاورة لهنين حتى الآن كميات وافرة من الثمار، كالكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ»[5] وعن تلمسان : «والخوخ ... وغيرها من الفاكهة المختلفة»[6] والتفاح بجيجل غيرها من المزات.

ج) السكريات : كالعنب والتمر والتين والبرقوق ... إلخ فقد ذكرنا العنب قبل عناصر الفواكه لأهميته الإستراتيجية، والآن أذكر باقي السكريات، فالتمر وشجرته

(1) البرتقال : في العامية الجزائرية «تشين» وهي كلمة صينية، تعني البرتقال، يظهر تم جلب الإثنين من شرق آسيا، اللفظ، والثمرة.

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص 665.

(3) النارنج : من الفصيلة البرتقالية، ثمرة النارنج كرية كبيرة، ذات لون برتقالي أحمر وأدخله العرب إلى إسبانيا وزرع فيها عدة سنين قبل البرتقال، أنظر قدامة، قاموس الغذاء، ص 725.

(4) جودت عبد الكريم (يوسف) : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (910 م)، د.و.م.ج، ص 53

(5) الوزان الفاسي : وصف إفريقيا، ج 2، ص 15، 16، 20.

(6) بورويبة رشيد : الدولة الحمادية، ص 133.

النخلة، فهو أقل نفقة من أي نوع من الأشجار الفاكهة، ومحصوله أسهل تسويقا من أنواع الفاكهة الأخرى بعد معالجته، هذا إلى جانب القيمة الغذائية المعروفة للبلح مما يجعله غذاء أساسيا لسكان المناطق الصحراوية التي يقل فيها الإنتاج الغذائي»[1].

وكانت هذه الثمرة منتشرة في الصحراء وبالقرب من إمارة هاز في الزاب، إما كانت تغرس بهذه الإمارة أو تجلب ثمارها إلى الدولة السليمانية. أما التين والبرقوق، فكانا موجودين في كل ناحية من المغرب. والإدريسي يقول عن باجة مرحلة عن سوق ابراهيم[2] وهي مدينة حسنة صغيرة لها اقليم شجر التين كثيرا جدا ويعمل بها من التين سرائح على مثل الطوب، وبذلك تسمي وتحمل منها إلى كثير من الأقطار»[3] وغيره ذلك.

د) المائيات : كالشمام والدلاع والبطيخ ... والوزان يقول عن تلمسان : «وفي خارج تلمسان ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم المدنيون بسكناها في الصيف، حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج، أعنابا من كل نوع طيبة المذاق جدا، وأنواع الكرز الكثير، التي لم أرى لها مثيلا في جهه أخرى. والتين الشديدة الحلاوة، وهو أسود غليظ طويل جدا، يجفف ليأكل في الشتاء والخوخ والجوز واللوز والبطيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة.»[4]

هـ) العطرات : كالمنغا والخوخ، وغيرها فقد ذكره الوزان في العديد من مدن المغرب الأوسط كتلمسان، أنظر النص السابق.

و) الزيتيات : كالجوز واللوز والزيتون ... إلخ، زيت الزيتون ذكرناه قبل الآن، والجوز واللوز. فالجوز مثلا يقول الإدريسي عنه في سطيف.»... ومنها يحمل الجوز

---

(1) د. محمود الصياد : معالم جغرافية العالم العربي، ج 1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971، ص 323، 324.

(2) المرحلة تساوي حوالي 45 كلم، أنظر، الملحق، المقادير من هذه الرسالة، شكل ل ص 227.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 152.

(4) أنظر، وصف إفريقيا، ج 2، ص 20.

لكثرته بها سائل الأقطار، وهو بالغ الطيب حسن، ويباع بها رخيصا»[1]، وعن الناقوس : «مدينة صغيرة كثيرة الأشجار والبساتين، وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلى ما جاورها من الأقطار، »[2] وكان بها اللوز.[3]

ز) النشويات والقابضات : كالسفرجل والزعرور ... إلخ فالسفرجل في المغرب الأوسط، شهرته وسعت الآفاق، وجل الجغرافيين، فإبن حوقل يقول عن سفرجل تنس : «وبها من الفواكه والسفرجل المعنق ملا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته»[4] وعن جزائر بني مزغنا «وبها فواكه حسنة غزيرة سفرجل معتق كالقرع الصغار وهو طريف وأعناب»[5] وغيره كثير.

ح) النباتات النسيجية (مواد أولية نباتية) : وأعني بها القطن، الكتان القنب، الشهدانج[6]، ... إلخ هذه أهم النباتات النسيجية التي وجدت بالمغرب الأوسط. وذكر إبن حوقل في العديد من المناطق زراعة الكتان، في بونة (عنابة) «ويزرع بها الكتان»[7] وغيرها كثير، وعن القطن «والزروع والقطن»[8]. وعن كبنة وتنس، ومن غلاتهم القطن، والبكري عن مستغانم «ويجود عندهم القطن»[9] والإدريسي عن بني وازلفن يزرعون الشهدانج.[10]

---

(1) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 20.

(2) ن، م، س، والصفحة.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 170، 165.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(5) ن، م، س، والصفحة.

(6) الشهدانج : وهو نبات مماثل للقنب وكانت خيوطه تستعمل في تحضير خيط قوي ومتين، والورق الجيد، أنظر، جودت عبد الكريم : نفس المرجع، ص 56.

(7) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 77.

(8) ن، م، س، ص 85.

(9) البكري : المغرب، ص 59، 69.

(10) الإدريسي : قارة إفريقيا وجزيرة الأندلس، ص 154.

ط) النباتات الطبية: لجأ المغاربة كغيرهم إلى جملة من النباتات قصد العلاج كالعقاقير الطبية. ما يعرف اليوم بالأعشاب الطبية، وكثيرا ما أشار إليه الجغرافيون والفقهاء والمحدثون (الطب النبوي). وبرز عدد كبير من الأطباء في المغرب والمشرق. ومن النباتات الطبية المعروفة آنذلك، آمليلس، شرس، بهار الذراريح، عنب الثعلب، بان[1]...الحرمل، العرعار، الريحان، البسباس، الرند، الخروع[2] ... الداد، النط العنبر، سرغينة (تسرغينت)، السرمق.[3] وإن كل نبات من هذه النباتات الطبية يصلح لمرض معين، كان يصفه الأطباء والعشابين إلى مرضى المغرب.

ذكر البكري أفيج (قرب حمزة) : «تجمع فيه عروق عاقر قرحا، ومن هذا الموضع تحمل إلى الآفاق»[4] وتدعى حشيشة الحمى بالمغرب، وأنها كانت تصدر إلى خارج الدولة السليمانية. وذكر الإدريسي عددا كبيرا منها : القوليون، الحراق بالقلعة (قلعة أبي طويل). أي قلعة بني حماد، وهو مضاد لسم العقارب، الموجودة بكثرة في المنطقة.[5] كما ذكر بجبل أمسيون (بجاية). «ومن أكنافة جمل من النبات المنتفع بها في صناعة الطب، مثل شجر الحضض والسقولو وقندوريون والبرباريس والقنطاريون الكبير، والزراوند، والقسطون والأقد والأفستين أيضا، وغيرها من الحشائش»[6]

ي) نباتات أخرى مختلفة : ففي بني وازلفن «الحناء والكمون»[7] ومجانة «كان بها قديما يزرع بصل الزعفران كثيرا»[8] والغدير «النيل المزروع»[9] إلى غيرها من النباتات التي لا يسمح المجال إلى التطرق إليها.

---

(1) جودت عبد الكريم : ن، م، س، ص 50.

(2) ن، م، س، ص 51.

(3) الساسي العوامر : ن، م، س، ص 53، 54، 55.

(4) البكري : ن، م، س، ص 64.

(5) الإدريسي : ن، م، س، ص 156.

(6) ن، م، س، ص 160، 161.

(7) ن، م، س، ص 154.

(8) ن، م، س، ص 194.

(9) بورويبة رشيد : الدولة الحمادية، 134.

ك) الغابات : وقد جاء في الكثير من الكتابات الجغرافية الحديثة إنه كانت «تمتد الغابات في معظم أراضي الشمال ولا يستثنى منها، إلا بعض الأماكن المحدودة، وكانت هذه الغابات كثيفة وتقطن بها حيوانات مختلفة تتضمن حتى الأجناس المفترسة كالاسد والنمر، وغيرها»[1]. وتضم هذه الغابات الكثير من أنواع الأشجار، ومن أشهرها، الصنوبر (بأنواعه)، البلوط، الزبوج، الفلين، العرعار، الدوم، الزان[2]... إلخ . ومما لفت انتباه البكري، الطريق من القيروان إلى قلعة أبي طويل يسمى «هذا الطريق بالجناح الأخضر»[3] وزانة (قرب بونة) شجرها كلها زان ومنها يجلب إلى إفريقية، »[4] وجبال عبد الرحمن (قرب القل)، «ومنه يحمل عمود الخرط إلى إفريقية، وما ولاها وفيه أسواق كثيرة، ومراس منها مرسى الخراطين، ومرسى الشجرة.»[5] وغيره كثير.

هـ) الثروة الحيوانية : عرف المغرب طيلة تاريخه بثروته الحيوانية خاصة البرية منها، وهذا لجملة من الإعتبارات البشرية والطبيعية تحدثنا عنها في أوانها، وهناك نوعان من الثروة الحيوانية البرية والبحرية.

أ) الثروة البرية : نظرا لتوفر جملة من الشروط الطبيعية والبشرية المذكورة أعلاه، فإن بلاد المغرب إشتهرت بالتربية الحيوانية، قديما وحديثا، وأستهل حديثي بتربية الغنم.

1) تربية الغنم : وكلمة غنم تدل على الضأن والمعز معا[6]. والغنم هو المدون عند الجغرافيين الذين زاروا المنطقة، ويقصدون بذلك (الضأن، والمعز)، وإذا كان الوزان الغنم عنده هو الضأن «لا تختلف هذه الغنم عن غيرها إلا بذيلها العظيم، وكلما كان الذيل ضخما كان الحيوان سمينا»[7] والمعروف الذيل للضأن وليس للمعز.

---

(1) صاري (الجيلالي) : دور البيئة في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 133، 134.

(2) حليمي (علي عبد القادر) : جغرافية الجزائر، ص 169.

(3) البكري : ن، م، س، ص 54.

(4) ن، م، س، والصفحة.

(5) ن، م، س، ص 183.

(6) قدامة (أحمد) : قاموس الغذاء، ص 367، المادة الضان

(7) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 256.

لماذا ؟ لأن المغاربة والشاميين يطلقون اسم الغنم على الضأن وهذا غلط قديم[1] والمتداول على الأقل في الجنوب الوهراني.

وابن خلدون في المقدمة، استعمل مرة واحدة الضأن «وعامة مآكلهم (الأمصار) لحوم الضأن والدجاج.»[2] والمعمول به إلى يومنا هذا. القرن الخامس عشر الهجري. تعيش الغنم عادة على شكل قطعان، يزيد القطيع أحيانا عن 350 رأس، والقطيع معظمه من الضأن ويوجد معه بعض المعز للقيادة. وإذا كان قبل القرن 5 هـ/ 11 م فصيلة واحدة.» الصنف البربري الذي يتميز بالقامة القصيرة والأصواف الكثيفة والرأس المتوسط ... ومنها ما يتميز بالذنب السمين المكتنز بكميات كبيرة من الشحم حتى يعوقه أحيانا عن المشي والإنتقال بسرعة.»[3] ومنذ هذا التاريخ أي النزوح الهلالي أصبح الصنف العربي إلى جانب البربري واستمر الإثنان معا، فإبن حوقل يقول عن جزائر بني مزغنا : «وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال.»[4] وعن برشك : «وأكثر أموالهم الماشية.»[5] وعن وهران : «المواشي عندهم كثيرة.»[6] وعن واسلن التابعة لإمارة أرشكول : «وهي خصبة كثيرة الأهل، وأكثر أموالهم الماشية ولهم منها الكثير الغزير.»[7] وعن أرشكول : «لها مرسى وبادية وخصب وسعة في الماشية والأموال السائمة»[8] والبكري عن وجدة التابعة للدولة السليمانية آنذلك.» ومراعيها أنجع المراعي وأصلحها للظلف والحافر ينتهي شحم شاه من شياههم مائتي أوقية.»[9] وهذا شيء كثير.

---

(1) قدامة (أحمد) : قاموس الغذاء، ص 367، المادة الضأن

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص 153 (استعمل المعز 5 مرات، الغنم 4 مرات فقط) أنظر المقدمة ص 1272.

(3) حلمي علي عبد القادر : جغرافية الجزائر، ص 217، 218.

(4) ابن حوقل : ن، م، س، ص 78.

(5) ن، م، س، ص 78.

(6) ن، م، سن ص 79.

(7) ن، م، س، ص 79.

(8) ن، م، س، ص 79.

(9) ن، م، س، ص 79.

أما الإدريسي، عن تدلس.[1] وبها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق.»[2] وغيرها كثير وقد وردت في الغنم خاصة الضأن العديد من الأحاديث والآيات القرآنية، لذا تمسك بها المغاربة أكثر من غيرها وللعوامل السابقة، والإفادة منها، كثيرة : اللحم، الشحم، الصوف، الأشعار، الجلود، الألبان ... إلخ.

2 - البقر : البقر يطلق على الفصيلة البقرية كالجاموس والبقر ... إلخ، وهناك سلالات كثيرة للبقر. ولفظ البقر في اللغة العربية يطلق على البقر من الذكر والأنثى وهو يذكر ويؤنث.[3] وبقر المغرب الأوسط، يتميز بقامته المتوسطة، ووزنه البسيط الذي يتراوح بين القنطار، والثلاثة. وإنتاج الحليب يتراوح بين 2، 5 ليترات في اليوم.[4] ونوه به إبن حوقل أحد الجغرافيين المسلمين حيث يقول : عن جزائر بني مزغنا. «وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال.»[5] وعن طبنة «وكانت وافرة ماشية من البقر والغنم، »[6]وعن المسيلة «وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر.»[7] والإدريسي عن المرسى الكبير، «وكذلك السمن والزبدة والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير.»[8] وعن تمزكيدة[9]، «ولأهلها خيل وأغنام وأبقار، »[10] وعن تيهرت. «وأما البقر والغنم بها فكثيرة جدا، »[11] وغيره كثير.

---

(1) تدلس : تقع شرق مصب سباو بأربعة أميال ببلاد القبائل (المحقق) وإليها ينسب الشيخ البصري، صاحب البردة، أنظر، الإدريسي : ن، م، س، ص 160.

(2) الإدريسي : ن، م، س، ص 160.

(3) قدامة أحمد : قاموس الغذاء، ص 77 المادة : بقر.

(4) حليمي علي عبد القادر : جغرافية الجزائر، ص 221.

(5) إبن حوقل : ن، م، س، ص 78.

(6) ن، م، س، ص 85.

(7) ن، م، س، ص 85.

(8) الإدريسي : ن، م، س، ص 153.

(9) تمزكيدة : بين أشير والمسيلة وهي مستحدثة، أنشأها علي بن الأندلسي في عهد ولاية إدريس بن عبد الله الكامل، أنظر الإدريسي : ن، م، س، ص 155.

(10) الإدريسي : ن، م، س، ص 155.

(11) ن، م، س، ص 157.

وفوائد البقر كثيرة، منها اللحم، الشحم، الحليب، السمن، الزبدة، الجلد، زيادة على الحرث والدرس كما مر معنا في وسائل الزراعة، لهذه المزايا وغيرها إهتم بها المغاربة.

3 - **الخيل والبغال والحمير** : هكذا ورد في القرآن الكريم بهذا الترتيب، وهذه الأنواع الثلاثة وجدت في المغرب بكامل مناطقه، فتلمسان إشتهرت بالخيل «وتدعى الراشدية لها فضل على سائر الخيل»، وابن حوقل يقول عن تيهرت «وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال وبراذين الفراهية»، وأبو زكرياء (يحي بن أبي بكر) يقول : «وكان فرسه تضرب به الأمثال في المغرب»، ويعني فرس يعقوب بن أفلح، حكم من (284-288 هـ) تيهرت.

وعن الحمير يقول : «حمار جاء به من مصر، إذا مشي عدت الخيل معه.وإذا عدا سبق الخيل»[1] وهذا الحمار كان للقائم بالله الفاطمي، حوالي 336 هـ، وتسجيل هذه الحيوانات في كتب سير الأئمة والتاريخ دليل واضح على إهتمام المغاربة بهذه الثروة الحيوانية.

والبيدق (ابو بكر بن علي الصنهاجي) يقول : «راكبا على فرس له تدعى عنده بريحانة، »[2] معنى ذلك أن المغاربة كانوا ينتقون أحسن الألقاب لخيولهم. وإمتاز الجواد العربي عن باقي الخيول الأخرى، حتى البربري منه،[3] بميزات قل أن وجدت في خيول أخرى. «والجواد العربي الجيد كان أمرا فذا، ففي الجزيرة العربية، بالذات كان ولا يزال طفيليا على الجمل (كذا)، وخارج الجزيرة، وبعد وفاة النبي حمل الجمل العربي، الفاتحين العرب إلى نهر اللوار (في فرنسا) ونهر الفولغا (في روسيا) ونهر سيمون (في

---

(1) ن، م، س، ص 119.

ياقوت الحموي : ن، م، س، ج2 ص44 المادة تلمسان

ابن حوقل : صورة الارض أص 86

ابو زكرياء : سير الائمةأص 124

(2) البيدق : أخبار المهدي إبن تومرت، ص 87.

(3) الحسن الوزان : ن، م، س، صج 2، ص 262، 263 للزيادة.

أواسط آسيا).»[1] وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي أبرزت القيمة الإقتصادية والإجتماعية والعسكرية للجواد العربي، وهذا ما سنذكره في وقته.

4 - **الإبل** : يعيش الجمل ذو سنام واحد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، أي موطنه الأصلي البلاد العربية والصحراء الكبرى. أما الجمل ذو السنامين تبدأ حدوده حيث ينتهي مجال الجمل الأول.

والجمل من أكثر الحيوانات مقدرة على المشي مسافات طويلة، دون أن يناله تعب أو يحس بالإعياء. والجمل حديث العهد بالصحراء الكبرى. والفرس جاء من أقطار آسيا إلى مصر ثم شمال إفريقيا في بداية الألف الثانية. وكلاهما ساهم في تحسين الظروف المعيشية والإتصال والتبادل الثقافي والاجتماعي والتجاري بين مختلف أطراف الصحراء، وبينها وبين التل.[2] وكما هو معروف تاريخيا فإن المغاربة الجيتول، إستخدمو في حروبهم، ضد الرومان الجمال،[3] لذا سموا بالجمالة، وكثيراما أذاقوا الغزاة الأمرين.

وإذا كانت هذه الثروة قليلة في الدول السليمانية، نظرا لطبيعة البلد الطبيعية، فإن القوافل التجارية التي كانت تخرج من البلد وتدخل إليه كانت من الإبل خاصة منها إلى بلاد السودان، سجلماسة، وبلاد المشرق عبر البر.

5 - **النحل** : عرف المغاربة النحل منذ زمن بعيد، مثل باقي الشعوب المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وإستغلوه في مجالات كثيرة في الطب، والأكل خاصة، عندما إطلعوا على فوائده العظيمة، وتطور هذا الاهتمام مع الفتح الإسلامي ومن توفر الشروط الطبيعية والبشرية لانتاج العسل وتربية النحل معا. وهناك أكثر من آية وحديث نبوي عن النحل.

وهناك العديد من النصوص التاريخية التي تدل على أن الدولة السليمانية كانت منتجة ومصدرة للعسل، فابن حوقل يقول عن بونة (عنابة) : «وبها من العسل والخير

---

(1) أرنولد توينبي : تاريخ البشرية، ج 2، ص83.

(2) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 43، 42.

(3) فرانتش تشمر، وآخرون : تاريخ العالم العربي، ص 17، 18.

والمير (الطعام) ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها.»[1] وعن جزائر بني مزغنا : «ولهم من العسل ما يجلب ويجهز إلى القيروان وغيرها.»[2] وعن برشك : «ولها بادية يشتارون (كذا) العسل من الشجر والأجباح لكثرة النحل بالبلد، »[3] وغيره كثير عند باقي الرحالة العرب المسلمين.

ومن القرآن الكريم : «وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات، فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.»[4]

6 – تربية الطيور : وأخص ما كان تربيته منتشرة في المغرب الأوسط الدجاج والحمام ويكفي دليلا، مرسى الدجاج، فروخ، وكليهما بالدولة السليمانية وما قلناه سابقا، عن ابن خلدون إن سكان المدن واستهلاكهم الواسع للضأن والدجاج، مع صيد النعام والحجل وباقي الطيور الأخرى خاصة أن النعام كان موجودا في المغرب الأقصى بشكل ملفت الإنتباه.» وقبالتها فحص طويل قد إنحشرت إليه طيور النعام فهي في أكنافه سارحة، وعلى مراقبه دارجة، وهي الآلاف لا تحد ولا تعد ... وأما بيضها الموجود في هذا الفحص، فلا يحاط به، كثرة ولا يحصل، ومنه يحمل إلى كل البلاد ... وشحومها نافعة.»[5] ويعني قرية إنقال (دار المترابطين) قرب سلا.

ب) الثروة الحيوانية البحرية : هذه الثروة المتنوعة كثيرا ما دفعت الرحالة والجغرافيين إلى أن يسجلوا انطباعاتهم وسأقتصر على نوعين من هذه الثروة البحرية.

1 – صيد الأسماك : معظم شواطئ المغرب الأوسط كانت بيد الدولة السليمانية من نهر ملوية إلى نهر الصومام، حوالي 800 كلم ووجد بهذا البحر عدد كبير من أنواع

---

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 77.

(2) ن، م، س، ص 78.

(3) ن، م، س، ص 78.

(4) سورة النحل، الآية 68، 69.

(5) الإدريسي : ن، م، س، ص 141.

السمك. «العبانق والأكتوبرى والاشبارس والمنكوس والبقونس ومنها أيضا الشلاح، وسمك البوري، وسمك التوني، يهاجر من المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط فيصاد في أبريل.»[1] أما الأدلة التاريخية على هذه الثروة فالإدريسي يقول عن جيجل: «وبها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر، »[2] وعن المسيلة. «وهي على نهر ... وفيه سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير.»[3] وغيره كثير.

2 – صيد المرجان: المرجان «وهو شجر في البحر مستحجر يخرج أبيض لينا فإذا ضربه الهواء إحمر وصلب.»[4] أما طريقة صيد المرجان أنذاك «يصاد بآلات دوات دوائب كثيرة، تصنع من القنب، تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان، فيجذبه الرجال إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثيرة مما يباع بالأموال الطائلة.»[5] في المغرب لا يوجد المرجان الا في ثلاث مناطق لاغير وأشهرها القل قديما وحديثا. «ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز ومدينة تنس، وبمدينة سبتة» وإذا كانت مرسى الخرز، تابعة في هذا العهد إلى الدولة الأغلبية، فإنه المرسى الوحيد الخاص بصيد المرجان الذي كان تابعا للدولة السليمانية قرب مدينة تنس تدعى مرسى الخرز. إلا أنه أقل شهرة وجودة وكمية من مرسى الخرز (القل)، لأن مرجانه من النوع الرفيع، وقد تخصص خمسون قاربا في الشهر للبحث عنه ويركب القارب عشرون رجلا[6].

(1) جودت عبد الكريم: ن، م، س، ص 70.

(2) الإدريسي: ن، م، س، ص 169.

(3) ن، م، س، ص 156.

(4) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافية، ص 143/ الإدريسي: ن، م، س، ص191.

(5) الإدريسي: ن، م، س، ص 191/ ابن حوقل: ن، م، س، ص 181.

(6) بورويبة رشيد: الدولة الحمادية، ص 180.

ثانيا : الحرف الصناعية :

هي الاخر تتطلب شروطا طبيعية وأخرى بشرية. إذا أرادت أمة ما أن تقيم صناعة عليها بتوفير هذه الشروط الأساسية.

❊ الشروط الطبيعية : المتوفرة للدولة السليمانية والإمارات العلوية.

أ/ المواد الأولية المعدنية : هي تلك الركائز المستخرجة من باطن الأرض كالحديد والنحاس والرصاص، ونحوهما وبعض هذه المعادن، كان معروفا مع فجر التاريخ وهناك عصور تاريخية كعصر البرونز والحديد وغيرها ومن المعادن التي عرفها السليمانيون في المغرب الأوسط واستخدموها في حاجاتهم منها.

1 - الحديد : والحديد معدن كثير الإنتشار في باطن الأرض وفي ظهرها.[1] «بجبل أرزيو معدن الحديد»[2] وبونة (عنابة) كذلك «وبها معادن حديد جيد»[3] وبمدينة الأربس .«ولها معدن حديد»[4] وبغيرها وبهذا يكون الأستاذ موريس لومبار . جانب الصواب بحكمة على أرض الإسلام ب : «فقر جوف الأرض»[5] من المعادن.

2 - الرصاص : «عنصر معدني ثقيل ذو لون سنجابي، شديد الليونة، سريع التأكسد في الهواء الرطب.»[6] وعن وهران «وبقربها معادن عظيمة لإستخراج الرصاص.»[7] فالبكري يقول عن مجانة : «وبها معادن كثيرة»، [8] منها الفضة والرصاص والأثمد.[9]

---

(1) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي، ص44.

(2) البكري / نفس المصدر السابق : ص 70.

(3) الإدريسي : نفس المصدر السابق، ص 70.

(4) نفس المصدر السابق، ص 167.

(5) موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول، ص 260.

(6) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي، ص 566.

(7) سرهنك (إسماعيل) : حقائق الأخبار عن دول البحار ص 356.

(8) البكري : المغرب، ص 70.

(9) بورويبة رشيد : الدولة الحمادية، ص 136.

3 – النحاس : معدن ذو أهمية إقتصادية في الانتاج الصناعي ويوجد خام النحاس في الطبيعة منفردا ومتحدا بغيره، [1] والنحاس يدخل في العديد من السبائك فمثلا (البزبز) هو خليط القصدير مع النحاس ... هو بإمارة تنس وبقرب مدينتها مناجم النحاس، تستغل إلى الآن.[2] والبكري، عن جبال كتامة بها معادن النحاس، ومنها يحمل إلى إفريقية وغيرها وبهذا الجبل كذلك حجر الأزرود[3] الطيب[4]". وجبل كتامة قرب جيجل إلى جانب الزئبق بجبل أرزيو والأثمد بترنانا (بإمارة أرشكول).

4 – الملح : يرى العلماء أن الملح الموجود على سطح الأرض أن معظمه يوجد في البحر ولكن المحاجر التي كانت موجودة في العهد السليماني كانت برية، ولكن ذلك نتج عن طريق الترسب بواسطة التبخر، ومن أدلة ذلك، الأسباخ المنتشرة في المغرب الإسلامي ويقول البكري، قرب بسكرة جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبقوة، يستعملونهم في أطعمتهم[5] وذلك أن ملح بسكرة كان يذهب به إلى إفريقية أين كان يقيم الخليفة الفاطمي. والملح يوجد كذلك بمدينة أرزيو[6].

ويقول الإدريسي عن بجاية : «ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة، والقطران، وبها معادن الطيب موجودة وممكنة[7]. وهنالك معادن أخرى تزخر بها المنطقة كالرخام[8].

ب/ مواد أولية نباتية وحيوانية : قد أثبتنا في الأنتاج الزراعي في المغرب الأوسط خلال العهد السليماني تنوعه وإزدهاره. (راجعوا ذلك).

---

(1) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي، ص 1293، مادة النحاس.

(2) سهرنك (إسماعيل) : حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 1، ص 357.

(3) الأزرود : نوع من الحجارة، تدخل في تلوين القصور.

(4) البكري : ن، م، س، ص 83.

(5) البكري : ن، م، س، ص 70.

(6) نفس المصدر السابق، ص 80.

(7) نفس المصدر السابق، ص 80، 52.

(8) الإدريسي : القارة الإفريقية، ص 161/ الغبريني (أبو العباسي أحمد) : عنوان الدراية، ص 98.

الشروط البشرية[1] : إشترط العلامة ابن خلدون وغيره من العلماء، فإن الصنائع لابد لها من العلم، «إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس. والأحوال الجسمانية، نقلها بالمباشرة أوعى لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل على استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته.»[2] إن الحرف والمهن وكيفية إكتسابها شرط أساسي في تطوير الصنائع ويكون ذلك عن طريق المباشرة والتعلم والتكرار ومن أشهر الصنائع آنذاك الحياكة، النجارة، الحدادة، ... إلخ.

وهذه الصنائع كانت متمركزة في الحواضر الأساسية كتلمسان، أرشكول، جراوة، تنس، وهران ... إلخ والإدريسي يقول عن بجاية : «وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، »[3] ومما جعل الحرف والصنائع تتطور في المغرب الأوسط، كثرة الأسواق الداخلية وحتى الخارجية، ووفرة المواد الأولية، وازدهار التجارة الجهوية، والإستقرار السياسي، وكثرة المدن وتطورها، وبناؤها يتطلب العديد من الحرف، ويروى عن علي رضي الله عنه، أنه قال : «قيمة كل امرئ ما يحسن»[4] بمعنى أن صناعته قيمته.

الإنتـاج الصناعـي : عرف المغرب الأوسط، للعهد السليماني العديد من المنتجات الصناعية الأساسية آنذلك والكمالية، وسأقتصر على أهمها :

1 - **الصناعة النسيجية** : تطور الصناعة النسيجية في المغرب الأوسط، والإسلامي بكامله يعود إلى جملة من العوامل المساعدة لذلك، منها وجود المواد الأولية، من صوف وكتان، وقطن، وحرير، وغيرها ... كما أشرنا إلى ذلك في الإنتاج الزراعي الصناعي،

(1) قام عبد الرحمن الثالث ببناء قصره الزهراء سنة 325 هـ 940 م، «وجاء بالرخام له من نوميديا وقرطاجنة «عدد أعمدة القصر 4300 عمودا من الرخام» أنظر فليبي حتى : تاريخ العرب المختصر، ص 173/ ولنفس المؤلف الإسلام منهاج حياة، ص 192.

(2) ابن خلدون : المقدمة : ص 712، 713.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 161.

(4) ابن خلدون : المقدمة، ص 718.

والطلب المتزايد عليها داخليا وخارجيا، والتطور الحضاري الحاصل في المغرب والمشرق، وتشجيع الدولة والمجتمع للحرفيين منها، ما ذكرناه في الشروط البشرية «وكون السكان يهتمون بهندامهم لأنهم كانوا يعتبرون اللباس من أهم مظاهر المكانة الإجتماعية.»[1] ومن أهم الملابس لهذا العهد، السفاري[2] وهو زي شعبي كان يصنع من الحرير والصوف والقطن، والتلمساني[3] نسبة إلى مدينة تلمسان، وينسج من الحرير والصوف. والكنابيش (عمائم). وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعا من الكنابيش.»[4] ويقول الحسن الوزان عن ندرومة، «وينتجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية.»[5] وعن تبحريت (قرب ندرومة) «وأهلها نساجون إلا القليل منهم»[6] وهنا تبرز اليد العاملة التقنية لسكان المغرب الأوسط ودورها في الصناعة. والقلعة الحمادية كانت مشهورة بالألباد والأقمشة المزركشة والملابس الجميلة.»[7] وابن تومرت وعبد المؤمن بن علي، أثناء رحلتهما في المغرب الأوسط من بجاية إلى تلمسان، شاهدا العديد من المنتجات النسيجية والآلات الموسيقية واعتبر المهدي ذلك من البدع والمنكرات.

«وكان ينهي الناس على الأقراق الزرارية[8] ولباس الفتوحات للرجال ويقول : «لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام»[9] وغيرها من الأقمشة النسيجية كالقشابيات،

(1) سعدون عباس (نصر الله) : دولة الأدارسة في المغرب، ص 141.

(2) نفس المرجع السابق، ص 141.

(3) نفس المرجع السابق والصفحة (الهامش).

(4) الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ج 2، / ص 44، المادة تلمسان.

(5) الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 14.

(6) ن، م، س، ص 15.

(7) ياقوت الحموي : معجم البلدان إفريقية، ج 1/ المادة أشير

(8) الإقراق الزرارين، القرق، جمع أقراق، لعبة شعبية ببلادنا، ولازال لها أثر في بعض المناطق وتعرف بهذا الإسم، لكن مع إبدال القاف بالجيم المصرية، وهي عبارة عن ثلاث مربعات مختلف الأحجام، الأول داخل الثاني وأصغر منه، والثاني داخل الثالث وأصغر منه . وربما الإقراق الزرارين، ضممت بهذا الشكل وكثيرا ما تفنن الخياطون، في رسم الأشكال بواسطة الأزرار أنظر ابن منظور : ن، م، س، ص المادة : قرق.

(9) البيدق : أخبار المهدي ابن تومرت، ص 52.

البرانيس، الهدون العباءات وغيرها، و الاغطية كالزرابي، وصناعة الخيام ... إلخ وهذه المنسوجات كان لابد من صناعتها مما يتطلب وجود فنيين في هذا الجانب، مستخدمين مواد كيميائية خاصة، لصباغتها وتلونها.

2 - **الصناعة المعدنية** : تحتاج إلى مادتين أساسيتين، مواد طاقوية، ومواد معدنية، وهذه المواد متوفرة في الدولة السليمانية، وقد أثبتنا في جزء الشروط الطبيعية . بما فيه الكفاية . مع وجود إمكانات بشرية، كانت تلبي حاجة السكان، آنداك، وتتمثل في صناعة :

«السيف ذو الحدين السيف ذو الحد، وسيف الطوارق»[1] وهناك آلات أخرى، «كالتراس والرماح واللجون، والدروع والمغافر والحراب والطبرزين»[2] وهناك أدوات حديدية خاصة بالسفن.

«ومعدن الحديد اللازم لعمل المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف أو الكلاليب والعرادات والفؤوس واللتوت والدبابيس والجواشين وغير ذلك من الآلات والأسلحة.»[3] بالإضافة إلى أدوات أخرى منزلية، كالأبواب، السكاكين، والخناجر والمقصات والإبر وآلات الصيد البحري والبري، وآلات النسيج والآلات الزراعية : كالسكة والمنجل والفأس والقادوم...

3 - **الصناعة الخشبية** : المادة الأولية متوفرة ومتنوعة بما فيه الكفاية لصناعة السفن والأعمدة والأبواب والسقوف والمنابر، وهناك العشرات من الصناع والنجارين المهرة والخراطين من أمازيغ وعرب وأندلسيين، وحتى ذميين، وهؤلاء ساهموا في إقامة صناعة خشبية، لبت حاجة الشعب السليماني. فمثلا : المنبر الذي أمر إدريس الأكبر بصناعته ونقش عليه النص الذي تكلمنا عليه قبلا وبقي هذا المنبر يقاوم الزمن إلى عصر ابن خلدون على الأقل ألا يدل على مكانة الصناعة الخشبية.

---

(1) أبو زكرياء يحي بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص 79، 75 (الهامش).

(2) المقري : نفح الطيب، ج 1، / 502/ ابن الخطيب : أعمال الإعلام، ص 33.

(3) أنظر Claude Cohen B.E.O.X II 1947 – 48 P 123.

وهناك الأساطيل البحرية المدنية والعسكرية المتواجدة على طول السواحل السليمانية . هذه المصنوعات الخشبية وغيرها من المصنوعات الأخرى تدل على وجود صناعة خشبية. خاصة وأن المواد الأولية لصناعة السفن متوفرة في بلاد المغرب، وقد أشار المؤرخان سالم والعبادي نقلا عن كلودكوهن عن الطرطوشي إلى توفر أنواع كثيرة من الأخشاب ومواد التلحيم.» أما المغرب الغني بخشب الصنوبر، والأرز، والبلوط، وتكثر هذه الأخشاب كلها في جبل درن المعروف بسنجنفوا .أما الأرز وحده فيكثر في مدينة نكور، وفي أودية بجاية وجبالها خشب كثير تصنع منه الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، وف يجبال بني يرغة قرب (فاس) خشب جيد قد تعمر منه في الموضع الذي لا يناله الماء ألف سنة ولا يزيد ولا يغير ولا يستاس»[1] وهذه المواد الأولية الاساسية لصناعة السفن ولواحقها كالألواح والصواري والقرى والمجادف والسلالم ... والزفت لقلطنة السفن حتى لا تأثر المياه في ألواحها المغمورة في البحر والقطرا والكبريت اللازمان لصناعة النفط البحري، وهو نوع لا ينطفئ إذا سقط في الماء والقطران والكتان اللازمان لصناعة النار الحارقة.[2] والخشب بأنواعه المختلفة يدخل في العديد من الصناعات المنزلية والفلاحية ومواد البناء ... إلخ.

4 – **صناعة المطاحن المائية وغير المائية** : المطاحن كانت ولا زالت مع مراعاة التطور التقني لصناعتها والمواد المصنوعة بها، وبمجانة المعادن كما سماها البكري، فيها المواد الأولية لصناعة المطاحن، وهو جبل شاهق ومنه تقطع أحجار المطاحن التي إليها الإنتهاء في الجودة، وحسن الطحين، حتى أن الجزء منها مرّ عليه عمر الإنسان، فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة، هذا لصلابته ودقة أجزائه»، وهذه المطاحن كانت تصدر إلى مختلف أقطار المغرب الإسلامي، وربما إلى الأندلس وبلدان أخرى أما صناع هذه المطاحن فكانوا من العرب ، لأن العرب تغلبوا عليها منذ الفتح الإسلامي واستقروا بها.

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في م، أ ص 58، 59.

(2) Claude Cohen id p .123

أما المطاحن المائية، فكانت تقريبا موجوده في كل مدينة وقرية بها نهر من أمصار المغرب، وأن مجانة هي مصدر هذه المطاحن، إلى جانب المطاحن اليدوية التي لازالتإلى اليوم في بعض المناطق وعند بعض العائلات لطحن الفريك الروينة ... إلخ.

5 - **الصناعة الفخارية** : بما أن المادة الأولية متوفرة في معظم مناطق المغرب الأوسط واليد العاملة متواجدة بما فيه الكفاية، فكانت معظم الأواني المنزلية وغيرها يقوم الصناع بتلبية حاجة السوق وتطبخ في الأفران التي كانت تقام حول المدن لصناعة الأوان الفخارية.

وهذه الصناعات وجدت قبل العهد السليماني، واستمرت بعدهم. إلا أنهم أعطوه طابعها الإسلامي، وهذا ما أثبته الحفريات في تلمسان، تيهرت، فاس، بجاية، أما ما يتعلق بتلبيس العمارة فيرجأ إلى المباني الدينية كالمساجد وهناك حرف كثيرة، لم أتوقف عندها لعوامل موضوعية، كصناعة النحاس والرصاص، الجلود، الزجاج، الغذائية، (الخمر، التجفيف)، العقاقير الطبية، الزيوت، الحلي، العطور ... إلخ لأن فيه نصوص تشير إلى ذلك لكنها غير كافية للتدليل.

وأختم المجال الصناعي في المغرب الأوسط بالنصين التاليين : فقد كتب أ. مصطفى الأشرف : إن الجزائر وإفريقية في القرن الثامن من مجال استخلاص المعادن كالفضة والأثمد والحديد والرصاص. نقلا عن أحد المؤرخين الفرنسيين : «لا يشك أحد أن هذا دليل واضح على وجود نهضة أقتصادية، بل ربما ليست من الصواب أن نسميها نهضة إذ أن الشيء الذي حدث هو إستثمار ثروات كانت إلى حد ذلك الوقت مهملة وليس هناك ما يدل على أن الرومان استثمروا تلك المناجم الغنية.»[1] والأستاذ مصطفى الأشرف ليس من أولئك الذين يسلمون للنصوص العربية، لولا أنه قد رأى أمثال : استيفان جزال، قد أقروا بالحقيقة.

والنص الثاني للأستاذ الأمريكي أرشيبالد : «فإن حركة التصنيع المتزايدة في شمال إفريقيا وصقلية والأندلس والتوسع في زراعة الحاصلات الشرقية، وازدياد حركة

(1) الأشرف (مصطفى) : الجزائر في تاريخ الحضارة، مجلة الاصالة، ع 5، ص 119، 120.

التجارة وشيوع استخدام الدينار الذهبي، كل ذلك جعل تلك المرحلة عصرا ذهبيا للإسلام هناك.»[1] المرحلة يعني 827 هـ 960 م.

وهذه وتلك دلالة على تطور الإقتصاد للمغرب الإسلامي، بما فيه الدولة السليمانية والإمارات العلوية التابعة لها.

ثالثا : التجارة :

إذا كانت التجارة في مفهومها البسيط البيع أو الشراء بغرض الربح أو ما حكاه ابن خلدون عن أحد الشيوخ التجار : «أنا أعلمها لك في كلمتين «اشتراء الرخيص وبيع الغالي»[2] وقد طور ابن خلدون هذا التعريف البسيط عن التجارة حيث قال : «أن التجارة محاولة الكسب، بتنمية المال، بشراء السلع بالرخص، وبيعها بالغلاء، أيا ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش. وذلك القدر النامي يسمى ربحا.»[3] وهناك نوعان من التجارة الداخلية والخارجية، ولكل منهما له أهميته الإقتصادية والإجتماعية والحضارية.

أ/ التجارة الداخلية :

ماهي التجارة الداخلية ؟ وما هي العوامل المساعدة على تطورها ؟

إذن فالتجارة الداخلية هي : «تبادل السلع بين المناطق المختلفة داخل إقليم الدولة.»[4] وكما اثبتنا مسبقا، إن الدولة السليمانية وجدت بها العديد من المواد الأولية المعدنية والنباتية والحيوانية، وكانت موزعة على كامل القطر السليماني، لظروف طبيعية كالتكوين الجيولوجي للأرض، والمناخ، وأنواع الترب، والغطاء النباتي، فإذا كان الحديد والزئبق والملح، في أرزيو، فإن المناطق الأخرى، ليس بها هذه المعادن، فالتجار

(1) أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط ص 333.

(2) ابن خلدون : المقدمة، ص 703.

(3) ابن خلدون نفس المصدر السابق والصفحة.

(4) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي، ص 265، المادة (التجارة الداخلية).

يطلبون هذه المواد، ويذهبون بها إلى أماكن الإستهلاك . فإذا كان لمعظم المدن السليمانية فحوص (أحواز) فإذن هذه الفحوص، لا يمكنها أن تلبي حاجة سكانها من المواد الغذائية والمواد الأولية الزراعية والصناعية، وكثيرا، ما لفت انتباه الجغرافيين والرحالة، وفرة مواد زادت على حاجة سكان الإقليم. فمثلا سوق إبراهيم : «ولها فواكه وتين عظيم كثير يجهز عنها»[1] وعن المسيلة «ولهم عليه (وادي سهر) كروم وأجنة كثيرة، تزيد على كفايتهم وحاجتهم، ولهم من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس.»[2] هذا النص يفسر كيف كانت تنقل السلع والبضائع داخل المدن، ومنها إلى الحواضر الإسلامية الكبرى، كالقيروان، تلمسان، وفاس، وتيهرت، وغيرها.

وهناك مناطق معينة اشتهرت بمنتوج أو بمنتوجين . كان لابد من تسويقه إلى مناطق داخلية في مرحلة أولى. فمجانة كانت تزود سوق المغاربة بكاملها بالمطاحن، وتلمسان بالملابس، وتيهرت بالخيول والبغال والحمير، والمسيلة (الهاز) وأرزيو بالملح وجبال كتامة كانت تمون السوق بالقطران والزفت، وموسى الخرز وتنس وسبتة، وكانت تزود الأسواق المحلية والجهوية والدولية، بالمرجان كمادة خامة ومصنعة، وهناك العديد من الأمثلة.

أما العوامل التي ساعدت على تطوير التجارة الداخلية، فهي كثيرة من أهمها. العوامل الطبيعية، التي تحدثنا عنها مسبقا ثم النصوص الدينية المشجعة لها وما أكثرها،[3] واشتغال الأمراء العلويين بها «كما مارس بعض الأمراء العلويين في بلاد المغرب الأوسط التجارة يدل هذا على ظهور أسواق خاصة بهم تحمل أسماءهم، مثل سوق حمزة وسوق إبراهيم سواء كان ذلك بممارسة، شخصية أو بالإستعانة بالوكلاء.»[4] هذا التصرف العلوي الطيب دفع الناس إلى الإشتغال بالتجارة، بالإضافة إلى حمايتهم للإنتاج والمنتوج عن

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 89.

(2) نفس المصدر السابق، ص 85.

(3) آيات قرآنية وأحاديث نبوية مثلا : «وأحل الله البيع وحرم الربا» سورة البقرة الآية 275، والأحاديث النبوية راجع كتاب الموطأ – الإمام مالك بن أنس ص 510 – 571.

(4) جودت عبد الكريم : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، ص 126.

طريق نظام الحسبة ودور المحتسب في تنظيم الأسواق وحماية المستهلك. وقد وضعناه في التنظيم في الفصل الأول، إلى جانب سهولة المواصلات فهناك عشرات الطرق التي كانت تربط مناطق البلاد وخارجها البحرية والبرية.

فالموانئ كانت تمتد على طول الساحل السليماني من جراوة إلى مرسى الدجاج، وأهمها هنين، أرشكول، المرسى الكبير، وهران، أرزيو، مستغانم، تنس، برشك، شرشال، جزائر بني مزغنا. هذه المراسي ساهمت بدون شك في تطوير التجارة الداخلية والخارجية خاصة أنها كانت مزودة بالمنارات، والرباطات، وبمختلف وسائل الأمن المتاحة آنذلك، مما جعل التجار والمسافرين يفضلون ركوب البحر هذا لا يعني أن الطرق البرية كانت غير متوفر لها هذه الشروط الأمنية من أبراج، وفنادق وطرق وأمن وزاد لهم ولحيواناتهم. والدليل على هذا الكلام ومما زاد في سهولة التنقل، وجود القوافل العديدة «فكانت القافلة تضم عشرين جملا إلى ثلاثين، وربما ارتفع العدد إلى الخمسين، كان مسيرها بعد صلاة العصر وأثناء الليل وترتاح أكثر النهار وتقيم في الأماكن الخصبة عدة أيام.»[1] وما أكثر مدن المغرب الأوسط، على طول الطرق البرية والبحرية معظمها لا تزيد عن المرحلة او المرحلتين،[2] هناك عامل آخر أساسي ساهم في تطوير التجارة الداخلية والخارجية.

إن هجرة الأندلسيين والعرب إلى المغرب الأوسط، والشراكة السليمانية الأندلسية. شملت العديد من الميادين الإقتصادية والإجتماعية وحتى السياسية منها من أدلة ذلك شراكة تنس : «وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلوسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها»[3] والشراكة الحقيقية المتمثلة في بناء المدن وإشراك الغير في الإقامة فيها، على غرار ما فعل الرسول محمد بن عبد الله (ص)[4]

(1) سعدون (عباس نصر الله) : الدولة الإدريسية في المغرب، ص 144.

(2) البكري : المغرب، ص 49/ ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(3) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(4) قال ابن القيم : «ثم آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس ابن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار «أنظر المبار كفوري (صفي الرحمن) : الرحيق المختوم ص 218.

وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس ... ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة وأهل تدمير وأصحاب تنس من ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان عبد الله الكامل فتجمع إليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الإنتقال إلى قلعة تنس وسألهم أن يتخذوها سوقا ويجعلها سكن ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فأسسها فأجابوهم وانتقلوا إلى القلعة وخيموا بها ...»[1] وسأعود إلى هذا النص في الحياة الإجتماعية في الآثار الإيجابية لهذه الشراكة وهذا ينطبق على مرسى الدجاج «يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة[2]» وعن مدينة وهران. «وبنى مدينة وهران بن أبي عوف ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق معهم مع نفزة وبني مسقن وهم من أزداجة»[3] وغيرها من المدن ... وهناك قاعدة العوامل أن صح التعبير لقول إبراهيم عليه السلام «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ... الآية»[4] حيث طلب الأمن قبل الرزق. وهذا ما عمل عليه العلويون طيلة وجودهم في المغرب الأوسط، وكان أساس ذلك العدل «دخل المغرب في أواخر القرن 3 هـ/ 9 م مرحلة من الإستقرار والهدوء»[5] الذي كفل له الإزدهار الإقتصادي ومنها نشأة المدن في المغرب الأوسط ثم في هذا القرن ودليلنا على ذلك الإزدهار الإقتصادي، ومنه التجارة الداخلية. ووجود العديد من الأسواق في المدينة الواحدة كان بها العديد من الأسواق بدل من السوق الواحدة فتنس لها أسواق كثيرة.[6] وفي تلمسان التي هي قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ... إلخ.

(1) البكري : ن، م، س، ص 61.

(2) ن، م، س، ص 65.

(3) ن، م، س، ص 70.

(4) سورة البقرة : الآية، 126.

(5) فيلالي عبد العزيز : العلاقات الخارجية، ص 102.

(6) البكري : ن، م، س، ص 62.

وخلاصة القول إن لكل مدينة وقرية سوقا أو أسواقا، حتى أن بعض الأسواق تحولت إلى مدن كسوق إبراهيم كما أشرنا مسبقا ومن هذه الأسواق النسرية، السنوية، الفصلية، الأسبوعية، اليومية.

ب/ التجارة الخارجية :

قبل الإجابة عن التجارة الخارجية يجدر بنا أن نطرح الأسئلة الآتية :

ما هي التجارة الخارجية ؟ وما هي أهم منتجات التبادل ؟ وما مناطق التبادل التجاري ؟ وما هي الشروط الطبيعية والبشرية المتوفرة لها ؟.

التجارة الخارجية (التجارة الدولية) : لها أكثر من مفهوم منها «تبادل السلع والخدمات بين الدول في صورة صادرات وواردات»[1] وهناك تعاريف أخرى.

الشروط الطبيعية والبشرية المتوفرة لها : لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنشط التجارة الخارجية وتزدهر، إلا بتوفر جملة من الشروط منها :

1 - الحوافز الدينية : إن الدين الإسلامي الحنيف، يدفعُ أتباعه إلى الكد والسعي إلى جلب الرزق من مختلف الأمصار وهناك العديد من الآيات،[2] الأحاديث النبوية الحاثة على ذلك.[3] واشتغال الرسول (ص)، وأبي بكر، وعثمان، وعمر، إذ عمل في التجارة معظم الصحابة.

2 - انخفاض الضرائب التجارية : «كان القانون منذ بداية الإسلام يقضي بدفع ضريبة في الميناء التي تصل إليها البضاعة، كالبصرة، مثلا بمعدل 2.5 ٪ أو 5 ٪ أو 10 ٪ بناء على وضع التاجر المعني أو كونه مسلما أو غير مسلم»[4] وهذا ما حدده الشرع

---

(1) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي، 265.

(2) سورة البقرة الآيات الآتية : 275، 279، 245، 280، 282، النساء 100 ...إلخ

(3) إن الرسول (ص) قال : «رحم الله رجلا، سمحا إذا باع، وإذا أسرى وإذا اقتضى» رواه البخاري، باب البيوع رقم 1970، للإستزادة، أنظر، باب البيوع البخاري من رقم 1942 - 2123، الجزء الثاني من ص 721 إلى 780.

(4) شعبان محمد عبد الحي محمد : الدولة العباسية والفاطميون، ص 32.

الإسلامي من زكاة وعشور وهذا شيء لا ضرر ولا ضرار فيه، وكان مطبقا في معظم الدول الإسلامية ورغم أنها كانت زهيدة أي الجباية إلا أنها كانت تدر أموالا طائلة على الدولة السليمانية، لأن التجارة بها كانت مزدهرة خاصة البحرية منها «ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على التجارة الداخلية والخارجية والصادرة والواردة.»(1) بما أن الدولة التزمت بالقوانين الإسلامية «كان التجار يدفعون إلى الدولة زكاة تجارتهم لا يبخسونها شيئا.»(2)

3 - **اشتغال آل البيت العلوي بالتجارة** : إما بأنفسهم أو تعيين وكلاء لهم وكان دليلنا وجود الأسواق الداخلية تحمل أسماءهم مما دفع السكان للتجارة.

4 - **الدعوة إلى الإسلام** : أمر الإسلام المسلمين بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ثمانية وثلاثون سورة من القرآن الكريم.(3) وجملة من الأحاديث النبوية، واشتهر آل البيت العلوي في المغرب الإسلامي، بنشر الإسلام واللغة العربية في المغرب بين القبائل البربرية، وفي غرب إفرقيا «القوافل التجارية من المغرب الأوسط، فدخلت أودغشت، وغانة ... ومع هذه القوافل كانت تنتقل مختلف التيارات الثقافية، والإجتماعية والعقائدية ومن المعروف عن التجار والرحالة المسلمين في العصور الوسطى، أنهم كانوا دعاة ومعلمين، وقد أثمرت جهودهم السلمية، في مدة رقعة الإسلام.»(4) تنافس في ذلك سكان المغرب الإسلامي على غرار باقي المسلمين.

5 - **حرية التجارة** : ويقصد بها المساواة الضريبية بين السلع المحلية والأجنبية لأن المسلم، من أي بلد فهو في داره وبلده (دار الإسلام)، ولا فرق بين العراقي والمغربي والأندلسي، وهذه النسبة للتعريف لا أكثر، والسلع كلها في مستوى واحد، الفرق الوحيد المعايير المتعلقة بالسلعة في حد ذاتها، كالإتقان، الجودة، اللون، التركيبة، إلخ بل

(1) ابن حوقل : صورة الأرض : ص 78.

(2) دبور (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير، ج 3 / ص 347.

(3) صبحي عبد الرؤوف عصر : المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، ص 276 - 285، موضوع الدعوة إلى الله.

(4) لقبال (موسى) : البيئة وسير التاريخ الوطني، مجلة الأصالة، ع 1، ص 71

بالعكس، كانت دول المغرب الأوسط، توفر جملة من الشروط البشرية، للتجار المارين بترابها.» وكانت التجارة حرة يقوم بها كل فرد في الدولة السليمانية، تنزع نفسه إلى التجارة. وكانت الدولة تمهد لتجارها الطرق، وتحرسهم في السبل وتقيم لهم الرباطات والمنازل في مراحلهم، وتحفر لهم الآبار، وتبعث معهم الجند ليجتاز بهم المراحل المخوفة، وترعاهم في الصحراء الكبرى التي يقطعونها.»[1] ومن الأمثلة عن ذلك، إن الدولة السليمانية، كانت توفر للتجار الرستميين والأندلسيين المارين بأراضيها، ما قلناه وزيادة على ذلك، خصصت ميناء خاصا بهم، ألا وهو ميناء فروخ[2] (بين مستغانم وأرزيو)، فرغم الإختلافات العقائدية وحتى السياسية أحيانا ولم يؤثر ذلك في التجارة الخارجية للدولتين.

6 – الموقع الممتاز للمغرب الأوسط : إن أراضي الدولة السليمانية عبارة عن جزيرة في بحر من الدول المتصارعة سياسيا، الأغالبة (إفريقية صقلية) ومن ورائهم الخلافة العباسية، شرقا، بني رستم جنوبا الأدارسة غربا، والأموية شمالا، ومعنى ذلك أن تجارة هذه البلدان وما وراءها، من بلدان هم مضطرون إلى المرور باراضي الدولة السليمانية وتفطن السليمانيون لذلك جيدا مستغلين الظروف العامة لصالحهم وصالح الإسلام بالإضافة إلى شروط أخرى كالطرق، والمراسي الآمنة، والرخاء الإقتصادي ووفرة وسائل النقل ... إلخ.

هذا لا ينفي وجود صعوبات أمام التجارة الخارجية، قلة رؤوس الأموال والحيوانات المفترسة وقطاع الطرق والنخاسة وتمرد القبائل أحيانا والفتن الأهلية والكوارث الطبيعية ... إلخ، ولكن الجميع يقر أنه «العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها.»[3].

---

(1) دبوز (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير، ج 3/ ص 347 / سعدون : دولة الأدارسة في المغرب، ص 142.

(2) Levi – Provençal histoire de L'espaagne musulmane, t1. p 282

(3) هذا النص عبارة عن عنوان كتاب للأستاذ ووبوفيل وقد جاء في صدر الكتاب ما يأتي : لم تكن هناك قبل وصول العرب إلى إفريقية أية معلومات معروفة عن الأقاليم الإفريقية جنوب المغرب» ص 60، أنظر، أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978 م، ص 265 / أنظر آدم متز : الحضارة الإسلامية ج 2، من ص 369 وما بعدها / موريس لومبار في مجلده الأول القرن 811 م (25هـ) ص 79، وما بعده أي الفصل الثالث.

الصـادرات والـواردات : يشترط في التجارة الخارجية أن تكون هناك صادرات وواردات.

أ- الصـادرات : ما هي الصادرات ؟ الصادرات هي مجموع السلع والخدمات وما إليها التي تبيعها الدولة أو تتبادلها مع دولة أجنبية[1]. إذن ما هي السلع والخدمات[2] التي تصدرها الدولة السليمانية ؟ للإجابة على هذا السؤال سأقتصر على أهمها.

لأن صادرات الدولة السليمانية كثيرة ومتنوعة ولا يمكن الوقوف عليها كلها، وتمثلت هذه الصادرات في المنتجات الغذائية كالحبوب من تنس «وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب»[3] والفواكه كالسفرجل والتين من سوق إبراهيم : «لها إقليم شجرة التين كثيرا جدا، يعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب، وبذلك تسمى وتحمل منها إلى كثير من الأقطار.»[4] والسفرجل في تنس ولكنه يصدر من المسيلة : «ولهم عليه (وادي سهر) كروم واجنة كثيرة تزيد عن كفايتهم وحاجتهم، ولهم من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس»[5] وعن مدينة وهران «إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال.»[6] والغسل ما زاد عن الحاجة فمثلا «وجزائر بني مزغنا ... ولهم ما يجهز عنهم إلى القيروان وغيرها»[7] وكذلك مشتقات الحليب كالسمن «وجزائر بني مزغنا ... والسمن والتين وما يجهز ويجلب إلى القيروان وغيرها»[8] والثروة الحيوانية، فمثلا : المواشي من برشك «وأكثر

---

(1) عطية الله (أحمد) : القاموس السياسي ص 707 المادة الصادرات.

(2) الخدمات : صادرات غير منظورة فتشمل الخدمات التي تقدمها الدولة لمواطني دولة أجنبية، أنظر أعطية الله نفس المرجع والصفحة.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 153.

(4) نفس المصدر السابق، ص 152/ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 89.

(5) إبن حوقل : ن، م، س، ص 89.

(6) ن، م، س، ص 79.

(7) ن، م، س، ص 78

(8) ن، م، س، ص 78.

أموالهم الماشية ولهم من الزرع والحنطة، ما يزيد عن الحاجة.»[1] وهذا ما أكده صاحب الاستبصار «تجلب الاغنام من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس لرخصها وطيب لحمها»[2] وبرشك مرسى هام يقع بين شرشال وتنس يصدر منه مواشي وغلاة الدولة السليمانية، وتيهرت الروستمية والمواد الطبية، هناك العديد من النباتات، والتي كان ينتجها المغرب الأوسط، راجع الإنتاج الزراعي، وما زاد عن حاجة السكان، فكان يصدر من سوق حمزة برا وبحرا، مرسى الحجاج، إلى فحص فسيح تجمع فيه عروق عاقر فرحا ومن هذا الموضع تحمل إلى الأفاق»[3] والجمال والخيول والبغال والحمير، فكانت هذه الثروة اما تصدر عن طريق المراسي، اما البر وأما بيعها إلى أصحاب القوافل لحاجتهم بها لنقل بضائعهم وسلعهم، وخاصة إلى الأندلس أوقات الشدة[4] هذه أهم المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية المصدرة.

أما أهم المنتجات الصناعية فيمكن حصرها فيما يلي : ويظهر أن جل المنتجات الصناعية التي ذكرناها في الإنتاج الصناعي كانت تصدر إلى الخارج، إلى جانب المنتجات الزراعية والمواد الأولية. «أما الصادرات (هنين) فقد تنوعت وشملت منتجات الماشية كالصوف والجلود بالإضافة إلى المنتجات الصناعية لمدينة تلسمان من منتجات جلدية ونسيجية وغيرها»[5] وكذلك ما ذكره الأصطرخي وهو من جغرافي القرن الثالث وبداية القرن الرابع «للبود[6] المغربية والبغال للسرج وكذا المرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت والسفن والحرير والسمور[7]» [8] ومن المنتجات الصناعية ما ذكره ابن حوقل :

---

(1) ن، م، س، ص 78.

(2) مؤلف مجهول : كتاب الإستبصار، ص 178.

(3) البكري : ن، م، س، ص 64.

(4) جودت عبد الكريم : ن، م، س، ص 217.

(5) صاري الجيلالي : أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين)، مجلة التاريخ، العدد 21، ص 20.

(6) اللبود : ج اللبود، بسائط الصوف، ولباس اللبادة، أنظر الزمخشري : أسس البلاغة ص 402.

(7) السمور : ج سامير، حيوان بري، يتخذ من جلده فراء ثمينة، وأطلق السمور على جلده. أنظر المنجد في اللغة ص 350.

(8) الأصطخري : (أبي إسحاق إبراهيم) : المسالك والممالك، ص 37.

«العنبر والحرير والأكسية والصوف الرفيعة والدونية إلى جباب الصوف وما يعمل منه والأنطلاع (بسط الجلد) والحديد والرصاص والزئبق»[1] أما ما ذكره المقدسي من الصادرات الصناعية «الزيت والفستق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والأنطلاع والقرب»[2] وهذه المواد المختلفة وجدت طريقها إلى الأسواق القريبة والبعيدة : «... ومدينة أغمات أهلها من هوارة»[3] ... وهم تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال من النحاس الأحمر والملون، والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر، وصنوف النظم من الزجاج، والأصداف والأحجار، وضروب من الأفاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع ...»[4] وغيرها كثير.

أما صادرات الدولة السليمانية من الخدمات (الصادرات غير المنظورة) فهي مجموع المستحقات التي كان يدفعها التجار وغيرهم، مقابل الخدمات التي تقدم لهم والدليل ما أثبته ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ «ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة : كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلية إليها والخارجية والصادرة والواردة»[5] يعني تنس، هذه وغيرها تعود بفوائد على الدولة السليمانية.

ب- الــواردات : ويقصد بها مجموع السلع التي تحصل عليها الدولة من غيرها من الدول بالشراء النقدي أو بالتبادل التجاري.[6] وفيها الواردات المنظورة وغير المنظورة أي ما قلناه عن الصادرات.

ما هي واردات الدولة السليمانية ؟ بالرغم مما توصل إليه ارشيبالد الأمريكي، من نتائج عملية عن تجارة شمال إفريقيا وتجارها .«كان مسلموا شمال إفريقيا، يسيطرون

(1) أنظر صورة الأرض، ص 95.

(2) انظر، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 239.

(3) هوارة : قبيلة بربرية تواجدت في معظم بلدان المغرب بما فيه المغرب الأوسط، قلعة هوارة (بين البطحاء ومعسكر)، أقرب إلى البطحة.

(4) أنظر القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ص 135.

(5) أنظر صورة الأرض، ص 78.

(6) أعطية الله أحمد : القاموس السياسي، ص 1378، المادة (الواردات).

على تجارة البحر المتوسط، إبتداء من عام 827 م (212 هـ) حيث يذهبون إلى موانئ مصر وسوريا، ويعودون ببضائع تلك البلاد ليوزعوها على البلاد الإسلامية في الغرب، ونفس الشيء فيما يتعلق بالبضائع البيزنطية من صقلية. مما أدى إلى نقل الثروة إلى أيديهم.»[1] إلا أن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن تجار وتجارة الدولة السليمانية، كانت تفوق الحواضر الإسلامية في المغرب[2] والمشرق[3] لأن النعمة (الحضارة) عمت الجميع، وتنوعت الواردات حيث شملت نباتات وحيوانات تلك المناطق من ذلك نباتات المناطق الحارة وشبه الحارة ذات القيمة الإقتصادية التي انتقلت من مواطنها الأصلية إلى المشرق ثم المغرب كالليمون والبرتقال ودودة القز وقصب السكر والقطن.[4] «وكان الأندلس حينذاك بلدا عامر بالمدن أكثر مما كان المغرب»[5]. وبالرغم من توافد عدد كبير من البربر كتجار على واد النيل وأقاموا في الإسكندرية، وما حولها، ثم كان لهم دور كبير في إنجاح الحملة الفاطمية على مصر[6] فإن صادرات المشرق والأندلس وغرب إفريقيا إلى المغرب ارتفعت وتنوعت. «حملت هذه القوافل إلى المغرب المصنوعات الحديدية والنحاسية والزجاجية والقرنفل والبخور والتوابل والمنسوجات والمعادن الثمينة وخاصة الذهب وخشب الآبنوس والعاج والجلود»[7] .أما صادرات غانة إلى شمال إفريقيا فهي العاج وبيض النعام والصمغ وبعض الجلود وجوز الكاكاو والذهب.[8] أما غير المنظورة، فإن كان الدول الإسلامية كانت تحترم

(1) أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص 188

(2) الحواضر الإسلامية في المغرب، مثل القيروان، فاس، تيهرت، سجلماسة، قرطبة، ... إلخ

(3) الحواضر الإسلامية في المشرق مثل : الإسكندرية، البصرة، بغداد، واسط، دمشق : إلخ.

(4) إرشيبالد، لويس : نفس المرجع السابق، ص 263 264.

(5) نفس المرجع السابق، ص 260.

(6) نفس المرجع السابق، ص 254.

(7) سعدون : نفس المرجع السابق، ص 144

(8) نعيم قدح : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، ش.و.ن.ت. الجزائر ط 2، 1975 م، ص71، 72.

ما فرضه الإسلام على التاجر: «ومارست تجارة التصدير والإستيراد وتجارة العبور (الترانزيت) خصوصا بين إفريقيا الشمالية وإفريقيا السوداء.»[1] أما الدول غير الاسلامية كبيزنطة، وبلغارية، وغيرها، فهناك الضرائب المرتفعة والقيود الجمركية: «وفرضت هناك ضريبة قدرها 10 ٪ على جميع الواردات. وخضعت التجارة لقيود جوازات الدخول ومدة الإقامة وتحديد البضائع المستوردة والمصدرة وغيرها. واقتصرت إقامة هؤلاء التجار على أحياء بذاتها طوال مدة بقائهم للتجارة»[2] من أمثال عهد السيطرة الاسلامية الإقتصادية (827-950 هـ)[3] ما قاله ابن فقيه الهمداني في كتاب البلدان حوالي 290 هـ / 902 م: «وقالوا أبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى فيها بصريا أو حميريا.»[4] وما نقله نعيم قداح: «إن يجرب جملك فعليك بالقطران وأن تفتقر فسافر إلى السودان.»[5] هذه النصوص تثبت الاسيطرة الاسلامية وما تذره تجارة غرب إفريقيا من ربح.

مناطق التبادل التجاري: هناك أكثر من منطقة تجارية تتعامل مع الدولة السليمانية عن طريق تجارها.

1 - مدن المغرب الاسلامي: (تيهرت، فاس، القيروان، سجلماسة، برقة...): أثبتنا بما لا يدعو إلى الشك ان الحدود العربية الاسلامية كانت مائعة ولا توجد أي قيود بين دول المغلاب من جهة وبين باقي دول العالم الاسلامي. فالدولة السليمانية خصصت ومرسى فروخ[6] إلى البضائع والسلع والمسافرين من تيهرت وإليها، وبالتالي إن إمارة تقدمت على بعد بعض الأميال من العاصمة الرستمية وأن رعايا الدولة الرستمية هم في

(1) إسماعيل (العربي): الصحراء الكبرى وشواطئها، ص 43 44.

(2) أرشيبالد: لويس: المرجع السابق، ص 365.

(3) المرجع السابق، ص 275.

(4) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص 51

(5) نعيم قداح: المرجع السابق، ص 141

(6) مرسى فروخ: هو أحد مراسي الدولة السليمانية وكان التجار الرستميين وغيرهم يقصدونه من أجل تسويق بضائعهم.

نفس الوقت رعايا الدولة السليمانية خاصة الواصلية. وأن سفرجل تنس كان ينقل إلى المسيلة ومنها إلى القيروان. وأن مطاحن مجانة (التابعة للدولة الأغلبية) غطت السوق المغاربية، وإن سكر المغرب الأقصى، كان يجلب إلى بلاد المغرب والأندلس وإفريقيا،[1] وأن نقود سجلماسة وجدت بالهاشمية قرب سوق حمزة لهذا العهد دلالة على التبادل التجاري بين البلدين[2] بين الدولة السليمانية ودولة بني مدرار الصفرية.

2 - مدن الأندلس : تأتي في المرتبة الثانية من حيث كمية التبادل التجاري، بين الدولة السليمانية في المغرب الأوسط، والدولة الأموية في الأندلس رغم وجود عوائق تاريخية وعقائدية وسياسية. إلا أن التجارة بين البلدين عرفت إنتعاشا ملحوظا والنصوص الدالة على العلاقات التجارية الجد حسنة بين العدوتين كثيرة وشملت مختلف السلع والبضائع التجارية. والآن سأقتصر على الجانب التجاري لا غير فمن واردات الأندلس على المغرب الأوسط «والذي يجيئ من هذه الناحية الخدم الصقالبة والغلمان الرومية والإفرنجية والجواري الأندلسيات وجلود الخز والوبر والسمور ومن الطيب الميعة والمصلكي.»[3] إن هذه السلع والبضائع لا يعني أنها تبقى كلها في الدولة السليمانية بل يذهب منها جزء كبير إلى باقي الدول المغاربية المجاورة أو إلى بلاد المشرق. وعن مدينة تنس يقول ابن حوقل «هي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى سواها.»[4] هكذا يبرز دور تنس التجاري في التجارة الدولية. وعن وهران يقول البكري : «وهي فرضة الأندلس، إليها ترد السلع (كذا) ومنها يحملون الغلال»[5] أي تأتيها السلع (مصنعة) وهي تصدر المواد الزراعية. وعن جزائر بني مزغنا يقول البكري «وهي أكثر تلك النواحي كتانا

(1) مؤلف مجهول : كتاب الإستبصار، ص 211.

(2) ابن قربة (صالح) : المسكوكات المغربية ... ص 432، 433.

(3) ابن النقيه : مختصر كتاب البلدان، ص 84.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78، / نفس المصدر، ص 79/ ابن عذاري، ج 1، ص 154.

(5) البكري : ن م، س، ص 66، 65.

ومنها يحمل ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أهل السفن من إفريقيا الأندلس وغيرها.»[1] إلخ.

3 - بلاد المشرق : أعني الدول الاسلامية الواقعة ما وراء برقة، مصر، اليمن، الحجاز، العراق، بلاد الشام ... إلخ. أي كل البلاد التابعة للخلافة العباسية. أنذاك، وحتى المستقلة عنها بالمشرق، كانت تصلها سلع وبضائع المغرب الأوسط، والعكس، والتبادل التجاري لم يتوقف في أي يوم من الأيام لأي سبب كان. الأساس أن الخير الجميع، وأن يجد التاجر إقبالا على بضاعته. وهذا النص لإبن حوقل : يثبت ما ذهبنا إليه، «فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فللولدات الحسان كالتي إستولدهن بنو العباس ... وسائر الأغذية.»[2] حيث تنوعت الخدمات، المنسوجات المواد الزراعية، الفواكه، المواد الدسمة الخيول والإبل ... وهذا النص أكثر دلالة وتحديد للصادرات والواردات من المشرق التي كانت تصل إلى المغرب والأندلس، التوابل والأفاوية والمنسوجات الحريرية والوشي والبردي. ومن أهم منتجات المغرب التي كانت تتجه إلى الشرق زيت الزيتون، الفستق الجوز، الثياب، والعمائم، الثياب الحريرية، والصوفية، جلود النمور والبقر وجلود اللمط وقرونة، التبر، النحاس، الصمغ، الغدار، الخزف، الورق، الكتان، العسل والقطران والسمن، الزعفران، العنبر، الزئبق، الخز، والبر، الوشي، الزجاج والفخار والتين، هذه المنتجات كانت تنتج في مختلف المدن المغربية،[3] ومن خلال هذا النص أمكننا تحديد بعض منتجات الدولة السليمانية، وفق الإنتاج الزراعي الصناعي المقدم وهذه المنتجات كانت تصل إلى المشرق والمغرب برا وبحرا خاصة وأن جل الشوط وفرت لها. وهكذا «إلتحم المشرق بالمغرب علميا وإقتصاديا وفنيا عن طريق الرحلات التي كانت تتم غالبا عن طريق البحر»[4].

---

(1) ن، م، س، ص66.

(2) ابن حوقل : ن، م، س ص 94، 95.

(3) السيد عبد العزيز سالم، أ. حمد العبادي مختار : تاريخ البحرية الإسلامي في المغرب والأندلس، ص 62، 63، 64...

(4) السيد عبد العزيز سالم، أ. حمد العبادي مختار : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 61، 62.

4 - بلاد السودان : قد أثبتنا قبل الآن دور المسلمين الحضاري في بلاد السودان، إعتمادا على ما كتبه إبن حوقل،[1] والبكري،[2] وموريس لومبار[3] أ.و. بوفيل، وغيرهم، وهذا بشهادة الجميع حتى المكابرين من الغربيين، لأن دورهم واضح ولا تشبه شائبة.

أما التبادل التجاري بين الدولة السليمانية والإمارات العلوية وغرب إفريقيا فصادرات بلاد السودان وعلى رأسها غانة، فكانت تبعث إلى المغرب الأوسط العاج وبيض النعام والصمغ وبعض الجلود وجوز الكولا بالإضافة إلى الذهب الذي كان يعد المادة الأولى في تروثهم الوطنية، والمادة الاولى الأساسية في صادرات السودان.

أما وارداتها من المغرب، فكانت المواد النسيجية، الملح، التمر، المنتجات الزيتية، وبعض الأدوات المعدنية[4] ويمكن أن تكون هناك سلع أخرى وصلت إلى المنطقتين مع مرور الزمن، ولكن تبقى هذه البضائع هي الأساس.

5 - بلاد الروم : على ما يبدو أن العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد الروم لم تزدهر في القرن 4 هـ / 10 م، وهذا لإعتبارات سياسية وعسكرية منها الحواجز الجمركية التي كانت تطبقها، بيزنطة على الأجانب[5] وقد اقتصرت على ما خف وغلا وكانت سوق الذهب ناشطة رائجة، لأن العرب، كانوا يأتون لشرائه من التجار الغانيين إلى أسواق شمال إفريقيا ثم يصدر من هناك إلى بلدان البحر الأبيض المتوسط[6] والعاج والسلع الثمينة وبالمقابل العبيد الصقالبة، الغراء، الأسلحة والديباج[7]. بقيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة 296 هـ/ 909 م، فتحت مناطق جديدة للتبادل التجاري منها

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 96 وما بعدها.

(2) البكري : ن، م، س، ص 172 وما بعدها.

(3) موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول، القرن 8 - 11 م، ص 323.

(4) نعيم قداح : ن، م، س، ص 71، 72

(5) أنظر، الواردات من هذا المبحث، ص 114.

(6) نعيم قداح : ن م، س، ص 71

(7) جودت عبد الكريم (يوسف) : الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ..ص 235، 236.

الهند «إن نشاطات الفاطميين التجارية قد بلغت الهند»[1] ألا يكون الغرض الوصول إلى الإنتاج وإزالة الإحتكار العباسي.

رابعا : الخدمات التجارية في المغرب الأوسط :

تكمن قوة العلويين في المغرب الأوسط، في سيطرتهم على المواصلات وطرق القوافل ووسائل النقل. كيف ذلك ؟ للإجابة على هذا السؤال يتطلب منا تقسيم الموضوع إلى :

1 – المراكز التجارية.

2 – وسائل النقل.

3 – المسالك.

1 – المراكز التجارية البرية :

هناك المراكز التجارية البرية والبحرية (الحواضر، المراسي).

* المراكز التجارية البرية : تمثلت في المدن الداخلية، وما أكثرها وسأقتصر على أهمها :

تلمسان : وهي قاعدة المغرب الأوسط. وتعد أهم مركز تجاري، لأنها باب إفريقيا كما وصفها الخليفة العباسي هارون الرشيد : «إن إدريس قد فتح تلمسان وهي باب إفريقيا ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار»[2]. ويرى البكري أنها «دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق».[3] معنى ذلك أنها قطب المغرب الأوسط. والوزان يقول : «وجميع الصنائع والتجاريات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة»[4].

(1) the fatimande and the rout to India p.p. 1 5. Bernard ; Lettris

(2) السلاوي الناصري : كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ج 1، / 157.

(3) البكري : ن، م، س، ص 76، 77.

(4) الحسن الوزان : المصدر السابق، ج 2 / 40، 41، أنظر قسم الإمارات من هذه الرسالة.

وما يمكن أن يستنتج من نصوص الرحالة والجغرافيين، إن تلمسان محطة كبرى للتجار ورجال المال.

* تقدمت : تبعد ببعض الأميال على تيهرت في الطريق الرابط بين تيهرت وميناء فروخ ومدن الدولة السليمانية الواقعة إلى الشمال من الدولة الرستمية، «ولما فتحها المسلمون عادت مدينة متحضرة جدا تضم عددا من العلماء والشعراء إذ كان الأمير عليها أحد أعمام إدريس.»[1]

* الهاز : تقع في الطريق الرابط بين القيروان وتيهرت، وهي عاصمة إمارة. ويقول عنها ابن حوقل : «هاز قرية عظيمة، »[2] معناه قاربت المدينة، والبكري : «مدينة هاز على نهر شتوي، وهي خالية أجلى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي.»[3] أي كانت تقوم بالدور الحضاري التي قامت به فيما بعد المسيلة التجاري والحضاري، التي خلفت الهاز.

* حمزة : نسبة إلى حمزة العلوي وهي تقع في الطريق الرابط بين هاز ومرسى الدجاج وكانت مقصد التجار والأطباء لأن بقربها غابة، افيج الذي يجمع منها : «عروق عاقر فرحا ومن هذا الموضع تحمل إلى الآفاق»[4] وتقع في سهل حمزة الشهير بخيراته، فابن حوقل عندما تحدث عن مرسى الدجاج «... ما يغرق غيرهم ممن يجاورهم .. ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه، »[5] وهذه غلاة سهل حمزة، كانت توزع على الداخل وتصدر إلى الخارج. إلا أن البكري يذكر مدينة حمزة ومدينة سوق حمزة، ومؤسس المدينتين واحد. وهذا ما نقله منه ياقوت الحموي، والمدينتين مدينة واحدة، هي سوق حمزة وحمزة في آن واحد.[6]

---

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 85.

(2) ن، م، س، ص 85.

(3) البكري : ن، م، س، ص 163.

(4) نفس المصدر السابق، ص 64، 65 / ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2 / 302 مادة حمزة.

(5) مرسى الدجاج : تبعد عن تادلس ب 24 ميلا.

(6) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 317 / اليعقوبي : وصف المغرب، ص 12 ذكر الهاز ولم يذكر حمزة / ابن تومرت : أعز ما يطلب (المقدمة).

* جراوة أبي العيش : كما هو معلوم أن مؤسسها أبا العيش عيسى، لذا نسبت إليه وإلى قبلية جراوة البربرية. وبما أن مدينة جراوة تقع في المسلك الرابط بين تلمسان وفاس برا، ولها ميناء، يبعد عنها «وبينها وبين البحر ستة أميال، وكانت أهلة عامرة، »[1] وهذا المرسى يربطها مع العالم الخارجي، ووصفها البكري، مما يدل أنها كانت مركزا تجاريا هاما، لأن حولها قرى بربرية كثيرة وتقع في سهل للزرع والضرع، [2] وإن أحد أبواب فاس يدعى جراوة . كل هذه الإمكانات جعلتها مركزا تجاريا هاما.

أما أهم المراكز البحرية التجارية للدولة السليمانية، من الغرب إلى الشرق، انطلاقا من نهر ملوية إلى نهر الصومام.

* مرسى جراوة : وهو يبعد عن المدينة بستة أميال يقع إلى الشمال من مدينة جراوة، وهذا الميناء عرف إزدهارا تجاريا، خلال العهد السليماني وخاصة في عصر عيسى وأحفاده (254-319 هـ) ويظهر أنه كان يصدر منه إنتاج المغربين الأوسط والأقصى، أي أحواز إمارة جراوة والعاصمة فاس، لأننا قلنا من أهم أبواب فاس جراوة واحتفظت به على الأقل إلى زمن البكري.

* مدينة تابحريت : تقع إلى الشمال الغربي، من مدينة ندرومة ب 30 كلم. وقال عنها البكري : «ولها اسواق جامعة وهي محط السفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها»[3] هذا النص يبرز دورها التجاري مع السودان الغربي وسجلماسة، بالإضافة إلى نص آخر للحسن الوزان. «وأهل تابحريت نساجون إلا القليل منهم ..»[4] وهكذا تكون تابحريت جمعت مختلف الأنشطة الإقتصادية (قطب إقتصادي).

* مرسى هنين (أهنين)[5] : له موقع جغرافي هام، والصخور العالية المطلة عليه تحميه كل الحماية غربا وشرقا من الرياح والأمواج، بالإضافة إلى إماكنات طبيعية

---

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 88.

(2) البكري : ن، م، س، ص 142.

(3) البكري : ن، م، س، ص 142.

(4) الوزان حسن الفاسي : وصف إفريقيا، ج 2/ ص 15.

(5) أهنين وليس هنين : كما يظهر للأستاذ فخار إبراهيم، مقابلة بمدينة وهران بتاريخ 19/ 09/ 1995 م.

وبشرية. جلب إليه الناس منذ أقدم العصور[1] وكان مقصد العلماء.[2] والتجار وهذا منذ بداية العهد السليماني «وهو على مرسى جيد مقصود» أي قبلة التجار والمسافرين لأن مدينة هنين أنيقة صينة للغاية.[3]

* مرسى أرشكول : أهم مدن الساحل بين نكور وتنس خلال القرن 3 هـ/ 9 م «على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب ما عدا الجنوب»[4] وتبعد عن تلمسان بـ 34 ميلا «وكان يسكنها التجار»[5]. وزيادة على أنها مرسى لها بادية وخصب وسع في الماشية والأموال السائمة ... «لها مواجن كثيرة للمراكب»[6]. وهذه النصوص دلالة واضحة على أهميتها الإقتصادية والتجارية وأرشكول الميناء الثاني في الدولة السليمانية بعد تنس. إلا أنه فقد الكثير من أهميته بعد بروز مينائي وهران ومرسى الكبير خلال القرنين 4 هـ/ 10 م.

* مرسى وهران : كما ذكرنا في الجانب الحضاري، ظهرت في أواخر العهد السليماني «وبمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال»[7] ويقول البكري عنها في أواخر العهد السليماني، أي قبل سقوطها سنة 343 هـ، كانت وهران، فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة.[8]

* مرسى فروخ : يقع ما بين مدينتي مستغانم وأرزيو ويدعى حاليا مرسى الدجاج[9]

(1) صاري (الجيلالي) : أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين) مجلة التاريخ ع 21 ص 18.

(2) إبن أبي زرع : روض القرطاس، ص 95.

(3) الوزان : المصدر السابق، ج 2 / ص 15.

(4) نفس المصدر السابق، ج 2/ ص 16.

(5) البكري : المصدر السابق، ص 78.

(6) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 79.

(7) البكري : ن، م، س، ص 70.

(8) ن، م، س، ص 70.

(9) فيلالي (عبد العزيز) : جوانب مع العلاقات التجارية بين الرستميين والأمويين في الأندلس، مجلة سيرتا ع 3، ص 35.

وإذا كان اليعقوبي يسميه فروج[1] والبكري، مرسى عين فروج[2] والإدريسي حوض فروج[3] فهو مرسى واحد «وهو مرسى شتوي وله آبار ماء والسكنى منه على مقربة»[4] وفي الصيف كان التجار يتحولون إلى ميناء أرزيو «وهي قرية كبيرة تجلب إليها الحنطة، فيسير بها التجار ويحملونها إلى كثير من البلاد»[5] وليس إلى تنس.[6]

* مرسى تنس : نظرا لموقعه الممتاز، احتكر معظم تجارة المغرب الأوسط مع الخارج «وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويتصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها ... ومراصد على المتاجر الداخلية اليها والخارجية والصادرة والواردة»[7] ومعظم كتاب هذه الفترة يتفقون على أنه من بين أهم موانئ المغرب الإسلامي، وأول ميناء في الدولة السليمانية، وقد كانت مدينة تنس «دائما خاضعة لملك تلمسان.»[8]

* برشك : إذا قارنا بين النصين اللذين كتبهما إبن حوقل[9] والوزان[10] فإن

---

* لكن المرحوم إسماعيل العربي : «يسمى أيضا مرسى الفروج وهوغير مرسى الدجاج، أنظر الإدريسي قارة إفريقية – ص 172 (الهامش) أما أنا يبدو لي يسمى مرسى الفروج (صيصان الدجاج مع تحريف) ومرسى فروج اقل من الديك، ومرسى الدجاج . لماذا لان اهل الواسطة (الجزائر) كثيرا ما يثورون على المكان لقحط أو خصب، فمثلا عمي موسى، لعمى موسى، أم الدقيق، أم الدوم، أم الدود، قرب سعيدة، الوسخ، عين الذهب، (بين أفلو وتيهرت) إلخ.

(1) اليعقوبي : البلدان، ص 105.

(2) البكري : ن، م، س، ص 81.

(3) الإدريسي : ن، م، س، ص 290.

(4) البكري : ن، م، س، ص 81.

(5) الإدريسي : نفس المصدر السابق، ص 171.

(6) بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية، ص 192.

(7) ابن حوقل : المصدر السابق، ص 78.

(8) الوزان : المصدر السابق، ج 2 / ص 35.

(9) صورة الأرض، ص 170.

(10) الوزان : نفس المصدر السابق، ج 2 / ص 32.

المنتجات الزراعية، لم تتغير رغم الفارق الزمني الكبير، ستة قرون، والمتمثل في التين، الكتان، الشعير، العسل، تربية الماشية : «ينقل كثير من أهل برشك التين والكتان بحرا إلى الجزائر العاصمة وبجاية وتونس ويستفيدون من ذلك ربحا حسنا»[1] وتحطمت بواسطة زلزال عام 1531 م.[2]

* مرسى الدجاج[3] : وهي مرسى إمارة سوق حمزة، والسهول الموجودة بالمنطقة «وبها من رخص الأسعار، أيضا في الفواكه والمآكل والمطاعم والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن يجاورهم، وبها من الأشجار الثمر والتين خاصة العظيم الجسيم ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه، »[4] هذه أهم موانئ المغرب الأوسط، أثناء العهد السليماني، ولم نتحدث عن مرسى جزائر بني مزغنا، وشرشال، ومستغانم، وأرزيو، لأن دورهم، في هذا العصر كان أقل أهمية من الموانئ التي ذكرناها.

2 - وسائل النقل :

هناك وسائل نقل برية، وأخرى بحرية. سأقتصر على وسائل النقل الأساسية في التجارة الدولية.

1)الوسائل البرية : وهي كثيرة كالإبل، والخيل، والبغال، والحمير، والبقر (أحيانا).

* الإبل : بكسر الهمزة وكسر الباء أو سكونها، مؤنثة لا واحد لها من لفظها الراسم جنس، يقع على الواحد والجمع، الجمال وإذ قيل آبال فالمراد به التقطيع،[5] والجمال كما أسلفنا[6]. وسيلة الصحراء الأساسية، وتخرج قوافل التجار، في فصول معينة، ويوفر لها جملة من الشروط، «وكانت القافلة، تضم عشرين جملا، إلى ثلاثين وربما ارتفع العدد إلى خمسين، كان مسيرها بعد صلاة العصر وأثناء الليل وترتاح أكثر في النهار ويقيم في

---

(1) نفس المصدر والصفحة، ج 2/ ص 33.

(2) نفس المصدر والصفحة، ج 2/ ص 32. الهامش.

(3) سبق أن حددنا موقعها.

(4) ابن حوقل : ن، م، س، ص 77.

(5) قلعتجي، قنيبي : ن، م، س، ص 39 المادة الإبل.

(6) أنظر، الثروة الحيوانية، من هذا الفصل، ص 99.

الأماكن الخصبة عدة أيام»[1] إلا أن العبدري، ضاعف العدد بعشرين مرة، «فلما وقفنا على باب تلمسان صادفنا العادة الكريمة، من لطف المولى سبحانه فألقينا قافلة تخرج وهي كبيرة تزيد عن الألف، وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محالة الخروج نحو من ثلاثة أشهر، »[2] يبدو أن هذا العدد مبالغ فيه، لأن أي مسلك يتحمل هذا العدد الضخم، وإمكانات الإستقبال محدودة، وعدد التجار، والحراسة وغيرها.

وكان هناك تنافس شريف بين سكان المغرب الاسلامي من يكسب أكثر، «وتكون الإبل ثروة الأعراب وأرزاقهم، وعندما يراد ذكر ثروة أمير أو شريف من الأعراب، يقال فلان له مقدار كذا من آلاف الإبل، ولا يقال له مقدار كذا من الدنانير أو الممتلكات، »[3] وهذا مع الغنم في الهضاب العليا الجزائرية إلى اليوم، فلان له كم من عصا (قطيع) فالباهية تكون بعدد العصي.

* البغـال : والبغل هو الشاحج المتولد بين الفرس والحمار. فإذا كان حمارا يكون شديد الشبه بالخيل ولا يتغير إسمه وإذا كان الذكر حصانا يكون شديد الشبهة بالحمار ويسمى حينئذ وشفونا.[4] كما عرفنا إن للمغاربة بغالا فريدة من نوعها وكثيرا ما تنقل عليها العلماء والتجار والحجاج وغيرهم، وكانت تستخدم للمسافات المتوسطة ولفلاحة الأرض.

أما الخيل والحمير، فكانت تستخدم للمسافات القصيرة، لأنها لا تستطيع السير لأيام وليالي مثل الجمال. وإذا كان للبربر من الحمير ما يتفوق عن جنس البغال من حيث تحمل المصاعب وهذا ما قلناه عن أحمرة تيهرت وأن هناك دليلا للبربر آخر، صاحب الحمار، أبي يزيد مخلد بن كيداد.[5]

---

(1) سعدون (عباس نصر الله) : المرجع السابق، ص 144.

(2) العبدري : (محمد البلنسي) : الرحلة المغربية، ص 132.

(3) الوزان : وصف إفريقيا، ج 2/ ص 259 للزيادة، راجع صفحات 259، 260، 261. من هذا الكتاب، للافادة.

(4) الساسي العوامر : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 68.

(5) وكان يقتصر على ركوب حمار مليح الشكل أشهب ... «أنظر، الصنهاجي أبو عبد الله أخبار ملوك بني عبيد، ص 25 الهامش.

2) الوسائل البحرية :

أتكلم عن هذه الوسائل دون التطرق إلى أنواعها، والبلد الذي تصنع فيه، ولكن ما يجب أن نؤكده إن المغرب الإسلامي غني بأنماط الخشب وكثيرا، ما وصف المؤرخون والجغرافيون العرب هذه الوسائل، فعن تنس يقول، ابن حوقل : «فركب البحريون من أهل الأندلس مراكبهم، »[1] ودائما عن تنس يقول ابن سعيد المغربي : «وهي مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها»[2] معنى ذلك أن هناك تخصص في المراكب واحدة تحمل القمح وأخرى المواشي، وأخرى السلع. وقد تحدثنا عن مراكب صيد المرجان.

وعن الصعوبات التي كانت تلاقيها هذه المراكب في موانئ المغرب، يقول بن سعيد المغربي : عن شرق بجاية : «وعلى الساحل الذي بشرق بجاية جبال الهمة * تقاسي المراكب في بحرها هولا شديدا. »[3] وبهذا نكون قد تكلمنا عن بعض الوسائل البحرية بشكل مقتضب.

3 – المسالك :

أ) المسالك البرية :

الطرق : فهناك مسالك برية وأخرى بحرية، ولا أتحدث إلا على المسالك الكبرى التي كانت تربط، أهم الحواضر الإسلامية، لأن المقام لا يسمح بذكر كل المسالك، ولأن المسالك المحلية كثيرة، والمدينة الواحدة كان لها العديد من الأبواب، وكل باب له طريق أو أكثر من ذلك، يربط بينه وبين المدن التي هي في نفس الإتجاه.

المسالك البرية : إكتفي بطرق أهم المدن الكبرى في الدولة السليمانية كتلمسان، جراوة .. الطرق التي تخرج من مدينة تلمسان : مدينة تلمسان تتوفر على جملة من

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78/ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2 / ص48، المادة تنس.

(2) ابن سعيد : كتاب الجغرافية، ص 142.

(3) ن، م، س، ص 142.

الخصائص الطبيعية والبشرية قل ان وجدت في غيرها من الحواضر «ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب، وهي على رصيف للداخل والخارج، منه لا بد منها والإجتياز بها على كل حالة.»[1]

-**تلمسان تيهرت** : «ومن تيهرت إليها مسيرة خمسة وعشرين يوما عمران كله،»[2] أما الإدريسي عنده أربعة مراحل فقط[3]، والمقدسي سبعة أيام[4] وأقربهم إلى الصواب المقدسي.[5]

- **من تلمسان إلى فاس** : خمس وعشرون مرحلة، لأن المسافة بين تيهرت إلى فاس 50 مرحلة[6] إلا أن هذا الطريق، كان يمر بمدينة جراوة، أما في عهد الإدريسي، فتغير الطريق وأصبحت المسافة من فاس إلى تلمسان تسع مراحل.[7]

- **تلمسان إلى سجلماسة** : كان فيه أكثر من طريق عبر فاس أو مباشرة شمال جنوب.[8] إلا أن هذا الطريق كان غير آمن أحيانا . أما المسافة بين تلمسان وفاس 25 مرحلة، ومن فاس إلى السوس الأقصى 30 مرحلة، أي 55 مرحلة بالتقريب[9] أما الطريق الثاني أقل بكثير من 15 مرحلة فقط[10] . إلا أنه أقل أمنا وكان قليل الإستعمال.

- **تلمسان إلى القيروان** : فيه أكثر من طريق عبر تيهرت أو عبر تنس، ومنها إلى القيروان أكثر من مسلك بري فعبر تيهرت يكون كالاتي : (تلمسان، تيهرت، سطيف

---

(1) الإدريسي : المصدر السابق، ص151.

(2) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، ص 80/ ابن خرداذبة : المصدر السابق، ص 88، 89.

(3) أنظر قارة إفريقية وجزيرة الأندلس، ص 156، 157.

(4) المقدسي : المصدر السابق، ص 247.

(5) لأن المرحلة (44.352×7= 310 كلم) مقبولة.

(6) الأصطخري : ن، م، س، ص 37.

(7) ن، م، س، ص 37.

(8) الإدريسي : المصدر السابق، ص 148 / أنظر، الملحق قسم الخرائط (لومبار).

(9) الأصطخري : ن، م، س، ص 37.

(10) الإدريسي : ن، م، س، ص 150، 151.

القيروان) وتكون المراحل على الترتيب 25، 20، 16 أي 61 مرحلة والمسالك الأخرى في هذا التقدير.

- تلمسان مصر : فمن تلمسان إلى (مصر عبر تيهرت، والقيروان، برقة، مصر) تكون المراحل 121 مرحلة (تلمسان القيروان 61 مرحلة، القيروان مصر 60 مرحلة). هذه أهم المسالك التي ربطت العاصمة السليمانية مع الدول الإسلامية، أنذاك وفعلا أنها كانت شاقة، وعويصة، ومكلفة، ورغم هذه الصعوبات إلا أنهم قهروا أنفسهم وروضوها على تحمل المتاعب.

أما أشهر المسالك الداخلية : تلمسان جراوة، تلمسان تنس، تلمسان الهاز، عبر تيهرت القديمة، الهاز، سوق حمزة، مرسى الدجاج، تلمسان، سوق حمزة (عبر متيجة وتنس).

2)المسالك البحرية :

قد حددنا في موضوع المراكز البحرية، أهم موانئ المغرب الأوسط «وتوصلنا إلى أن أكبرها وأهمها ميناء تنس».

وهذا ما وافق فيه الأستاذ بحاز والأستاذ كلوديت فانكر «بأن مرسى تنس أهم وأكبر ميناء في المغرب العربي في عصر الرستميين.»[1] فهذا الميناء، كان يربط المغرب الأوسط بكامل موانئ البحر المتوسط «وينهضون منها إلى ما سواها»[2] وقد أشرنا إلى وجود تجار المغرب الأوسط بالعديد من المدن الساحلية كالإسكندرية. ثم ميناء أرشكول الذي يحتل المرتبة الثالثة في المغرب الأوسط والأقصى، بعد تنس، ونكون وكان مقصد التجار. مع ميناء تابحريت «وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها»[3] لقد اتضح من خلال النشاط الإقتصادي للدولة السليمانية والإمارات العلوية (173 هـ - 342 هـ)، إن المغرب الأوسط عرف تطورا هائلا، وانعكس ذلك إيجابا

(1) بحاز (إبراهيم بكير) : ن، م، س، ص 191.

(2) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(3) البكري : المغرب، ص 87.

على المجتمع السليماني، حيث لاحظنا تطور عمراني وثقافي واكب النهضة الإقتصادية. وأن المغرب الأوسط ولأول مرة، تظهر به حواضر جذبت انتباه ذوي الحاجة من علماء وتجار وحرفيين ونافس أهله، إخوانهم في المغرب والمشرق، وساهموا بشكل بارز في النهضة العربية الإسلامية.

الفصل الرابع
الحياة الإجتماعية والثقافية
في الدولة السليمانية والإمارات العلوية

أولا : الحياة الإجتماعية :

حقق السليمانيون قفزة نوعية في المغرب الأوسط، خلال قيادتهم له (173-342 هـ)، وهذه تجلت في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وقد تجلت نتائجها على المجتمع السليماني العلوي، عملا بالمبدأ الإسلامي «فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وأشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون»[1] وهذا ما رصده الجغرافيون والمؤرخون المعاصرون واللاحقون لهم، فمثلا : أبو القاسم بن حوقل الذي بدأ رحلته من دار السلام (بغداد) يوم الخميس 7 رمضان 331 هـ[2]. لرسم صورة إجتماعية طبيعية للعالم، يعطينا الحقائق الآتية : عن مرسى الدجاج (ميناء إمارة حمزة) : و«هي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره[3]، وليس لها مرسى مأمون وبها من رخص الأسعار أيضا الفواكه والمآكل والطعام والقمح والشعير والألبان والمواشي ما يغرق غيرهم ممن يجاورهم، وبها من الأشجار والثمر والتين خاصة العظيم الجسيم ما يحمل منه إلى البلاد النائية عنه.»[4]وعن تنس ثاني إمارة علوية بعد إمارة العاصمة تلمسان، يقول : «وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد أحاط به سور، وبعضها في سهل وهي من البحر» على نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه. وهي مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر

---

(1) سورة النحل، الآية 114.

(2) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 10.

(3) شفير : من شفر، وهي حافة كل شيء، ويقال : «ما تركت السنة شفرا ولا ظفرا، أنظر، الزمخشري : أسس البلاغة، ص 237، 238.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 77.

وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض، وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون إليها إلى ما سواها. ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة : كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة. ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة، وبها من الفواكه والسفرجل المعنق ما لا أزال أحكيه لحسنه ونعمته وحلاوته وطيب رائحته.»[1] وعن عاصمة الدولة السليمانية يقول : «وهي مدينة أزلية، ولها أنهار جارية وأرحية عليها وفواكه ولها سور من آجر حصين منيع وزرعها سقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة.»[2].

أما اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ والمعاصر للدولة السليمانية يقول : «ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب، التي يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة، وخلفه سور آخر حجارة، وبها خلق عظيم، وقصور، ومنازل مشيدة ينزل رجل منه يقال له محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان وحول هذه المدينة قوم من البربر.»[3] والأصح محمد بن سليمان،[4] لأن القاسم كان آخرهم، ومحمد بن أحمد بن سليمان كان معاصرا لإبن أفلح الذي خلف والده سنة 258 هـ . لأن اليعقوبي يقول : «ومن مدينة تاهرت وما يجوز عمل ابن أفلح الرستمي،»[5] معنى ذلك أن هذه المعطيات التاريخية والجغرافية تعود إلى ما بين سنة 258 هـ 284 هـ[6]، وبهذا يمكن معرفة التطور الإجتماعي للمغرب الأوسط.

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 78.

(2) ن، م، س، ص 88.

(3) اليعقوبي : (احمد بن أبي اليعقوبي بن واضح)، ت 284 هـ : كتاب البلدان، إحياء التراث العربي، ص 112.

(4) أنظر ابن حزم الأندلسي : همزة أنساب العرب، ص 48 / ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 34 / التنسي : تاريخ دولة الأدارسة، من نظم الدر والعقيان، ص 67.

(5) اليعقوبي : كتاب البلدان، ص 111.

(6) سنة 252 هـ هي سنة وفاة الإمام أفلح وتوليه ابنه أبو بكر (252261)، حيث خلفه أبو يقظان (261281) سجين بغداد ويقول اليعقوبي ابن أفلح : هل يريد الأول أم الثاني، نعتقد أن اليعقوبي خلط بين الإثنين (الأول والثاني) . ونحن نرجح الثاني لأنه الأشهر في بلاد المشرق. ويكون قد سمع به لأنه بقي في السلطة فترة طويلة، أنظر بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية (160296)، وهي رسالة ماجستير، بتاريخ 1983/12/05 م، جامعة بغداد، ص 122126.

أما الاصطخري المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع هجري فيقول : «وجزيرة بني مزغنة مدينة عامرة، يحف بها طوائف من البربر، وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن، »[1] وفي هذا الوقت كانت تابعة لإمارة متيجة كما أسلفنا القول في الجانب السياسي من هذه الرسالة.

أما الشيخ البكري إمام الجغرافيين المتوفى سنة 487 هـ فيقول : عن تنس، العاصمة الإقتصادية للدولة السليمانية : «وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس ... وذلك سنة 262 هـ، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس ... وأصحاب تنس من ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان ... وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك، إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، فتجمع إليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الإنتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوا سوقا. وأن يجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فأجابوهم إلى ذلك وانتقلوا إلى القلعة وخيموا بها وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم ... إن الباقون في تنس لم يزالوا في تزيد ثروة وعدد، ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم، وكانوا في أربع مائة بيت فتوسع لهم أهل تنس في منازلهم وتعاونوا على البنيان، وإتخدوا الحصن الذي فيها اليوم ولها بابان إلى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوخة شرقي يخرج منه إلى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة ...»[2] وغيرها من النصوص التي تدل دلالة واضحة على التطور الكبير الذي حققه المغرب الأوسط تحت قيادة السلطة السليمانية العلوية.

السؤال الذي يطرح، كيف استطاعت الدولة السليمانية والإمارات العلوية أن تحقق هذه الوثبة الحضارية خاصة في جانبها الإجتماعي والثقافي ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال الأساسي لابد من طرح سؤال آخر قبلي. ما هي أوضاع المغرب الأوسط الإجتماعية، والثقافية عشية ثورات الخوارج (122-178 هـ) ؟.

(1) الأصطخري : (أبو إسحاق إبراهيم) : المسالك والمهالك، ص 34..

(2) أبو عبيد البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 62.

عرفنا في الفصل الأول من هذا البحث أسباب ودوافع هذه الثروات، والإنزلاقات الخطيرة لها، وبعض نتائجها الإيجابية والسلبية على المجتمع المغربي. ولعل أبرز هذه النتائج، تردي الأوضاع الإجتماعية والثقافية المتدنية التي رافقت ثورات الخوارج، في إفريقية والمغرب والأندلس.

إذا كان الأندلس، قد خرج من فتنة الخوارج في مدة قصيرة مقارنة بالنسبة لباقي المغرب (122–139 هـ) فإن دخول عبد الله بن معاوية بن هشام الداخل إلى (139–172 هـ)[1] عجل من إنهاء الفتن العربية العربية، والعربية البربرية. ويقول المقري : «وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل، ونافسوه ملكه، ولقي منهم خطوبا عظيمة، وكانت العاقبة له.»[2] ولعل ماله علاقة بموضوع رسالتنا ثورة الفاطمي (150–160 هـ) حيث يقول ابن القوطية المتوفى سنة 367 هـ : «وثار عليه (عبد الرحمن الداخل) بعد ذلك ثوار كثيرون بسرقسطة مثل مطرف بن الأعرابي وغيره، بعده ورجل تنسب إلى علي رحمه الله ثار في الهواريين بجانب حيان فنصر على جميعهم، »[3] أما ابن عذاري فيقول : أن أصله من بربر مكناسة وأمه فاطمة وادعى أنه من ولد الحسن بن علي (رضو).[4] وهذا دليل آخر، من جملة أدلة كنا قد تطرقنا إليها في الفصل الأول، على وصول الدعوة العلوية قبل أصحابها.

أما أفريقية بقيت تتخبط في مشاكلها إلى أن استولى عليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب والي الخلافة العباسية الجديدة (155–171 هـ) في سنة 155 هـ»[5]. بعد معارك طاحنة واستطاع أن يخمد ثورات البربر بقيادة الخوارج إلى حين، وعن ذلك يقول ابن غذاري «وكان أبو جعفر المنصور عالما ببلاد إفريقية، وكان لا يبعث إليها خاصته. وكان

---

(1) ابن القوطية (أبو بكر) : تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، م.و.ك.ج، ص 45.

(2) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، تحقيق : إحسان عباس إصدار بيروت، لبنان، ط 1968، ص 333.

(3) ابن القوطية : ن، م، س، ص 40.

(4) ابن عذاري : البيان، ج 2 / 54، 55.

(5) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج 5 / 349.

يزيد هذا حسن السيرة. فقدم إفريقية، وأصلحها، ورتب أسواق القيروان، وجعل كل صناعة في مكانها. ولم تزل البلاد هادئة إلى أن ثارت عليه البربر. فزحف لهم وأوقع بهم وله فيهم ملاحم مشهورة،»[1] هذا الإجراء الجديد من قبل الخليفة العباسي كانت له نتائجه الطيبة على المجتمع في إفريقية، ودخلت إفريقية في عصر جديد، وقلت ثورات الخوارج، وتحسنت أحوال البلاد والعباد.

أما جنوب المغرب الأوسط وطرابلس فدخلت المنطقة في هدنة واستقرار مع مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم سنة 160 هـ/ 777م[2] وقوى الضعيف وانتعش الفقير حسنت أحوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وآمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم، ورأوا أنهم قادرون على غيرهم، ومن كانوا يخافون أن يغزوهم ثم شرعوا في العمارة والبناء.[3] أما الجزء الشمالي من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، الذي إنطلقت منه ثورات الخوارج (122-173 هـ) بقيادة النحلة الصفرية المتطرفة،[4] وتطورت من ثورات ضد ممثلي السلطة القائمة، إلى ثورات ضد العنصر العربي،[5] وهذاما يمكن استنتاجه من وقعة الأشراف 122 هـ وسبو 123 هـ.[6] إلى أنه ترتب على سيطرة الخوارج الصفرية عن المنطقة، انصرف الناس عن الزراعة، والعمل، وخراب الترع والسدود وغلاء الأسعار وانتشار الأوبئة والأمراض، ثم إلى خروج وردة بعض الطوائف من النحلة الصفرية عن الإسلام مثل : برغواطة،[7]

---

(1) ابن عذارى المراكشي : البيان، ج 1 / ص 78.

(2) ابن الصغير (ق 3 هـ) المالكي : أخبار الأئمة الرستميين تحقيق : موسى لقبال، الجزء الأول، ... في كتاب المغرب الإسلامي، ص 199.

(3) أبو زكرياء : سير، ص 53/ الدرجيني : الطبقات، ج 1، ص 42.

(4) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 4 / 222.

(5) ن.م.س.ج 4/ 222، 223، أسباب الثورة / ابن عذارى : البيان، ج 1 / 51.

(6) ابن عذارى : البيان، ج 1 /52، 53، لقبال موسى، المغرب الإسلامي، ص 160 / ابن عبد الحكم فتوح إفريقية، ص 94.

(7) ابن عذارى : البيان، ج 1 / 56، 57.

وورفجومة.[1] أما النتائج الإجتماعية والثقافية / فكانت أشد وطئا على المجتمع المغربي بكامله. ومن أمثلة ذلك إن الإمام عبد الرحمن بن رستم، فقدم إلى ضيوفه من أهل العراق : «فأمر غلامه بإحضار طعامه فأتاه بمائدة عليها قرص سخنت وسمن وشيء من ملح، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فلتت به ثم على اسم الله أدنوا وكلوا ثم أكل معهم.»[2] هذه مائدة الإمام المقدمة إلى الضيوف، فما بال العامة والمستضعفين في الأرض، ومنه ما ذكره ابن عذاري : «فوقع الوباء والطاعون بإفريقية سبع سنين، لا يكاد يرتفع إلا مرة في الشتاء ومرة في الصيف.»[3] وهذا كان في ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهري (127-137 هـ) وسادت البلاد الفوضى العامة فمثلا : «ثم تغلب على افريقية بعض القبائل الصفرية بعد قتل حبيب وعاصم، فدخلوا القيروان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع وقتلوا كل من كان من قريش وعذبوا أهلها، وأساءت ورفجومة، لأهل القيروان سوء العذاب.»[4] وكانت مدة هذه الاهوال، طويلة وذاق فيها سكان المغرب الضيم وسوء المصير.

وفي ولاية عمرو بن حفص بن قبيصة لإفريقية (151-154 هـ) تكررت المشاهد السابقة، فاشتدت الفتنة بإفريقية واشتعلت نارها، وأتاها أمراء القبائل من كل فج، واجتمعوا في إثنى عشرعسكرا ويقال أن عدّة من حاصر القيروان مائة ألف وثلاثون ألف. وكان ابن حفص يخرج إليهم في كل يوم فيحاربهم. فلم يزالوا كذلك حتى ضاق أمرهم، وأكلوا دوابهم، وكلابهم، وسنانيرهم، ماتون جوعا. وانتهى الملح عندهم أوقية بدرهم.»[5] وكان ذلك في سنة 154 هـ.

هذه الفتن والحروب، كانت كافية لتحطيم البنية الإقتصادية والإجتماعية للمغرب الإسلامي، ولم ينج أي قطاع من هذا التدمير والتحطيم.

(1) أبو زكرياء يحي : كتاب السير، ص 39، 38 / بحار إبراهيم بكبير : الدولة الرستمية، ص 65.

(2) ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستميين، ص 199 (المرجع السابق).

(3) ابن عذارى : البيان، ج 1 / 60.

(4) نفس المصدر السابق، ص 70.

(5) ابن عذارى : البيان، ج 1/ 75/ 76.

أما الجانب العمراني، فإن السليمانيين لم يجدوا به إلا خرائب هنا وهناك تعود إلى أزمنة قديمة تعود إلى الفترة الإستعمارية الرومانية، وللتاريخ العرب الفاتحين، لم يعثروا على مدائن في المغرب، عكس البلدان الأخرى وهذا ما أكده الأستاذ حسن حسني : «والحقيقة التي لا يطرقها شك، ولا يعتريها وهم، هو أن العرب لما قدموا فاتحين، لم يجدوا في البلاد سوى خرائب متهدمة تعلوها مسحة من زخرف قديم أبلاه الدهر، وغير نضارته الزمان، لتعاقب الفتن وتوالي المحن، ولم يصيبوا غير مدائن مثل جلولا[1] وغيرها متداعية البنيان، نزرة للسكان، ضعيفة الإيراد بالنسبة للعهد الروماني غير منتظمة ولا متألقة الهيئة.»[2] هذا عن إفريقية وريثة قرطاجة الحضارة. أما عن المغربين الأوسط والأقصى، فلا شيء يذكر، وما قام به العرب الفاتحون، فهو لا يعدو على حسبما يرى ابن عبد الحكم، أن يتجاوز بعض المنشآت القاعدية في المغرب الأوسط، كعيون أبي المهاجر قرب تلمسان، ومسجد حسان بالجدار، ومعسكر طارق بتلمسان.[3] وهذه الحواضر القليلة في المغرب الأوسط، ثم تحطيمها، وهدمها، نتيجة المعارك الحربية بين جيش الخلافة وثوار الخوارج (122-173 هـ)، خاصة في المنطقة السليمانية والإمارات العلوية. لأن الرقعة الجغرافية، كانت مسرحا للأحداث يقع تحت سيطرة النحلة الصفرية «أصحاب البدع من الصفرية.»[4] بوقوفنا على واقع المنطقة، قبيل قيام الدولة السليمانية والإمارات العلوية، امكننا الاجابة على السؤال الذي طرحناه عن الحياة الاجتماعية والثقافية في ظل الدولة السليمانية، والامارات العلوية، مبرزين أهم هذه الجوانب التي عثرنا من خلالها على مادة تاريخية.

---

(1) جلولا : مدينة تونسية قديمة، تقع في الطريق الرابط بين القيروان وبونة، أنظر، البكري : ن، م، س، ص 54.

(2) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، المنار، تونس 1964، ص41.

(3) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) : فتوح إفريقية والأندلس، ص 72.

(4) عبد العزيز المجدوب : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، رسالة ماجستير، جامعة تونس، ماي 1972، ص 109.

أ - السكـان :

وجد بالدولة السليمانية والإمارات العلوية، كباقي دول المغرب وإفريقية والأندلس، عرب، أمازيغ، يهود وعبيد وأوروبيون، وسأحاول الإجابة على كل قسم دون إطالة مع ذكر أهم بطونها، ومضاربها، وما يميزها إجتماعيا وإقتصاديا عن غيرها.

1 - العـرب : هم جيل من الناس وهم أهل الأمصار والأعراب، سكان البادية[1] والتحقيق أن إسم العرب يشمل الجميع، والأعراب نوع منهم، وموطنهم الأصلي شبه الجزيرة العربية، ويقول علماء الأجناس : «بأن أفراد كل أمة يرجعون إلى أصل واحد، أو جد مشترك إنحدروا منه، وتكاثروا على مرور السنين.»[2] وفي القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، حملت الجيوش العربية، الإسلام وقيمه الحضارية واللغة العربية إلى البلاد المفتوحة، ومنها المغرب والأندلس. «أصبحت كلمة عربي تعني الذين يتكلمون اللغة العربية، والذين ينحدرون من قبيلة عربية، والذين أصلهم من جزيرة العرب، وهكذا قام التفريق بين من جاء من الجزيرة وحملوا معهم لواء الإسلام، وبين الشعوب المفتوحة التي وقعت تحت حكم العرب.»[3]وعرب المغرب الأوسط، في عهد الدولة السليمانية والإمارات العلوية (173-342 هـ)، وبحلول العرب إلى هذه الديار ومعرفة الأمازيغ لمقاصدهم الشريفة، أحبوهم لأكثر من عامل منها : وصايا الرسول (ص)، بمحبة العرب كحديث سلمان (ض)[4] ولكون محمد (ص) عربيا، ونزول القرآن الكريم بلغتهم .. «وقد شرف الله تعالى العرب، بأن بعث منهم محمدا (ص)، وأنزل فيهم كتابه،

---

(1) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) المتوفى في 821 هـ : نهاية الأرب في أنساب العرب «دار الكتب العلمية»، ص18.

(2) فئة من الأساتذة الجامعيين : دراسات في المجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق، 1967، ص 66.

(3) نفس المصدر السابق، ص 65.

(4) قال النبي (ص) : «يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك»، فقال له سلمان (ض) : «يا رسول الله» كيف أبغضك، وبك هدانا الله»، فقال : «تبغض العرب فتبغضني ببغضهم». أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، ج 5/ 608 رقم 3927، كتاب المناقب، باب 70، مناقب من فضل العرب / رواه أحمد في مسنده، الكتاب الأنصار، رقم 615 .22 موسوعة الحديث الشريف.

وجعل فيهم الخلافة والملك، وابتز بهم ملك فارس والروم وقرع (مزّق) بأسنتهم تاج كسرى وقيصرا، وكفى بذلك شرفا لا يطاول، وفخرا لا يتناول.»[1]

لهذه وغيرها فضلوهم وشرفوهم، وعرب المغرب قسمان : قريش وغيرهم، فقريش هم المعبر عنهم بالأجواد وخصوا بهذا الإسم، لأن الجواد وإن كان ممن شأن العرب كلهم فهو في قريش أرسخ وأجود ... وغيرهم عرفوا فيما بعد بأبناء عبد الواحد.[2]

هذا موقف الأمازيغ من العرب، والعرب من العرب، فما بالنا مع ال البيت النبوي الشريف، وخصوصا مع أحفاد الحسن والحسين رضوان الله عليهم، وفيهم يقول العشماوي : «وكل من صح نسبه من هذه الأنساب الشريفة والشجرة المباركة، فلا يغرّم ولا يسخر ولا يسب فيه أحد فلا شك فيهم ولا خلاف.»[3]

واعتبر المغاربة فرار أبناء الحسن، ثم أبناء الحسين إلى المغرب منّة من الله، فبايعوا إدريس بالإمارة، وتطوعوا جندا في جيشه، وساهموا معه في بناء الدولة.[4] مغتنمين الفرص، عاملين بقول الإمام علي كرم الله وجهه، حينما كان يردد على الملأ. «وانتهزوا هذه الفرص، فإنها تمر مر السحاب، ولا تطلبوا أثرا بعد عين.»[5] لأنها لا تكرر، وخاصة أن المغرب الإسلامي يمر بفترة جد صعبة، وهذا النص لابن أبي زرع يبرز لنا كيفية انتقال السلطة من إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي إلى إدريس بن عبد الله الكامل الحسني العلوي، «وكان دخول إدريس (ض) المغرب عام 170 هـ، ونزوله على إسحاق بمدينة وليلى في غرة ربيع الأول المبارك من سنة 172 هـ. السبت 9 أوت 788 م. فلما دخل رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد إخوانه وقبائل أوربة

---

(1) القلقشندي (أبو العباس أحمد بم محمد) : قلائد الجمان، ص 94

(2) المختاري (الطيب بن المختار) : القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، المطبعة الخلد ونية، تلمسان، 1961 م، ص 345، 346.

(3) العشماوي (أحمد بن محمد) : السلسلة الوافية والياقوتية، ص 253.

(4) سعدون (عباس نصر الله) : دولة الأدارسة في المغرب، ص 169.

(5) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد، ج 1، ص 44، ويقال «لا تطلب أثرا بعد عين «أي بعد معاينة وهو مثل يضرب لمن ترك شيئا يراه ثم تبع أثره بعد فوت عينه.

فعرفهم بنسب إدريس وفضله وقرابته من رسول الله (ص) وشرفه وعمله وكمال الأخلاق والفضائل المجتمعة فيه، فقالوا له الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا جواره، فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه، فما تريد منا ؟ قال تبايعونه، فقالوا سمعا وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد.»[1] وهذا الذي كان مع العائلة العلوية في المغربين الأوسط والأقصى، وتزايد عددهم بمرور الزمن عن طريق التكاثر والهجرة، حتى أصبح المغرب الأوسط، يعرف باسمهم ومن أمثلة ذلك : هجرة آل الحسين الشهيد (ض) إلى مدينة الهاز، وإقامة إمارتها[2] وإمارة سوق حمزة، وأبناء محمد بن جعفر من آل الحسن بن علي بن أبي طالب (عم).[3] أما غالبية العلويين فهم من أبناء محمدبن سليمان بن عبد الله الكامل، ويقول عنهم اليعقوبي : «ومدينة الخضراء، ويتصل بهذه مدن كثيرة، وحصون، وقرى، ومزارع، يتغلب على هذا البلد ولد محمد بن سليمان بن عبد الله ...، كل رجل منهم مقيما متحصنا في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى إن البلد يعرف بهم، وينسب إليهم.»[4] أي وطن السليمانيين.

وحتى إن البعض منهم اندمج مع الأمازيغ وأصبح كأنه واحد منهم، وهذا دلالة على تأقلم آل البيت العلوي مع المغاربة وشكلوا لحمة واحدة. «ويسكن مدينة ترنانا فخد من بني دمر يسمون بني يلول وكان بها عبد الله الترناني بن إدريس بن محمد سليمان ...»[5]

إن قضية تأقلم آل علي (ض)، لم تكن مقتصرة على آل سليمان وإدريس، ولكن كانت عامة بالمشرق والمغرب منها نسب الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلالي بن أبي صالح، موسى بن عبد الله الجيلالي ... إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.[6] أما باقي العناصر العربية من غير العلويين، فيبدو أنهم كانوا أقلية، ويعود

(1) ابن أبي زرع : لأنيس المطرب بروض القرطاس ... ص 19، 20.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(3) ن، م، س، ص 109.

(4) اليعقوبي : ن، م، س، ص 109.

(5) اليعقوبي : ن، م، س، ص 109.

(6) سيدي عبد القادر الجيلالي (470561 هـ) : الفتح الرباني والفيض الرحماني، تحقيق، أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 م، ص 13، 14.

سبب ذلك إلى محاربتهم وتشردهم وقتلهم من قبل الخوارج ولم يسجلوا حضورهم الحضاري بقوة بدليل أننا لم نجد إلا القليل منهم قد رصده الجغرافيون والمؤرخون أثناء العهد السليماني. منهم ابن حوقل عن طبنة القريبة من ديار آل الحسين (رضو) : «وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة.» وجود قبيلة بالمنطقة يعني طول الإستقرار، والمزاحمة، وعن قرية مهريين (قرب المسيلة) يقول : «والغالب عليها البربر وهي لكتامة ومزاتة.»[1] والأقلية بها من غير البربر، عرب وعجم. واليعقوبي يقول بلزمة (قرب سطيف) : «أهلها قوم من بني تميم، وموالي لبني تميم، وقد خالفوا على ابن الأغلب في هذا الوقت.»[2] هذا الخروج ألا يعني الإنضمام إلى الدولة السليمانية القريبة منهم، وعن مدينة مقرة[3] يقول : «المدينة العظمى مقرة أهلها قوم من ضبة[4]، وبها قوم من العجم، وحولها قوم من البربر.»[5] وأراضي مقرة والمسيلة قبل تأسيسها كانت تابعة لإمارة هاز العلوية.

2 - الأمازيغ (البربر) : فالجنس الأمازيغي ينحدر من جذمين كبيرين، البرانس، البتر، وينتهي معا إلى مازيغ بن كنعان من نسل حام بن نوح،[6] أي أن البربر كلهم حاميون،[7] وإن كانوا قد إمتزجوا بالساميين وغيرهم، وهذا الرأي الذي أرتاح إليه، دون الخوض في باقي الروايات.

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 85.

(2) نفس المصدر السابق، ص 87.

(3) مقرة : قرب هاز (المسيلة)، وإليها ينسب الكاتب المشهور أحمد بن محمد المقري المتوفى 1041 م أنظر البكري : ن، م، س، ص 51/ الإدريسي : ن، م، س، ص 164.

(4) بني ضبة : من طانجة من العدنانية، وكان لهم من الولد سعد وسعيد وضرب بها المثل، فيقال : أسعد أم سعيد، وكانت ديارهم بنجد، ومع الفتح انتشروا في البلاد الإسلامية، أنظر، القلقشندي : نهاية الأرب، ص291.

(5) اليعقوبي : كتاب البلدان، ص 108.

(6) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 495.

(7) نفس المصدر السابق والصفحة.

جـذم البرانس : وهم أزداجة، ومصمودة، وأوربية، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة، وزاد سابق بن سليم[1] وأصحابه : لمطة وهسكورة وكزولة.[2]

جـذم البتـر واشتهر منهم : أداسـة ونفوسة وضريسـة (ضرية) وبنو لوا الأكبر (بنو لواتة[3]) وهذه القبائل الأربعة المعروفة تتفرع إلى عدة فروع، فأداسة فبطونهم كلها في هوارة، وأما لوا الأكبر، فمنهم نغزاوة ولواته بنو لوا الأصغر ومن أشهر فروع ضريسة زناتة، من زانا بن يحي بن ضرى بن جزيل بن ماذغيس، ومن أشهر قبائل البتر التي لعبت دورا كبيرا، في العهد السليماني في المغرب الأوسط، نفزة ومزاتة ومغلية ومطماطه ومديونة وغيرها.[4] والآن أتوقف عند كل قبيلة من الجذمين، ساهمت بشكل واضح في ترقية المجتمع المغربي أثناء العهد السليماني (173-342 هـ) مع تحديد مضاربها وطبيعة عيشها وغيره.

* البتـر : لأنهم غالبية السكان، وجلهم من البدو الرحل ونسب المغرب الأوسط في كثير من الأحيان إليهم وهم : زناتة : ويقال لهم زناتة بإسم أبيهم، وهم بطن من البتر من البربر ببلاد المغرب، وهي فرع من ضريسة وزناتة تنقسم بدورها الى فروع منها : بنو يفرن، مغراوة، جراوة، بنو يرنيان، [5]بنو واركلا، بنو دمرّ، بني برزال وبني صغمار، وغيرهم.[6] أما مواقعها فلا يمكن تحديد ذلك بدقة لأنها غير مستقرة في مكان ما، وكثيرة الترحال ومن أهم أوطانها المغرب الأوسط. «وكان أولاد مغراوة وبني يفرن من أهم بطون زناتة، »[7] ومن زناتة من كان يقيم في الأراضي التابعة للدولة السليمانية والإمارات العلوية.

---

(1) سابق بن سالم المطماطي : من كبار النسابين المغاربة اعتمد عليه عدد من المؤرخين، مثل البكري، ابن خلدون، أنظر، ابن خلدون : ترجمان العبر، ج6، ص 231.

(2) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6 / 177، ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص 495.

(3) ابن حزم، ن، م، س، ص 497 / ابن خلدون : ترجمان العبر ... ج 6، ص 178.

(4) ابن حزم : ن، م، سن ص497.

(5) ن، م، س، ص 496/ القلقشندي : نهاية الأرب، ص 252.

(6) ابن حزم : ن، م، س، ص 498 / بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية، ص 19، 20.

(7) ابن عذارى : البيان، ج 1 / 66، ابن خلدون : ترجمان العبر، ... ج6 / 255.

بنو يفـرن : ينتسب هؤلاء إلى زناتة، ومن أشهرهم بنو واركو ومرنجيصة، ومناطق انتشارهم في الدولة السليمانية في معظم أجزاء البلاد، وإلى الغرب من تيهرت إلى تلمسان.[1]

مغـراوة : ينتسب هؤلاء بدورهم إلى زناتة، وهم من أبناء يصليتن، وتواجدهم تقريبا في كامل المغرب الأوسط وخاصة ما بين الخضراء، ومذكرة (مليانة)، وتلمسان، والأطلس الصحراوي، ويعتقد الأستاذ : غوتي (Gautier) إن مقرهم الأساسي هو سهل الشلف «تامغيلت».[2]

جـراوة : من قبائل البتر وإحدى فروعه زناتة، وهي قبيلة الكاهنة، وكفّرت على ذنبها، بإيواء بني سليمان العلوية مع تطبيق التوبة بإنتقالها من الأوراس إلى سهل ملوية.[3]

بنو يرنيان : هم فرع من زناتة، وهم من سكان الدولة السليمانية، «هاز سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة أيضا.»[4]

بنو بـرزال : هم فرع من زناتة،[5] ومضاربهم إلى الغرب من الزاب، صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال وهم فخد من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم.[6] لكن من سكان إمارة هاز الحسينية.

بنـيدمّـر : من زناتة، وكانت مضاربهم بكامل المغرب، من جبال نفوسة إلى نهر ملوية، ومنها بني برزال في النص السابق وتامغيلت (سهل شلف) : «وهي مبني

---

(1) البكري : المغرب، 142/ ابن خلدون : العبر... ج6/ 225/ بن عمير محمد : دور زناتة في الحركة المذهبية، ص 18.

(2) GAUTIER (E .F) : le passé de l'afrique du nord – paris, 1952, p. 370

أخذ الموقع عن البكري دون أن يذكره، ونسب ذلك إلى نفسه، انظر : البكري : ن.م.س، ص143.

(3) البكري : المغرب، ص 142.

(4) اليعقوبي : ن، م، س، ص 108.

(5) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 498.

(6) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

بالطوب على نهر له ربض، وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة.»[1] هذه أهم فروع زناتة في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.

أبناء لوا : لوا بن جزيك بن مادغيس، الأبتر، فمن ولده نفزاوة ولواتة[2]، ولهاصة، ورفجومة، ومكلاته[3]... وأما سائر ولهاصة من ورفجومة وغيرهم. فهم لهذا العهد أوزاع لذلك أشهرهم قبيلة بساحل تلمسان اندمجوا في كوميّة وعدوا منهم بالنسب والخلط.»[4] وقد توقفنا في هذا البحث، وبالخصوص في الفصل الأول عن الخروقات التي قامت بها ورفجومة. أما نفزاوة فكانت مضاربهم بنواحي شرشال وتلمسان، «وأما بقايا بطون نفزاوة فمنهم زاتيمة، وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك، ومنهم غساسة»[5] ولواتة كانت تقيم إلى الشرق من إمارة تقدمت.[6] وبالرغم من كونهم إباضيين، إلا أنهم كانوا تابعين إلى الدولة السليمانية.

أبناء ضريسة : من أشهر أبنائه في المغرب الأوسط، أبناء فاتن أي بني فاتن، وهؤلاء بطون كثيرة منهم مطغرة لماية، صدينة، كوميّة، مديونة، مغيلة، مطماطة، ملزوزة، مكناسة. بني فاتن جلهم متواجدون في المغرب الأوسط، لهذا العهد «مدينة فالوسن»، وهي مدينة عظيمة، أهلها بطون البربر من مطماطة، وترجة وجزولق[7] وهذه المدينة كانت تابعة لإمارة أرشكول وتابحريت يسكنها من البربر ومطغرة[8]... إلخ ولماية وفروعها كانوا بأرض السرسو ومنداس وبتاقدمت وبتيهرت وكانوا على دين

(1) البكري : المغرب، ص 143.

(2) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 230.

(3) ابن خلدون : ن، م، س، ج 6، ص 236.

(4) ن، م، س، ج 6، ص 233

(5) ن، م، س، ج 6، ص 233.

(6) ن، م، س، ج 6، ص 236/ نجاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية، ص63

(7) اليعقوبي : البلدان، ص 112.

(8) البكري : المغرب، ص 87.

الخارجية، وعلى رأي الإباضية منهم.[1] ومغيلة عند مصب الشلف،[2] ثم عن مديونة فيقول ابن خلدون وكانت مواطنهم بنواحي تلمسان. ولكل فرع من هذه الفروع، كان لها تواجد في المغرب الأوسط في ناحية من نواحه.

وهذا لا يعني أن المغرب الأوسط والدولة السليمانية، كانت خالصة للبترولكن إلى جانبهم كانت قبائل البرانس، ولكن أقل كثافة من البتر، والشيء الذي يميز الجذمين في هذا العهد الاندماج مع بقية السكان والتطلع إلى المستقبل أفضل وهذا ما حدث.

* البرانس : وجذم البرانس متواجدون بشكل كثيف في أراضي الدولة السليمانية والإمارات العلوية، وبعجالة لأن البحث لا يسمح بالمزيد من التفصيل، ولأن أستاذنا : لقبال موسى قد أعطى له حقه عند البحث في دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية.

وكما قلنا مسبقا، إن البرانس يتفرعون إلى سبع قبائل كبرى مشهورة، وهي : إزداجة، وكتامة، صنهاجة، مصمودة، عجيسة، أوربة، أوريغة ...

إزداجة (زداجة) : ولهم بطون كثيرة من أشهرها في المنطقة بني مسكن (أومسقن) ومسطاطة بوهران ونواحيها[3]. وبني مسقن إلى يوم الناس هذا، موجودين بالضاحية الغربية للمدينة.

أوربه : من قبائل البرانس، وزعيمها للفتح كسيلة، ولعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام في عهد إدريس الأكبر والأصغر، ومراكزها «المنطقة الغربية من تلمسان وكتلة أوراس ثم منطقة الزاب.»[4]

هوارة : قبيلة بربرية ومن البرانس من أوريغة لأن هوار بن أوريغ بن برنس،[5] ومن أشهر بطونها مغرماوس، زمور كياد سراى، وريجين، منداسة، ... أما مراكز هوارة

---

(1) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6/ 246.

(2) ن، م، س، ج6 ص 254.

(3) البكري : المغرب، ص 70 / لقبال موسى : دور كتامة، ص 68/ ابن حوقل : صورة الأرض، ص 79.

(4) لقبال موسى : دور كتامة، ص 72

(5) ابن خلدون : ترجمان العبر، ص 282.

فكثيرة، منها قلعة هوارة (قرب البطحاء)[1] ويقول اليعقوبي : «ثم من مملكة إبن مسالة الهواري إلى مملكة لبني محمد بن سليمان».[2]

صنهاجة : من أشهر قبائل البرانس، وصنهاج هو أخو لهاوزن لأمه، وهاوزن إبن أوريغ[3] وصنهاجة وهوارة كان لهما تواجد في كامل مناطق المغرب وحتى في الأندلس وغرب إفريقية، فاليعقوبي يقول عن فالوسين «وهي مدينة عظيمة، أهلها بطون البربر من مطماطة، وترجة، وجزولة، وصنهاجة، وأنجفة وأبحرة.»[4] ومن فروع صنهاجة فرع بطيوة قرب مدينة أرزيو.

زواوة : ويقال لهم زواغة، وهناك إختلاف بين الناسبين، هل هم من البرانس أم من البتر ؟ وأميل إلى أنهم من البرانس من قبيلة كتامة للإعتبارات السياسية والجغرافية ومن مراكزهم في الدولة السليمانية ومن هذا الموضع الذي تغلب عليه الحسن بني سليمان الحسيني ثم مدن بعد ذلك سكنها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس»[5].

مليكش : أو ملكش من قبائل البرانس، [6] وكانت مضاربها بضواحي جزائر بني مزغناي، [7] أما باقي القبائل الأخرى البرانسية، مصمودة، عجيسة، فقد كانت متواجدة بالدولة السليمانية والإمارات العلوية، كأفراد ومجموعات صغيرة خاصة وأن عجيسة كانت مضاربها قريبة من الحدود الشرقية المائعة للدولة السليمانية (سطيف، إيكجان).

3 – العجم : كل من كان من غير العرب، واحده عجمي، أعجمي «إن كل ماعدى العرب فهو عجمي، سواء الفرس أو الترك أو الروم أو غيرهم، وليس كما تتوهم العامة

---

(1) أنظر الجانب الحضاري من هذه الدراسة.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 111، 112.

(3) القلقشندي : نهاية الأرب، ص 290.

(4) اليعقوبي : البلدان، ص 112 / لقبال : دور كتامة، ص 89.

(5) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(6) لقبال موسى : المغرب الإسلامي، ص 204.

(7) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 729، 748.

من الإختصاص العجم بالفرس»[1] وأعني هنا كل المسلمين من غير العرب، وإن كان تواجدهم بهذا القطر قليلا بالمقارنة مع الدول الثلاث : الأغلبية، الرستمية، الإدريسية، وهذا التواجد حدث نتيجة الهجرة والتزاوج ومن أمثلة ذلك : «والمدينة العظمى مقرة أهلها قوم من بني طبة، وبها قوم من العجم.»[2] وكما تعلمون مقرة قريبة من شط الحضانة ومن إمارة هاز، وأن إمارة تقدمت قريبة جدا من العاصمة الرستمية تيهرت، وفيه جالية كبيرة من رعايا الدولة الرستمية في موانئ تنس، مرسى فروخ، وهران ...

والصقالبة وهم من بني بازان بن يافث، [3] من حوض الفولغا. كان الأوروبيون يقومون بغزوهم ويبيعونهم رقيق بأرض الأندلس، [4] وجد البعض منهم في المغرب، فمثلا : مدينة نكور بجواريها قرية تدعى «قرية الصقالبة»[5] وكان من جند صالح بن منصور الصقالبة والمنطقة قريبة من إمارة جراوة ومن السلع التي كانت تجهز من المغرب إلى المشرق «... الخدم المجلوبون من بلاد السودان، والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الأندلس.»[6] وبدون شك كان بالدولة السليمانية والإمارات العلوية، عبيد من السودان وصقالبة لأن البلاد عرفت، الدهقنة. وهم يحتاجون إلى هذا النوع من الخدم. فابن حوقل عن مدينة وهران يقول : «وفي حاضرتها دهقنة وحذق، وفيهم حمية مع الغريب وهي فرضة الأندلس، إليها ترد السلاع، ومنه يحملون الغلال.»[7] وعن تابحريت من موانئ تلمسان «ولها أسواق جامعة وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة، وغيرها، هذه الأسواق الجامعة بها من عبيد غرب إفريقية وصقالبة الأندلس».

(1) القلقشندي : قلائد الجمان، ص 12.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(3) القلقشندي : نهاية الأرب، ص 37.

(4) المقري : نفح الطيب، ج 1، ص 140.

(5) البكري : ن، م، س، ص 93.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 95.

(7) ن، م، س، ص79.

4 - أهل الذمة : هم مواطنو الدولة الإسلامية من غير المسلمين وهم الذين يتمتعون في حمايتهم مقابل جزية تدفع عن الذكر البالغ. وقد عرفه قلعتجي حديثا، لأن أهل الذمة. هم المواطنون غير المسلمين الذين يحملون جنسية الدولة الإسلامية[1]. أما الفقيه المالكي المغربي الكلبي يقول : «والذمة لا تعقد إلا لكافر حر بالغ ذكر قادر على أداء الجزية يجوز إقراره على دينه.»[2] والذمة إلا للكتابيين والمجوس دون سائر الكفار وفي المغرب الأوسط وجد الكتابيين دون المجوس، فمثلا البكري عن مدينة تلمسان : «وبها بقية من النصارا إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة.»[3] وعن مدينة فاس يقول : «وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق.»[4] وهذا يعني أن جل الحواضر الإسلامية بالمغرب يوجد بها يهود، إلا أن فاس أكثر هذه المدن. وعن مدينة جادو (بليبيا) يقول : «لها أسواق ويسكنها يهود كثير.»[5] وارتبط وجود اليهود قديما وحديثا بالأسواق وما تدره من أموال.

أما معاملة المسلمين لهم، فكان فيه الكثير من التسامح. «وقد تمتع أهل الذمة في هذا الوضع بقسط وافر من الحرية لقاء تأديتهم الجزية فكانو يرجعون في قضاياهم المدنية والجزائية إلى رؤسائهم الروحيين إلا إذا كانت القضية تمس مسلما ... والنظام هذا ظل معمولا به، حتى آخر العهد العثماني.»[6] ويذهب شارل أندرى جوليان إلى أبعد من ذلك حيث يقول : «ولم يقتصر ذلك على تواجدهم (في المغرب الأوسط) بل كان أهل الذمة يجلسون بجانب الأمير أبي حاتم (تيهرت) مع الأعيان.»[7]

---

(1) البكري : ن، م، س، ص 87.

(2) قلعجي، وقنبي : معجم لغة الفقهاء، ص 95.

(3) الكلبي (أبو عبد الله بن أحمد بن الجوزي) : القوانين الفقهية، ص 152.

(4) البكري : ن، م، س، ص 76.

(5) ن، م، س، ص 115.

(6) ن، م، س، ص 9.

(7) Charles , André Julien : histoire de L'Afrique du nord .p37.

إلا أنه يجب أن ننتبه، إلى ما يهدف إليه أمثال : سير توماس، وأرنولد توينبي، من بث هذه السموم وتشويه دور المسلمين في العلاقة مع أهل الذمة فقد كتب يقول : «وجد بعد الفتح الإسلامي بثلاث مائة سنة تقريبا، ما يقرب من أربعين أسقفية، كانت لا تزال باقية هناك (المغرب) وفي سنة 1053 م ... لم يكن أن يوجد إلا خمسة أساقفة يمثلون الكنيسة الإفريقية التي كانت من قبل تتمتع بالشهرة والإزدهار.»[1] الغرض من ذلك، ربط هذه الجالية المسيحية بالمغرب، وتأصيلها ونعتها بالبربرية،[2] ونسبة الكثير من الإنجازات الحضارية إليها، حتى تكون فضائل الغرب هي السائدة.

ب -المرأة :

في المجتمع السليماني، كما في غيره من المجتمعات الاسلامية في المشرق والمغرب. نالت المرأة فيه الكثير من حقوقها وبلغت مرحلة متقدمة. لأن المجتمع وصل في هذه الفترة إلى مرحلة متقدمة لما أحدثه الاسلام من تحولات ايجابية في تكريم المرأة.[3] وعندما نعود إلى أصول التشريع، نجد ذلك مكرس، «فقد بلغ الاسلام في تكريم المرأة، ما لم يبلغه تشريع اجتماعي في القديم ولا في الحديث، إذ اعترف بأهليتها في الحقوق المدنية والمالية، ولم يفرق بينها وبين الرجل في المجال الانساني أوالاجتماعي.»[4] هذا ما تم تجسيده في المجتمع المغربي ولنا أدلة كافية عن ذلك. منها قول أبو المظفر الأبيوردي[5] : «فكانوا يقولون : ملك الدنيا ابنا بربريتين، المنصور، وعبد الرحمن بن معاوية»[6] وتكلمنا عن

---

(1) سير توماس، وأورنولد توينبي : الدعوة إلى الإسلام، ص 149.

(2) عويس عبد الحليم : دولة بني حماد، ص 238.

(3) القرآن الكريم : من أمثلة ذلك، سورة النساء، سورة النور، خطبة الوداع.

(4) صبحي الصالح : النظم الإسلامية، ص 441 / هونكة سغريد : المرأة في صدر الإسلام، مجلة أصالة، العدد 46، ص 26.

(5) أبو المظفر الأبيوردي : هومحمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي ت 507 هـ/ 1113 م مؤرخ وعالم بالأدب، من كتبه في التاريخ، تاريخ أبيورد، المختلف والمؤتلف في الأنساب، انظر الزركلي : الأعلام، ج 6، ص 209.

(6) السيوطي جلال الدين : تاريخ الخلفاء، ص 302.

كنزة زوجة إدريس الأكبر وأم إدريس الأصغر، والدور السياسي الذي لعبته، وفاطمة أم البنين بنت محمد الفهري وبنائها المسجد الجامع بعدوة القرويين بمدينة فاس.[1] وبهذا تكون أول جامعة بالمغرب تبنى من لدن امرأة من هوارة. وكثيرا ما تطرق أبو زكرياء يحيى : في كتابة سير الأئمة عن النساء في مجالات كثيرة منها يقول : «و لما مات أبو الخطاب، فقالت امرأة معا فرية من ذرية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح(ض)، وهي تندبه وتبكيه، قالت : لما مات أبو الخطاب مات الحق وبقيتم هاهنا، يا زواغة ببطوة كالأخرجة، وعمائم كالأبرقة وأحكام متعوجة.»[2] وهذا النص يبرز لنا موقف المرأة المغربية، من بعض القضايا الأساسية في مجتمعها، وأنها كانت تطمح إلى الأفضل والأسمى، وحدث أبوالربيع، سليمان بن يخلف،[3] إن أبا زكرياء،[4] خرج في بعض حوائجه فجاز على منزل موسى بن الإرث[5]، في وقت، فوجده لم يكن به، فخرجت إلية إمرأة موسى، و لما تكن تعرفه، فقالت من أنت؟ فقال أنا ضيف. فقالت له ما اسمك؟ فقال لها فيصل، فقالت : الأضياف على ثلاثة منازل، المقربون باللحم، ومنهم بالأدام، ومنهم من لا يجعل له الأدام، فقال لها أبو زكرياء، اجعليني بالوسط، صاحب الأدام، ثم أنها أضافته بالزيت.[6] إن النص يوضح لنا مكانة المرأة المغربية، وكرمها، واستقبالها للضيوف، والتحدث معهم، بالإضافة إلى المستوى المعيشي الذي بلغه المجتمع المغاربي، والضيافة ومستوياتها والسلطة العلمية وتواضعها إلخ.

---

(1) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4/ 29.

(2) أنظر أبو زكرياء يحي : سير الأئمة، ص 131.

(3) أبو الربيع سليمان بني يخلف المزاتي، المتوفى سنة 471 للهجرة، هو الأصولي الفقيه، الزكي النبيه، أفنى في الدراسة أيام الشباب وعده الدرجيني من الطبقة العاشرة 450-500 انظر الدرجيني : الطبقات ص 425،

(4) أبو زكرياء يحي بن ويجمين، من الطبقة التاسعة (400-450) من علماء المذهب الإباضي اشتهر بالورع، والتدين، والمعترف بفضله البدوي والحضري انظر أبو زكرياء يحي : كتاب السير، ص 168 الدرجيني، الطبقات ص 415.

(5) موسى بن الأرث (الارب) : عاصر ابو زكرياء، وكان من اعيان الاباضية، انظر ابو زكرياء، سير الأئمة، ص 169..

(6) أبو زكرياء يحي، كتاب سير الأئمة، ص 169.

ومما سجله البيدق عن المرأة التلمسانية وعاداتها، يقول : «ولما دخل المعصوم تلمسان وجد عروسا تزف لبعلها وهي راكبة على سرج واللهو والمنكر أمامها، فكسر الدفوف واللهو، ... وأنزلها السرج.»[1] هذه العادة كانت ولا تزال في تلمسان، وبدون شك أنها أقدم من هذا التاريخ، ونقل المرأة من بيت أهلها إلى عائلتها الجديدة يعني (الكثير، الفرح، الأمل، بناء أسرة، الأولاد ...) وهذا ما ذكره البيدق نفسه، سمعنا ولولة (في تلمسان)، فقال لي : مرّ اسأل عن هذه البشارة، فمضيت فسألت فقيل لي إنما إمرأة ولدت صبيا.[2] إنها زينة الحياة الدنيا، ويظهر إلى اليوم، تتم الولودة لقدوم الصبيان، وهذه من مميزات المجتمع المغربي يفرح بقدوم هذه النعمة الربانية التي هي الحياة والتواصل.

وعن المرأة المسلمة عامة آنداك يقول غير المسلمين : «فنساء الأندلس العربيات بالخصوص سواء أكن سيدات الطبقة الراقية، أم مجرد فتيات بل وحتى الجواري يذهلنا من حيث ما يتمتعن به من الإستقلال في الرأي وثقة في النفس، وعلو اهمة إزاء الرجال. فهن يقمن بنشاط كبير في الحياة الفكرية يؤلفن كتبا علمية، ويتغنين بحبهن في الأشعار، وكل ذلك بما لا يقل ثقة وفطرة عن الرجال أنفسهم.»[3] حقا أن المرأة المسلمة وجدت مكانتها في المجتمع وتسابقت مع الرجال في ميدان البذل والعطاء.

ج – علاقة السلطة بالسكان :

السؤال الذي يطرح، ما موقف البربر من العرب عامة ومن آل البيت النبوي خاصة؟ بمجرد وصول العلويين إلى المغرب، وقيام الدول المستقلة عن الخلافة الإسلامية في بغداد إمتدت جل جسور التفاهم والترابط وتخطي الجميع الفجوة التي أحدثتها

---

(1) البيدق (أبو بكر بن علي (الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت، ص 39.

(2) ن، م، س، ص 49.

(3) هونكة سغريد : المرأة في صدر الإسلام، مجلة الأصالة، العدد 46/ 47، ص 25/ فليب حتى تاريخ العرب مختصر، ص 26/-ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس، ص 57/-لوبون : حضارة العرب، ص 248، 249.

ثورات الخوارج (122-178 هـ) وزادت الصلات توثقا وتماسكا بفضل الزواج بين العرب والبربر أي بين المسلمين، فخلف أجيال تمازجت بمرور الزمن، «لاشك في الإمتزاج العربي البربري، قد بدأت معالمه تتجلى منذ القرون الأولى للفتح العربي.»[1] هذا التمازج وصل إلى درجة أن كثيرا من القبائل البربرية كفّرت عن ذنبها، لما قامت به من مقاومة لصد الإسلام عن المغرب،[2] أو مساندتها لورفجومة، كما زعمت العديد منها ان أصولها عربية.[3] والعكس صحيح حيث أن العديد من الأفراد العرب ذابو في قبائل بربرية من أمثلة ذلك بهلول بن راشد.[4] ولما تأكد له أنه عربي الأصل، أقام مأدبة فرحا لهذا النبأ،[5] فجعل منها مؤرخو الغرب دليلا على إحتقار العرب للبربر فمثلا : شارل أندري جوليان المؤرخ النزيه يقول : «وقد وجدنا الفاتحون، في مذهب الخوارج ما يكفي من الذرائع لتبرير حقدهم المتزايد على البربر لذلك أقام الزاهد بهلول وليمة يوم أن علم علم اليقين أنه عربي قح.»[6] ومنطق التاريخ يثبت عكس ذلك تماما، فإن العرب لا يختلفون عن باقي البشر، فمن حقهم أن يعرفوا أصولهم التاريخية، وأن يفرح لمعدنهم خاصة إذا كان من ذهب، وإذا كان علم الإنساب تطور شرقا وغربا، فهذه ظاهرة بشرية، كانت موجودة قبل الإسلام، وأقرها الإسلام في علم الفرائض على الأقل، وقال عمر بن الخطاب (ض) : «تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط (أخلاط الناس) السواد إذ سئل أحدهم عن أصله، قال : من قرية كذا وكذا[7] وقيل : فمن لا

---

(1) ألفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 220/ ليفي بروفنسال : حضارة العرب، ص 17.

(2) أوربة قبيلة كسلية، جراوة قبيلة الكاهنة، واحتضانها لإدريس وسليمان أبناء عبد الله الكامل (رضو).

(3) ابن حزم : ن، م، س، ص 495 / ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 230 وما بعدها.

(4) بهلول بن راشد : هو أبو عمرو، من أهل القيروان (128 182 هـ) من الطبقة الأولى من أصحاب مالك، كان ثقة مجتهدا، فقال فيه مالك عابد بلده، كان عنده علم كثير، أنظر ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 166 / أبو عرب محمد بن أحمد : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص 175.

(5) ابو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص 134 (جد عادية الوليمة).

(6) شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقية الشمالية ج 2، تعريب : محمد مزالي، البشير بن سلامة، ص 62 ويقول ألفرد بل : «تعالى الغزاة الشرقين عن الوطنين أنظر الفرق الإسلامية، ص 220.

(7) ابن عبد ربه الأندلس : العقد الفريد، ج 3، ص 312.

يعرف النسب لم يعرف الناس، ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس.»[1] وكيف نفسر اليوم، في الغرب ظاهرة اللوردات في بريطانيا والأشراف في فرنسا.. ؟

وبإمكاننا أن نؤطد أن البربر ولأول مرة تساووا مع العرب أو الفرس في ظل السلطة العلوية في المغرب الأوسط والأقصى، حيث تقلدوا السلطة كوزراء وأمراء وولاة وقادة ومرابطين، ولم يحتقر البربر كما يزعم مؤرخي التفرقة والدليل، كيف يقبل علوي أمير أن ينسب إلى بني دمّر من البربر ؟ وكان فيها عبد الله الترناني بن إدريس بن محمد بن سليمان.[2] كأمير على مدينة ترنانة، إحدى الإمارات السليمانية، ويترك العلويون مدينتهم طواعية إلى أبناء جانا مدينة العلويين كانت في أيدي العلويين، من ولد محمد بن سليمان، ثم تركوها، فسكنها رجال من أبناء ملوك زناتة[3]. تقع في ضواحي مدينة تلسمان، وتوسع أمراء العلويين في تنس للبربر للسكن معهم،[4] ومعظم وزراء إدريس ثم إدريس الثاني كانوا من البربر، وغيرها كثير.

د - المرابطون :

وهي الجماعة التي رابطت، ومنه اللهم انصر جيوش المسلمين ومرابطاتهم،[5] والمرابطة الإقامة في حدود الدولة الإسلامية مقابلا للعدو وإخافته له، فتقاطر المسلمون على المرابطة في سبيل الله، وتم إنشاء العديد من الرباطات في المغرب والمشرق الإسلامي، منها رباطات سواحل المغرب، «ومن اسفاقس إلى موضع يقال له بنزرت مسيرة ثمانية أيام، في جميع المراحل حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون.»[6] ومن رباطات الدولة

(1) ن، م، س، ص 312.

(2) البكري : ن، م، س، ص80.

(3) اليعقوبي : البلدان، ص 112.

(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص 48.

(5) الزمخشري : أسس البلاغة، ص 151.

(6) اليعقوبي : البلدان، ص 107.

السليمانية رباط مرسى ندرومة و«رباط حسن مقصود، »[1] ومرسى مغيلة بني هاشم (إلى الغرب من وهران) «له رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير»[2] بالإضافة إلى رباطات أرزيو، وشرشال وغيرها، وأقدم هذه الرباطات في المغرب رباط المنستير، [3] وسيدي شاكر.[4] وخريجو هذه الرباطات من مجاهدين وعلماء، «ربطو أنفسهم وحبسوها على الشهوات وكفوها عن علواتها ومنعوها من إرتكاب لذاتها»[5] وقد تزين هؤلاء المرابطون بملابس خاصة بهم، وشكلو طبقة متميزة من هؤلاء كان رجال الصوفية، والزهاد والعباد.

إذا كانت بدايتهم في العهد السليماني، فإن سيطرتهم على المجتمع لم تتم إلا في عهود لاحقة وهذه المؤسسات الإسلامية، كانت مراكز لصهر الرجال من مختلف الأجناس وسأعود إلى ذلك في الرباطات كمؤسسات تعليمية.

هـ - المستوى المعيشي :

إن المستوى الحضاري والإقتصادي للمجتمع السليماني خلال فترة حكمهم تعكس وبمنتهى الوضوح المستوى المعيشي (المعاشي) للسكان. وكنا قد تطرقنا إلى ذلك في بداية الفصل، وسقنا مجموعة من الأدلة التي نعتقد بأنها كانت كافية، ومع ذلك نرد شهادة من عاين المنطقة اليعقوبي حيث يقول : «وأول المدن التي في يده (الحسن الحسيني) مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنويرنيان من زناتة أيضا، ثم مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة، وزواوة، يعرفون بالبرانس وهم أصحاب عمارة

(1) البكري : ن، م، س، ص 80.

(2) ن، م، س، ص 81، 82.

(3) ان الذي بنى التصر الكبير، هو هرثمة بن أعين سنة 180 هـ انظر البكري : المغرب، ص 36/ الإدريسي : القارة الإفريقية، ص 183.

(4) احد علماء البعثة العلمية، التي أرسلها عمر بن عبد العزيز (ض) (99101 هـ) انظر، حسن حسني : ورقات، ص 78

(5) المختار (الطيب بن المختار الغريسي) : القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ص 331

وزرع وضرع، وإلى هذا ينسب البلد»[1] وعند توغله في الأراضي العلوية، وعند وصوله إلى متيجة، يقول : «وهو بلد واسع فيه عدة مدن وحصون وهو بلد زرع وعمارة... ومدينة الخضراء، ويتصل بهذه مدن كثيرة، وحصون وقرى ومزارع»[2] وعندما يصل إلى العاصمة السليمانية لا يخفي إعجابه بما لاحظه من تطور إجتماعي وحضاري : «ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب، التي يقال لها تلمسان، وعليها سور حجارة، وخلفه سور آخر حجارة، وبها خلق عظيم، وقصور، ومنازل مشيدة.»[3] ويقول عبد الرحمن الجيلالي : «إنتشار الرخاء وخفض العيش وكثرة الخصب، حتى بيع وسق القمح بدرهمين وثلاثةِ دراهم، ووسق الشعير بنصف ذلك، والكبش بدرهم ونصف، والبقرة بأربعة دراهم، وخمسة وعشرون رطلا من العسل بدرهم واحد، أما الفواكه والخضر والبقول والقطنية فلا سوم لها، بحيث لا تباع ولا تشترى وليأخذ منها من شاء ما شاء.»[4] وأعتقد أن في هذه النصوص وفي غيرها أكثر من دلالة على المستوى المعيشي، ومن حيث الرخاء العام ورخص الأسعار، ووفرة المواد الغذائية، وصف إلى ذلك أن النصوص التاريخية لا تتحدث عن مجاعات وانتشار أوبئة وغلاء في الأسعار وندرة في الأقوات. وهكذا انتقل السليمانيون بالمجتمع من مجتمع قبلي بدائي، إلى مجتمع حضاري، في جل عاداته وتقاليده.[5] إلا أن دوام الحال من المحال، فقد عرفت الإمارات العلوية والمناطق التي كانت ضمن الدولة السليمانية الكثير من الضيم والقهر وسوء المعيشة،

---

(1) اليعقوبي : البلدان، ص 108، 109.

(2) ن، م، س، ص 109.

(3) ن، م، س، ص 112.

(4) عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 188.

(5) مثلا : بثلاثة دراهم يمكن للمواطن أن يشتري شعيرا وزيتا وتينا فتصنع منها بسيسة كافية لوجبة عائلية متعددة الأفراد(1) ويستطيع الإمام سحنون 160240 هـ بخروبة ونصف أن يشتري أربع أكلات (2) وأن يبتاع أربعة وجبات من الثريد بربع درهم. (3) ويمكن شراء دكيكة. (4) من عصير الفاكهه بنصف درهم. (5) وأن يبتاع أحدهم خبزا وعسلا بقيراط في سوسة (6) أنظر، (1) أبو العرب : طبقات، ص 147 (2) أبو بكر : رياض النفوس، ج 1، ص 260 (3) نفس المصدر السابق، ج 1، ص 261/ (4) دكيكة : قارورة صغيرة. (5) أبو بكر : رياض النفوس، ج 1 ص 203. (6) المصدر نفسه ص 426.

وأترك ابن حوقل[1] يتحدث عن ما لاحظه من تحول في المغربين الأوسط والأقصى : «وكانت أزلية (مليلة، القريبة من جراوة) فاكتسحها أبو المحسن جوهر الداخل مصر برجال المغاربة، وقد تغلب عليها بنو بطوية بطن من البربر، وكانت بها من الأجنة، وما يسد حاجتهم من الزروع الكثيرة، والحبوب والغلات الجسيمة فزال أكثرها. ونكور مدينة مقتصدة في وقتنا هذا، وكانت قديما أعظم مما هي وآثارها بينة.»[2] بهذا نكون قد قدمنا صورة إجتماعية حضارية عن سكان المغرب الأوسط والإمارات العلوية، في معظم عهدها الزاهر، وإن كان ذلك لا يعني أن البلد لم يمر بفترات حرجة نتيجة آفات إجتماعية وأزمات إقتصادية وطبيعية، لأن ذلك من سنن الحياة التي فطر الله بها خلائقه، ومن أمثلة ذلك في المجتمع الإسلامي السليماني.

و - الآفات الإجتماعية :

ومفرده آفة، أي العاهة، إلا أنها هنا طارئة وليست خلقية، وهي عرض يفسد ما يصيب وجاء في المثل : آفة العلم النسيان. لكل مجتمع آفاته، وأتطرق هنا إلى أبرز الآفات الإجتماعية في المجتمع السليماني والتي لفتت إنتباه العلماء والأدباء ورصدوها منها.

1 - ظاهرة النبوة : النبي هو من أوحي إليه وحيا خاصا من الله بتوسط ملك أو بإلهام في قلبه، أو بالرؤيا الصالحة،[3] وبإتفاق الأمة الإسلامية، أن لا نبي بعد محمد (ص) وهو خاتم الأنبياء والمرسلين. وهناك آيات وأحاديث دالة على ذلك،[4] إلا أن

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 83، يقول : «وكنت ألقيت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعوا إلى غزوهم في سنة 340 هـ.» معنى ذلك أنه زار المنطقة حوالي 340 هـ، أي أيام فتنة ابن أبي العافية، وقد شهر به شاعر المغرب الأوسط بكر بن حماد في شعر طويل، انظر، البكري : ن، م، س، ص143.

(2) ابن حوقل : ن، م، س، ص 79.

(3) قلعتجي ؛ وقنيبي : ن، م، س، ص 474.

(4) من القرآن الكريم : «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما» سورة الأحزاب الآية 40. ومن الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله (ص) قال : «لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، قالوا وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة» رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التعبير، رقم 6475 موسوعة الحديث الشريف أنظر، ابن خلدون : شفاء المسائل وتهذيب المسائل، تحقيق : محمد مطيع حافظ، دار الفكر، دمشق ن سورية، 1996 م، ص 61.

هناك كثير من الزنادقة والمارقين أدعوا النبوة ظلما وعدوانا، ومن هؤلاء متنبئ المغرب الإسلامي، صالح بن طريف زعيم قبيلة برغواطة المصمودية، الصفرية، «فادعى أنه أنزل عليه قرآنهم، الذي كانوا يقرؤونه، وقال لهم إنه صالح المؤمنين، الذي ذكر الله في كتابه العزيز، وعهد صالح إلى ابنه الياس بديانته، وعلمه شرائعه، وفقهه في دينه، وأمره ألا يظهر الديانة حتى يظهر أمره، وينتشر خبره، فيقتل حينئذ من خالفه.»[1] وكان ذلك في القرن الثاني للهجرة، وكان مبتدأ التحول هذا سنة 124 هـ.

أما الثاني فهو حاميم، متنبئ غمارة من بطن مجكسة (أو مجكصة[2]) وهي من قبيلة المصامدة مثل برغواطة ويقول البكري : «وبجوار بلد نكور بلد غمارة فمنه مجكسة وتنبأ بذلك الصقع أبو محمد حاميم بن من الله ... وأجابه بشر كثير أقروا بنبوته.»[3] وقتل في أحواز طنجة سنة 315 هـ.

أما متنبي الدولة السليمانية، فهو أحد المؤذنين[4] بأحد المساجد بنواحي مدينة تلمسان، وذلك في سنة 237 هـ/ 851 م، «قام رجل مؤذن بناحية تلمسان، يدعي النبوة، وتأول القرآن على غير وجهه، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء ... وأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسى هنين إلى الأندلس، فشاع بها أيضا، خبره وتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة، فبعث إليه ملك الأندلس، فاستتابه، فلم يتب، فقتله وصلبه، وهو يقول : «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله .»[5] يظهر أن هذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على المغرب الإسلامي، بل مشرقه هو الآخر أصيب بهذه الآفة، وكذلك لم ترتبط بعصر من العصور وبأمة من الأمم.

---

(1) ابن عذارى : البيان، ج 1، ص 57.

(2) ابن خلدون : أحيانا بالصاد وأخرى بالسين.

(3) البكري : ن، م، س، ص 100/ ألفرد بل «الفرق الإسلامية، ص 180.

(4) ولم تذكر المصادر الإسلامية التاريخية اسمه واكتفت بوظيفته.

(5) السلاوي : الإستقصاء، ص 177، 178/ عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 185، ما قاله هو جزء من الآية 28 من سورة غافر.

2 - الكهانة : هي من خواص النفس الإنسانية الناقصة عنه بالجبلة، فيكون لها بالجبلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور جزئية محسوسة أومتخيلة فيستديم ذلك الإحساس أو التخيل مستعينا به في ذلك الإنسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيع له .وهذه القوة التي فيهم مبدأ ذلك الإدراك هي الكهانة.[1] وإذا كانت الكهانة هي ادعاء معرفة الأسرار، عن طريق الإتصال بعالم الجن الذي يطلعه على أخبار الغيب، فإن ذلك لا يتم، «إلا من خلال الدخول في طقوس ومراسيم دينية معقدة.»[2] ويكثر هؤلاء عادة في المجتمعات البدائية وذات الفراغ الروحي، وهي من المأشرات الدالة على التخلف الإجتماعي والمناطق التي تعاني إضطرابات إجتماعية. وإذا كان الكهانة إلى يوم الناس هذا لها أهلها في مختلف أنحاء العالم. وإذا كانت في المجتمع السليماني نادرة ويعزر المتلبس بها، فإنها كانت شبه مشروعة في إمارة برغواطة، وسجلماسة، وبني رستم، وهذا ما سنتطرق إليه بعد حين. ما علاقة ذلك بالسحر والسحرة والمغرب الإسلامي في العهد السليماني ؟

3 - السحر : «هو طريقة وأسلوب تبدل فيه الجهود المتواصلة للسيطرة على البيئة والعلاقات الإجتماعية.»[3] والقائم بالسحر يدعى بالساحر، ينجز العديد من الأعمال الشيطانية، بقصد إلحاق الضرر بالآخرين، والدوافع كثيرة منها، الحسد، الغضب، الأنانية، الكراهية، جلب الضرر، تحقيق السعادة ... وكما هو معلوم أن هذه الأشياء محرمة وتخرج عن الدين الإسلامي.»[4] وهذه الظواهر الإجتماعية كاللصوصية،

---

(1) ابن خلدون : المقدمة، ص 174، 175/ الشريف أحمد إبراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص 135.

(2) أ. دينكن ميتشيل : معجم علم الإجتماع، تحقيق وتر : إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط 2 1986م، ص 135.

(3) أ. ينكن ميتشيل : ن، م، س، ص 135، المسعودي يقول : «ولا أمه خلت إلا وقد كان فيها كهانة «انظر، مروج الذهب، ج 2، 152.

(4) القيرواني (عبد الله بن أبي زيد) : الرسالة، د.و.م.ج. الجزائر، ص 167، / الكلبي : القوانين الفقهية، ص 415.

والتطفل، والكهانة، والسحر، كانت موجودة في المجتمع المغربي قبل الإسلام، من ذلك الكاهنة ملكة البربر،[1] وبالرغم من محاربة الإسلام لهذه الظواهر المضرة بالمجتمع الإسلامي، إلا أنها بقيت في بعض الجهات من ذلك خوارج المغرب الأوسط حكام تيهرت، يقول أبو زكرياء يحي : «فمضى يعقوب[2] وأصحابه سائرين إلى ورجلان، وبلغنا أنه نظر إلى الطالع في طريقه، ذلك فإلتفت إلى أصحابه وقال لهم أنه : «لا يجتمع منكم إثنان إلا كان عليهما الطلب، إفترقوا فقد إنقضت أيامكم إلى يوم القيامة.»[3] هذا دليل على أن سكان المغرب كانوا ينظرون إلى النجوم ويعملون بما يقول علماء الفلك. ويظهر أن علم الفلك كان جد متطورا عند الخوارج بمختلف نحلهم، وهذا ما نلمسه من خلال مصادرهم[4]. كيف يسمحون لأنفسهم بهذه الأعمال أقل ما يقال أنها محرمة، ويتشددون في فروع لا تمس العقيدة !

وببلد غمارة إلى جانب حاميم مدعي النبوة، كانت عائلته تشتغل بالسحر والكهانة، حيث يقول البكري : «عمة حاميم أخت أبي خلفة من الله وكانت كاهنة سحزة وكانت لحاميم أيضا أخت تسمى دجو» وعن تهوذا يقول : «تعرف بمدينة السحر.»[5]

---

(1) كان خالد بن يزيد من أسرى الكاهنة فكتب كتابا إلى حسان بن النعمان وجعله في خبزة ملة، فخرجت الكاهنة وهي تقول : «يا بني هلاككم فيما تأكله الناس»، وكان ذاك نهاية الكاهنة أنظر ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية، ص 63.

(2) يعقوب : هو أبو يوسف يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم . توفي في سنة 310 هـ بويع بالإمامة من سنة (284288 هـ) وعندما حل الفاطميون بتيهرت سنة 296 هـ، فرد إلى ورجلان (ورقلة) أحد واحات المغرب الأوسط، قائلا الكلمة المذكورة أعلاه، أنظر أبو زكرياء سير الأئمة، ص 125 / الدرجيني : الطبقات، ج 2، 104.

(3) أبو زكرياء يحي : سير الأئمة، ص 124.

(4) يقول أ. العبيدي : «علم الفلك عند الخوارج من أهم العلوم «أنظر البرغواطيون في المغرب، ص 11/ ويقول أ. الفيلالي : «قيل أن زعيم ورفجومة عاصم بن جميل، كان كاهنا أدعى النبوة .» أنظر العلاقات السياسية، ص 69.

(5) البكري : ن، م، س، ص 72.

وإذا كان المغرب الإسلامي، وجدت فيه هذه الظواهر السلبية البعيدة عن الدين الإسلامي، رغم محاربة العلماء والدعاة ورجال السلطة أمثال : الإمام إدريس والمولاي سليمان وأحفادهم من العلويين وغيرهم، على الأقل السلطة تصدت لهؤلاء، ودليلنا مؤذن نواحي تلمسان، وطلب الأمير له، ولم أعثر في المصادر التي حضرت منها هذا البحث ما يريب الحكام العلويين من هذا الجانب، عكس بعض الحكام المسلمين، فمثلا : أبو جعفر المنصور الذي يقال عنه أنه كان فقيها ومحدثا، [1] يقول السيوطي : «المنصور أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم»[2] وربما يكون ذلك بتأثير من الفرس وغيرهم، وسأوضح ذلك في نشر الإسلام من هذا الفصل.

ز - الأزمات الإجتماعية :

من الأزمات الإقتصادية والإجتماعية التي إجتاحت العالم الإسلامي بكامله، ولم تكن مقتصرة على الدولة السليمانية، مجاعة 260 هـ/ 873 م التي قال عنها ابن عذاري : «كانت المجاعة العامة بالمشرق والمغرب والوباء والطاعون.»[3] ويقول إبن القوطية : «وكانت سنة لم يزرع فيها بالأندلس حبة ولا رفعت، »[4] ويقول السيوطي : «وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة في بغداد 150 دينارا.»[5] أما أسباب هذه الكارثة الإجتماعية فيمكن حصرها في العوامل التالية : البشرية المتمثلة في الحروب والفتن التي حدثت في المشرق والمغرب، والطبيعية كالأمطار الطوفانية التي اجتاحت الشرق الإسلامي.[6] هكذا من خلال هذه النصوص وغيرها نستنتج أن العالم الإسلامي، مر في سنة 260 هـ/ 873 م بأزمة إقتصادية إجتماعية حادة خلفت العديد من الآثار

(1) السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص 312، وما بعدها.

(2) ن، م، س، ص 312.

(3) ابن عذاري : البيان ج 1، ص 260/ وانفس المؤلف البيان، ج 2، ص 103/ ابن الاثير : الكامل، ج 4، ص 373/ سرنهك : حقائق الأخبار، ج 1، 287.

(4) ابن القوطية : ن، م، س، ص 74.

(5) السيوطي : ن، م، س، ص 412.

(6) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج 9، ص 256 / ابن الأثير : الكامل، ج 5، ص 371.

السيئة على المجتمع حيث هلك خلق كثير، ورحل الناس عن مكة إلى الشام، ولم يبق بها إلا نفر يسير مع سدنة الكعبة.[1] ثم أزمة الخمسة وثمانون والمائتان واجتمعت فيها جل الظروف الطبيعية والبشرية «التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من الخلق مالا يحصى، فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم، وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة ولا صلاة والأمر لله وحده.»[2] ومثل هذه الأخطار، كثيرا ما قصفت بالرخاء الإقتصادي والإجتماعي للبلد، إلا أن هذه الأزمة يبدو أنها لم تمس جل بلاد المشرق، لأن المؤرخين لم يسجلوا ذلك لسنة 285 هـ.

ح - الكوارث الطبيعية :

هي النوازل العظيمة (الشدائد)، التي مست البلاد للعهد السليماني، أكتفي بزلزال 267 هـ/ 830 م للأضرار العمرانية التي لحقت ببلاد المغرب والأندلس، «كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلها تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور من الجبال، وفر الناس من المدن إلى البرية من شدة اضطراب الأرض، وتساقطت السقوف والحيطان، وفرت الطيور عن أوكارها وهامت في السماء، زمانا حتى سكتت الزلزلة، وعمت هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها وجميع بلاد العدوة من تلمسان إلى طنجة، ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب[3].» لم يكن الزلزال الوحيد بل سبقته وألحقته رجات في العهد السليماني وغيره، لأن المنطقة تدخل في نطاق البحر الأبيض المتوسط، أي نطاق المناطق الإلتوائية الألبية. فإنها معرضة إلى الزلزال بنسبة 21 ٪ من مجموع الزلازل.[4] ومن العوامل الطبيعية التي كان لها ولا زال الدور الأساسي، في التأثير على المستوى المعيشي لسكان المغرب، الطقس : من أمطار وثلوج وصقيع وبرد ... لأن لهذه

---

(1) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 180.

(2) ن، م، س، ص والصفحة.

(3) السلاوي : الإستقصاء، ج1، ص 181/ سرنهك : حقائق الأخبار، ج 1، ص 287.

(4) أبو العينين حسن سيد أحمد : كوكب الأرض، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، ط 6، 1981، ص 257.

السواقط لها مزاياها، فمثلا : بالمطر ونزوله، تعم الفرحة أهل البادية،[1] وقلته ينتج عنه الجفاف والقحط.[2] وفي هذا الجزء من الفصل الرابع نكون قد رسمنا صورة ولو تقريبية عن المجتمع السليماني، ولتكن أكثر اكتمالا ووضوحا في الجانب الثقافي.

ثانيا : الحياة الثقافية :

أ - نشر الإسلام :

الإسلام : هو الدين الذي خص به الخالق تبارك وتعالى، رسوله محمد (ص)، هذا الدين عقيدة وشريعة وأخلاق. وفي السياق يقول ابن جزي الكلبي : «الإسلام فمعناه في اللغة الإنقياد مطلقا. ومعناه في الشريعة الإنقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنطق باللسان والعمل بالجوارح، »[3] وأمر أتباعه بنشر تعاليمه للناس كافة، وعرف نشر الإسلام، في المصادر العربية الإسلامية، بالفتوحات الإسلامية.

دون الخوض في نظرية العوامل المساعدة، لأن هذه النظرية روّج لها وكتب بها الكثير من المستشرقين والمتغرّبين،[4] ولم تحقق الأهداف التي رسمتها. لأن حساباتها ظنية وأن الظن لا يغني من الحق شيئا. وأن الدافع الحقيقي في رأي وصرح به المغيرة[5]، رسول سعد بن أبي وقاص أمام رستم قائد كسرى سنة 15 هـ/ 636 م، غداة معركة

---

(1) أبو بكر المالكي : رياض النفوس، ج 1، ص 128.

(2) ن، م، س، ص 391.

(3) ابو جزي الكبلي : القوانين الفقهية، ص 20.

(4) الأستاذ : محمد أركون يقول : «نجد أن الإسلام يشكل اليوم، كما بالأمس حاجزا يمنع الحوار والتواصل مع أروبا والغرب كله عموما «معنى ذلك في اعتقاده، نعمل على تخطي الإسلام المعوق على تطبيع الحضارات. ونظرية العوامل المساعدة (افتراض جملة من الفرضيات المادية والعمل على وجودها ولولاها ما انتشر الإسلام) وهذه النظرية، إحدى معاول الهدم، أنظر أركون محمد : الفكر الإسلامي، : هاشم صالح م.و.ك. الجزائر، ص 63.

(5) المغيرة : هو المغيرة بن شعبة الجهضمي، (20ق هـ50 هـ) صحابي جليل شارك في معظم غزوات الرسول والفتوح الإسلامية، أسلم عام الخندق، ولاه عمر البصرة، كان من دهاة عصره، أنظر بن الأثير : الكامل، ج 2، ص 322/ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، مج 4 إنتشارات اسناعيليان، تهران، (ب.ت).

القدسية : «فقال رستم : إذا تموتون دونها، فقال المغيرة : يدخل من قتل منا الجنة، ومن قتل منكم يدخل النار، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم.»(6) غاية المسلم الاساسية الشهادة وبها يفوز بالجنة، وعن الدافع الحقيقي للفتح الإسلامي يقول الأستاذ المنجي : «أن الإسلام هو سبب توطيد الإسلام سواء في إفريقيا أو في غيرها، وما عداه كلها أمور ظنية يعلمها بعض دون بعض ويتحسب لها بعض دون بعض ولكنها كلها دون ذلك الدافع القوي المحرك الذي هو الإسلام دون زيادة أو إطناب.»(7) إذا كان هذا هو الدافع الأوحد ماذا قدم علوي المغرب والمغاربة للإسلام ؟.

لم يكن إسلام البربر دفعة واحدة، لكن جاء تدريجيا كأي كائن حي آخر فقد أخذ عقبة بن نافع الفهري مجموعة من المعلمين والفقهاء لنشر الإسلام والشيء ذاته قام به حسان بن النعمان بين البربر، وعندما قفل راجعا موسى بن نصير، ترك سبعة عشر فقيها في المغرب لنفس الغرض وعمر بن عبد العزيز (ض) وبعثته العلمية التي تضم عشرة من فقهاء التابعين(8) لأن الإمام العادل فهم الإسلام وطبقه، وكان يقول : «إن للإسلام حدودا وشرائع وسننا، فمن عمل بها إستكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان.»(9) يظهر أن جهود قادة الفتح الأوائل، قبل آل البيت العلوي، كانت غير كافية لنشر الإسلام، خاصة في المناطق النائية والجبلية وأقصى جنوب المغرب، ويعد إدريس وسليمان وأحفادهما من كبار الفاتحين في المغرب، مع تصحيح العقيدة الإسلامية في المناطق التي كان فيها الإسلام، لأن الصفرية شوهت الكثير من العقائد كما أثبتنا من قبل. وإستغرق نشر الإسلام وتعاليمه ربع القرن من (172 197 هـ/ 788 812 م). ويقول السلاوي : «وكان أكثر أهل هذه البلاد (تامسنا، تادلا) لازالو على دين اليهودية

---

(6) ابن الأثير : الكامل : ج 2، ص 322/ المنجى الكعبي : من أسباب توطيد الإسلام بإفريقية والمغرب، مجلة الثقافة، الجزائر، ع84 سنة 1984 .

(7) المنجي الكعبي : ن، م، س، ص

(8) ابن عذاري : البيان ج 1، ص 48/ البلاذري : كتاب فتوح البلدان، القسم الأول، ص 273

(9) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) : الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، ص 72.

والنصرانية، وإنما الإسلام بها قليل، فأسلم جميعهم على يده.»[1] كما قام سليمان بن عبد الله بأعمال مماثلة لأخيه في المغرب الأوسط وبالخصوص في إقليم مذكرة (مليانة)،[2] وما قام به إدريس بن إدريس ومحمد بن سليمان، من حروب ضد الخوارج الصفرية. بوفاة الإمام إدريس ثم المولاي سليمان إستغل الخوارج الصفرية وغيرهم ظروف المغربين، وإستولى هؤلاء على معظم أراضي الدولة السليمانية.[3] وغيرها من الأعمال الجليلة في نشر الإسلام في ربوع المغرب الأوسط. وفي هذا المسعى يقول الأستاذ سعدون : «فقد ركزوا جهودهم واعتبروا أعمالهم العسكرية الجهاد في سبيل الله فنشروا الإسلام في كافة أرجاء المغرب في مرحلة قصيرة جدا (172 197 هـ/ 788 812 م). إذا قيست بالنسبة لمرحلة الفتح التي إمتدت أكثر من قرن. ولم يبقى لعهدهم مكان لديانة أخرى في المغرب.»[4] وهذا ما يؤكده المستشرق ألفريد بل : «والقرن الثالث الهجري هو الذي تم فيه نهائيا إسلام البربر ومكن لعدد كبير جدا منهم في ضواحي المدن والعواصم الكبرى للإسلام مثل فاس وتلمسان في المغرب.»[5] وما قام به العلويون في المغرب من إنجازات حضارية كنشر الإسلام واللغة العربية وتمدين السكان وتعميم الثقافة... أغضبت الغرب بالأمس واليوم، بمن فيهم العلميون والموضوعيون و... !، فمثلا : السير توماس وأرنولد توينبي يقولان : «ومن الحق ما يقال أن إدريس مؤسس الأسرة الحاكمة في مراكش وهي التي نسبت إليه وحملت إسمه، قد أرغم النصارى واليهود على الدخول في الإسلام سنة 789 م، عندما شرع في تأسيس مملكة لنفسه بحد السيف، على أن هذه الحادثة لم يكن لها نظير في تاريخ الكنيسة الوطنية في إفريقيا الشمالية.[6]

---

(1) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 156/ ابن الخطيب : أعمال الإعلام، القسم الأول، ص 191.

(2) اليعقوبي : البلدان، ص 109.

(3) ابن الخطيب : ن، م، س، ص 198، 201.

(4) سعدون عباس نصر الله : ن، م، س، ص 130.

(5) ألفرد بل : الفرق الإسلامية، ص 102/ حسن إبراهيم انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص 16، 17.

(6) سير توماس، وأرنولد توينبي : الدعوة إلى الإسلام، ص 148، 149/ أرنولد توينبي : تاريخ البشرية، ج 2، ص 110.

نعم فتح وليلي وطنجة وتلمسان بحد السيف إفتراضا ..! ومتى كانت الكنيسة وطنية، الكاتوليكية أم الدوناتية ؟ ... ومملكة لنفسه، هل هي فاس أم تلمسان ؟ وكم كان عدد العلويين ؟

وأختم هذا العنصر، لأقول : أن البربر دخلوا إلى الإسلام عن طواعية وصدق وعن حب لمبادئه وتعاليمه السامية. ووجدوا في السلطة القدوة الحسنة ويحضرني قول البشير الإبراهيمي : «التأثير الإسلامي في الجزائر.شمل معظم الميادين، والسلطة يدعمها طائفة من الفقهاء والعلماء.»[1] وحدة الأغراض بين السلطة والنخبة والشعب أحدثت وثبة حضارية شملت جل الميادين الثقافية.

ب - دور السليمانيين في التعريب :

أدرك سكان المغرب القاعدة المعمول بها، ما يجب الواجب إلا به فهو واجب، لايمكن فهم الإسلام، إلا عن طريق التبحر في اللغة العربية وعلومها، وهضم اللغة يكون بواسطة حب أهلها والإندماج في ثقافتهم والإحتكاك معهم.

ماهو التعريب ؟ وكيف تم في المغرب ؟ ولضبط هذا المصطلح الثقافي أستعين بالاستاذ الدوري إذ يقول : «فالتعريب يعني قبل كل شيء، إتخاذ اللغة العربية أداة للتخاطب، ومصطلحا للحضارة ... وهي يعني رابطة لغوية ومجموعة أذواق وأساليب وعادات فكرية ولا علاقة له بالتكوين البشري.»[2] وهذا ما حدث بحمد الله في المغرب.

فحركة التعريب بدأت في بلاد المغرب مع حسان بن النعمان،[3] حيث دون الدواوين،

(1) الإبراهيمي (محمد البشير) : في قلب المعركة، شركة دار الأمة، الجزائر، 1997 م، ص 60.

(2) الدوري عبد العزيز : التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص 71.

(3) حسان بن النعمان الغساني : امتدت ولايته على إفريقية (7485 هـ) ولاه عبد الملك بن مروان على إفريقية والمغرب، وقال فيه عبد الملك ما اعلم احدا اكفا بإفريقية من حسان بن النعمان الغساني «أنظر، المالكي : رياض النفوس، ج 1، ص 31.

ورسم اللغة العربية فجعلها لغة الدولة، وأوجب تعلمها على السكان.[1] ثم تواصلت هذه الحركة مع موسى بن نصير، الذي وزع الفقهاء على الأمصار ثم بعثة عمر بن عبد العزيز المؤلفة من عشرة فقهاء من التابعين، بدون شك كان دافعهم الأول والأخير نشر الإسلام ولكن عن طريقهم تم التعريب، وهذا ما يفهم من قول عقبة بن نافع[2]، لصحبه أثناء التفكير في بناء مدينة القيروان سنة 50 هـ..» فأرى لكم يا معشر المسلمين، أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًا للإسلام إلى آخر الدهر، » فاتفق الناس على ذلك، وأن يكون أهلها مرابطين.[3] إن عز الإسلام لن يأتي إلا بمعرفة اللغة العربية وعلومها، ومن مهام الرباط الأساسية كذلك تفقيه وتعليم الناس، وهذا كان بلغة الضاد. وأن تعريب الدواوين والإدارة كما أوضحنا مسبقا، إلى جانب دور المؤسسات التعليمية والتثقيفية المنتشرة في أنحاء المغرب والأندلس، وعمل العلويين على نشر اللغة العربية في دولتهم لقراءة القرآن والتفقه في علومه، فكان التعريب نواة النهضة الفكرية والدينية التي عمت المغرب.»[4] وكما تم التعريب عن طريق هجرة القبائل والأفراد العرب إلى المغرب، والدعوة روج لها الكثير، واستخدمت لها جملة من الأحاديث النبوية،[5] بغض النظر عن صحتها، المهم أنها أدت وظيفتها وسودت (كثرت) من الأمة ودارها منها، «ودخل إفريقية من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين الأولين ناس كثير ودخل

---

(1) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس، ص 15 (المقدمة) محقق، عبد الله أنيس الطباع.

(2) هو عقبة بن نافع الفهري القرشي، (1 هـ 61 هـ) لقد عمل عقبة على نشر الإسلام والعربية في المغرب من كبار قادة الفتح وإمام المغرب الإسلامي، ومؤسس حضارة أنظر ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 19/ محمود شيت خطاب قادة الفتح، ج 1، ص 90.

(3) ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 19.

(4) سعدون : دولة الأدارسة، ص 170.

(5) جل كتب الطبقات، استهل أصحابها كتاباتهم بأحاديث نبوية، أنظر، أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص 43 وما بعدها/ ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 5/ التنسي : نظم الدر والعقيان، مقتطف، بوعياد، ص 105، وما بعدها / ابن خلدون يحي : بغية الرواد، ص 84 وما بعدها / بن جزي الكلبي : م، س، ص 8.

الأندلس من التابعين قوم.»[1] أما أبو العرب فيقول : «فندب الناس (عثمان بن عفان) إلى غزو إفريقية، قال فأسرعوا ...»[2] وإليكم قائمة القبائل العربية التي خرجت من المدينة المنورة متوجهة إلى إفريقية، فمثلا : «من بني عدي عبد الله بن عمر ... ومن بني أسد عبد الله بن الزبير ... ومن بني سهم عبد الله بن عمر بن العاص، والبلاذري، يعطي الجند من كل قبيلة مثلا : من مهرة 600 رجلا، ومن الأزد 700 رجلا، ومن جهينة 600 رجلا ... والقائمة طويلة.[3] وكانت نتيجة هذه الوفود كحصيلة أولية على المغرب رفقة الولاة وقادة الفتح بلغت في منتصف القرن الثاني هجري، أن أصبح تعداد سكان تونس، «تعدل القيروان في كثرة العرب والجند الذين كانوا بها.»[4] أما وفود العرب على العلويين فيخصص السلاوي عنوان لذلك، ويسمه بوفود العرب على إدريس بن إدريس رحمه الله، حيث يقول : «وفدت عليه الوفود من البلدان، وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان ...»[5] وهذا التقاطر العربي على العلويين لم يكن يخص فاس ووليلي بل إمتد إلى جل المدن والإمارات العلوية،[6] وممن إلتحق بالمغرب الأوسط آل الحسين بن علي (ض) ومن إنجازاتهم العمرانية، إنشاء إمارة هاز وسوق حمزة،[7] وأبناء محمد بن جعفر الحسني واستقرارهم بسهل متيجة،[8] وإنشائهم للعديد من الإمارات الصغيرة.

أما أشهر مدن الدولة السليمانية التي شهدت هجرة عربية من الشرق والأندلس، تنس ووهران، وعن تنس يقول البكري : «يسكنها (تنس) فريقان من أهل الأندلس»[9]

---

(1) ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 8.

(2) أبو العرب : الطبقات، ص 66.

(3) البلاذري : فتوح البلدان، ص 228.

(4) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، ص 186-187.

(5) السلاوي : ن م س، ج 1/ ص 163.

(6) اليعقوبي : البلدان، ص 108.

(7) ن م س، ص 109.

(8) ن م س، ص 109.

(9) البكري : ن م س، ص 61.

وابن حوقل : «وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون،»[1] يعني تنس.

ولغة المعاملات والوثائق هي اللغة العربية بدون شك بدليل العملة السليمانية،[2] وعن مدينة وهران، يقول البكري : «وبني مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين،»[3] هذا النشاط التجاري والتفاعل الإجتماعي، أدى إلى حركة تعريب حقيقية.[4] وقد ساهم فيها العلويون والوفود العربية والبربر المولدون والعلماء وطلبة العلم بشكل كبير، يتجلى هذا بوضوح في التعليم والعقائد الدينية.

ج - التسامح المذهبي بين المذاهب الفقهية :

لا نعني به الدين لله والوطن للجميع، ولكن نعني به مبدأ الإسلام العظيم «لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي ...»[5] وتفسير الآية الكريمة، يقول السيد قطب : «وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الإعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.»[6] ومن المعروف أن رسول الله (ص) وجد طوائف من أهل الكتاب يهود ومسيحيين وجعل بينه وبينهم عهدا وميثاقا، ولم يلزم أي مخلوق على دخول الإسلام[7] لأن الأصل في الإسلام خطر الحرب وحقن الدماء أي السلام،[8] لماذا كل هذه المقدمة ؟ لأن كثيرا

(1) ابن حوقل : ن، م، س، ص 78.

(2) أنظر الملحق : الدينار السليماني، ص 221، شكل ح

(3) البكري : ن، م، س، ص 70.

(4) اليعقوبي : البلدان، ص 99 وما بعدها، تجد أن معظم المدن التجارية من الإسكندرية إلى طنجة بها عرب من كلامه، «فأما من أراد أن يسلك مصر إلى برقة».

(5) سورة البقرة، الآية 225.

(6) السيد قطب : في ظلال القرآن، ج 1، ص 291، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 11، 1405 هـ/ 1985 م، ص 291.

(7) ابن هشام : مختصر السيرة النبوية، دار النهضة، الجزائر، (ب.ت)، ص 106، 107.

(8) آيات كثيرة وأحاديث نبوية تثير السلام على الحرب منها «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ...» سورة الأنفال، الآية 61، سورة البقرة الآية 208.

ما تقيد علويّ المغرب الأوسط، بتعاليم الإسلام، ودليلنا ما قلناه عن الجاليات المسيحية واليهودية في الدولة السليمانية، وقد عاملوها وفق مبادئ الإسلام. وعرفنا أن النبي (ص) : كان آخر ما تكلم به ... أنه قال : «احفظوني في ذمتي.»[1] شريطة أن يلتزم أهل الذمة باحترام المعاهدات والمواثيق.

لقد كان ذلك هو الأساس الذي تعامل به المسلمون مع غيرهم، وعندما نتساءل إلى أي مدى إلتزم السليمانيون بمبدأ التسامح المذهبي، فنحن نعود إلى المكانة التي كان يوليها الدين الإسلامي للعقل، ولا يمكن لنا أن نفهم حقيقة الإسلام وتسامحه والمذاهب والعقائد الإسلامية، إلا من خلال معرفة مكانة العقل في الإسلام. ما هو العقل ؟ وما قيمته في الإسلام ؟.

العقل هو إدراك الأشياء على حقيقتها بالجملة، ومظهره التمييز بين الخير والشر والحق والباطل والحسن والقبح أو نحو ذلك.[2] أو هو مجموعة العمليات العقلية العليا.[3] لوجود هذه القدرة وغيرها. «إن قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته أهلا للتفكير بالعبادات وتحمل مسؤولية الإختيار والإرادة، وهذا هو ما جعله أهلا لخلافة الله تعالى في الأرض.»[4] في مفهومي المتواضع لا توجد ديانة أو فلسفة عقيدة تحترم العقل وتبجله أكثر من الإسلام، ودليلنا ارجعوا إلى الكتاب والسنة. ماذا تجدوا ؟ نجد الكثير من السمو والإحترام والتقدير والتعظيم للعلم والبحث والمعرفة في الديانة الإسلامية.[5] في هذا الجو الإسلامي نشأت وتطورت المذاهب والعقائد الإسلامية فمذهب السلطة في الدولة الإسلامية كان التشيع، وقد سبق أن أبرزنا ذلك، وأول الدول الشيعية «الدولة الإدريسية التي أسسها إدريس الأول بن عبد الله في المغرب

---

(1) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص 125.

(2) قلعتجي : وقنيبي : معجم لغة الفقهاء، ص 318.

(3) فاخر عاقل : معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1985، ص 95.

(4) محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 2، 1985 م، ص 127.

(5) الشيخ عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة، حياتهم، آراؤهم، ص 22.

الأقصى والاوسط في سنة 172 هـ/ 780 م تلقبوا بلفظ الإمام أي الرئيس الروحي والزمني، »[1] وقد أطلقه الشيعة على المعصومين من آل بيت النبي، وبعض الفرق التي تفرعت منهم أطلقته على زعماء علويين حكموا مناطق من الدولة الإسلامية كالأدارسة في المغرب والزيديين في اليمن.[2] وهذا ما أكده ابن خلدون «ثم أن الشيعة حضوا عليا بإسم الإمام نعتا له بالإمامة التي هي أخت الخلافة ... وكذا الأدارسة بالمغرب كانوا يلقبون إدريس بالإمام وابنه الأصغر كذلك، وهكذا شأنهم.»[3] ومن خلال دراستنا للمصادر التاريخية، وجدنا أن شيعة الدولة الإدريسية والدولة السليمانية والإمارات العلوية، كانوا جد متسامحين مع المخالفين لهم في المذهب لدرجة جعلت بعض المؤرخين يتساءلون عن العلويين، هل هم شيعة أم سنة ؟[4] ويذهب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي إلى أبعد من ذلك حيث يقول : «وكان إدريس يقول نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه، وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل. ولما كان يراه مالك أيضا ويفتي به من خلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وصحة البيعة لمحمد ذو النفس الزكية شقيق إدريس.»[5] هذا التسامح الديني المثالي، جعل الناس يؤمنون بأن المذاهب الإسلامية الكبرى كلها متحدة في الأصول.

من كلام الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، فإن إدريس وسليمان ساهما في نشر المذهب المالكي بطريقة غير مباشرة إلى جانب تلامذة الإمام مالك : كعلي بن زياد[6] وبهلول

---

(1) عبد الوهاب الكيلالي، وآخرون : الموسوعة السياسية، ج 2، ص 706 / إسماعيل العربي : معجم الفرق الإسلامية، ص 243.

(2) سعدون : دولة الأدارسة في المغرب، ص 116.

(3) ابن خلدون : المقدمة، ص 402.

(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، ج 2، ص 593.

(5) عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 186.

(6) هو علي بن زياد التونسي العبسي، المكنى بأبو الحسن المتوفى في 183هـ، تلميذ مالك، وروى الموطأ، وأول من أدخل إلى إفريقية المذهب المالكي وعمل على نشره أنظر، أبو العرب، طبقات، ص 220/ ابن فرحون : الديباج، ص 292/ الشيرازي : طبقات الفقهاء، ص 129.

بن راشد[1] وسحنون[2] وأسد بن الفرات[3] ... إلخ . ولقي المذهب المالكي رواجا كبيرا في عهد العلويين في المغربين الأوسط والأقصى، ومن أمثلة ذلك، يقول اليعقوبي : «حصن بن كرام[4] وليس أهله بشراة ولكنهم جماعية.»[5] أما البكري فيقول : «ومدن بنطيوس [6] وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض وفي كل مدينة جامع فالإثنان من أهل السنة».[7] وعن تلمسان يقول : «وحملة الرأي على مذهب مالك.[8] معنى ذلك أن معظم السكان كانوا على مذهب الإمام.

أما المذهب الحنفي نسبة إلى أبي حنيفة النعمان (80 150 هـ) كما عرف الأحناف باسم العراقيين أو الكوفيين نسبة إلى مكان ظهور المذهب وشيوعه.[9] وانتشر المذهب الحنفي بالمشرق والمغرب على يد تلامذة المذهب والسلطة الأغلبية لأن المذهب الحنفي هو مذهب الخلافة العباسية.

ورغم الخلاف المحتدم بين علويي المغرب وبني العباس ممثلوهم في إفريقية، إلا أن العلويين، لم يحاربوا المذهب الحنفي لأن أبا حنيفة النعمان كان هواه مع العلويين، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول، وفي هذا المجال يقول الشيخ الشرباصي : «عاش

---

(1) هو أبو عمر (128-182) من الطبقة الأولى، كان ثقة مجتهدا ورعا، مستجاب الدعوة، قال فيه مالك : «هذا عابد بلده »أنظر، ابن فرحون : الديباج، ص 166.

(2) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني (160-240 هـ) الامام الفقيه القاضي العدل مؤلف المدونة في المذهب المالكي ناشر علم مالك بعد بن زياد انظر المازري(ابو عبد الله محمد) : المعلم بفوائد مسلم ج1 تحقيق : محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية، تونس، ط 2، (ب.ت)، ص 535.

(3) هو أبو عبد الله اسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم، (145- 213 هـ)، وكان ثقة لم يتهم ببدعة، أنظر، ابن فرحون : الديباج، ص161.

(4) حصن بن كرم : أحد حصون مدينة هاز، ويبعد عنها إلى الغرب بمرحلة، أنظر، اليعقوبي : البلدان، ص 100.

(5) اليعقوبي : البلدان، ص 109.

(6) بنطيوس : ثلاثة مدن قريبة من طلقة بسنطقة الزاب، أي بين الهاز وطلقة، أنظر، البكري : المغرب، ص 72.

(7) البكري: ن، م، س، ص 72.

(8) ن، م، س، ص 77.

(9) عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي، ص 63.

ابو حنيفة في عهد الأمويين وفي عهد العباسيين، ولكن هواه كان مع العلويين.»[1] وكان لزيد بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد (رضو) هذا، مكانة عالية في نفس ابا حنيفة كما كان لأبي حنيفة صلة بجعفر الصادق[2] ومحمد الباقر[3] وغيرهما من العلويين[4]. لهذه العوامل وتسامح العلويين لم يقاموا أتباع هذا المذهب في المغربين الأوسط والأقصى والدليل هجرة أهل إفريقية إلى فاس وتلمسان والجزائر والحدود المشتركة بين الأغالبة والإمارات العلوية الشرقية كثيرا ما توسع السليمانيون على حساب جيرانهم ويقول البكري : «وأهل تهوذا على مذهب أهل العراق.»[5] أما أتباع مذاهب بقية أهل السنة، يظهر أنها كانت غير موجودة وإن وجدت فإن وجودها كان محدودا واقتصر على الحواضر الكبرى، كالقيروان وفاس وتيهرت وتلمسان.

وفي هذا يقول الأستاذ المجدوب : «فأهل المغرب لا يرون إماما جديرا بالمسلمين أتباعه غير مالك وأبو حنيفة[6] وفي إعتقادهم أي المغاربة إن هناك بحران أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب، وأن الشافعي ما هو إلا ساقية، تتلمذ على مالك وخالفه.

أما مذهب داود[7] المتوفى في 270 هـ انحصر وجوده في إفريقية فقط، لتبعيتها السياسية لبغداد وفيه أفراد قلائل على سبيل الإطلاع العلمي، «وقد وجد هذا المذهب

---

(1) أحمد الشرباصي : الأئمة الأربعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ب.ت)، ص 41.

(2) هو الإمام جعفر الصادق (ض) (80–148 هـ) وهو من تابعي أهل المدينة، وكان يلقب بالصابر، والفاضل، والطاهر، وأشهر ألقابه، الصادق، وكان يقول : «أنا ابن الصديق مرتين، «لأن أمه أم فروة وأبوها وأموها للصديق (ض) وقد حدث عنه، مالك ن وأبو حنيفة ... وغيرهم وقبره بالمدينة يزار وهو، وأبوه، وجده، في قبر واحد، مع الحسن بن علي بن أبي طالب (رضو) أنظر، ابن الأثير، : الكامل، ج 5، ص 27.

(3) الإمام أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم المتوفى سنة 118 هـ، ولقب بالباقر لتقصيه سرائر الامور أنظر الشبلنجي : نور الأبصار، ص 386.

(4) أحمد الشرباصي : ن، م، س، ص 41.

(5) البكري : ن، م، س، ص 73.

(6) المجذوب عبدالعزيز : ن، م، س، ص 89.

(7) هو أبو سليمان بن علي الأصفهاني ثم البغدادي (200270 هـ)، جعل مدارك الشرع كلها محصورة في النصوص والإجماع، أنظر، ابن خلدون : المقدمة ص 793.

مجالا للظهور بإفريقية على أيدي أفراد قلائل لم يكن لهم شأن في نظر الناس.»[1] ولحد الآن لا يوجد هناك بوادر للصراع المذهبي.

أما الإعتزال فقد سبق وأن قلنا[2] أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب، في الثلث الأول من القرن الثاني، وأجابه خلق كثير، ونظرا للتقارب الحاصل آنذاك بين زيد بن علي (ض) وواصل بن عطاء وقع شبه تقارب بين الزيدية والمعتزلة، يظهر أن هذا الدفئ في العلاقات، إنتقل إلى المغرب، وفي المغرب لم يوجد ما يعكر هذه الصداقة[3] رغم وجودهم المكثف في أراضي الدولة السليمانية والإدريسية، يذكر ياقوت الحموي : «أن مجمع الواصلية كان قريبا من تيهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا من بيوت كبيوت الاعراب يحملونها.»[4] والشهرستاني المتوفى سنة 548 هـ يقول : «وبالمغرب الآن منهم شرمذة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور، ويقال لهم الواصلية.»[5] والأستاذ سالم عبد العزيز يحدد مناطق تواجدهم في الدولة السليمانية» وكانوا ينتشرون في شمال تيهرت من مستغانم إلى وهران.»[6] بل أبو زكرياء يحيى يذهب إلى حد تحالف الشيعة مع الواصلية ضد الرستميين.» ثم أن الحجاني[7] أخذ في طريقه إلى تيهرت، فلما كان بقرب منها، خرج إليه وجوه أهلها من المخالفين والشيعة والواصلية ... وشكوا إليه الإمارة ووعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين.»[8] والمعتزلة المعروف عنهم مقاومة التيارات

---

(1) المجدوب، ن، م، س، ص 91.

(2) أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة

(3) كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقيدة القرآن، (المأمون والمعتصم) ... إلخ لم تأخذ حجمها في المغرب كالمشرق.

(4) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 2، ص 8، المادة تيهرت.

(5) الشهرستاني، : الملل والنحل، ج 1، ص 40.

(6) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، ج 2، ص 554.

(7) الحجاني : هو أبو عبد الله الشيعي، ناشر دعوة الفاطميين في المغرب، المقتول سنة 298 هـ، أنظر، النعمان إفتتاح الدعوة، ص 145.

(8) أبو زكرياء : كتاب سير الأئمة، ص 112.

العقائدية والفلسفية التي وجهت لإفساد العقيدة الإسلامية.[1] ومن هذا الجانب نكتشف أن العلويين كانوا معدن خلافة ورجال دين يتمتعون بعقول نيرة وأخلاق فاضلة.

أما الخوارج من النحلتين الإباضية والصفرية، فالاباضية كانت لهم دولتهم إلى الجنوب من الدولة السليمانية والإمارات العلوية، وتواجد كل من الشيعة والإباضية في الدولتين، إما كسكان أو جاليات، لأن البلد بلادهم وإن إختفت الأنظمة السياسية والمذاهب الإعتقادية، وعاش الإباضية مع بقية السكان في وئام، ولم تسجل لنا كتب التاريخ صراعات بين الإباضية وغيرهم في الدولة السليمانية، وكان السكان لا يزالون يصفونهم بمذهب الخامسة،[2] والشيء الذي يجب أن نشير إليه، هو لا يعني لم يكن لهم ولاء مذهبيا مع الإباضية في تاهرت ثم غرداية وورجلان وهذا الولاء لم ينقطع يوما واحدا منذ قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط سنة 160 هـ، ومن الأمثلة التاريخية عن هذا التعايش الأخوي بين المذاهب والفرق، مدن بنطيوس التي دللنا بها في الصفحة السابقة، وبني برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم،[3] وبني برزال سكان منطقة الهاز وسعيدة (الهاز) وبني دمر القريبين من حصن ابن كرام كلهم شراة.[4] ما علينا إلا أن نقول أنه بالرغم من الخلفية التاريخية التي لا تساعد على العيش مع العلويين وأحفاده إلى طرد سليمان مؤسس الدولة . إلا أن العلويين كانوا جد متسامحين مع المذاهب والملل والنحل الأخرى.

أما النحلة الصفرية المتطرفة التي حاربها الجميع في المغرب لخروجها على الدين، منها غزوات محمد بن سليمان والإمام إدريس بن إدريس مع الخوارج الصفرية،[5] في

---

(1) علي الشابي وأخرون : المعتزلة بين الفكر والعمل، ش.و.ت. تونس، 1979 م، ص 66.

(2) في الذاكرة المغربية إلى يوم الناس هذا يقولون عنهم (عندهم الخاسة) أي مذهبهم الخامس بعد المذاهب الأربعة المشهورة.

(3) اليعقوبي : ن، م، س، ص 108.

(4) ن، م، س، ص109.

(5) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 170.

سنوات 199 201 هـ. وبعدها معظم صفرية المغرب الأوسط نبذت المذهب الصفري واعتنقت المذهب الإباضي ... ومن الثابت في سنن الحياة، أن الإعتدال أدوم وأبقى من أمثلة ذلك النحلة الإباضية.

أما الشيعة الإمامية، فيرجع تواجدها في بلاد المغرب، إلى سادس الأئمة جعفر الصادق (ض) المتوفى في 148 هـ. بإرساله داعيتين،[1] ويقول أ. لقبال : «صلة المدينة[2]، والمنطقة كلها بأراء أهل البيت وبالتشيع ليست وليدة العصر الفاطمي بل هي أقدم منه بكثير».[3] وإذا كانت المصادر لا تتحدث عن مذهب آل الحسين (رضوان الله عليهم[4]) في الهاز وسوق حمزة، فإنه من غير المستبعد أن يكونوا من الإمامية للسيرورة التاريخية.

أما عن علاقاتهم بجيرانهم «إن السلام وحسن الجوار كانا سائدين بينهم وبين بني برزال وبني دمر الإباضية على ما كان يوجد بينهم من خلاف إجتماعي، ومذهبي، بسبب أن هؤلاء الشراة كانو مثل فروع زناتة بدؤو رعاة.»[5] وإذا كانت الأوضاع قد تغيرت مع مجيئ الفاطميين إلى المغرب وإ نكان العلويون الحسنيون، لم يتصدو بقوة لهم ربما هذا راجع للروابط الموجودة بين الفصيلين.[6] وللصراع الفاطمي الأموي على أرض المغرب ولفتنة أبي يزيد مخلد بن كداد (صاحب الحمار)، وتعصب مكناسة وتقلبها بين المهدية وقرطبة.

ولم يبقى لنا إلا أن نتحدث عن التصوف ورجاله لهذا العهد، و«التصوف رعاية حسن الأداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده مقدما الإهتمام

(1) أنظر، الفصل الأول من هذه الرسالة، ص 38.

(2) يعني نفطة، إحدى مدن إفريقية، وتعبد عن توزر بمرحلة، أنظر، البكري : ن، م، س، ص 48.

(3) لقبال موسى : دور كتامة، ص 220.

(4) لوصية رسول الله (ص) «أذكركم الله في أهل بيتي»، أنظر، ابن تيمية، : العقيدة الواسطية، دحلب، الجزائر، 1994، ص 179.

(5) لقبال موسى : دور كتامة، ص 209.

(6) اكتفى الفاطميون بإخضاع عاصمة الإمامة فاس، وترك أميرها يحي بن إدريس في منصبه، على شرط أن يبقى على ولائه إلى الفاطميين.

بأفعال القلوب مراقبا خفاياها حريصا بذلك على النجاة.»[1] وعند تطرقنا إلى الرابطات أثبتنا ما فيه الكفاية، عن دور هذه المؤسسات خاصة في جانبها الديني والمعرفي، والهيمنة الروحية لعلمائه على الناس، ومن أشهر العلويين في هذا الميدان القاسم بن إدريس بن إدريس الحسني. «وتزهد القاسم بعد هذه الحرب، [2] فبنى مسجدا (رباطا) بساحل البحر قرب أسيلا بموضع يعرف بتاهدارت على ضفة النهر هناك، وأعرض على الدنيا، وأقام يعبد الله إلى أن مات رحمه الله.»[3] وإلى هنا نخلص إلى القول أن العلويين في المغربين الأوسط والأقصى، تميزوا عن غيرهم في المغرب بالتسامح الديني عكس الأغالبة والأمويين في الأندلس والفاطميين فيما بعد ولم يجبروا السكان على مذهبهم، لذا نجد الجميع تعايش معهم من سنة وشيعة إمامية وإباضية وصفرية، ولم يطلبوا من رعاياهم «... إلا المودة في القربى ..»[4] ولهذه السياسة الحكيمة والأخلاق المثالية و... نجد في المغرب الإسلامي إلى اليوم أغلب الأسر الكبيرة تفتخر بنسبها إلى الحسن والحسين (رضو).

د - الإمتزاج العربي البربري :

لقد حث الرسول (ص)، على الإختلاط والتزاوج بين العناصر الإسلامية المختلفة، فقد أثر عنه (ص) أنه قال : «إن الرحم إذا تماست تعاطفت» وقوله (ص) : «من كثر سواد قوم فهو منهم.» و«أنه كان لا يترك المرء مفردا حتى يضمه إلى قبيلة يكون منها.»[5] فقه العلويون من المقاصد الأساسية لبعثة النبي (ص). وباقي الأنبياء، هي دفع المضالم، «وأن من أعظم المقاصد التي قصدت ببعثة الأنبياء عليهم السلام المظالم

---

(1) ابن خلدون : شفاء السائل وتهذيب المسائل، ص 54.

(2) الحرب التي دارت بين أبناء إدريس، بعد سنة 213 هـ أنظر، السلاوي، الإستقصاء، ج 1، ص 173.

(3) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 173.

(4) سورة الشورى، الآية 23 وقد فسرها الزمخشري، «مودة علي وفاطمة وإبناهما»، وقد جاء بسبب النزول، وبجملة من الأحاديث التي تأكد ما ذهب إليه أنظر، الكشاف، ج 3، ص 466، 467.

(5) الشهرستاني : الملل والنحل، ج 3، ص 662 (الحاشية).

من بين الناس، فإن تظالمهم يفسد حالهم، ويضيق عليهم.»[1] وعلموا على ذلك طيلة وجودهم في المغرب، فحدث تقارب وتمازج بين العرب والبربر بدأت معالمه تتجلى منذالقرون الأولى للفتح الإسلامي[2] وأن الصلات زادت توثقا وتماسكا بفضل المصاهرة بين العرب والبربر، في ظل السيدة العلوية، وقد حصل إمتزاج عرقي هام في المدن على الأقل بين العرب والبربر والمولدين[3] وهذا لم يكن مقتصرا على المغرب بل شمل الأندلس أيضا. وقد جرت المصاهرة والتزاوج بين العنصرين العربي والبربري في عصر الولاة، ولكن لم يكن بالكيفية والحجم الذي عليه في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.

وأدرك العلويون كذلك أن الإمام يشترط أن يكون قومه أقوياء يحمونه، وينصرونه ويبذلون دونه الأنفس، [4] وقد أكد ذلك ابن خلدون : «أن الرياسة لاتكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية.»[5] وهذه الأمور تجتمع في القبائل البربرية كأوربة ومكناسة وجراوة وزناتة ... فتقرب كل أمير من قبيلة بربرية، فإدريس بأوروبة وغيرها ... وسليمان بمكناسة ومغراوة، أبو العيش بجراوة ومحمد بن جعفر بمتيجة ... لأن باقي الشروط الأخرى كانت متوفرة كالإسلام والعلم والعدالة والنسب والحسب والشرف.

ويتفرد الأستاذ مرمول محمد صالح، على قدر علمنا بأن يرى أن القبائل التي وقفت إلى جانب العلويين من أدارسة وفاطميين مشكوك في أصلها البربري[6]. ونحن نتساءل

---

(1) الدهلوي (شاه ولي بن عبد الرحمن) : حجة الله البالغة، تحقيق، سكر، مج 2، دار إحياء العلوم، ط 2، 1992 م، ص 402

(2) ألفرد بل / الفرق الإسلامية، ص 220/ بوعزيز يحي : إزدهار الحضارة، مجلة الأصالة، العدد 75/ 76، ص 114.

(3) ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الاندلس، ص 17..

(4) الدهلوي : حجة الله البالغة، ج 2، ص 397.

(5) ابن خلدون : المقدمة، ص 231.

(6) محمد صالح مرمول : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 157.

في هذه الحالة، هل أن مساندة السلطة العلوية والوقوف إلى جانبها يكون مدعاة للشك في أصولها البربرية ؟ وماذا نطلق على القبائل التي وقفت إلى جانب بني أمية، والفرس، والرومان.

إن هذا التقارب العرقي بين البربر والعرب في ظل السيادة العلوية أدى إلى تطور حضاري حقيقي، وضع أسس قيام الحضارة العربية الإسلامية في المغرب، التي ساهمت في تطور المنطقة والإنسانية، والذي تعزز بمرور الزمن.

هـ- المؤسسات التعليمية :

يعلم الجميع أن أول واجب أوجبه الله على المسلم القراءة لقوله تعالى : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.»[1] وشرح الإمام الغزالي قوله تعالى : «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ...»[2] بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم. وناهيك بهذا شرفا فضلا وجلاء ونبلا[3] وقول الرسول (ص) : «العلماء ورثة الأنبياء.»[4] وراثة عامة يستحقها العلماء، ويقول الإمام علي كرم الله وجهه : «العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه.»[5] ويقول فقيه المغرب الإسلامي البهلول بن راشد : «ما أعمال البر كلها عند الجهاد إلا كبصقة في بحر، وما أعمال البر كلها والجهاد، عند طلب العلم

(1) سورة العلق، الآية 1/ أنظر، صبحي عبد الرؤوف عصر : المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، ص 377-381، حول العلم / وقال تعالى : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» سورة الذاريات، الآية 56، وقال ابن عباس : معناه ليعرفون. وأبو نصر الطوسي يقول : سئل رويم عن أول فرض إفترضه الله عزوجل على خلقه ما هو ؟ فقال : المعرفة، لقوله جل ذكره : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» أنظر، ابن خلدون : شفاء السائل وتهذيب المسائل، ص 59 .

(2) سورة آل عمران، الآية 18.

(3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ج 1، تخريج : الحافظ العراقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1975 م، ص 8.

(4) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء، انظر الحافظ العراقي : كتاب العلم، الباب الأول، حاشية، إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ج 1، ج 9.

(5) أبو حامد الغزالي : ن، م، س، ص ج 1/ 13.

إلا كبصقة في بحر.»[1] هذه الحكم الدافعة لطلب العلم والتشبث به، حفزت الأمة بكاملها وبالخصوص آل علي (رضو)[2]، على إنشاء المؤسسات التعليمية.

ومن المؤسسات التعليمية التي تنافست الأمة الإسلامية في المغرب على إنشائها وتعميرها، المسجد، الرباط، الكتاب، الشريعة.

1 – المسجد الجامع : المسجد الأعظم في المدينة الذي تجتمع فيه جميع الأحياء لأداء الجمعات، [3] ويقول أستاذ سعاد ماهر : «فلفظ الجامع فهو وصف للمسجد الكبير، »[4] واهتم المسلمون كثيرا ببناء المسجد أينما حلوا والأمثلة كثيرة إقتداءا بسنة محمد (ص)،[5] عقبة القيروان، [6] ومسجد جامع تلمسان، الذي وضع أساسه موسى بن نصير،[7] وبقيام الدولة الأموية بدمشق على يد معاوية بن أبي سفيان، أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية، فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الإقليم إقامة مسجد يمثل مسجد الدولة الرسمي، بالإضافة إلى أن ذكر إسم الخليفة في خطبة الجمعة في المسجد الجامع يشكل شارة من شارات الخلافة.»[8].

أما العلويون أئمة المغربين الأوسط والأقصى، فمن إنجازاتهم الحضارية بناء العديد من المساجد الجامعة، والمساجد وغيرها ... من المساجد الجامعة ما قام به الإمام إدريس في سنة 173 هـ، «حيث داخل مدينة تلمسان وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرا.»[9] وقد إندثرت معالم هذا الجامع منذ قرون عديدة، إلا أن الحفريات التي

---

(1) أبو العرب : طبقات، ص 129.

(2) أنظر الفصل الأول من هذا البحث، ترجمة المولاى سليمان

(3) قلعتجي وقنيبي : معجم لغة الفقهاء، ص 428.

(4) سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج 1، ص 3.

(5) مسجد قباء، المسجد النبوي، مسجد القبلتين.

(6) إبن عذاري : البيان، ج 1، ص 20

(7) رشيدبوريبة وآخرون : العهد الإسلامي، ص 3.

(8) صالح بن قربة : العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر، مجلة سيرتا، س2، 1400/ 1980 م، ص 45.

(9) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 21/ البوعبدلي المهدي : مراكز الثقافة، مجلة الأصالة، العدد 7، ص 7.

أجريت بمكانه في السنوات الأخيرة قد أثبتت أنه كان يتألف من ثلاث بلاطات[1] وأحدا عشر رواقا وأن محرابه ومنبره كان في الرواق الأوسط من جهة القبلة ... والمأذنة التي لا تزال قائمة هي متأخرة عنه بناءا، يقرب من خمسة قرون لعهد يغمراسن بن زيان (7هـ/ 13 هـ).»[2] واقتفى أثره العلويون في المغربين الأوسط والاقصى وتنافسوا في ذلك أشد المنافسة حتى أضحى لكل مدينة أو قرية مسجدها الجامع، من أمثلة ذلك يقول البكري : «وبمدينة أرشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفي صحنه جب كبير وصومعة[3] متقنة البناء.»[4] وعن ترنانة (مدينة ساحلية إلى الشمال من ندرومة) «وهي مدينة مصورة ولها سوق ومسجد جامع.»[5] وعن تنس يقول : «وبها مسجد جامع.»[6] ... وغيرها.

والمسجد الجامع إلى جانب وظائفه التعبدية، من الصلاة، وقيام، وإعتكاف، كان له دور سياسي كالدعوة إلى الإمام، والجهاد، فضلا عن الدور التثقيفي والتعليمي. «ولما كانت المساجد في المجتمع الإسلامي تؤدي مهمتين : مهمة دينية، ومهمة ثقافية.

(1) ويحمل كل بلاطة منها أربعة صفوف، في الصف الواحد من الناس، مائتان وعشرة رجال، لأن في كل بلاط، أحد وعشرون قوسا، يجلس في كل قوس عشرة رجال، فيكون العدد في كل بلاط ثمانمائة وعشرة رجال، لاشك في ذلك ولا ريب «أنظر، مؤلف مجهول من القرن 8 هـ : الملوك الأدارسة في المغرب الأقصى وفي المغرب الاوسط، تحقيق، إسماعيل العربي، د.و.م.ج الجزائر، ص 306 بعملية حسابية إن مسجد الإمام إدريس في تلمسان، يسع 2.430 مصليا.

(2) شاوش رمضان : باقة السوسان، ص 56.

(3) الصومعة : تطلق على المآذن في المغرب والأندلس بدل من كلمة المئذنة. وسميت بذلك لمشابهتها في بعض طرزها لأبراج الزهاد، المستشرق إدمونت، جعل مقارنة بين الصومعة والمنارة عند المسلمين والمسيحين على أساس أن الصومعة هي تطور للمنارة البيزنطية، أقول له يا سيد ! إن هذا من باب كل شيء عندنا. أنظر ابن قربة صالح : المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، م.و.ك. الجزائر، 1988 م

Edmond ,doute : Les Minarets à la priere, Rovue Africaine n, 43 annee 1898, o.p.u. Alger p. 339.

(4) البكري : ن، م، س، ص 77.

(5) ن، م، س، ص 80.

(6) ن، م، س، ص 61.

إذ تلقى في أروقتها دروس في مختلف العلوم والفنون»[1] وروي أن أبا خليل[2] كان يقول : «للتلاميذ سيروا إلى الحلقة واقصدوها حيثما كانت يا كسالا، فإن رجلا قد سار من الجبل إلى فزان وإلى غدامس، وإلى الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستفيده.»[3] معنى ذلك أن المساجد، كانت تلقى بها دروس على شكل حلقات.

2 – المسجد : هو المكان الذي تقام فيه الصلاة على الدوام، وهو أقل من المسجد الجامع، وعادة يكونه في الأحياء البعيدة عن وسط المدينة وفي المدن الصغيرة والقرى، ولا تجد مدينة أو قرية أو دشرة (تجمع سكاني) يخلو من مسجد أو عدة مساجد من أمثلة ذلك. فمدينة تلمسان : «فهي قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع.»[4] معنى ذلك إلى جانب المسجد الجامع، هناك العديد من المساجد. ونجد البكري يتعجب لأنه وجد مدينة ليس بها مسجدا، حيث يقول : «... وتانافللت (قرب ميلة)، مدينة لكتامة عامرة أهلة ليس بها مسجد.»[5] وهذه المنطقة كانت تابعة للأغالبة في عهد الدولة السليمانية والإمارات العلوية.

ويقول المرحوم الشيخ البوعبدلي : «أول عمل حضاري قام به ادريس هو تأسيسه للمسجد الجامع بتلمسان أقادير القديمة، وهي الآن من أرباض تلمسان، وما زالت بقايا المسجد هناك ثم أسسوا عدة مساجد بأرشقول وتنس وسوق إبراهيم، وحمزة (البويرة)، التي كان حكم الأدارسة ويكفينا دليلا على إهتمام الدولة الإدريسية بالعلم أن جامعة القرويين[6] أنشأت وإزدرت في عهدهم.»[7] هكذا كان غرض بناة المساجد، التعليم وأداء الواجبات الدينية.

---

(1) عبد الله كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 1، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط 2، 1961 م، ص 47.

(2) أبو خليل اليدركلي (توفي في القرن 2 هـ)، شيخ الجماعة النفوسية الأخيار، أحد الخمسة الحملة للعلم، في إعتقاد الإباضية، أنظر الدرجيني : الطبقات، ج 2، ص 299.

(3) الدرجيني : الطبقات، ج2، ص 301.

(4) البكري : ن، م، س، ص 76.

(5) البكري : ن، س، ص 76.

(6) القرويين : جامعة القرويين بفاس، قد تم بناؤها من قبل فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، يوم السبت 1 رمضان 245 هـ كما حفرت البئر الذي في الصحن، وبنت المسجد بالكدان (الحجر) أنظر مؤلف مجهول : الملوك الأدارسة ص 8.

(7) المهدي البوعبدلي / مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، العدد 7 سنة 1972 م، ص 7.

3 - الرباط[1] : هو الملازمة في سبيل الله، ويطلق الرباط على الأمكنة المخصصة في المواقع الحربية، لحماية البلاد من الأعداء، كما تطلق على : «البقاع التي تؤسس للإجتماع المنقطعين لله والمتعبدين الذاكرين، وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه.»[2] والرباط بهذا المفهوم يعود إلى القرن الأول للفتح الإسلامي، فعقبة بن نافع الفهري، كان هدفه من بناء مدينة القيروان، «... وأن يكون أهلها مرابطين، وقالوا : نقرب جيش عقبة من البحر ليتم لنا الجهاد والرباط.»[3] وذكر الجغرافيون المسلمون الكثير من هذه الرباطات في المغرب والمشرق من هؤلاء البكري، ابن حوقل الإدريسي، الحسن الوزاني، العبدري، وغيرهم ... ومن رباطات المغرب الأوسط، رباط شرشال : «وفيها رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير»[4] وفي مدينة أرزيو وبالقرب منها «جبل كبير فيه قلاع ثلاث مسورة رباط يقصد إليه.»[5] ثم رباط مدينة ندرومة، «ولها مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود.»[6]

أما دورها التعليمي فيقول البكري عن المنستير والتي هي من بين أقدم الرباطات في المغرب، «وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية ومراجل الماء، وهو حصن عالي البناء متقن العمل، وفي الطابق الثاني منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهد فيه منفردون

(1) الرباط : عند الاستاذ : حسن إبراهيم حسن، كلمة رباط، والرابطة، كتب يقول : «ويمتاز الرباط بطابعه الحربي بالإضافة إلى وظائفه الدينية من العبادة وتلاوة القرآن، والتفقه في الدين، وهو بذلك لا يختلف عن الرابطة، إلا من حيث كونها تبتدئ حيث تنتهي، فتجعل هدفها الأول العبادة وتحصيل العلم، وتهيء المرابطين فيها بعد ذلك للجهاد»، أنظر انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ص 72.

(2) المهدي البوعبدلي : الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة العدد 13، سنة 1973 م، ص 18.

(3) ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 19.

(4) البكري : ن، م، س، ص 82.

(5) ن، م، س، ص 70.

(6) ن، م، س، ص 80

دون الأهل والعشائر .»[1] هكذا قد جمع الرباط كل ما يحتاج إليه المرابطون من أكل وشرب، وعلم، وتدريب، وجهاد، وعلماء، ...إلخ إنه بحق مجمع إسلامي.

ويقول الشيخ البوعبدلي رحمه الله : «أنشأت معظم الرباطات في بدايتها للعبادة والتعليم، ثم أنها اتخذت عندما دعت الحاجة، بعد شن غارات الأعداء إلى ربط ومراكز حربية، وذلك كرباط يحيى بن إبراهيم اللمتوني[2] الذي كان يعلم فيه، »[3] الذي بنى الرباط لعبد الله بن ياسين الجزولي الذي تخرج على يديه معظم علماء وجند دولة المرابطين الملثمين الأولين.

والرباط غير الزاوية فإذا كان الرباط ارتبط وجوده بالفتح الإسلامي فإن الزاوية لم تظهر بالمغرب إلا في القرن السادس الهجري، ويفهم ذلك من ترجمة أبو زكرياء يحيى، [4] «ثم دخل زاويته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود منه، ... خرج على الناس من زاويته، »[5] المتوفى سنة 611 هـ/ 1275 م . وهذا يدل أن الزاوية كانت موجودة قبل الشيخ أبو زكرياء أو أقل شيء أوجدها هو. وهذا ما يخالف ما ذهب إليه المرحوم البوعبدلي : «فإن الزاوية عرفت في أوائل القرن 8 هـ»[6] وبهذا تكون الزاوية في المغرب الإسلامي متولدة عن الرباط.

---

(1) البكري : ن، م، س، ص 36.

(2) يحي بن إبراهيم اللمتوني : وهوزعيم المرابطين من قبيلة جدالة، وأول ملوكهم. وقد أدى فريضة الحج سنة 440 هـ وفي طريق عودته صحب معه عبد الله بن ياسين الجزولي، أنظر، مؤلف مجهول القرن 8 هـ : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق : سهيل زكار، وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1399 هـ/ 1979 م، ص 19/ مؤلف مجهول : مفاخر البربر، ص 199.

(3) الشيخ المهدي البوعبدلي : الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، العدد 13، ص 25.

(4) هو زكرياء يحي ابن أبي علي المشتهر بالزواوي توفي سنة 611 هـ الحسني من آل الحسن بن علي (رضوان الله عليهم) وكان عالما صالحا عابدا زاهدا، صديق سيدي أبي مدين الصوفي الكبير، أنظر عنوان الدراية : أحمد الغربيني، ص 135.

(5) أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، رابح بونار، ش، و، ن، ت، ج 71، ص 137.

(6) الشيخ المهدي البوعبدلي : ن، م، س، ص 26.

4 - **الكتاب** : مدرسة صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن[1] والكتاتيب من أوائل المؤسسات التعليمية التي ظهرت في المغرب لأنها لا تحتاج إلى إمكانات كبيرة كالمساجد والرباطات، وقد روي غياث بن أبي شبيب[2] قال : «كان سفيان بن وهب[3] صاحب رسول الله (ص) يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب.[4] ويظهر ذلك أن انطلاق الكتاب مع مسجد عقبة بن نافع، أي مع بداية النصف الثاني من القرن الأول هجري. ولا يعقل أن يقتصر الكتاب على مدينة القيروان، دون مدن المغرب الأوسط والأقصى، وأن هناك حادثة أخرى تدل على وجود الكتاب في عهد الدولة السليمانية حيث يقول الدباغ : «إن عبد الله بن غانم الرعيني، قاضي القيروان سنة 171 هـ (787 م) دخل عليه يوما ولد صغير له من الكتاب، فسأله عن صورته، فقال : «حولني المعلم من صورة الحمد ...»[5] ثم أبا عبد الله الصنعاني[6] «فصار أبو عبد الله الداعي حتى وافا منزل الشيخ صاحبه الكتامي، فقصد إلى المسجد ونزل به، وفيه معلم يعلم الصبيان، وعنده أبناء الشيخ صاحبته .»[7] ويقول الأستاذ : حسن الحسني : «وهكذا تسنى لأبناء العرب والبربر على السواء أن يتلقو التعليم الإبتدائي في كل حي من أحياء العاصمة القيروانية، وقلدها في هذا العمل بقية المدائن في سائر أنحاء بلاد المغرب.»[8]

---

(1) قلعتجي وقنيبي : معجم لغة الفقهاء، ص 376.

(2) هو غياث الحبراني، سمع سفيان بن وهب، وروي عنه مبشر بن إسماعيل، أنظر، البخاري : التاريخ الكبير، ج 4/ 109، ط1، 1380.

(3) سفيان بن وهب النضوي، وسفيان بن عمير بن وهب، سلم من بني النضير، دخل إفريقية مرتين 60 هـ 78 هـ أنظر، ابن العسقلاني : الإصابة، ج 2 / 37.

(4) الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق : إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1968 م، ج 1، ص 151

(5) الدباغ : معالم الإيمان ج 1 / 130.

(6) أبو عبد الله الصنعاني : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد، دخل المغرب سنة 279 هـ قتل في سنة 298 هـ قبل المهدي عبيد الله، انظر ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 124.

(7) ابن عذاري : البيان، ج 1، ص 126.

(8) حسن حسني : ورقات على الحضارة العربية بإفريقية، ص 79، 80.

5 – الشريعة : هي مؤسسة صغيرة، لتعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ألا يكون المغربية اشتقوها من كلمة الشريعة. ج شرائع أي الأحكام العملية في الدين[1]. والشريعة لازالت مستخدمة في الجنوب الوهراني إلى اليوم، بذل كتاب أي خيمة مدرسية عند البدو»[2] معنى ذلك الكتاب في الحجر وفي البادية الشريعة، ولهما نفس الوظيفة.

ويقول الاستاذ عبد الحليم عويس : «يبدوا أن ما عرف في بلاد المغرب بإسم «الشريعة» كان يقوم أحيانا مقام الكتاب ... إلى جانب كونه مصلى كبيرا تقام فيه الأعياد وربما صلاة الجمعة، ومن المحتمل أن الشريعة كانت محل تعليم بدوي مقابل «المسجد» الذي كان محل تعليم حضاري.»[3] وعن طريق هذه المؤسسات التعليمية التي تبدو بسيطة للوهلة الأولى تم تخرج الرعيل الأول من الفقهاء والعلماء، «ومع الزمان تدرجت الدراسة من الكتاتيب إلى المساجد والجوامع وحلق الطلبة على الشيوخ من حفاظ القرآن وحفاظه ورواة الحديث وحملة الفقه وما إلى ذلك، فشاعت منذ ذلك الوقت طريقة التعليم على غرار ما كان موجودا بأمصار المشرق العربي ومدائنه.»[4] والعبرة ليست بالمؤسسات الفخمة ولا بالمركبات العصرية، ولكن بالإرادة والعمل ومن أمثلة ذلك ما قام به االازهر، والقرويين، والزيتونة ... من تخريج عمالقة الادب والفكر الإسلامي.

و – العلوم والعلماء :

كما أوضحنا سابقا أن هناك شروط أساسية لإنجاز أي فعل حضاري، وطلب العلم أولي بهذه الشروط من غيره، لأنها ثمرة الحضارة ومنها الآتي :

---

(1) قلعتجي : معجم لغة الفقهاء، ص 262.

(2) ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة : السيد عبد العزيز سالم، مكتبة النهضة مصر، ص 89.

(3) أنظر دولة بني حماد، رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة، بدون تاريخ، دار الشروق، لبنان، ط 1، 1980 م.

(4) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات، ص 80.

1 – الدافع الديني : هناك العشرات من الآيات والأحاديث النبوية تحث المسلم على طلب العلم، وترفع من درجة العلماء، كقوله تعالى : «... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات ...»[1] فالآية تعلمهم : «أن الإيمان الذي يدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر، والعلم الذي يهذب القلب فيتسع ويطيع، يؤديان إلى الرفعة عند الله درجات.»[2] وهذه التعاليم كانت الدافع الأساسي إلى طلب العلم.

2 – محبة البيت العلوي، للعلم والعلماء، ونبغ منهم الكثير كما أوضحنا ذلك في الفصل الأول.

3 – توفر المؤسسات التعليمية: توصلنا قبل هذه الفقرة إلى وفرة المؤسسات العلمية وتنوعها.

4 – حب السكان للعلم والعلماء، والدليل إكرامهم لأهله.[3] وطلب العلم في الأمصار البعيدة، وهذا ما سنبحثه بعد حين، الرحلة العلمية.

5 – الموقع الممتاز للمغرب الأوسط: وبالخصوص الدولة السليمانية والإمارات العلوية، «فالمغرب الأوسط كان بمنزلة الجسر الرئيسي الذي تعبر عليه التيارات الفكرية المختلفة في فروعها والموحدة في أصولها، ولعل إسمه يدل على مكانته، فهو الوسط ولا يمكن لأي تيار ثقافي يمر من المشرق إلى المغرب أو العكس دون أن يترك صداه بالوسط.»[4]

---

(1) سورة المجادلة الآية 11/ سورة الزمر الآية 9 / سورة التوبة الآية 122، إلخ ... من الآيات والأحاديث النبوية، كتاب العلم، من صحيح البخاري، ج 1، من ص 33 _ 62، موفم للنشر، (نسخة طبق الأصل، لدار الفكر، بيروت) الجزائر 1992 م.

(2) السيد قطب : في ظلال القرآن، مج 6، الأجزاء 26_30، دار الشروق، بيروت، لبنان ص 12 35.

(3) وقبيلة كتامة تمتد عمارتها، إلى أرض القل وبونة، وفيهم كرم وبذل الطعام من قصدهم، أو نزل بأحدهم، وهم أكرم الرجال للأضياف. «هذا مع الأضياف، ويكون مدرارا مع العلم والعلماء. أنظر الإدريسي : القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 170.

(4) أبو القاسم درارجة : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مج بحوث، ع 2 / 1994، جامعة ج، ص 168.

6 - الإستقرار السياسي: إن قيام كيانات سياسية، كالدولة السليمانية في المغرب الأوسط، والرستمية في الجنوب، والاغلبية في الشرق والإدريسية في الغرب جعل المنطقة تعيش إستقرار سياسيا إستمر إلى نهاية القرن الثالث الهجري أي لمدة قرن ونصف كانت كافية لتحقيق نهظة علمية حضارية.

7 - الإزدهار الإقتصادي: أثبتنا في فصل الحياة الإقتصادية ثم الإجتماعية أن الدولة السليمانية عرفت تطورا كبيرا في الجانبين نتيجة جملة من العوامل، لم يسبق لها مثيل في تاريخ المغرب الأوسط، إلا في ظل الحضارة العربية الإسلامية، إنطلاقا بالدول الإسلامية التي نشأت في المغرب الأوسط.» إذا فالإنتاج الفكري والإزدهار الحضاري مرتبطان بالإزدهار الإقتصادي وهذا الاخير مرتبط بدوره بالإستقرار السياسي الفعلي الذي لا تبعية فيه، ولا ضغط عليه.»[1]

8 - صناعة الورق وإنتشار الكتابة: إذا كان الفقهاء السبعة ليس لأحدهم كتاب لأن شأن العلم يحفظ،[2] فإن الأوضاع إنقلبت بسرعة في أواخر القرن الثاني هجري، لأن الخليفة هارون الرشيد قد أسس أول مصنع للورق في بغداد، وما هي إلا شهور قلائل حتى وجدالورق بوفرة ورخس الثمن.[3] ثم كل من الورق والكتاب إتجه إلى باقي الحواضر الإسلامية في المغرب، ومن أمثلة ذلك أن الإمام عبد الوهاب.[4] بعث ألف دينار إلى إخوانه بالبصرة لإقتناء الكتب فتم نسخ أربعين حملا من الكتب والتي وصلت إلى تيهرت.[5] لن نناقش الكمية ولكن الثابت أن الكتاب توزع شرقا وغربا وأدى إلى نهضة ثقافية.

---

(1) ن، م، س، ص 167 / ابن عاشور (محمد الفاضل) المحضرات المغرابيات، ص 7، 8.

(2) أبو راس الناصري : فتح الإله ومنته، ص 23.

(3) جب هاملتون : دراسات في حضارة الإسلام، دار الشروق، بيروت، ص 296.

(4) الإمام عبد الوهاب : هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ولايته من (168208 هـ) هناك إختلاف في مدة ولايته إلا أن الثابت تولي الإمامة بعد وفاة والده، أنظر، طبقات الدرجيني، 2/ 4772، أبو زكرياء، سير الأئمة، ص 56.

(5) أبو زكرياء يحي : كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص 65.

هذه الدوافع والعوامل مجتمعة أدت إلى تطور ثقافي في المجتمكع المغربي ومنه سكان المغرب الأوسط، فإذا كان في عهد السليماني قد أعطى ثمراته الأولى في بعض المواد النقلية والعقلية، فإنه في العهود المتتابعة سيكون أعم وأشمل.وأولى هذه الخطوات كما يقال في فرائد الأدب أول الغيث قطرة وأول الشجرة النواة.

1 - **البعثات العلمية** : تتحدث المصادر العربية الإسلامية على بعثات علمية جابت أقطار المغرب الإسلامي تعود إلى القرن الأول هجري. وهذا منذ أن ترك عقبة بن نافع بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام : منهم شاكر(1) صاحب الرباط، وغيره(2)، وهناك إشارة من قبل المالكي إلى إسلام إفريقية كلها ... «وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا»(3) هذا يعني تطبيق معظم قيم ومبادئ الإسلام وحفظ جزء من القرآن الكريم لأداء الصلاة، ثم البعثة العلمية التي تركها موسى بن نصير والمتكونة من»سبعة عشرة رجلا من العرب، يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام.»(4) ومن أشهر هذه البعثات بعثة الخليفة العادل : «أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل إفريقية ...»(5) هذه البعثات وغيرها ساهمت وبدون شك في تعليم سكان المغرب وتثقيفهم، وتقول الأستاذة شلبي هند : «وسرعان ما أتت تلك الجهود أكلها فظهر بإفريقية أمثال عبد الرحمان بن زياد بن أنعم (ت 161 هـ/ 777 م) . وأبي عمران موسى (ت163 هـ/ 779 م) وعبد الله بن فروخ (ت176 هـ/ 792 م) ... وجميع هؤلاء وغيرهم يمثلون الطبقة الأولى من مشائخ القيروان الذين كانت بداية تكوينهم بها وتتلمذ معظمهم على أفراد بعثة عمر بن العزيز .»(6) إذاكانت البعثات العلمية

---

(1) شاكر : هو أحد أفراد جند عقبة بن نافع، ولايته الثانية تركه هناك يعلم السكان الإسلام، وأنشأ رباطا عرف بإسمه، وما زال إلى اليوم، أنظر، عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج 2/ 226.

(2) ابن عذاري : البيان، ج 1 / 42.

(3) المالكي : رياض النفوس، ج 1/ 38.

(4) ابن عذاري : البيان، ج 1 / 42.

(5) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص 84.

(6) شلبي هند : القراءات بإفريقية من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن 5 هجري، رسالة دكتورة، مارس 1981 م، جامعة تونس، الدار العربية الحديثة، لبنان 1983، ص 40.

أسهمت بشكل واضح في تخريج العديد من علماء إفريقية والمغرب، فإن هناك روافد أخرى لا تقل أهمية عن الأولى.

2 - الدعاة : لقد أثبتنا في الفصل الأول بما فيه الكفاية مدى إسهامات الدعاة العلمية في المغرب، وخصوصا سليمان وعيسى وإدريس أبناء عبد الله الكامل (رضوان الله عليهم) في منطقة تلمسان، ويقول الأستاذ المجدوب : «ولئن قام هؤلاء بنشر تعاليم الإسلام حسب ما يتماشى ومبادئهم السياسية والدينية كان لهم الفضل على كل حال في تعريف البربر بالكثير، مما يجهلون ويرغبون في معرفته من شؤون الدين .»[1] وتأثير هؤلاء الدعاة المعلمين كان واضحا في نشر الفرق والمذاهب الإسلامية والعلم والمعرفة.

3 - الرحلة العلمية : عرف عن المغاربة منذ الفتح الإسلامي إلى يوم الناس هذا، أنهم طلاب علم إقتداءا بسنة محمد (ص) وشدو الرحال إلى كل جهة بها علم ينفع به، وأشهر هذه المراكز الإسلامية وأقدمها، مدينة الرسول (ص). حيث يقول ابن خلدون : «وأن مالك رحمة الله تعالى فإختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ... لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهي منتهى سفرهم. والمدينة يومئذ دار العلم.»[2] وإذا كانت البعثات العلمية والدعوية، قد أعطت ثمارها في دفع طلاب المغرب إلى السفر، من أجل إكتساب أول واجب أوجبه الله على عباده، وما صارت «إفريقية دار علم إلا بعد أن خرج من أهلها رجال إلى المشرق في طلب العلم، وقفلوا من المشرق يحملون علم الشريعة، وهم أصحاب مالك بن أنس، منهم علي بن زياد التونسي(ت183 هـ)[3] وهو أول من أدخل الموطأ إلى المغرب، وإبن أشرس[4]،

(1) عبد العزيز المجدوب : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ص 18.

(2) ابن خلدون المقدمة : ص 805/ بن حميدة (وسيلة بلعيد) : الرحلة في طلب العلم، مج سيرتا ع 3، س 2، 1980، ص 84.

(3) علي بن زياد التونسي العبسي (ت 183 هـ) سمع من مالك الموطأ وتفقه عليه وله كتب على مذهب مالك، منها، خير من زلته، أنظر، أبو إسحاق الشيرازي (ت 476 هـ) : طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ط 2، 1981، ص 152.

(4) أبو شرس : هو عبد الرحيم بن أشرس التونسي كنيته أبو مسعود، وهو أنصاري من العرب، يعد من شيوخ المغرب، أنظر، ن، م، س، ص 152

والبهلول بن راشد القيرواني[1]، وعبدالله بن غانم القيرواني[2]، من كبار أصحاب مالك بن أنس، فجاؤوا بعلم الحديث والفقه وعلم العربية.»[3] ثم توالت الرحلات إلى معظم الحواضر الإسلامية مشرقا ثم مغربا إلى أن نهضت تيهرت وتلمسان وبجاية ...

هذه الروافد الأساسية العلمية أعطت ثمارها الأولى في تخريج عدد من العلماء السليمانيين، وإذاكانت المصادر العربية الإسلامية مرة أخرى تكون معنا بخيلة. لا يعقل أن تتشرف قرطبة، وغرناطة وفاس، والقيروان وتيهرت ... الفترة المبكرة بعدد لا بأس به من العلماء، وأن تتخلف عن الركب تلمسان وتنس والهاز.

ز - العلـوم النقليـة :

أي العلوم الدينية من قرآن وتفسير وحديث وفقه ... إلخ. وهذه العلوم إهتم بها سكان المغرب الإسلامي إهتماما كبيرا. والانهضة الثقافية في المغرب كانت في بدايتها دينية. وإزدهرت إيما إزدهار، «واعلم أن الكتاتيب أعتبرت من أول إنتصار العرب بإفريقية كملحقات للمساجد وتوابع لها فما من حارة أو درب مندروب المدائن التونسية، إلا وكان بها عدد من الكتاتيب، بل إنها وجدت أيضا بوفرة في دور الأعيان والأغنياء، وبالأحرى في قصور الأمراء والوزراء»[4]. وهذا المجهود العلمي المغاربي الإسلامي لم يكن مقتصرا على تونس، بل عرفته باقي أقطار المغرب. خاصة الإمكانات المادية والبشرية متوفرة بما فيه الكفاية وزيادة.

1 - القـرآن الكـريـم : دخل القرآن مع دخول الفاتحين، وكل مسلم دخل المغرب إلا ويحمل شيء من القرآن للصلاة والتبرك والعبادة، وأقبل سكان المغرب على تلاوته، وبمرور الزمن، تخصص فيه أناس، حفظا، وتلاوة، وتفسيرا ... إلخ . والقراءات

---

(1) البهلول بن راشد القيرواني : تم التعريف به في هذا الفصل.

(2) عبد الله بن غانم القاضي (ت 180 هـ) : سمع بن مالك وهو من أقرب ابن أبي حزم ونظرائه. ولاه الرشيد قضاء إفريقية، أنظر، ن، م، س، ص 151.

(3) ابن عاشور محمد الطاهر : أليس الصبح بقريب، ش، ن، ت، ط 2، تونس 1967، ص 66.

(4) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات، ص 94، 95.

1 - الدولة في الإسلام : هي الرحمة المهداة إلى عيال الله «وهي دولة أخلاقية لها دستورها المكتوب (القرآن) الدائم الخالد، ولها حدودها، كل بلاد المسلمين، ولها جيشها، من كل موطن قادر على حمل السلاح، ولها سياستها الخارجية المرسومة القائمة على السلام»[1] هذاما يجب أن يكون أما ما كان موجودا فهو بدون شك لم يرق إلى هذا المستوى عملا بالقاعدة الإسلامية لقوله تعالى : «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»[2] التي بنيت عليها التشريعات الإسلامية.

2 - دين ودولة : لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن نفصل بين الإسلام والدولة. لأن الإثنين مرتبطان ارتبا وثيقا بحيث لايمكن فصل أحدهما عنالآخر مثل الرأس بالجسد «والحاكم المسلم بأي اسم يسمى تجمع في أن واحد سلطي الدنيا والدين»[3] وهذا ما قام به االسليمانيون في المغرب الأوسط، والأدارسة في المغرب الأقصى فمثلا : الإمام إدريس الثاني (ض)، لمّا فرغ من بناء مدينة فاس سنة 193 هـ رفع يده بعد أن انتهى من خطبة الجمعة قائلا : «اللهم أنك تعلم أني ما أردت بناء هذه المدينة مباهاة و لا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت بنائها أن تعبد بها ويتلاها كتابك وتقام من بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك(ص) ما أبقيت الدّنيا ...»[4] قد أثبتنا ذلك في الحياة السياسية الحضارية من هذه الدراسة.

3 - الأخوة الدينية : إن التنظيم الإجتماعي في الدولة الإسلامية، المفروض أن يقوم على الأخوة الدينية، وبوحدة الهدف الذي من أجله وحد المجتمع الإسلامي، العبادة بمفهومها الشامل، وهذا يستلزم نشر البإسلام، وهذا ما حققه العلويون في المغربين الأوسط والأقصى.راجع ما قلناه في الفصل الرابع عن نشر الأسلام، والتسامح الديني في المجتمع السليماني.

---

(1) الإمام الأكبر، محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 8، 1402/ 1982، ص 553.

(2) سورة البقرة، الآية 285.

(3) صبحي الصالح : النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، ص 255.

(4) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 49.

4 - الشورى : توجد أكثر من قاعدة إسلامية، تحث على الشورى من أي القرآن الكريم[1] والأحاديث النبوية[2] ومن فعل السلف الصالح، ويقول الإمام الأكبر محمد شلتوت : «أساس الحكم وكل حكم لا يقوم على الشورى لا يكون شرعيا.[3] وهذه النظرية الإسلامية عمل بها السليمانيون، من خلال تشكيلهم مجلس أهل الحل والعقد (مجلس الأشياخ)، وكان هذا المجلس يتكون من رؤساء القبائل، والعلماء، والتجار، وكبار العسكريين،... وهذا ما قلناه في الفصل الثاني، الحية السياسية والحضارية.

5 - أهداف الحكم : إذا كانت ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها»[4] فإن من بين الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها الحكام، نشر الإسلام في الداخل والخارج، وإسعاد المحكومين في الدارين.

جل النصوص التي دللنا بها في الفصول السابقة، وحتى في هذا الفصل، تعطينا صورة واضحة على أن الحكامالسليمانيين قد تمكنوا من نشر الإسلام في المغرب، وقد صنف كلا من الإمام إدريس، والمولاي سليمان من بين القادة الفاتحين الكبار . وسعادة الدارين قد تجلت في المظهرين الإجتماعي والديني (الرفاهية، والتمسك بتعالم الإسلام).

هذه أهم القواعد الأساسية أوالاصول التي قامت عليها السياسة الداخلية للدولة السليمانية والإمارات العلويةفي جل فترات حكمها للمغرب الأوسط. وبما أن السياسة الداخلية هي مرآة صادقة للسياسة الخارجية لأية دولة ما وعلى هذا يكون تساؤلنا، ماهي السياسة الخارجية المنتهجة من لدن الحكام العلويين، أثناء قيادتهم للمغرب الأوسط ؟

---

(1) يقول الحق تبارك وتعالى «وشاورهم في الأمر »، «وأمرهم شورى بينهم »، «لست عليهم بمسيطر» على التوالي : سورة آل عمران، الآية 153، سورة الشورى : الآية 38، سورة الغاشية، الآية 22.

(2) من أدلة ذلك من أعمال الرسول يترك الحباب بن المنذر، يغير الخطة الحربية في بدر، أنظر إبن الكثير : السيرة النبيوة، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 1982، ج2/ 402/ وسعد بن معاذ يمحي ما في المعاهدة من كتابة بين الرسول وأهل الطائف وسر بذلك الرسول، أنظر، ن، م، س، ج3، ص 202.

(3) إ. محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام، ص 569.

(4) شيخ الإسلام تقي الدين بن تيميه : السياسةالشرعية في إصلاح الراعي والرعية، قصر المتاب، البليدة، الجزائر، ص 153

السياسة الخارجية : لقد إنتهيت من تعارف السياسة، والسياسة الخارجية. وعلاقتها بالسياسة الداخلية، السؤال الذي يطرح نفسه، ما هي القواعد العامة التي اعتمدها السليمانيون في سياستهم الخارجية ؟

هي المبادئ العامة التي حددها الدين الإسلامي لدولته، وهذا في إطار وضعية الدولة السليمانية والإمارات العلوية، إن كل جيرانها، دول إسلامية مع الإختلاف في المذاهب الفقهية والتوجه السياسي، باستثناء غرب إفريقيا ودول برغواطة. ولتكن كالآتي :

الأصل الأول السلام : هو السلم، وضده الحرب، ومن الآيات القرآنية التي تقر بهذا المبدأ الإسلامي، قوله تعالى : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله لإنه هو السميع العليم.»[1] وقوله : «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين.»[2] وقوله : «فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا»[3] ومن الأحاديث النبوية : «أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، سلوا الله العافية»[4]. وهذا المبدأ طبق إلى أبعد الحدود في علاقات الدولة السليمانية، وحتى مع الدول غير الإسلامية. وهذا ما سنتعرض له بالتفاصيل في علاقاتها مع جيرانها كل على حدة.

الأصل الثاني حظر الحرب وحقن الدماء : إذا كانت الحرب هي القتال والمدافعة بالسلاح، فإن الإسلام منعها، وهذا حبسا للدماء حتى لا تصير مسفوحة. لأن السفح يؤدي إلى إزهاق الأرواح التي حرمها الله. وأصلها في القرآن الكريم قوله تعالى : «وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ .»[5] وقول الرسول (ص) : «تألفوا الناس، وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر إلا أن

---

(1) سورة الأنفال، الآية 61.

(2) سورة البقرة، الآيةة 208.

(3) سورة النساء، الآية 90.

(4) رواه أبي داود في سننه كتاب الجهاد، رقم الحديث 2261

(5) سورة الحجر، الآية 85

تأتوني بهم مسلمين أحب إلى الله من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم»[1] بهذه النصوص وغيرها، قال الإمام أحمد : «إن الأصل في الدماء الحظر إلا بيقين الإباحة»[2]، والحرب إستثناء في ملة الإسلام، والغرض منها رد الإعتداء ودفعا للشر، وهذا ما سنوضحه في سياسة الدولة السليمانية الخارجية.

الأصل الثالث إحترام المعاهدات والمواثيق : يعتبر كل فرد أو مجموعة من الأفراد أو الدول التي أبرمت مع الدولة الإسلامية، عقدا من أهل الذمة، ويصبح من أهل العهد : «من ارتبطوا بالدولة الإسلامية بمعاهدة، ومنهم أهل الذمة»[3]، وهي أصل عام مشروع في الإسلام يعطيه المسلمون لغيرهم، ومنه الأمان، وصيغته : «أجرتك، وأمنتك»[4] أما جواز عقد الذمة والهدنة لا تكون إلا من الإمام أو نائبه[5] ولها شروطها وأركانها، وهذا ما سنتطرق إليه في وقته.

وأصلها في القرآن الكريم، قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعهود.»[6]، وقوله : «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا.»[7]... إلخ من الآيات القرآنية، وهذا ثابت في سيرة الرسول (ص).

1 - دار الإسلام : أو دار العدل، وهي الأرض الخاضعة للأمة الإسلامية، كالدولة الإسلامية في المشرق بقيادة الدولة العباسية، أو بلاد الأندلس، أو بلدان المغرب الإسلامي، وتقام فيها أركان الإسلام، ومن الواجب «تحصين ثغورها بالعدة المانعة

---

(1) السرخسي (محمد بن أحمد بن سهل) : شرح السير الكبير، 4 أجزاء، 1335 هـ ج1، ص 59/ صبحي : النظم الإسلامية، ص 514.

(2) صبحي الصالح : النظم الإسلامية، ص 514، 515.

(3) محمود رواس : قلعنجي، قنيي : معجم لغة الفقهاء، ص 323.

(4) ابن قدامى (موفق الدين) : معجم الفقه الحنبلي مستخلص من المغنى، ج1، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1393 هـ/ 1973م، ص 97.

(5) ن، م، س، ص 101.

(6) سورة المائدة، الآية 1.

(7) سورة الإسراء، الآية 34.

والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بثغرة ينتهكون فيها محرما أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهدة دما»[1]، موقع الدولة السليمانية المتميز جعلها أن تتوسط البلدان الإسلامية، أي دار الإسلام، وقد قلنا أن الحدود كانت مائعة غير مستقرة، والمسلم أين ذهب فهو في داره.

2 - دار الحرب : هي غير دار الإسلام أي كل دار لا تسود فيها أحكام الإسلام تعتبر بلدا أجنبيا، أي من غير بلاد المشرق والمغرب آنداك، وحكامها كانوا من أهل الذمة أو المجوس. ويدعى رعاياها حربين»[2]، ويدفع تجارهم العشر إذا إجتازو الحدود الإسلامية .[3] ومتى إنطبقت عليهم من كانت لهم علاقات مع الدولة السليمانية، برغواطة، بلاد السودان.

وممكن أن تتحول دار الحرب إلى دار عهد أو العكس. ودار العهد : تدعى دار الحرب دار عهد بمجرد أن تعقد مع المسلمين ميثاقا. وهذه المواثيق لها شروطها وأركانها كما أوضحنا سلفا.

وهذا مقابل خراج يؤدونه إلى المسلمين : «ويراد بدار العهد البلاد التي لم يظهر عليها المسلمون، وعقد أهلها الصلح مع المسلمين على خراج يؤدونه عن أرضهم»[4] ومن أمثلة ذلك مع بلاد النبوة عندما تغلب عليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 31 هـ، وعقد معهم صلحا «[5] (أشبه بمعاهدة إقتصادية).

---

(1) الماوردي (علي بن محمد) : الأحكام السلطانية، ص 14

(2) ابن قدامى (موفق الدين) : معجمالفقه الحنبلي، ج 1، ص 278.

(3) ن، م، س، و الصفحة . ويقول أبو يوسف (القاضي -يعقوب بن إبراهيم) : «ومن أهل الحرب العشر من كل ما مر به على العاشر، وكان للتجارة وبلغ قيمة ذلك مائتي درهم فصاعدا أخذ العشر، وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيئ» أنظر كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان. (ب.ت). ص 132، 133.

(4) صبحي الصالح : ن، م، س، ص 521522.

(5) المقريزي(تقي الدين أحمد) : الخطط ج1/ 20

بعد هذا الذي قلناه عن السياسة والسياسة الداخلية والقواعد العامة التي تقوم عليها، ما علاقة الدولة السليمانية والإمارات العلوية بالخلافة الإسلامية في بغداد وبباقي الدول الإسلامية في المغرب الإسلامي ؟ وللإجابة على هذا السؤال الأساسي يجدر بنا، أن نأخذ كل بلد على إنفراد. لأن سياسة الدولة لم تكن موحدة بالنسبة للجميع مبتدئين بالأقرب فالأقرب، مراعين عامل الزمان والمكان.

العلاقة السياسية السليمانية الإدريسية :

على ضوء علاقة السليمانيين والإمارات العلوية التابعة لتلمسان بالأدارسة، يمكن أن تتضح جل العلاقات السياسية الأخرى.

وإذا كانت رغبة الإمام إدريس والمولاي سليمان إسترجاع الخلافة الإسلامية من يد العباسيين، وهذا ما أدركه هارون الرشيد وحاشيته. فإن الظروف كانت أقوى من الجميع، ولم تخدم أبناء علي (رضو) مرة أخرى. حيث تم إغتيال الإمامين إدريس الأكبر وإدريس الأصغر، ومع مجيء الأبناء والأحفاد تخلوا عن المشروع، واكتفوا بالمغرب وبجزء منه، ومع تطبيق نظام اللامركزية تخلوا حتى عن الدولة القطرية الواحدة القوية، حيث ظهرت دولة جديدة، وهي الدولة السليمانية كدولة حاجزة مستقلة، وهذا في المغرب الأوسط.

ومن الأدلة التاريخية عند قدماء المؤرخين، فلايعقوبي يقول : «يتغلب على هذا البلد ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عم)، كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم، وينسب إليهم.»[1] ومن الإشارات الدالة على إستقلالهم عن غيرهم، يتغلب عن هذا البلد، البلد يعرف بهم أي السليمانيون، وأرض السليمانيين، ثم يؤكدكلامه مرة أخرى ويقول : «ثم بعد مملكة بني محمد بن سليمان مملكة رجل يقال له صالح بن سعيد، يدعى أنه من حمير، وأهل البلد يزعمون أنه من أهل البلد نغزي، واسم المدينة العظمى

---

(1) اليعقوبي(أحمد بن ابي يعقوب بن واضح) : البلدان ص، 109.

التي ينزلها نكور (كذا) وهي على البحر المالح»[1]، وفعلا أن حدود الدولة السليمانية خاصة إمارة جراوة كانت حدودها الغربية مع نكور إلى جانب الدولة الإدريسية، وعند دخوله إلى الدولة الإدريسية يقول: «ثم يصير منها إلى مملكة بن إدريس ... وأول حد مملكتهم بلد يقال له عميرة[2]»[3] معنى ذلك أن حدود الدولة الإدريسية تنطلق منها، وهذه النصوص التي ذكرها اليعقوبي تدل دلالة واضحة على استقلال الدولة السليمانية والإمارات العلوية عن الدولة الإدريسية، وعندما يصل اليعقوبي إلى حدود الإمارات العلوية الشرقية يقول: «ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب، ولم يتجاوزها.»[4]، وبهذا يكون قد رسم الحدود الشرقية والغربية للدولة السليمانية والإمارات العلوية.

أما البكري فيؤكد دخول سليمان بن عبد الله إلى المغرب الأوسط، ونزوله في تلمسان.[5] ثم يذكر وفاة الإمام إدريس سنة 213 هـ وكيف انتقلت الإمامة إلى محمد بن عبد الله بن إدريس: «وفرق البلاد على إخوته برأي جدته أم إدريس»[6]. وهذا التقسيم لم يشمل المغرب الأوسط، مما يدل أنه لم يكن تابعا لهم فعليا بل كان تابعا لسليمان بن عبد الله (رضو).

أما ابن خلدون عندما يتحدث عن إشراك محمد بن إدريس لأخوته في السلطة، يقول عن المغرب الأوسط: «وبقيت تلمسان لولد سليمان بن عبد الله»[7]، أي يفعلون بها ما

(1) ن، م، س، ص112.

(2) غميرة: هي غمارة، وبلاد غمارة تجاور بلاد نكور، وغمارة غير بعيدة عن سبتة وغمارة قبيلة بربرية سكنت المنطقة فتم بناء مدينة بمضاربها، عرفت باسمها. أنظر، البكري: ن، م، س، ص 100/ الإدريسي: ن، م، س، ص 252.

(3) ن، م، س، ص 112، 113.

(4) اليعقوبي: ن، م، س، ص 108.

(5) البكري: المغرب، ص 124

(6) ن، م، س، ص 124 .

(7) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج 6، ص 28.

يشاؤون، وفي نص آخر يقول : «ولحق (سليمان) بتلمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هناك، وملكها إبنه محمد بن سليمان على سننه، ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط، واقتسموا ممالكه ونواحيه ...»[1]، هذا دليل آخر على استقلال المغرب الأوسط، عن الدولة الإدريسية. أما ابن حزم الأندلسي الذي أفادنا في التعريف بأحفاد سليمان وعلوي المغرب الأوسط، وأماكن تمركزهم، فإنه لم يتطرق إلى مختلف العلاقات التي تربطهم بالأدارسة إلا أنه يمكن أن نستنتج من النص الآتي أنهم كانوا مستقلين عنهم : «وهم بالمغرب كثير جدا، وكانت لهم بها ممالك عدة، قد بطل جميعها، ولم يبق منهم بها رئيس وصلا.»[2] أما ابن عذاري المراكشي فيؤكد وصول سليمان بن عبد الله إلى المغرب الأوسط فيقول : «وأما إدريس، ففر إلى المغرب، ودخل إليه في أيامه من الطالبين أخوه سليمان، فاحتل تلمسان»[3]، فاحتل يعني بها ملك والدليل لما ذكر إدريس : «واحتل إدريس بن عبد الله بالمغرب»[4]. أما لما ذكر داود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد بن جعفر بن أبي طالب، قال : «داود بن القاسم، ثم رجع داود إلى المشرق»[5] ولم يسبقها بكلمة احتل.

أما التنسي المتوفى سنة 899 هـ، فكان جد واضحا في قضية استقلال السليمانيين عن الأدارسة، فيقول : «دولة السليمانيين في المغرب الأوسط»[6] ثم كان فيه إجماع على شخصه من قبل سكان المغرب الأوسط : «فجاء تلمسان، فبايعه من بها من قبائل زناتة، وتملكها مدة طويلة.»[7] وعند ذكره محمد بن سليمان يقول : «ففرق محمد بنيه على

(1) ن، م، س، ص 34.

(2) ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، ص 48.

(3) ابن عذاري : البيان ج 1، ص 210.

(4) ن، م، س، ص 210.

(5) ن، م، س، والصفحة.

(6) التونسي (أبو عبد الله) : تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدور والعقبان، ص 65.

(7) ن، م، س، والصفحة. وهذا النص شبيه إلى حد كبير إلى نص ابن خلدون المذكور قبل.

أعماله ... واختص هو وأعقابه بدار الملكالتي هي تلمسان.»[1] لوكان محمد بن سليمان في تبعية إلأى إبن عمه إدريس، لما فرق البلد على أبنائه دون أخذ الموافقة من الإمام محمد بن إدريس.

وهناك دليل مادي يدل بكل وضوح عن الإستقلال التام، عن الدولة الإدريسية هو ضرب السكة بغمارة سوق إبراهيم التابعة لإمارة تنس، ولا نجد أدنى إشارة تدل على تبعية المغرب الأوسط، إلى المغرب الأقصى. ومماجاء فيها، ما يأتي، الوجه الأول: «لا إله إلا الله وحدة لا شريك له. الكتابة الدائرية: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله. الوجه الآخر: محمد رسول الله – أحمد بن عيسى.»[2] سنة 287 هـ[3].

والمؤرخون المحدثون معظمهم يؤكدون هذا الإستقلال عن الدولة الإدريسية منهم، أ. دبوز الذي يقول: «أن بني رستم تنازلوا عن هذه البلاد (المغرب الأوسط) مختارين لآل سليمان العلويين»[4]، وهذا الرأي يخالف الصواب من حيث التنازل، أما الوجود السليماني بالمنطقة فكان حقيقة واقعية.

والاستاذ موسى لقبال، المختص في تاريخ الفاطميين في المغرب، يقر بهذا الإستقلال، «ويلاحظ في البدء أن مجد العلويين من آل الحسن بن علي، تدل عليه في بيئة المغرب الأوسط منذ القرن الثاني للهجرة (8 م) مجموعة من الحصون، والقرى والمدن تنتسب إما إلى بني محمد أو بني سليمان، أو إلى أبناء إدريس ...»[5] والمؤرخ الجزائري الميلي يقول: «هكذا إنتهى أمر بني سليمان من الجزائر وسقطت معهم الجزائر العلوية بعد نصف قرن

---

(1) ن، م، س، ص 66.

(2) La voix, M.H : catalogue des minnaies musulmanes de la B.N ESet Afrique p.397

(3) أ. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 545.

(4) أ. دبوز (محمد علي) المغرب الكبير، ج 3، ص 336.

(5) موسى لقبال: زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، س 4، ع 26، ص 92، 93/ ولقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص 209، / انظر، ن، م، س الملحق الخريطة رقم 4، المغرب الأوسط لم يلحقه بدولة الأدارسة ص 689.

من سقوط فاس.»[1] أي سلطة بني سليمان في المغرب الأوسط إستمرت إلى ما بعد دولة الأدارسة. مما يدل على إستقلاق الأولى عن الثانية، والبقية أمثال الأساتذة : إسماعيل العربي،[2] عبد الرحمن الجيلالي،[3] محمد الطمار[4] كلهم ... يؤكدون ما قلناه سابقا.

وبهذا نكون قد أثبتنا بما فيه الكفاية عن إستقلال الدولة السليمانية والإمارات العلوية عن الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى. والآن بقي تحديد طبيعة العلاقة السياسية التي ربطت بين الدولتين.

ما هي العلاقة السياسية بين الدولة السليمانية والدولة الإدريسية ؟ هناك أكثر من علاقة ربطت الدولة السليمانية والإمارات العلوية، بالدولة الإدريسية ومختلف العلاقات الأخرى كالعسكرية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية قد تكلمنا عنها في جل الفصول السابقة. وسوف نقصر حديثنا على العلاقة المذهبية، والعلاقة السياسية لما لهما من أهمية في الفكر الشيعي الزيدي.

أ - العلاقة المذهبية : والمذهبية نسبة إلى المذهب، من ذهب، ومن المجاز والكناية يقال : «وفلان يذهب إلى قول أبي حنيفة أي يأخذ به.»[5]، والمذهب هو الطريقة والمعتقد والمذهبية الدعوة إلى المذهب والتعريف الإصلاحي له : «طريقة معينة في إستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، والإختلاف في طريقة الإستنباط يكون المذاهب الفقهية. أما الإختلاف في العقائد إختلافا الذي لا يخرج عن الإسلام فيكون الفرق. وإن كان يخرج عن الإسلام فيكون الأديان.»[6] وعلوي المغرب الأوسط

(1) الميلي (مبارك بن محمد) : ن، م، س، ص 488.

(2) إسماعيل العربي : دولة الأدارسة، ص 136.

(3) الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر العام، ج1، ص 189.

(4) الطمار (محمد) : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 95.

(5) الزمخشري : أسس البلاغة، المادة ذهب، ص 146.

(6) قلعتجي، قنيبي : معجم لغة الفقهاء، ص 419.

والأقصى ولهذا العهد زيدية .[1] والزيدية سبق التعريف بها، وكيف إنتقلت إلى بلاد المغرب، وهذا في الفصل الأول من هذه الرسالة.

والإمام نصبه «أنه واجب على الله»[2] عندهم، وأن تعيين الإمام : «تبين أن نصب الإمام واجب لدفع الضرر، ودفع الضرر عن نفس الخلق واجب»[3] وإبن خلدون يقول : «أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض على نظر الأمة ويتعين القائن بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر.»[4] مع وجود بعض الاختلافات بين طوائف الشيعة، فاخص الزيدية، والإمامة عندهم : «أنها إختيار أهل الحل والعقد لا بالنص.»[5] وقالوا بإمامة علي بن أبي طالب (ض) ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي زين العابدين ثم إبنه زيد بن علي (رضو) وهو صاحب هذا المذهب، ثن غبنه يحي، ثم اوصى على محمد بن علد الله، المدعوا دو النفس الزكية، وهناك إختلاف بين الزبدية في إنتقال الإمامة بعد يحي بن زيد، البعض أبقاها في البيت الحسيني والبعض اللآخر نقلها إلأى البيت الحسنى، وهذا الفريق هو الذي يقول : «إن الإمام بعدمحمد بن عبد الله اخوه إدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك، وقام بأمره إبنه إدريس[6]

---

(1) البكري : المغرب، ص 120/ الأعظمي (محمد الحسن) : عبقرية الفاطميين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (ب.ت)، ص 09

(2) الرازي (فخر الذين محمد بن عمر بن الحسين) ت 606 : المسائل الخمسون في أصول الدين، تحقيق : أحمد حجازي السقا، دار الجيل، و المكتب الثقافي القاهرة، ط2، 1410، 1990م، ص70.

(3) الرازي(فخر الدين) : ن، م، س، ص71.

(4) إبن خلدون : المقدمة، ص348

(5) ن، م، س، ص 354.

(6) ادريس : هوالإمام الأول للأدارسة بدليل «وأخصته(الشيئاخ) الإمام الإمام إدريس وخلا بعينه «أما كتابةمنبر مسجد تلمسان التي جاءت خالية من رسم الإمام قبل إدريس، لأنها كانت من جق يحي بن عبد الله ولما سلم نفسه، لم تبق من حقه كما أوضحنا، انظر، ابن خلدون : المقدمة، ص 355، لنفس المؤبف : ترجمان العبر، ج 4، ص 25.

وإختط مدينة فاس، وكان من بعده عقبة ملوكا بالمغرب إلى أن إنقرضوا.»[1] وبهذا تكون الزيدية قد نشأت منذ زمن الإمام الرابع، وقالت : «بان الإمام يجب أن يكون حاكما للدولة وأن عليه أن يحارب في سبيل حقوقه.»[2] وهذا ما قام أئمة الزيدية في المشرق والمغرب وبقية الإمامة في أبناء إدريس، دون إنتقالها إلى أبناء سليمان على ما يظهر، لأن هؤلاء الأخيرين كانو يدعون إلى الأدارسة ومن ادلة ذلك في سنة 292 هـ، قام بالامر يحيى ابن إدريس بن عمر صاحب الريف : «فملك جميع أعمال الأدارسة، وخطب له على سائر أعمال المغرب، وكان أعلى بني إدريس ملكا وأعظمهم سلطانا، وكان فقيها عارفا بالحديث، ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في السلطة والدولة.»[3] وعن الخطبة يقول عبد الرحمن الجيلالي : «لا إرتباط لهم مع أءمة فاس، إلا في الدعاء على المنابر والسكة.»[4] والسكة كما لاحظنا في بداية هذا الفصل تم ضربها في المغرب الأوسط وبهذا لم يبقى إلا الدعاء لهم، لأن ذلك شيء أساسي في العقيدة الزيدية وهذا ما أكده الشيخ مبارك الميلي : «فكل عامل من الأدارسة وإخوانهم العلويين مستقل بإدارة عمله وجباية الخراج وإشهار الحرب. وإنما يمتاز الإمام بذكر إسمه في السكة والخطبة.»[5] والخطبة أولى من السكة.

والخطبة لم تكن قاصرة على علوي المغرب الأوسط والأقصى بل إمتدت إلى الأندلس في بعض الفترات، فهاهو إبن حفصون (في النصف الثاني من القرن الثالث)[6] يدعو إلى

(1) ن، م، س، ص 355/ الأعظمي (محمد حسن) : عبقرية الفاطميين ص 09.

(2) الشهابي (محمود) : الشيعة فصل من كاتب، الإسلام الصراط المستقين، دار الحياة، النبراس، بغداد 1963 ج 1، ص 269.

(3) ابن خلدون : ترجمان العبر، مج 4، ص 31.

(4) عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 184.

(5) الميلي (مبارك بن محمد) : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 471.

(6) إبن خفصون : هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دمنان، من سلالة نصرانية، خرج على محمد بن عبد الله صاحب الأندلس، وأوله كان في سنة 267 هـ أنظر ابن الأثير : الكامل ج 6/ 36، ابن القوطية : افتتاح الدعوة، ص 77.

أئمة فاس، فان حزم وابن عذاري يؤكدان على إبن حفصون خطب للقاسم بن إبراهيم الإدريسي صاحب البصرة وجرت بينهم مراسلات ومكاتبات بشأن التآمر، على العامل الأندلسي.»[1] وهذا ما أسلط عليه الأضواء أثناء العلاقات السليمانية الأموية.

هذا فيما يخص العلاقة المذهبية بين الدولة السليمانية والإمارات العلوية والدولة الإدريسية. وبلاد الأندلس كمحاولة لنشر المذهب الزيدي خارج سيطرة أراضي العلويين.

ب - العلاقة السياسية : غادر الإمام إدريس الأكبر (ض)، مدينة تلمسان سنة 174، وترك أخاه المولاي سليمان بالمدينة مع نصف الجيش لمواصلة الفتح، وهذا ما حدث فعلا، حيث أخضع مناطق كثيرة من المغرب الأوسط، ووبع من مملكته، وأخضع قبائل زناتة الصفرية، إلا أن الأوضاع تغيرت بموت مؤسس الدولة، والدليل على ذلك سيطرة الصفرية على الكثير من مناطق المغرب الأوسط، ةحتى المغرب الأقصى .» فخرج غازيا (إدريس بن إدريس) بلاد المصامدة، فإنتهى إليها وإستولى عليها، ودخل مدينة نفيس[2] ومدينة أغمات[3] وفتح سائر بلاد المصامدة وعاد إلى فاس فأقام بها إلى سنة تسع وتسعين ومائة .»[4] أما المغرب الأوسط الذي تمكنت منه قبائل نفزة الخارجية الصفرية، فقد عجز محمد بن سليمام عن مقاومتها، فإستدعى إبن عمه الإمام إدريس بن إدريس «ليستعين به على بلاد رقية، فقام عليه إدريس (بن إدريس) وقدموا جيوشا دوخوا بها شلفا وما وراءه إلى أحواز بجاية، ثم رجع إدريس (الأصغر) إلى بلاده وترك

---

(1) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص 44/ ابن عذاري : البيان ج 1، ص 233.

(2) نفيس : وهي قرية المدينة حاليا، بين تانزلت ودكالة . قال البكري : إنها مدينة كثيرة الأنهار والأثمار، وأجمل منظرا، وتقع على نهر يحمل اسمها، أنظر، البكري : المغرب، ص 16، الإدريسي : القارة، ص 63.

(3) أغمات : جنوب مدينة مراكش تقع على نهر أغمات، وهي مدينتان (أغمات أبلان، أغمات وريكة) وتقع في بلاد المصامدة، وتبعد عن نفيس ب 35 ميلا، أنظر البكري : المغرب، ص 153 / الإدريسي : القارة، ص 29.

(4) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 169.

المغرب الأوسط بيد إبن عمه محمد بن سليمان.»[1] هذا النص في غاية الأهمية، لأن الإمام إدريس بن إدريس، حضر بنفسه إلى المغرب الأوسط وكان بإمكانه أن يبعث من ينوب عنه في هذه المهمة النبيلة. وأن يبقى في المغرب الأوسطلمدة ثلاث سنوات (من 199-201 هـ)[2]، وأن يوسع من مجال الدعوة الزيدية إلى بجاية دون أن يفكر في ضم المغرب الأوسط إلى أملاكه في المغرب الأقصى.

ويعتقد الأستاذ السيد عبد العزيز سالم: أن الأدارسة قدجعلوا من المغرب الأوسط، دولة عاجزة على غرار ما قامت به الخلافة العباسية مع بني الأغلب في إفريقية[3]. هذا الإستنتاج يظهر لي أنه بعيد عن الحقيقة التاريخية، لقوة الدولة السليمانية العسكرية، التي لم تكن بالحجم الذي يمنع القوة الأغلبية المدعومة من الخلافة العباسية.

وعل كل فإن التاريخ لم يسجل لنا ما عكر هذه العلاقات الأخوية بين أبناء سليمان وأبناء إدريس، ربما لهذاالسبب وللأسباب التي ذكرناها فيالفصل الثاني من هذه الرسالة، أضحى المغاربة لا يميزون بين أبناء العلويين في المغرب، ويقولون عنهم الأدارسة.

والعلاقة السياسية رسمها الإمام إدريس وسليمان سنة 174 هـ، بقيت إلى آخر يوم من حياة الدولتين، وبين العائلتين (الإدريسية، والسليمانية)، كروابطأخوية وثقافية مستمرة إلى يوم الناس هذا، وقد لاحظنا أن سليمان بن عبد الله بالرغم من إستشهاد الإمام إدريس رحمه الله، إلا أنه بقي في المغرب الأوسط يدعوا إلى نفسه،[4] دون أن يفتح المغرب الأقصى، لعلمه ما أقدم عليه راشد مولى إدريس، وترك الأمور تسير على ماكانت عليه في عهد المرحو إدريس من إمامة وملك، عظم ذلك في أعين الأحفاذ كأنه عهد قطعه الجميع على نفسه.

(1) التنسي (أبو عبد الله) : تاريخ دولة الأدارسة (من كتاب نظم الدو والعقبان)، ص 66.

(2) جل المؤرخين يذكرون إدريس بن إدريس وبقاءه في المغرب الأوسط، لمدة 3 سنوات إلا أن بدايتها من 197 هـ أم من 199 هـ والأصح هو 199 هـ.أنظر السلاوي : الإستقصاء، ج 1 / 169.

(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، ج 2، ص 374.

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 1، ص 34.

فهاهو الإمام محمد بن إدريس بن إدريس بعد وفاة والده سنة 213 هـ[1]" لم يعرض لتلمسان وما ورائها، إذ كانت بها بنو عمه سليمان»[2] وإستمرت العلاقات السياسية على ما هي عليه وإزادات إرتباطا مع نكبات الدهر.

وفي نهاية القرن الثالث هجري تمكن الفاطميون من نشر دعوتهم في المغرب الأوسط والأقصى. وأصبح علوي المغرب الإسلامي من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى لهم دعوة واحدة، هي الدعوة الشيعية الإسماعيلية «فإستولى (ميصابة بن حبوس) على أعمال الأدارسة وإقتضى طاعتهم لعبيد الله»[3]، وكان ذلك سنة 298 هـ.

هذا العمل الذي قام به الفاطميون في المغرب الإسلامي أخاف العديد من الخلافة العباسية في بغداد إلى دولة بني أمير في الأندلس. وفعلا هدد مصالح بني أمية في المغرب، ولا سيما أن الفاطميين قد بعثوا العديد من الدعاة والجواسيس منهم : أبو اليسر إبراهيم[4]، وأبو جعفر بن أحمد[5]، إبن حوقل النصيبي الجغرافي الكبير ... وغيرهم.

أمام الأخطار الخارجية والداخلي التي تسبب فيها الفاطميون لبني أمية، فكان على عبد الرحمن الناصر الأموي (300 -350 هـ)، أن يسخر كل الإمكانات المتاحة له من أجل إسترجاع النفوذ الأموي في المغربين الأوسط والأقصى منها، إستعمال نفس السلاح الفاطمي الدعوة والتجسس، حيث يرى إبن سعيد المغربي المتوفي سنة 685 هـ، إن لعبد الرحمن الناصر، عيون ووسطاء منبثون في جميع أنحاء المغرب الإسلامي[6]، وبعث محمد

---

(1) التنسي (أبو عبد الله) : ن، م، س، ص 41.

(2) ن، م، س، ص 42.

(3) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 7، ص 52.

(4) أبو اليسر إبراهيم : هو أبو اليسر إبراهيم بن محمد المعروف بالرياضي المتوفي سنة 298 هـ/ 910 هـ أديب وشاعر، مؤمن بالعقيدة الإسماعيلية أنظر ابن عذاري : البيان ج1/ 162.

(5) أبو جعفر بن أحمد : هو أبو جعفر بن أحمد بن هارون البغدادي، عاصر عبيد الله المهدي وإبنه القائم، زار الأندلس العديد من المرات، وزود الخلافة الفاطمية بالعديد من المعلومات القيمة عن بني أمية في الأندلس. أنظر ن ابن عذاري : البيان، ج 1/ 169.

(6) أبي سعيد المغربي : (أبو الحسن علي بن موسى) : المغرب في حلي المغرب، ج1، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1964، ص 18.

بن عبيد أبي عيسى[1] (ذو الأصول المغربية) سنة 316 هـ إلى زعماء قبائل زناتة ومكناسة، فكانت الإستجابة الكاملة لمطالبه لأنه إستطاع إغراء هذه القبائل، بالهدايا والأموال وإحياء ولائها لبني أمية، مع إستغلال الجفوة الموجودة بين البرانس والبتر، فكانت النتائج الأولية، إجابة محمد بن خرز له، وطرد أولياء الشيعة من المغرب الأوسط، وأجار موسى بن أبي العافية على طاعته.[2] وتحريض فقهاء السنة على الفاطميين[3]، وإستعمل عبد الرحمن الأموي التجار الأندلسيين المقيمين في حواضر المغرب الأوسط، تنس، وهران، أرشكول، للضغط على آل سليمان وآل إدريس، من أجل الدعوة إلى بني أمية بدل الخلافة الفاطمية.

ولما سدت جل الأبواب أمام آل سليمان خاصة سكان الجهة الغربية من الدولة السليمانية والإمارات العلوية. و« بدأ الدعوة الأموية إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول»[4] حيث أوفد إلى قرطبة وفدا، يحمل هدية، ويحمل رسالة تتضمن الولاء والدعوة إلى الناصر بدل المهدي وذلك سنة 316 هـ[5]/ 9928 م.

نحن نرى أن سبب تغير الولاء من العلويين الفاطميين إلى بني أمية. يعود إلى جملة أسباب منها : تمكن بني أمية من إحياء الأحقاد الوهمية الموجودة بين البتر والبرانس، وتجديد الولاء الذي قدمه صولات بن وزمان الزناتي إلى عثمان بن عفان (ض)، وسفارة القاضي محمد بن عبيد بن عيسى التي إشترت الكثير من الذمم، خاصة زعماء قبائل زناتة، وفشل الفاطميون في إنتقاء الزعامات البترية، وإكتفائهم بإبن حبوس وأسرته

---

(1) محمد بن عبيد عيسى : وهو خاصته، ومن البربر، تقلد منصب القضاء، أنظر ابن خلدون، ترجمان العبر، ج7، 53/.

Levi provençal op. cit. T.12 p 96

(2) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج7، ص 53.

(3) أنظر المالكي : (أبو بكر عبداالله بن أبي عبد الله) : رياض النفوس ج1، تحقيق : حسين مؤنس، القاهرة، 1371 هـ ص 398/ ابن عذاري : البيان ج1، ص 169.

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج7، ص 53.

(5) ابن حيان القرطبي (أبو مروان) ت 469 هـ/ 131 م، النقتبس، الجزء الخامس، تحقيق : ب. شالميتا، وآخرون، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، كلية الأداب بالرباط، 1979، ص 263.

مكناسة، والتي أساءت إلى الجميع من علويين وبربر في المغربين الأوسط والأقصى، وجل قدرات السليمانيين العسكرية والمالية زناتية وخصوصا في الجهة الغربية من الدولة التي أضحت تابعة للأمويين.

ولموقف الإختراق الأموي للعلويين، قاطع الجميع إدريس بن ابراهيم صاحب أرشكول، على فعلته الذميمة، وثاروا عليه، فكتب رسالة إلى عبد الرحمن النتصر سنة 317 هـ/ 929 م)، من بين ما جاء فيها : «... فلما أن نجاني الله من ضلالته، وعصمني بولاية أمير المؤمنين سيدي، وحباني بمحبته، تسامع بذلك بنو عمي، وبلغهم ما صنعته في ذاته، أيده الله فتبرؤوا مني وتمالأوا عليّ، ورموني عن قوس واحدة، وقالوا ليس هذا الرجل منا إذفارق دعوته إلى ضدها، وخرج من عترة علي بن أبي طالب (ض)، إلى عداتها (غيها)، عادى أهل بيته واستحاش عليها بصاحب جزيرة الأندلس شانئنا ن ... وإنما الباعث لهم على ذلك، والمتوكل بتأذيبهم علي بن محمد بن إدريس وإبن أخيه الحسن بن عيسى، ... من لا أصل له ولا خير فيه، حمية جاهلية وعصبية مردية ...»[1] هذه الرسالة تبرز العديد من الجوانب النفسية والعقائدية بين بني علي (ض) وبني أمية، وتظهر أن اللحمة والمذهبية لازالت راسخة بين أبناء الحسن والحسين (رضوان الله عليهم)، وتكشف أن الزمن وتالمكان غير كافيين لإزالة الخلفية التاريخية وإن كانت في بعض الأحيان هناك من يريد تخطي ونسيان الماضي .خاصة لما نرغب في تحقيق قفزة نوعية حضارية.

إلا أن الظروف كانت أصعب من الجميع ولم يستطع علوي المغرب الأوسط والمغرب الأقصى الوقوف أمام قبائل البتر الموالية لبني أمية، وتحرش صاحب قرطبة، وما أحدثه صاحب الحمار (316-336 هـ) من تخريب وتقتيل، ويظهر أن مدابح إبن أبي الغافية فاقت كل تصور.[2] فتوالت طاعة العلويين الواحد تلو الآخر إلى عبد الرحمن الناصر، في

---

(1) ابن حيان : المقتبس، ج 5، ص 264.

(2) ابن عذاري : البيان، ج1، ص 194 / إبن أبي زرع : روض القرطاس، ص 55/ السلاوي : ن، م، س، ج 1/ 81.

إنتظار الفرصة السانحة من أجل الإستقلال وتوحيد الدعوة الشيعية وهذاما سنتطرق إليه في العلاقات السليمانية الفاطمية، والسليمانية العلوية في هذا الفصل.

فالقاعدة العامة في العلاقات السياسية بين الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى قد تميزت بالتعاون والتفاهم وإقامة جسور الترابط، والدعوة إلى أهل البيت، ولم يحدث ما عكر هذا المبدأ العام إلى حادثة صاحب أرشكول سنة 316 هـ، وعادت الأمور إلى طبيعتها.

العلاقة السياسية السليمانية بالخلافة العباسية :

السليمانيون نسبة إلى سليمان بن عبد الله الكامل، الذين ظفر بهم المنصور وقتل الأب وجل الأبناء، كما أوضحنا ومن بقي من آل الحسن فر إلى المغربلا الإسلامي بعد وقعة فخ سنة 169 هـ في خلافة الهادي كإدريس وأخيه سليمان.

وفتنة أن آل علي وآل العباس يتحمل مسؤولياتها بالدرجة الأولى أبو جعفر المنصور (136-158 هـ) : «وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسين والعلويين، وكانوا قبل ذلك شيئا واحدا، وأذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج، قتلا وضربا وغير ذلك منهم : أبو حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر[1]، وبن عجلان[2]، وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس رحمه الله، وقيل له : إن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال : «إن ما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين.»[3] ونحن نرى أن بداية الشقاق تعود إلى خلافة السفاح (أبو العباس عبد الله بن محمد) (132-136 هـ)، وتأزمت في عهد المنصور، حينما قضى على أبي سلامة الخلال وزير آل محمد (ص) سنة 132 هـ، ذو الميول العلوية، الذي سعى إلى نقل الخلافة إلى

---

(1) عبد الحميد بن جعفر : هو عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الأنصاري المتوفى سنة 154 هـ كان من خاصة محمد ذو النفس الزكية، ولاه ديوان العطاء في المدينة، أنظر، ابن الأثير : الكامل ج5، ص 2، 3.

(2) ابن العجلان : هو محمد بن عجلان المدني، المتوفى سنة 148 هـ : من الرواة، خرج مع محمد ذو النفس الزكية، قيده جعفر بن سليمان لما ولي المدينة، أنظر، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج7، ص 33.

(3) السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص 303/ ابن خلدون : ترجمان العبوج 1/ 5، ج4، ص 5، 6.

الفرع العلوي بدل العباسي[1] هذه الأحداث وغيرها رسمت خط العلاقة السياسية بين الخلافة العباسية والزيدية في المشرق والمغرب.

ولما إستقر إدريس بن عبد الله الكامل بالمغرب الأقصى، وبالضبط في مدينة وليلى، رأى إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي المعتزل، أن يبيع لحفيد علي بن أبي طالب (ض) فكانت يوم الجمعة 04 رمضان من سنة 172 هـ. وأول القبائل المبايعة أوروبة، ثم مغيلة ثم صدينة، ثم «زناتة والبربر مثل : زواغة وزواوة وسدراته وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر بالمغرب الأقصى.»[2]، وخطب فيهم محددا منهجه السياسي من بين ما جاء فيها : «أيها الناس لا تمدن الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا.»[3] وقد تقيد العلويون بالمنهج السياسي الذي رسموه لأنفسهم من البداية، وهذه ميزة إنفردوا بها عن غيرهم، وإتباعهم الحق، «وخلع الطاعة العباسية»[4]، ثم ملكو تلمسان سنة ثلاث وسبعون ومائة، ودخلت ملوك زناتة أجمع في طاعته، وإستفحل ملكه.»[5] وكان كل ذلك في فترة وجيزة، ولحق به من إخوته سليمان بن عبد الله، وهذه الإنجازات الرائعة التي حققها الإمام إدريس، بدون شك قد أقلقت الخوارج وبني أمية والخلافة العباسية. لأن من الأخبار التي تسربت عن الإمام إدريس وهو بتلمسان بأنه يريد غزو إفريقية، ومصر وهذا لتوحيد المغرب والمشرق تحت إمرة الإمام الزيدية، ومما يؤكد أن فيه أخبار تقول أن الإمام إدريس قد بعث إلى المصريين برسالة يشعرهم بقدومه[6]، ومما يثبت ذلك قيام سليمان بن عبدالله ببعض الغارات العسكرية شرق نهر شلف[7].

---

(1) ابن الأثير : الكامل، ج4، ص 336.

(2) السلاوي : الإستقصاء، ، ج1، ص 155.

(3) السلاوي، ن، م، س، ص 155.

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 13.

(5) ن، م، س، ص 14 / السلاوي : ن، م، س، ص 155.

(6) ابن الخطيب : أعمال الإعلام، القسم الثالث الخاص بالمغرب ص 17، الحاشية / السلاوي : ن، م، س، ص 157 / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، مج 2، ص 374.

(7) اليعقوبي (أحمد بن واضح) : كتاب البلدان، ص 109.

فاضطرب الخليفة هارون الرشيد العباسي (170 193 هـ) لسماع أبناء الإمام إدريس الحسني، «حتى إنتهى إلى الرشيد خبره (إدريس) فكر به وشكا ذلك إلى إلى يحي بن خالد [1]»[2]، وهو يردد العبارات : «إن الرجل قد فتح تلمسان وهي باب إفريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار، وقد هممت أن أبعث إليه جيشا، ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك»[3]، فاجتمع إليه الخبراء والعلماء والوزراء، فكانت الإجراءات الآتية :

1 – تدعيم جهاز التحسس (التفتيش عن العورات الخفية)، وهو أحد المصالح الأساسية في ديوان البريد، «وقدإستخدم المنصور عمال البريد الذين كانوا عيونا له وعيونا على الإشراف على أمور دولته.»[4]، وبقي هذا الديوان قويا، إلا أنه عجز عن ضبط تحركات العلويين بدليل، خروج عدد كبير من المشرق إلى المغرب أمثال : إدريس بن عبد الله الكامل[5]، وأخوه سليمان، ... وغيرهم.

وديوان البريد الذي طوره المنصور، كان غرضه بالدرجة الأولى القضاء على خصومه، وعلى رأسهم العلويون، ولم يكفه ذلك بل اشترى ذمم الأعراب من أجل القضاء على أبناء عبد الله الكامل : «ثم أن المنصور اشترى رقيق الأعراب . وأعطى الرجل منهم البعير والرجل البعير والرجل الذود وفرقهم في طلب محمد في ظهر المدينة.»[6] وكان أبو جعفر المنصور يوليه عناية خاصة ويعتبره أحد أركان الدولة الأربعة «... ثم عض على

---

(1) يحي بن خالد : هو يحي بن خالد البرمكي، من أصل فارسي، تقلد والده خالد الوزارة في عهد السفاح والمنصور، وتقلدها هو في عهد هارون الرشيد، أنظر، الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) ت 463 هـ : تاريخ بغداد، ج 14 ن ص 5 ن القاهرة، 1931 م.

(2) البكري : المغرب، ص 119.

(3) السلاوي : ن، م، س، ص 157، 158.

(4) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج 2، ص 270/ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص 180.

(5) بن أبي زرع : روض القرطاس، ص 18/ الأصفهاني : : مقاتل الطالبين، ص 448.

(6) ابن الأثير : الكامل ج 4، ص 370.

إصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه، قيل له : وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال : «صاحب البريد يكتب إلي بخبر هؤلاء على الصحة»[1] يعني ينقل له بأمانة أخبار القضاة، وأصحاب الخراج، وأصحاب الشرطة، والمعارضة العلوية ...

2 - **الإغتيالات السياسية** : كثيرا ما لجأ بنو العباس (ض) إلى إغتيال خصومه من بني علي (رضو) ومن المتعاطفين من أمثلة ذلك : الإمام إدريس[2]، الإمام إدريس بن إدريس[3]، والمولي راشد[4]، وموسى بن حعفر، وعلي بن موسى ... والقائمة طويلة.

3 - **حبس العلويين** : إشتهر العباسيون بحبس خصومهم خاصة من العلويين ومن أمثلة ذلك : عبد الله الكامل وعائلته[5]، والإمام موسى الكاظم (ض)» وأخذ موسى بن جعفر المعروف بالكاظم إلأى بغداد فأقام بها إلى أن مات، وهو السادس من أئمة الشيعة الإمامية.»[6]، والإمام يحي بن عبد الله[7]... وغيرهم.

4 - **الدعاية المغرضة** : من المشهور أن أهل البيت النبوي رضوان الله عليهم إعتمدوا على نسبهم الشريف إلى أبعد الحدود في توطيد حكمهم، فراح آل العباس وشيعتهم يشككون في نسب الأدارسة والفاطميين وغيرهم ...، فهذه الظاهرة الأخلاقية يتصدى لها ابن خلدون ومما قاله : «ما يتناجى به الطاعنون في نسب إدريس بن إدريس ويعرضون تعريض الحسد بالتظنن في الحمل المخلف عن إدريس البأكبر أنه لراشد مولاهم ... وطورا يطعنون في نسب إدريس بمثل ذلك الكطعن الكاذب، تخفيضا لشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه ... على أن تتريه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل

---

(1) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج7، 8 ص 360.

(2) البكري : المغرب، ص 120/ ابن الخطيب : ن، م، س، ص 9، 10.

(3) ابن الأبار : الحلة السيراء، ص 411/ ابن الخطيب : أعمال الإعلام، ص 202.

(4) السلاوي : ن، م، س، ص 161/ ابن أبي زرع : القرطاس، ص 27/ الزاوي الطرابلسي -الطاهر أحمد) : تاريخ الفتح العربي في لبنان، ص 153.

(5) أنظر، الفصل الثاني من هذه الرسالة ص 53.

(6) الشيخ محمد الخضري بك : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية ص 104.

(7) الأصفهاني (أبو فرج) : مقاتل الطالبين، ص 494.

الإيمان، فالله سبحانه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ...، »[1] وخصص لهذه الدعاية المغرضة أكثر من خمسة صفحات . ويقال السحر ينقلب على صاحبه، حيث أن خصوم العباسيين من غير العلويين استخدموه ضدهم كقصة العباسة أخت هارون الرشيد[2]، والرشيد والخمرة.[3]

5 - **العمل بالدس والفتنة** : لجأ العباسيون عن طريق الأغالبة إلى الدس والفتنة، وإفساد القواد والأشياخ والأتباع، ومن أمثلة ذلك : وزيره بهلول بن عبد الواحد المطغري، وإسحاق بن محمد الأوربي[4]، وغيرهم. ونحن لا نستبعد ألا يكون لفتنة الخوارج الصفرية (199-201 م)، [5] من تدبيرهم أو تدبير بني رستم حكام تيهرت، أو مساهمتها معا في إسقاط الدولة السليمانية.

6 - **الإستعدادات العسكرية لمواجهة الخطر العلوي** : أدرك الخليفة العباسي هارون الرشيد خطورة الموقف، القادم من المغربين الأوسط والأقصى، فإستعد له عسكريا حيث كلف قائده المحنك هرثمة بن أعين[6]، بأن يتحرك إلى مصر ومنها إلى إفريقية لرصد التحركات الإدريسية وإتخاذ الإجراءات اللازمة في عين المكان، فمكث بها سنتين ونصف لدراسة الأوضاع وإيجاد حلول، فكانت تتمثل في إنشاء العديد من الرباطات والحصون، [7] كالمنستير حيث «أنس الناس، وسكنهم، وأحسن إليهم»[8]

(1) ابن خلدون : المقدمة، ص 3741.

(2) ن، م، س، ص 22.

(3) ن، م، س، ص 27-28.

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 14/ السلاوي : ن، م، س، ص 164// دبوز : المغرب الكبير ج 3/ 422.

(5) أنظر الفصل الخامس، من هذه الدراسة

(6) هزيمة بن أعين : هو هرثمة بن أعين مولاي بن ضبة، من كبار قادة الجيش العباسي ولاه الرشيد إفريقية (179-181 هـ)، أنظر ابن الأثير الكامل، ج 5/ 95، 96/ ابن عذاري : البيان ج 1/ 89.

(7) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، ص 203.

(8) ابن عذاري : البيان ج 1/ 89.

والإستعراضات العسكرية في المغرب الأوسط لإخافة السليمانيين وصل هرثمة في جيش كثيف، حتى نزل تيهرت، «[1]وإسناد إقليم الزاب الواقع إلى الشرق من إمارة هاز السليمانية إلى إبراهيم ابن الأغلب[2] وأمره أن لا يتحرك غربا حتى لا يثير غضب لآل علي (رضو) : «وما وراء الزاب من بلاد الغرب لم يملكه العباسيون قط.»[3] ولما رجع إلى بغداد، يظهر أنه نصح الرشيد، بإقامة دولة حاجزة، تسند قيادتها إلى إبراهيم بن الأغلب لحماية الخلافة العباسية من المد الإدريسي، فكان له ما أراد سنة 184 هـ، «وكان لإبراهيم فضائل جمة ومآثر حسنة وكان له مع راشد أمير الغرب مولى إدريس الحسني مواقف ومحاربة.»[4] واستمرت هذه العلاقات العدائية بين العلويين والعباسيين حتى سقوط الدولة نهائيا ولم تشهد أي نوع من التقارب.[5] وهذا بالرغم من إجراءات التهدأة التي قام بها الخليفة المأمون العباسي (198 -218 هـ)، حيث صاهر عليا بن موسى الرضا وولاه عهده، وقرّب العلويين وأكرمهم، إلا أن الوئام العلوي العباسي لم يستمر طويلا، لأن هذا الميل من قبل الخليفة المأمون قوبل بالرفض من بقية البيت العباسي أو سرعان ما تحول موقف الخليفة إلى الضد من موقفه السابق وتخلص عن طريق السم من ولي عهده علي بن موسى الرضا كما تذكر المصادر التاريخية. إلا أن ما قام به المتوكل (232 -247 هـ) من إهانة العلويين موتى وأحياء[6] يصعب نسيانه من قبل السليمانيين والأدارسة والمسلمين عامة.

---

(1) ن، م، س، ص

(2) إبراهيم بن الأغلب : هو إبراهيم بن الأغلب بنى سالم بن عقال التميمي تولى إمارة الزاب ثم إفريقية، وأمير دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (184196 هـ)، أنظر، ابن عذاري : البيان ج1/ 92/ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص 372 373.

(3) ابن عذاري : ن، م، س، ج 1/ 255.

(4) ن، م، س، ج1، ص 92/ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج2، ص 212/ الشيخ محمد الخضري : ن، م، س، ص 104.

(5) سعدون نصر الله عباس : دولة الأدارسة في المغرب، ص 163.

(6) السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء، ص 293.

العلاقة السياسية السليمانية الأغلبية :

قبل الخوض في العلاقات السياسية بين الدولتين علينا أن نعود القهقرة، أي إلى الوراء بعض العقود، لرسم الخلفية التاريخية بين الأسرتين.

من هم الأغلب ؟ بنو الأغلب من القبائل العربية، التي كانت مضاربها بنجد لبعثة محمد (ص)، وهم بطن من تميم من طانجة من العدنانية، وهم عمال بني العباس (ض) على إفريقية من بلاد المغرب، وأول من وليها من الأغالبة أبوهم الأغلب بن سالم بن عقال بن جفافة بن سوادة التميمي، ولاه إياها، أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس سنة 148 هـ[1] معنى ذلك أن بني الأغلب خدموا العباسيين على الأقل قرن ونصف من الزمن، من 148 هـ إلى 296 هـ، أي منذ الوقت الذي توجه فيه سليمان بن عبد الله إلى المغرب بدعو إلى الحسين بن علي صاحب فخ، ألا يكون غرض المنوصر بهذا التعيين قطع الطريق أمام العلويين ؟ خاصة وأن الرجلين المنصور والأغلب عرفا بالكيد والدس لآل علي.

وعلاقة الأغلب بإفريقية تعود إلى سنة 143 هـ عندما سيد المنصور محمد بن الأشعب الخزاعي أميرا على إفريقية، فقد سير معه الأغلب على رأس جيش بلغ تعداده الخمسين ألف[2] وهذا التاريخ يصادف وجود سليمان بن عبد الله، بالمغرب الأوسط، والدعوة إلى أخيه محمد ذو النفس الزكية[3] وبهذا يكون إرتباط الأغلب وبنيه بالمغرب الإسلامي، بوجود سليمان وأحفاده في المغرب الأوسط، وإذا كانت نهاية الأغلب سنة 150 هـ[4] بعد ولاية دامت ما يقرب سنتين (148 – 150 هـ)، على يد الحسن بن حرب الكندي.[5]

---

(1) القلقشندي : (أبي العباس أحمد) : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص 94 ولتميم على ما يبدو مواقفها المشددة من العلويين : منهم قاتل يحي بن زيدبن زين العابدين، ومنهم عبد الله بن إباض رئيس الإباضية، وعبد الله بن صفار رئيس الصفرية، أنظر، ابن خلدون : ترجمان العبر، ج2، ص 653659.

(2) ابن الأثير : الكامل، ج4، ص 281/ ابن عذاري : البيان : ج1، ص 72.

(3) أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

(4) ابن الأثير : الكامل، ج5 ن، ص 26/ ابن عذاري : البيان : ن، م، س، ص 7475.

(5) الحسن : هو حسن بن حرب الكندي، المتوفى سنة 150 هـ أحد قادة الجيش المنصور بإفريقية وعامل

فإن سليمان كتب له مواصلة الدعوة إلى إقامة دولة، وسميت بإسمه، وبقيت إلى ما بعد سقوط دولة بني الأغلب سنة 296م.

والعداء الأغلبي لأبناء علي كرم الله وجهه، لأم ينته مع الأغلب بل تطور بشكل مفضوح مع إبراهيم بن الأغلب الذي رشا بن الهرثمة لتوليته الزاب «فأكثر الهدية إلى هرثمة ولاطفه هرثمة ناصية من الزاب فحسن أثره فيها.»[1]، وكان ذلك في سنة 179 هـ[2] ويظهر أن تأثير الهدية إستمرت مع هرثمة، لأن هذا الأخير أشار على الرشيد بتولية إبراهيم على إفريقية سنة 184 هـ[3]، مع إعطاء صلاحيات جد واسعة في إمارته خاصة الداخلية منها، مقابل خدمات يقدمها إبراهيم بن الأغلب إلى الخلافة العباسية، أخص منها إسقاط الدولة السليمانية والإدريسية.

ويظهر أن إبراهيم بن الأغلب، وهو مولي إدريس ... وكانت همته غزو إفريقية لما هو فيه من القوة والكثرة، ولم يزل بكيده ويدس لأصحابه ويبدل لهم الأموال إلى أن اغتالوه»[4]، واستمر إبراهيم في توظيف الأموال ضد البيت العلوي في المغرب الأوسط والأقصى ومن أمثلة ذلك: بهلول بن عبد الله المطغري[5] فلم يزل إبراهيم يتلطفه ويستميله بالمكتب والهدايا إلى أن إنحرف عن دعوة الأدارسة إلى الدعوة العباسية، فصالحه إدريس (الثاني)»[6]، وكان نفس الشيء مع إسحاق بن محمد[7] «فوقعت

تونس لولاية ابن الأغلب، ودخل معه في فتنة إنتهت بمقتلهما، أنظر، ابن الأثير: الكامل ج5، ص 26.

(1) ابن الأثير: الكامل، ج 5، ص 96.

(2) يظهر أن إبراهيم بن الأغلب كان عاملا على بعض نواحي إفريقية بل الزاب، أنظر سعدون: ن، م، س، ص79 (الهامش).

(3) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج 4، ص 419 / ابن الأثير: الكامل ج5، ص 104.

(4) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص 214/ ابن خلدون: ترجمان العبر، ج4، ص 420/ ابن عذاري: البيان ج1، ص 92.

(5) بهلول عبد الرحمن: هو بهلول عبد الرحمن بن عبد الواحدالمطغري الوزير البربري لدى الإمام إدريس بن إدريس والذي إنحرف إلى بني الأغلب، أنظر السلاوي: الإستقصاء، ج1، ص 164، إبن خلدون: تلاجمان العبر، ج4، ص 420.

(6) ابن خلدون: ترجمان العبر، ج4، ص 420.

(7) إسحاق: هو إسحاق بن محمد ين الحميد الأوربي، زعيم أوربة، تنازل عن عرش المغرب الأقصى سنة 172 هـ لإدريس بن عبد الله الكامل، أنظر، السلاوي: الإستقصاء: ج1، ص 155.

مراسلات بين إسحاق بن محمد كبير أوربة، وبين بني الأغلب فنمى ذلك إلى إدريس فقتله»[1]، دائما إدريس الأصغر.

أما لماذا صالح الأول وقتل الثاني ؟ سكت المؤرخون عن ذلك، ولكن يظهر أن الأول لم يسمح له إلا لتدخل أعيان زناتة، لصالح مطغرة المتواجدة في إفريقية من أجل العودة إلى أرض الوطن. أما الثاني أدرك مؤامرته قبل الإتصال بالأغالبة، وكذلك للحدمن قبيلته أوربة ذات الأطماع المتزايدة. وهذا ما فهمته من الظروف العامة للمغرب الإسلامي.

ويبدوا أن ذلك لم يكن مقتصرا على قادة القبائل الكبرى كمطغرى وأوربة بل إمتد إلى كل من له تأثير على السياسة الداخلية للمغرب الأوسط والأقصى، «وكان إبراهيم بن الأغلب لا ينفك عن التضريب عن البربر استقسادهم على إدريس (بن إدريس) فلم ينجح.»[2] وعندما أيقن بن الأغلب بعم جدوى شراء الذمم، والإغتيالات و... وأدرك غستحالة القضاء على الدولة الإدريسية والدولة السليمانية والإمارات العلوية. بادر إلى إستشارة مجموعة من كبار قادته منهم : «يحي بن الفضل صاحب البريد وابن غانم القاضي وابن عوانة الكلي، فشاورهم في أمر إدريس (بن إدريس)، وتكلم بكلام كثير فقالوا : أصلح الأمير، قد علم من حضر وغاب من أمر المغرب أنه لم يظفر بمثل ظفرك، ولا كان له ما كان لك، فدع إبن إدريس ما وداعك، وارض لك، وله بالسلامة.»[3] أما ما ناقلته بعض المصادر من أن الإمام إدريس بن إدريس كتب إلى إبراهيم بن الأغلب يستعطفه بقرابته من رسول الله (ص) فكف عنه[4] تبين لي أن أساس الكف هو إدراك ابن الأغلب المعادلة السياسية، أكثر من قرابة إدريس وعائلته من رسول الله (ص)، معناه مادام العلويون في المغرب، أبقى العباسيون على بني الأغلب». إن بني الأغلب

(1) التنسي (أبوعبد الله) : تاريخ دولة الأدارسة، ص 40/ السلاوي : الإستقصاء، ج1، ص 164.

(2) سرهنك (إسماعيل) : حقائق الأخبار عن دول التجار، ج1، ص 285.

(3) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب، ص 225.

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج4، ص 420/ الرقيق القيرواني : ن، م، س، ص 255.

كانوا يهددون الخلافة بالأدارسة كيف ! بعث كيس المال المضروب من قبل بني إدريس يهدف من ورائه تهديد للخليفة بخروج الأغالبة على العباسين وانضمامهم إلى الأدارسة لو فكر العباسيون في مس استقلال بني الأغلب الذاتي»[1].

وهذا الطابع العدائي الذي رسمه الأغلب ثم أتمه ابنه إبراهيم بقي سائدا طيلة وجود الدولتين، إلا أن العداء الذي نصبه بني الأغلب وبني العباس على لآل البيت العلوي في المغرب الأوسط والأقصى. لم يصل إلى درجة تجهيز الجيوش وهذا لعلم الجانبين ببعد المسافة وتكاليفها الباهضة.

العلاقات السياسية السليمانية الرستمية :

تمكن بني رستم الإباضية من إقامة دولة لهم في المغرب الأوسط[2]، تدعمها قبائل البتر لماية، نفزة، هوارة، زناتة، نفوسة، وزواغة، واواتة، وسدراته ... وغيرها جل القبائل التي أخضعها العلويون في المغرب الأوسط[3] وبايعت لإدريس وأخيه سليمان فيما بعد، معناه أن الدولة السليماتية والإمارات العلوية، وقبلهما الدولة الإدريسية، قامت على أراضي معظم سكانهامن الخوارج الإباضية والصفرية، وأقل ما يقال عنهم أنهم تابعين روحيا (مذهبيا) إلى تيهرت وسجلماسة.

إذاكان قيام الدولة الإدريسية في وليلي، في بدايته بذا شيء عادي، لأن معارضي الخلافة العباسية معظمهم توجهوا إلى المغرب، من خوارج وبقايا بني أمية، ثم العلويين فإن جهاد الإمام إدريس في المغرب الأقصى ثم من المغرب الأوسط، وفتح تلمسان وتكليف مولاي سليمان بن عبد الله بالتوسع شرقا يعني الشبء الكثير، إذا كان التوسع قد أزعج الخليفة العباسي هارون الرشيد، فما بالك بالإمام عبدالوهاب بن عبد الله

---

(1) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي ج 2، ص 381.

(2) الدولة الرستمية (160-296 هـ)(777-909 م) أي من بيعة عبد الرحمن بن رستم، إلى سقوط الدولة على يد الفاطميين.

(3) إبن أبي زرع : روض القرطاس، ص 16 18/ السلاوي : الإستقصاء ج 1، ص 157/ ابن خلدون : تلاجمان العبر، ج 1، ص 12.

بن رستم (171-18 هـ) وابنه الإمام (18-230 هـ)[1].

لقد اختلف المؤرخون في تفسير نص الطبري الذي أشار فيه إلى لجوء الإمام إدريس إلى تيهرت «أما إدريس فلحق بتيهرت من بلاد المغرب، فلجأ إليهم فأعظموه فلم يزل عنهم إلى أن تلطف واحتيل عليه فهلك»[2]، الذي عول عليه الكثير وفسره المؤرخون المحدثون على أنهم بني رستم لورود تيهرت[3]، فإن تيهرت في لغة تعني بلاد الخوارج، لا العاصمة الرستمية، بدليل إنه استعمل هذه الكلمة للدلالة على الإقليم. كما استعمل، «فلم يزل عندهم إلى أن تلطف له واحتيل عليه فهلك.» من النص الذي كثيرا ما أهملوا هذا الجزء منه، والمعروف عن إدريس لجأ إلى المغرب الأقصى وليس إلى المغرب الأوسط.

فإن إدريس قد مر بالمغرب الأوسط، كما مر بالمغرب الأدنى لأن الطلب عليه شديد من خصوم آل علي وفي مقدمتهم حكام تيهرت وولاة بني عباس في إفريقية. وإذا كان مرّ بتلمسان متخفيا.[4] فكيف نقبل ذلك في جهات أخرى قبلها ؟ ويذهبون إلى أبعد من ذلك، مثلا : أ. دبوز «وكان الإباضية أكبر مقدمة مهدت وهيأت الجو لنشأة الدولة الإدريسية، فلولاها ما طمع إدريس الأول في وجود المكان الآمن انفسه في المغرب الأقصى، والجو اللائق لدولته»[5] هذا الإستنتاج بعيد عن القواعد العامة للسياسة الخارجية للدولتين.

نستطيع أن نقول : إن ما ميز علاقة السياسة الخارجية السليمانية الرستمية في المغرب الأوسط سوء التفاهم، إلا أنكلطرف تمالك عواطفه من آل سليمان وآل رستم،

---

(1) تواريخ الولاية غير مضبوطة بين المصادر العربية الإسلامية، من خارجية وسنية، فمثلا ابن عذاري ذكر وفاة الإمام عبد الوهاب كانت 188 هـ أنظر البيان ج1، ص197، وجعها الزركلي في الإعلام ج 5، ص 52، سنة 190 هـ.

(2) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج 8، ص 426، أحداث سنة 169هـ.

(3) أنظر، دبوز : تاريخ العرب ج 3، ص 106/ جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية للدولة الإدريسية، ص 181.

(4) السلاوي : الإستقصاء، ج 1، ص 154.

(5) دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير، ج 3، ص 276.

ومشايخ البيتين لعوامل كثيرة، منها : الخصم المشترك الخلافة العباسية، ومراقبة بني الأغلب لجميع تحركاتها والدس لها، وإن معظم سكان الدولتين من عنصر واحد، أمازيغ وجلهم من البتر، مصلحة البلدين الإقتصادية والإجتماعية لا تسمح بالتهور والإندفاع، وخوف العائلتين السليمانية والرستمية من خروج البربر عنهما، وإمكانات الدولتين العسكرية المحدودة.

ورغم هذه العوامل التي لا تخدم مصلحة البلدين إلا أننا لاحظنا من حين إلى آخر، ظهور بوادر تأزم في العلاقات السياسية، مقل ملاحقة المولاى سليمان بن عبد الله «وأما سليمان أخو إدريس الأكبر فرّ إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تيهرت بعد مهلك أخيه إدريس، وطلب الأمر هناك فاستنكره البرابرة وطلبه ولاة الأغالبة»[1] هذا ينفي دعم الإباضية للعلويين، ويتماشى مع القاعدالعامة، التي تتطلب الحذر الدائم من الخوارج. وثورة ابن فندين[2] حوالي(172 – 174 هـ) وخلفت خسائر كبيرة وانشقاقا في صفوف الإباضية. «مقتلة عظيمة، فيها إثنا عشرة ألف قتيل وبلغنا أن دم القتلى جرى على باب المدينة كالسيل من كثرة القتلى»[3]، ومن نجى من المقتلة فر إلى الجبال لواصلة الثورة، وعرفوا فيما بعد بإسم النكارية. ثم ثورة الواصلية[4]، يظهر أنها في النصف الثاني من العقد الثامن، وكان قائد الجيش أفلحبن الإمام عبد الوهاب، استنجد الإمام عند الوهاب بأهل نفوسة من طرابلس. وكانت نتائجها جد وخيمة على الواصلية حسب المصادر الإباضية، فها هو أفلح لوحده قتلاه «عدتها أربعمائة قتيل»[5] لقد وقف الواصلي إلى جانب آل البيت في المشرق والمغرب لما قلناه سلفا. فهذه الثورات التي كادت

---

(1) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 4، ص 34.

(2) ابن فندين : هويزيد بن فندين اليفري، صهر عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وأحد مرشحي الإمامة الإباضية بعد عبدالرحمن، ومنافس لأبنه عبد الوهاب، أنظر، أبو زكرياء سير الأئمة، ص 56 66.

(3) أبو زكرياء : سير الأئمة، ص 63.

(4) أبو زكرياء : سير الأئمة، ص 67.

(5) أبو زكرياء : سير الأئمة، ص 72، المحقق إسماعيل العربي، يقول : «عدد قتلى أفلح غير وارد في الترجمة، ص 75.

تعصف ببني رستم الإباضية وبإمامهم عبد الوهاب الذي «قد نزع ثوب الورع المثالية، فكان ميكافيلي النزعة لا يتريث في ضرب الرؤوس ببعضها والإعتماد على سياسة (فرق تسد) وعلى قطاب القبائل بالهبات والإكرام كقبائل مزاتة وسدراتة ولما كان لا غنى لأي حاكم في عهده عن كسب تأييد فقهاء المذهب فقد أرسل 12 ألف دينار لإمام المذهب الإباضي ربيع بن الحبيب[1]، توطيدا لعلاقته به، وبذلك لم تكن سياسته من شيم أناس يسودهم الإيمان الصحيح.»[2] يظهر أن في المغرب الأسلامي لن يكن إبراهيم بن الأغلب لوحده المتخصص في شراء الذمم بالمال، بل اقتدى به الإمام عبد الوهاب.

فهذه السلوكيات غير الإسلامية، لم يرض بها الواصلية والنكارية، وأهل الورع من الإباضية، والنموذج الإسلامي موجود بديار المغرب الأوسط، النظام العلوي المستمد من الكتاب والسنة الصحيحة. فإعتقد حكام الدولة الرستمية وعلى رأسهم الإمام عبد الوهاب أن ذلك، كان بتحريض من محمد بن خرز. زعيم زناتة، المنضوي تحت لواء العلويين وإسحاق بن محمد الأوربي، زعيم الواصلية في وليلي، ومحرض واصلية المغرب الأوسط إمام الإباضية والمناصر هو الآخر للعلويين في المغربين.[3] إذا كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب، قد شارك والده في محاربة النكارية والواصلية، واستفاد منه في سياسة الخارجية والداخلية خاصة في ضرب الرؤوس ببعضها، وقدخدمته جملة من الظروف الداخلية والخارجية، منها قائده أبو عبيدة[4] ومحاربة الخارجين عن السلطة الرستمية. إيهام الأتباع والخصوم بأن له باع كبير في حساب الغبار والنجامة، وعن طريقها يعرف

(1) الربيع بن حيب : هو الربيع بن حبيب الإباضي البصري، خاف أبا عبية في قيادة المذهب (الهامش) سنة 145 هـ ويعد من مشايخ الطبقة الرابعة 150 هـ 20 هـ أنظر أبو زكرياء : السير ص 6، الدرجيني : طبقات الشايخ في المغرب ج 2، ص 273.

(2) جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 64.

(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير، ج 2، ص 553، 554 / دبوز : تاريخ المغرب الكبير، ج 3، ص 473.

(4) أبا عيدة : أبا عبيدة عبد الحميد، من أهل طرابلس، قمع ثورة خلف الحبيب بن الطيب، وكان قد ولاه ولى نفوسة عبد الوهاب، واستمر مع أفلح، أنظر أبو زكرياء : كتاب السير ص 82

الغيب وتشاركه في الشعوذة أخته.[1] إستشهاد الإمام إدريس ثم أخيه سليمان وتركهما، كل من إدريس الأصغر ومحمد بن سليمان دون اليافعين عكس أفلح، ووصول المأمون للخلافة العباسية (198 هـ -218 هـ)، ومسألة خلق القرآن، والتقارب العباسي الإعتزالي، مما دفع الإمام أفلح أن يقول بخلق القرآن ليسالم بغداد والقيروان.[2] ويجذب البساط بعلوي المغرب الأوسط والأقصى.

هذه العوامل مجتمعة مكنته من شراء ذمم الخوارج الصفرية وسكوت الواصلية من الخوارج الإباضية والصفرية، فكانت فتنة (199 هـ -201 هـ)[3]، فاستنجد حكام تلمسان بالإمام إدريس ابن إدريس فأظهر شجاعة نادرة[4] تذكرنابجده علي (ض). وانتهت الفتنة بأنصار العلويين على الخوارج وأعادوهم إلى الإسلام الصحيح. ويومها ادرك أفلح وأحفاده ما عليهم إلا الإستمرار والعمل بمبدأ الكتمان (التخفي) مع آل علي، علما بأن من أركان المذهب الإباضي هي أربعة : الكتمان، الظهور، الشراء، دار توحيد.[5] لأن الظهور والمواجهة لا تفيدهم في شيء.

وكانت رغبة زناتة إخضاع كامل المغرب الأوسط، أي وطن زناتة إلى السليمانيين. إلا أن ذلك استعصى عليهم لطبيعة الدولة السليمانية، ولم يزل الملك في بني رستم هؤلاء بتيهرت، وحاربهم جيرانهم من مغراوة وبني يفرن على الدخول في طاعة السليمانيين لما كلكوا تلمسان (173-342 هـ)، وأخذت بها زناتة من لدن ثلاث وسبعين ومائة فمتنعوا عليهم سائر أيامهم، أي لم يتمكنوا منهم، إلى أن كان إستيلاء أبي عبد الله الشيعي علي إفريقية والمغرب سنة 296 هـ فغلبهم على مدينة تيهرت [6] فإبن خلدون يثبت بما

(1) أبو زكرياء : سير الأئمة، ص 89/ بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية، ص 121.

(2) أ. جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص 65 (الهامش) ص 216.

(3) البكري : المغرب 123/ الإستقصاء ج1، ص 169/ ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص 5.

(4) بن أبي زرع : روض القرطاس، ص 26/ البكري : المغرب 123/ السلاوي : الإستقصاء ج1، ص 169.

(5) إسماعيل العربي : معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ص 42.

(6) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج 6، ص 248.

لا يدع الشك أن الفعل كان للسليمانيين، أي المبادرة، وإذا كان السليمانيون قد عجزوا عن فتح العاصمة تيهرت، فقد توسعوا على حساب جيرانهم الرستميين وافتكوا منهم العديد من المناطق[1] إلى أن أصبحت حدودهم الشرقية مع بني الأغلب والجنوبية على بضع أميالمن العاصمة الرستمية، وأعني إمارة تاقدمت.

وإذا كانت الدولة الرستمية قد سقطت لأول لقاء فاطمي، فإن الدولة السليمانية والإمارات العلوية تمكنت من الرد والإستمرار لمدة قاربت نصف القرن من الزمن، وإذا كانت العلاقات السياسية عرفت هذا النوع من التنافس فإن باقي العلاقات الأخرى من ثقافية وإقتصادية ... مع بني رستم، كانت جد وطيدة، ولم نعثر على نص واحد يريبها.

العلاقة السياسية السليمانية الأموية في الأندلس :

يظهر أن الطابع الذي ميز العلاقة السليمانية الأموية هو العداء المحتدم بين الطرفين، . وأسبابه معروفة، وقد تطرقنا إلى جزء منها في الفصل الأول من هذه الرسالة، عند التحدث عن الصراع بينا الهاشمية . وبني الأمية، وخلص إلى الإطاحة بالدولة الأموية، وتفويت الفرصة على الجناح الثوري الهاشمي، وأعنى بدالك العلوي.

وتم نقل الخلافات الخلافات الأموية العلوية إلى المغرب الإسلامي، وحتى قبل قيام الدولة العلوية في المغرب، وكان بنو امية كعادنهم سباقين إلى استئصال الدعوة العلوية من الأندلس في مهدها، مثل : ما قلناه في الفصل الأول عن ثورة العلويين على عبد الرحمن الداخل، ويقول المقدسي في هذا الشأن : «فإن ظهروا (بني أمية) على حنفي أو شافعي نفوذه، أما أن عثروا على شيعي، أو نحوه ربما قتلوه .»[2]، إن ما كان مشهورا عن العلويين في المغربين هو تعايش المذاهب والعقائد غير ان ذلك كان يعد

(1) سعدون عباس نصر الله : دولة الأدارسة في المغرب، ص 166 168.

(2) المقدسي (شمس ابو عبد الله)-احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص 236 /أ عبد العزيز فيلالي – العلاقات السياسية بين الدول الاموية ودول المغرب ص 94

من أكبر الخروقات السياسية في الأندلس (1) بالرغم من التطور الحضاري الراقي الذي عرفه البلد، وقد سبق أن توقفنا عند الثورة الشيعية في الأندلس، والإمكانات الضخمة التي وفرها عبد الرحمن الداخل من أجل القضاء عليها ويبدو لهذا السبب ولأسباب أخرى لجأ العلويون إلى المغرب الأقصى والأوسط بدل الأندلس.

وإذا كان العلويون قد تمكنوا من إقامة دولة لهم في المغربين الأقصى والأوسط في بداية العقد الثامن من القرن الثاني هجري، فإن مؤسس الدولة الأموية في الأندلس لم يشهد ميلاد الدولة الشيعية في المغرب، لأنه قد مات في سنة 171 هـ (2) وخلفه ابنه هشام (172 هـ - 180هـ)، الذي كاد أن يفقد ملك بن أمية في الأندلس لموت عبد الرحمن، لأن أخواه سليمان وعبد الله قد نافساه على العرش (3) وانتهت أزمة الكرسي باستقرار سليمان بن عبد الرحمن بطنجة (4) والثاني بالمغرب الأوسطين طنبة وتاهرت.

فهشام بن عبد الرحمن الداخل المعاصر للإمام إدريس الأكبر صاحب المشروع الطموح الرامي إلى توحيد العالم الاسلامي، كما أثبتنا قبل الآن (5) ونشره للإسلام في المغرب الأقصى وجهاد أخيه المولاي سليمان بن عبد الله في المغرب الاوسط هذا أدى دون شك إلى قلق الأمير هشام خاصة أن سليمان بن عبد الرحمان الداخل لجأ إلى طنجة ليكون قريبا بلاد الأندلس، وبإمكان الإمام أن يستغله لصالحه، من خلال إقامة تحالف ثنائي.

---

(1) انظر الفصل الاول من هده الرسالة ص38

(2) يقول ابن الاثير - «مات سنة اثنين وسبعين وماءة وهو أصح» انظر الكامل ج 5 ص 83 حوادث سنة احدى وسبعون ومائة.

سليمان عبد الرحمن - هو سليمان بن عبد الرحمن الداخل اكبر ابناء عبد الرحمن الاحدى عشر. أوصى ابوه الى اخيه هشام وعند وفاة والده دخل مع اخيه في صراع وسكن طنجة بعدها ولما مات اخوه دخل مع ابن اخيه لاحكم الاول في الصراع مرة اخرى - انظر ابن الاثير - الكامل ج5 ص 86 89-

(3) ابن العداري المراكشي - البيان - ج2 ص62

(4) ابن الاثير الكامل - الكامل ج 5 ص 86-89

(5) أنظر العلاقات السياسية السليمانية العباسية من هدا الفصل

لذا عندما تمت بيعة الإمام إدريس الثاني (188هـ/ 804م)، بعث إليه الحكم بن هشام (180هـ- 206) بسفارة تهنئة باعتلائه العرش، وفاتحه في موضوع أن يكون يدا واحدة علي بن الأغلب ومن ورائهم الخلافة العباسية .[1] 2

إن هذه السفارة لم تحقق، آمال وأحلام الحكم الذي عقدعليها الكثير، بل حدث النقيض، حيث قويت المعارضة الاندلسية وعرف المغربيين نوعا من الإستقرار، واستقبل الإمام إدريس الثاني خمسمائة فارس سنة 189 هـ[2]، من القياسية والأزد والخروج وبني يحصب والصدف وغيرهم[3]، وتقاطر على المغرب الأقصى والأوسط العديد من الوفود العربية والإسلامية على مر السنين[4]، وقد وجدوا عند العلويين، ما لم يجدوه عند غيرهم، من إقامة حق، .والتكريم وحسن نية، ورفع منزلة... وكان من شأن ذلك كله أن حفيظة الأمويين في الأندلس، واعتبر الحكم بن هشام أمير الأندلس، ما قام به الإمام إدريس الثاني، هو تدخلا في شؤون الأندلس الداخلية، وتحريضا من قبل العلويين للاطاحة بملكه، فراح يقوي علاقته مع أعداد العلويين وجيرانهم لحصر المد العلوي، فأقام جسرا من التعاون بينه وبين شرلمان ملك الفرنجة ليكون سدا وعونا له على العلويين[5]، ومتن علاقته السياسية مع أصحاب نكور، تامسنا[6] وسلجماسة، وتيهرت[7]، يريد بذلك تطويق آل علي حتى لا يخرجون عن مجال نطاقيهم في المغربين الأوسط والأقصى.

---

(1) ابن ابي زرع روض القرطاس ص 27 / السلاوي - الاستقصاء ج 1 ص 161 / البكري المغرب ص 123

(2) أعبد العزيز الفلالي -العلاقات السياسية بين الدول الاموية في الاندلس ودول المغرب ص 91

(3) السلاوي -الاستقصاء ج1 ص 162/ ابن ابي زرع -روض القرطاس ص29

(4) ابن ابي زرع -ن م س ص 29 السلاوي -ن م س ص 163

(5) ابن عبد العزيز فيلالي -ن م س ص 93

(6) تامسنا -يطلق اسم تامسنا على المنطقة الممتدة من الرباط الى الدار البيضاء من المغرب الاقصى كنتت تابعة في هذا العدد الى البرغواطيون .سمي الاقليم باسم مدينة تانسنا .انظر الوزان الحسن وصف افريقيا ج1 -/ 37

(7) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، ج2/ ص569

ويبدو أنه فرح فرحا شديدا لخروج الصفرية عن الطاعة السليمانية في المغرب الأوسط، إن لم يكن أحد مؤججيها، كما بث العيون والوسطاء، في أنحاء المغرب، قد تمكن هؤلاء العيون من تزويد حكومة قرطبة بمعلومات قيمة عن نوايا الاندلسيين الذين توطنوا المغرب[1] . ونوايا العلويين، والتحسس كان ظاهرة عامة، عمت جل الدول بها، لما لهذه الوسيلة من فعالية في إرباك الخصوم .

وبالمقابل قام آل سليمان وآل إدريس وعلى رأسهم الإمام إدريس الثاني بإعداد العدة لرفع التحدي الأموي يستشف من الخطوات التي قام بها، أنه رسم خطة بعيدة المرامي والغايات، حيث نظم الجيش وأطعمه بعناصر عربية من .من الفرسان الوافدين عليه، وتوجه به إلى بلاد المصامدة من السوس الأقصى[2]، فاستولى على نفيس وأغمات[3] وعليائرها نشر الإسلام في تلك الأصقاع، ثم قفل راجعا إلى دار الإمامة فاس، على أن يجهز جيشه من أجل تلبية دعوة آل في تلمسان، فكان له ما أراد، وبعد أن إطمأن على أحوال المغرب الأوسط، وأن لا خطر عليه من إرتداد الخوارج مرة أخرى، غادر تلمسان متوجها إلى عاصمته فاس[4]، وسمت همته، إلى مضايقة بني أمية، الكائنين بالأندلس، وعول على الإقتحام عليهم في جزيرتهم فأدركه أجله قبل الشروع في ذلك[5] .

ولا يغيب عن البال ما ذكرناه في الفصل الأول، عن موالاة البتر لعثمان بن عفان (ض) والبرانس لعلي (ض)، فقد استغل أمويو الأندلس ذلك إلى أبعد الحدود، للضغط على آل علي (رضو)، وسيعطي ثماره غداة الصراع الأموي الفاطمي في المغرب الإسلامي.

ولنتذكر معا أن عبد الرحمن الداخل ربطته بمكناسة وقبائل البتر زيادة عن الولاء رباط الدم والتستر عليه أثناء الطلب العباسي عليه «فسار عبد الرحمن بن معاوية إلى

---

(1) ن م س ص 610 609

(2) ابن ابي زرع –ن مة س ص 50

(3) ن م س ص 50

(4) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج4، ص14/ الخطيب : أعمال الإعلام، ص202.

(5) التنسي (أبو عبد الله)–تاريخ دولة الادارسة ص 42

موضع يقال له باري[1]، فنزل في قبيلة يقال لها مكناسة فكان له عنده يطول ذكره، ثم خرج من عندهم حتى بلغ البحر فنزل في نفزة وهم أخواله، فكانت أمه نفزية وبدر[2] معه[3] ومكناسة هذه لم يكن لها موقف ثابت، كان ما يهمها إلا مصالحها، دعت في الأندلس إلى الشيعة[4]، ثم هاهي تدعو عبد الرحمن الداخل، ثم إلى الفاطميين، ثم مرة أخرى إلى بني أمية في الأندلس، كما تمذهبت بمختلف المذاهب.

هذه الأسباب مجتمعة جعلت العلويين في المغرب، لا يفكرون في فتح الأندلس بموت الإمام إدريس الثاني، واستمرت العلاقات العدائية بين العلوية والأموية، وفي كثير من الأحيان، وصلت إلى تجهيز الجيوش، وهذا ما سنعرفه من النزاع الفاطمي الأموي على أرض المغرب، مع التعاون الكامل والشامل في كل المجالات الأخرى، وهذا ما أكدناه، مسبقا في العلاقات الإقتصادية والثقافية.

إلا أن ثورة عمر بن حفصون (267-305هـ)[5] حركت المشاعر وأحيت الرغبات في بعث مشروع الامام إدريس الثاني، خاصة أن الظروف جد مواتية في العدوتين، فكان الاتصال بين القاسم بن ابراهيم الإدريسي صاحب بصرة[6] (المغرب)، وعمر بن حفصون، بدأت بالمراسلات والبعثات واتهت بالدعوة والخطبة للأدراسة.[7]

---

(1) باري -هي رنكور حسب اليعقوبي انظر البلدان ص 112

(2) بدر هو -مولى عبدالرحمن الداخل .انتقل معه من فلسطين الى المغرب ثم الى الاندلس وقام بدور كبير في دعوة الى سيده في الاندلس ومهد له الطريق
انظر ابن اثير : الكامل -ج4 -ص362

(3) المؤلف مجهول -كتاب اخبار مجموعة في فتح الاندلس ودكر املرئها ص 125 / ابن -ن م س ص 362

(4) انظر الفصل الاول الشيعة في الاندلس.

(5) عمر بن حفصون -هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم من سلالة نصرانية المتوفي سنة 305 ه ثار على محمد بن عبد الرحمن صاحب قرطبة (233-273 ه)متحصنا بمحصن بيشتر المنيع جنوب الاندلس -انظر ابن قوطية افتتاح الاندلس ص 77

(6) البصرة -مدينة مغربية تقع على الطريق الرابط بين طنجة وفاس اسسها الادارسة «والبصرة مدينة مقصودة وهي مدينة كبيرة واسعة انظر ابن الحوقل صورة الارض ص81 / البكري المغرب ص110-111

(7) ابن حزم -جهرة انساب العرب ص -44ابن عداري البيان ج 1 ص 233.

لكن الظروف كانت أسرع من الجميع، وغيرت من موازين القوى في المنطقة بظهور الفواطم، ويبدو أن العلويين في المغرب الأوسط، قد سروا لهذه التحولات التي حدثت في إفريقية وتيهرت وسجلماسة، لأن الأمور كادت لن تفلت من أيديهم، وهذا لظهور قوة محلية في المنطقة، مثل : محمد بن خزر زعيم زناتة الذي أصبح يتقوى شيئا فشيئا في وهران وضواحيها، ومصالة بن حبوس بن منازل المكناسي[1] وقريبه موسى بن أبي العافية[2]، ومكناسة المعروفة بتقلباتها السياسية، وبقوتها البشرية المتواجدة في المغربين الأقصى والأوسط.

وكان عبيد الله الشيعي المتوفى سنة 298 هـ يرسل إلى زعماء المغرب الأوسط والأقصى كتبا يطلبهم فيها بالدعوة إلى عبيد الله المهدي، المتمثلة في : «اللهم فضل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق، وبه يعدلون اللهم واصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك، وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولبريتك موئلا وملادا فانصره على أعدائك المارقين، واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وايده على العصاة الظالمين إله الحق رب العالمين»[3] كما طالبه بضرب السكة باسمه مع إبقائهم على ماهم عليه دون شيء آخر، ويظهر أن حل الأدارسة قد أجابوه لطلبه، وهناك من زعماء البربر من رفض الطلب أمثال محمد بن خرز زعيم مغراوة وزناتة[4]، وهذا ما نوضحه في وقته.

---

(1) مصالة بنحبوس بن منازلة المكناسي المتوفى سنة 312 هـ دعا الى عبد الله المهدي ولاة تيهرت وفتح العديد من المناطق المغرب محمد بن خزر انظر ابن عدالري –البيان ج1–/ 189

(2) موسى بن ابي عافية توفي سنة 326 هـ قريب المصالة زعيم مكناسة دعي الى الفاطميين ثم تحول عنهم الى الامويين في الاندلس .اشتهر بسفك دماء العلويين كما شهر سيفه اكثر من مرة على محمد بن خرز انظر بن عداري –ن م س ج 1 –204–205

(3) القاضي النعمان افتتاح الدعوة ص 193–194/ مرمول محمد الصالح .السياسة الداخلية للدولة الفاطمية ص 720

(4) ابن عداري البيان ج 1 ص 194

ويظهر من ساعتها والعلويون في المغرب الأوسط والأقصى يخطبون للإمام المهدي بدل أن يدعو إلى الإمام فاس ويدل الدعوة إلى بني أمية، رغم المحاولات المتكررة من أمير قرطبة عبد الرحمن الثالث (300-350هـ) الذي لقب بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله[1]، وهذا في سنة 316 هـ / 928م، معتمدا في ذلك على حنكة قاضيه محمد بن عبيد الله أبي عيسى المغربي الذي أوفده إلى المغرب سنة 316 هـ [2]، وعندما فشل في إقناع آل البيت العلوي تخطاهم إلى قبائل البربر إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا في طاعته[3]، هذا الرفض القوي من طرفهم دفع بابن حيان القرطبي إلى أن يقول : «نصرا للعصبية وإغماضا على الدنية، وإبعادا في الأدية وانحرافا عن هودة لمودة بني أمية للأحفاد القديمة ...»[4]. الذي أرجع أصله إلى العصبية القبلية والخلفية التاريخية.

وأن السياسة التي رسمها أمير قرطبة في المغرب الأوسط، قد أتت أكله في الحين، لأن السليمانيين من ذوي الاصول العلوية، أقلية قليلة وأن معظمهم مواطئي الدولة من قبائل البربر، وهؤلاء حلهم إلى بني أمية لعواملتاريخية والحساسية المفرطة بين البتر والبرانس اتباع الإمام المهدي في إفريقية، والاغراءات المادية التي قدمها وأوعد بها أمير قرطبة ويظهر أن أسلوب شراء الذمم دأب عليه الأمويون منذ معاوية بن أبي سفيان.

لقد نجح القاضي محمد بن عبيد الله في تفتيت وحدة الأسرة العلوية، من خلال كسبه لأمير أرشكول[5]. هذاالتصرف الانفرادي أغضب العائلة العلوية بكاملها في المغرب الإسلامي، وعد من أكبر الخياناتالدينية والأسرية وقاطعة الجميع، وكان ذلك في سنة 316 هـ/ 928م.

---

(1) ابن عداري -البيان ج-2ص 198/ مؤلف مجهول الحلل الموشية في دكر الاخبار المراكشية ص 30

(2) ابن خلدون -ترجمان العبر ج 53.7

(3) المؤلف مجهول مفاخرمة البربر ص 123 / ابن خلدون -ترجمان العبر ج 7 ص 53

(4) ابو مروان حيان بن خلف القرطبي المقتبس ج-5ص 2620.

(5) ابن خلدون ترجمان العبر ج 7 ص 53

وقد استغل عبد الرحمن الناصر ظروف المغرب السيئة مثل: التمزق الذي أصاب المغرب الأوسط، وظروف الحرب، وخروج العديد من الزعامات المحلية عن الطاعة العلوية، وقد شجع موسى ابن أبي العافية (انظر الملحق) لتهر العلويين وطردهم من المغرب، وكان من نتائج توسعه إن امتد نفوذه من سواحل تلمسان إلى السوس الأقصى من بلاد الادراسة[1] فاقتفى أثر إدريس بن ابراهيم أمير أرشكول، أمير تنس القاسم بن ابراهيم ثم باقي سليماني الجهة الغربية من تنس إلى جراوة، ثم أدارسة المغرب الأقصى[2]، أما سليماني الجهة الشرقية كأمارة تقدمت والهاز وسوق حمزة ومتيحة، فبقيت مرتبطة بإمام إفريقية العلوي، ولكنهم كانوا بدون شك مضطرين أمام الضربات التي وجهت إليهم من زعماء البربر الجدد ومن بني أمية وتخلي الخليفة المهدي (216-322هـ) عليهم لظروف قاهرة كانت تمر بها البلاد داخليا وخارجيا مثل: انتفاضة أبي يزيد مخلد من كيداد الخارجي[3] (316-336هـ)، والاستعداد لفتح مصر وصقلية ... وقد اوضحت قبل أسباب تحول القادة.

وولاء بعض القادة السليمانيين إلى بني أمية في الأندلس، لم يكن عن قناعة وصدق وإخلاص، إلا أن الظروف وقسوتها دفعتهم دفعا لذلك، وقد لحظنا كلما توفرت لهم فرصة للخروج، إلا واتجهوا إلى إفريقية، أو انفصلوا عن الخلافتين، داعين إلى إمام فاس، وهذا إلى سقوط آخر إمارة سليمانية، وهذه الوضعية لم تدم أكثر من ربع قرن (316هـ).

---

(1) ابنة ابي زرع الروض القرطاس ص 55 ابن عداري -البيان ج 1 ص 194 / السلاوي الاستقصاء ج1 ص 81

(2) ابن حيان المقتبس منج 5 ص265

(3) ابن عداري البيان ج1 ص 93

العلاقة السياسية السليمانية المدرارية :

تعد دولة بني مدرار من أوائل الدويلات التي نشأت في المغرب الإسلامي، نتيجة فتنة ميسرة المطغري[1]. فقد لجا عيسى بن يزيد الأسود الصفري[2]، من موالي العرب، إلى منطقة سجلماسة[3]، وكان صاحب ماشية، وكثيرا ما ينتجع أرض سجلماسة ويتردد عليها[4]، وكان ذلك سنة 138 هـ وفي سنة 140 هـ اجتمع إليه عدد من قبائل البربر المتواجدون في المنطقة، أمثال : مكناسة، وزناتة، ومصمودة ...فتقدم كبير القوم أبو قاسم سمكو بن واسل المكنسي .الزناتي وبايع عيسى بن زيد الأسود، فتبعه سكان الإقليم[5]، فشرع في تخطيط المدينة، وتأسيس دولة (140هـ)، وبعده تعاقد عليها، بنو مدرار ابتداء بأبي القاسم سمكو بن واسل المكناسي الملقب بمدرار (155-167هـ) وانتهاء بمحمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار الملقب بالشاكر لله، الذي قبض عليه جوهر الصقلي سنة 347هـ، وحمله الى القيروان في قفص من الخشب[6].

والمسافة ليست كبيرة بين إقليم سجلماسة وإقليم درعة التابع للعلويين «ومن مدينة سجلماسة قرى تعرف ببني درعة، وفيها مدينة ليست بالكبيرة تامدلت ليحي

(1) ميسرة المطغري هو ميسرة تامدغري الصفري المشهور (بالحقير) الذي قاد ثورة البربر بالمغرب سنة 122 هـ ضد الخلافة الأموية وتمكنة من قتل عمر بن عبد الله المرادي بطنجة عمل الخلافة عليها لكن نهاية كانت على يد البرابرة عندما اساء الإمارة فيهم انظر ابن عداري -البيان ج 1 ص 56 53

(2) هو عيسى بن يزيد الاسود الصفري وقد ولوه الصفرية هـ140 هـ اميرا لهم على اقليم سجلماسة لكن عادو وانكرو عليه اشياء قام بها فكانت نهايته على ايديهم انظر ابن عداري -البيانة ج1 ص156 ابن خلدون ترجمان العبر ج6 ص 267

(3) سجلماسة -مدينة بنيت سنة 140 هـ اسسها بني مدراد من الخوارج الصفرية وجعلوها عاصمة لهم وعلرف اقليم سجلماسة والذي يمتد على طول زير (ملوية) نحو 120م وتبعد عن تلمسان ب 10 مراحل وعن فاس ب 8 مراحل سكانها زناتة هوارة صنهاجة السود اليهود والاندلسين انظر الحسن الوزان -وصف افريقيا ج 2 ص 120 البكري -المغرب 139 138

(4) ابن خطيب اعمال الاعلام ص 138

(5) ابن خلدون -ترجمان العبر ج 6 ص 269 / ابن عداري ج 1 306

(6) السيد عبد العزيز سالم تاريخ المغرب الكبير ج -2ص589

ابن ادريس (الثاني) العلوي، وحولها معادن ذهب وفضة»[1] هذا يعني إن الدولة الإدريسية كان لها نفوذ إلى أقصى الجنوب، وتذكر المصادر العربية الإسلامية بأن الأدارسة قد شكلوا خطرا على بني مدرار، واستولوا على جزء من تجارة غرب إفريقيا.

إن العلاقة السليمانية - المدرارية، شملت مجالات عديدة مختلفة وليس آخرها العلاقات الإقتصادية وقد ذكر الجغرافي البكري : «تابحريت في متصد لقوافل سجلماسة وغيرها»[2] وقد عثرعلى مجموعة من النقود عام 1977 م في ولاية البويرة منطقة الهاشمية (حمزة) بلغ عددها 26 قطعة والمضروبة من قبل آخر أمراء بني مدرار الشاكر لله .[3] أما العلاقات الإجتماعية المتمثلة في قبيلة مكناسة المشتركة بين الدولتين بني مدرار من مكناسة ومن رعايا الدولة السليمانية من قبل مكناسة «وحول هذه المدينة (تلمسان) قوم من البربر، يقال لهم مكناسة»[4]، ومن النحل التي كانت موجودة في التي كانت موجودة في الدولة السليمانية النحلة الصفرية، وهي فرع من الخوارج المتطرفة، وعقيدة بني مدرار الرستومية هي الصفرية، والجماعات الصفرية التي كانت تقيم في الدولة السليمانية والإمارات العلوية، كانت تدفع زكاة أموالها لشيوخ الصفرية في سجلماسة[5]، والتوسع العلوي في المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى كان في معظمه على حساب الخوارج الصفرية لهذه العوامل وغيرها، وجدنا الطابع السياسي الذي ميز العلاقات السليمانية المدرارية، ساده العداء والتنافس وفي العديد من المرات تحول إلى صراع عسكري ومن أدلة ذلك الحروب السليمانية الإدريسية.

---

(1) اليعقوبي -البلدان ص 114 / البكري -المغرب 155-156

(2) البكري ن م س ص 87

(3) هذة القطع تعود الى سنوات (336 - 347) هـ وهي محفوظة الان في المتحف الوطني الاثار القديمة بالجزائر العاصمة / ابن قربة صالح المسكوكات المغربية ص 432.433

(4) اليعقوبي البلدان ص 112

(5) محمود اسماعيل -الادارسة (127-375) هـ ص 137

من سجلماسة وتيهرت (197-201 هـ) التي قال عنها ابن خلدون «ومحوا دعوة الخوارج منهم»[1] يعني الخوارج عامة والصفرية خاصة.

وفتنة عبد الرزاق الصفري[2] الذي خرج في جيش من مكناسة ومديونة وعبانة وتوجه بهم الى فاس وتمكن من الإستلاء على عدوة الأندلسيين، وانتهت بتدخل الأمير يحي بن القاسم ابن ادريس ومقتل عبد الرزاق الصفري من قبل بني مدرار سنة 293 هـ[3].

ما قام به مصالة بن حبوس ثم موسى ابن أبي العافية من أعمال نهب وتخريب وقتل في المغرب الأوسط والأقصى والعداوة الموجودة بين بني مدرار الصفرية خاصة فرع مكناسة، وعلوي المغرب الأوسط والأقصى، أكثر منه، الصراع الأموي الفاطمي «فنزل عليهم موسى ابن أبي العافية وشدد عليهم الحصار وأراد استئصالهم وقطع دابرهم فعدل على ذلك أكابر دولته، وقالوا له : أتريد أن تقطع دار أهل البيت من المغرب وتخليه منهم ؟ هذا شيء لانوافقك عليه ولا نتركك له ! فاستحيا عند ذلك وارتحل عنهم الى فاس»[4]، وكان ذلك سنة 317 هـ.

هذه التصرفات تدل على حقد دفين وخلفية تاريخية تتضح بالانتقام والعداء ضد آل البيت، ويستحيل أن تكون تلك الأعمال تمت بموافقة الفاطميين لأن لهذا العهد جل الغلويين من المغربين كانوا يدعون الى المهدي، وهذا ما سأوضحه في العلاقات السياسية السليمانية الفاطمية.

---

(1) ابن خلدون –ترجمان العبر ج4 ص 27 / محمود اسماعيل ن م س ص 179

(2) عبد الرزاق الصفري هو صاحب فتنة عدوة الاندلسين في فاس سنة 293هـ وهو الدي قاد جيش مكناسة ومديونة وغياثة وتوجه بهم الى مدينة فاس على عدوة الانداسيين مدعما من بني مدرار زعماء سجلماسة انظر Musulmane Berberi La Marçais George p 126 -

(3) السلاوي الاستقصاء ج 180-1

(4) لسلاوي ن م س ص 187-186

العلاقة السياسية السليمانية البرغواطية (127-542 هـ) :

قد أشرنا قبل الآن الى برغواطة وتعاطيها الكهانة والسحر[1]، وبقي أن نحدد الرقعة الجغرافية البرغواطية وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وازمور وأنفى وأسفى[2] ما بين مدينة الرباط العاصمة المغربية الى جنوب مصب نهر أم الربيع بإقليم دكالة ونشأت الدولة في نهاية الربع الاول من القرن الثاني[3]، ومؤسسها صالح بن طريف، وهناك من يشكك في نسبه المغربي، ويجعله من يهود واد برباط من الأندلس[4]، إلا أن ابن خلدون يكذب هذا الزعم ويقول : «وأما صالح بن طريف فمعروف منهم (المصامدة) وليس من غيرهم، إنما نسب الرجال في برغواطة وهم شعب من شعوب المصامدة المعروف»[5] ..

وما يهمنا من هذه الدولة العلاقات السياسية مع الدولة السليمانية والإمارات العلوية، وقد حددنا مقاييس العلاقات التي تبنى عليها، وكل المصادر المتوفرة لدي تقول بارتداد برغواطة عن الإسلام[6] على الأقل من 127 هـ 542هـ[7]، وإن كانت برغواطة معاصرة للدولة السليمانية، إلا أنه لا توجد حدود مشتركة بين الدولتين.

فالأدارسة والسليمانيون قد عاملوا برغواطة على أساس على أساس أنها دولة كافرة[8]، ويجب شأفه أصلها من المنطقة لأن المغرب الإسلامي دار الإسلام، وهؤلاء

---

(1) انظر الفصل لاالحياة الاجتماعية والثقافية من الرسالة 144

(2) ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 428/ عبد العزيز فيلالي العلاقات السياسية ...ص113
انظر ابن عذاري البيان ج1 يص57 يقول «مبدؤها سنة 124هـ او نحوها» وابن خلدون ترجمان العبر ج6 ص 429 يقول «كان ظهور صالح هدا في خلافة هشام بن مالك سنة 127ه و هي السنة التي توفي فيه ابوه»

(3) ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 428/ عبد العزيز فيلالي العلاقات السياسية ... ص113

(4) مؤلف مجهول الاستبصار ص 197

(5) ابن خلدون ترجمان العبر ج6 ص 435

(6) ابن عذاري -البيان ج1 ص 56 / البكري المغرب ص 135/ابن خلدون -ترجمان العبر ج-6ص429

(7) العبيدي (ابراهيم خلف)البرغواطيون في المغرب 127-542 هـ ص 10-44

(8) محمود اسماعيل -دولة الادارسة 172-375هـ ص 135 بقول واهم مذهب ديني وهو المذهب الخارجي الصفري.

ليسوا منها، فالطابع الذي ميز العلاقات هو العداء وقد وصل في الكثير من الأحيان إلى الحروب منها، إن الإمام إدريس بن عبد الله الكامل خرج في سنة 173 هـ، من وليلي يجاهد لنشر الإسلام، ومحاربة البدع الخارجية، وأهل المجوسية والنصرانية، وكانت وجهته بلادنا تامسا[1].

وسار الإمام إدريس الثاني، على نفس الوتيرة التي رسمها والده، في جهاد الكفرة والملحدين، ومن البلاد التي فتحها بلاد المصامدة من مناطق السوس الأقصى فاستولى على نفيس وأغمات[2]، واستمرت العداوة بين العلويين والبرغواطيين إلى نهاية وجودهم في المغربية الأوسط والأقصى.

ويرى الأستاذ العبيدي العراقي المختص في البرغواطيين، غير أن الأدارسة طوقهم حينما استولوا على تلمسان وشلة، والسوس، ونفيس، وهذه المدن تسيطر على طرق التجارة المتجهة من الصحراء الى الشمال، وإلى الشرق»[3] كانت الدولة السليمانية والإمارات العلوية لم يسبق لها أن أعلنت الحرب على الدولة البرغواطية لوجود الحاجز المغرب الأقصى، إلا أن ذلك لم يمنع أفراد السليمانيين من المشاركة في جيش الإمام لمحاربة هؤلاء المارقين في اعتقادهم.

العلاقة السياسية السليمانية النكارية :

(بني صالح)(91-460هـ) تقع إمارة بكور في منطقة الريف المغربي وأكبر. حواضر إمارة بكور، مدينة بكور التي تبعد عن البحر المالح بخمسة أميال[4].

من أوائل الإمارات المستقلة في المغرب الإسلامي، بحيث نزل صالح بن منصور الحميري تلمسان، في عهد الوليد عبد المالك (86-96هـ) وعلى يده أسلم بربر الإقليم

(1) ابن ابي زرع –روض القرطاس ص 20/ السلاوي ن م س ج ص 156

(2) –ابن العداري –البيان ج 1، ص 211 / ابن ابي زرع –القرطاس ص 50 البكري المغرب ص 123

(3) العبيدي (ابراهيم خلف) –البرغواطيين في المغرب 127--542هـ ص 44

(4) البكري المغرب ص 90 / اليعقوبي البلدان ص 112

الشمال من المغرب الأقصى[1] وسمي باسمه أي إمارة بني صالح نكور (كرط)[2]، وكان ذلك في سنة 91 هـ [3]، وأقطعه إياها الوليد بن عبد المالك، [4] وتوارث حكمها أحفاد العبد الصالح (صالح بن منصور الحميري) إلى سقوطها، وبقاء هذه الإمارة كل هذه المدة، يعود في اعتقادنا ولائها إلى الدائم لبني أمية.

وكانت لإمارة تكور حدود مع الدولة السليمانية، من الناحية الغربية الشمالية وأقصد مع إمارة جراوة، وقبائل الحدود المشتركة بين الإمارتين هي زواغة وجراوة ومطماطة، ويقول اليعقوبي الذي عاين المنطقة في القرن الثالث الهجري : «ثم بعد مملكة بني محمد بن سليمان مملكة رجل يقال له صالح بن سعيد ... واسم مدينته العظمى التي ينزلها نكور (هكذا) وهي على البحر المالح»[5] سنة والمسافة بين مدينة جراوة ونكور التي أسسها ادريس بن المعتصم بن صالح سنة 143 هـ[6]، نعني مدينة نكور، ومسافة بينهما خمسة أيام[7].

ومن المشهور أن ادريس لم يستطع إتمام مدينة نكور، «وولي سعيد بن ادريس وهو الذي بني مدينة نكور»[8] والأصح أكملها، وكان لهذه المدينة أربعة أبواب، «في القبلة باب سليمان[9]»، وهذا الباب يدخل ويخرج منه، كذلك القاصدين إمارة جراوة وقبائل الحدود المذكورة سابقا، وسعيد هذا كانت له أكثر من علاقة مع أبناء سليمان مع أحمد بن

---

(1) الحسن الوزان وصف افريقيا ج1 ص 340

(2) ن م س والصفحة ويظهر ان اسم كرط اطاق على اقليم بعد حرب يوسف بن تاشفين مدينة نكورا سنة 473هـ/ 1081م انظر الادريسي القارة الافريقية ص 253 تاهامش

(3) ن م س والصفحة

(4) اليعقوبي البادان ص 112

(5) ابن خلدون -ترجمان العبر ج 6 ص440

(6) ن م س ص 439/ البكري -المغرب ص 90

(7) ابن عداري البيان ج 1 ص 176 البكري -المغرب ص 92

(8) البكري -المغرب ص 90 / ابن عداري البيان ج 1 ص 176

(9) البكري -المغرب ص 94/ ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 441

ادريس بن محمد بن سليمان خاصة مع احمد بن إدريس بن محمد بن سليمان، الذي تزوج أخت سعيد أم السعد بنت صالح . والعلاقة لم تنته عند الزواج والصداقة بين الأميرين، بل انتهت الى أن انتقل أحمد بن ادريس العلوي، الى مدينة نكور، ويقول في هذا الصدد البكري : «لها معها مدينة نكور الى أن مات»[1] ورغم الروابط التي وجدت بين بني صالح وبني أمية في الأندلس إلى حد «إن كان بنو صالح في نكور، يواصلون بني أمية في الأندلس ويداهنولهم .»[2] إلا أن العلاقات السياسية وباقي العلاقات الأخرى، بين بني سليمان وبني صالح بقيت حسنة إلى درجة أن سكن أحد الأمراء السليمانيين مدينة نكور، ولم نعثر في المصادر التي أنجزنا منها هذه الرسالة ما يشير إلى تأزم هذه العلاقات السياسية بين الدولتين.

العلاقة السياسية السليمانية الفاطمية :

لقد سبق وأن قلنا أن الإمام جعفر الصادق (ض)، قد بعث الى المغرب الاسلامي داعين هما : الحلواني وأبا سفيان وقال لهما : «بالمغرب أرض نور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر»[3]، وتزامنت هذه البعثات محمد ذوالنفس الزكية، وإذا كان أتباع زيد بن علي (ض) قد تمكنوا من إقامة الدولة الادريسية ثم السليمانية ثم الإمارات العلوية في المغربين الأوسط والأقصى، فإن الإمامية لم تتمكن من إنشاء دولة لها في المغرب إلا بعد أكثر من القرن ونصف القرن من إنفاد الداعيين .

وفي الربع الأخير من القرن الثالث هجري، رأى الإمام الإسماعيلي، محمد الحبيب[4] أن يبعث مشروع الإمام جعفر والصادق الى الوجود، خاصة وأن الظروف جد مواتية،

---

(1) البكري –ن م س ص 94 / ابن لدون ن م س ج 4 ص 441

(2) عبد العزيز فيلالي –العلاقات السياسية بين الدولة الاموية في الاندلس ودول المغرب

(3) ابن خلدون –ترجمان العبر ج–6ص 65

(4) محمد الحبيب هو الامام اسماعيل والد عبيد الله المهدي اول خليفة فاطمي 297–322هـ وهو ثالث الائمة الستورين وهم محمد المكتوب بن اسماعيل بن جعفر الصادق (رضو) انظر ابن خلدون ترجمان العبر ج 6ص 62 / لقبال موسى .ملحمة ابي عبد الله الاكجاني ص 21–22

والداعية موجود ألا وهو أبو عبد الله الصعابي، على أن يسافر أولا إلى اليمن ليعاين التجربة التي يقوم بها المنصور بن الحسن بن جيوشب بن راذان[1]، والإطلاع على كل ما يهمه في حروبه واستمال الناس إليه[2].

وما أن وصل أبو عبد الله الشيعي[3]، مع حجيج كتامة إلى إيكيحان[4]، حتى «شهر أمره بالمشرقي»[5]، ومن دعاه ودخل أمره نسب إليه، فقيل أنه مشرقي، فسموا المشارقة ... فكل من جاءه دعاه، وانصرف إلى بلده، وموضعه، وأهله واختلف إليه بسمعه، ومنهم من أقام بإكحان رغبة في القرب منه[6]، وهكذا تبدأ رحلته الصعبة والشاقة في وطن كتامة من المغرب الأوسط، وتنتهي بإسقاط الدولة الأغلبية والرستمية سنة 296 هـ.

ووصل عبيد الله المهدي، وبرفقته ابنه أبو القاسم، وأبو عبد الله الشيعي إلى إفريقية، «ثم نزلوا رقادة في ربيع سبع وتسعين وتسعين، وحضر أهل القيروان، وبويع للمهدي البيعة العامة، واستقام أمره، وبث دعاته في الناس فأجابوا إلا قليلا عرض عليهم السيف، وقسم الأموال، والحواري، في رجال كتامة، وأقطعهم الأعمال، ودون الدواوين وجبي

(1) عبد المجيد اليماني (تاج الدين عبد الباقي بن –) ت 733هـ / 1333م –بهجة الزمن في التاريخ اليمن –تحقيق مصطفى هجازي .دار العودة .بيروت لبنان (ب.ت) 38–39

(2) المنصور بن حسن بن جيوشب بن باذان قيل ولد عقيل بن ابي طالب المتوفي سنة 302ه وقد حارب ابن الفضل اتطرفه وخروحه عن الدين انظر عبد المجيد اليمني ن م س ص 38–39

(3) هو الحسين بن محمد بن زكرياء الصنهاجي .كنى بن ابي عبد الله المتوف سنة 298، ولقب بالمجموعت س الالقاب منها الشيعي .الصنعاني .المحتسب المعلم .الصوفي ... ويعتبر من الدعاة الكبار الدين اخلصوا للامامة السبعية انظر القاضي النعمان افتتاح الدعوة ص52/ موسى لقبال –ملحمة ابو عبد الله 23 .../ اب عبد الله الصنهاجي –اخبار ملوك ملوك بني عبيدة وسيرتهم ص 19

(4) ايكيجان –و جيملة قرية تابعة لولاية جيجل انظر لقبال ن م س ص 28.../ .../ ابو عبد الله الصنهاجي – ن م س ص 19

(5) المشرقي حيث صارت كلمة المشارقة بعد هدا الوقت 288ه تعني الشيعة «»انظر لقبال –ن م س ص 24

(6) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة، صص 52–53

الأموال وبعث العمال على البلاد...»[1] وهكذا تنشأ الدولة الفاطمية[2]، (296هـ-367هـ) وهي أول دولة شيعية وثالث دولة علوية في المغرب على رأي الأستاذ الميلي.

ويدون شك سر علوي المغرب الأوسط، والأقصى لهذا النبأ العظيم، أن ذلك يعني تحقيق المشروع العلوي قيام الإمامة في المشرق والمغرب وتوحيد العالم الإسلامي، إلا أن الإفصاح عن ذلك يتطلب التريث وتهيئة الأجواء وإنتظار الجديد، ويظهر أن زيدية المغرب المتأخرين لم يكونوا على اطلاع تام، على ما يجري في المشرق[3].

وكان أول صراع بين الجانبين هو قتل زناتة لرسل الداعي أبو عبد الله الشيعي بعد عودتهم من سجلماسة كان أبو عبد الله أرسلهم بأموال إلى المهدي (ع، م) إلى سجلماسة، فأوصلوها وانصرفوا إليه بالجواب - وهم أربعة عشر -فلما أن جاوزوها (سجلماسة في عودتهم) قطع عليهم الطريق جماعة من زناتة. «في اعتقاد الأستاذ لقبال، تخضع العناصر الزناتية إلى محمد بن خزر[4]، المقيم بضواحي وهران»، ورغم ما لحق السفارة من أدى، إلا أن أبو عبد الله الشيعي شعر بالارتياح، لعم تمكن زناتة من الإطلاع على الجواب (المهدي) وما فيه، لأن الرسل قد قاموا بإخفائه قبل موتهم، وكان ذلك قبل اعتقال المهدي وابنه من قبل حكام سجلماسة.

كانت وجهة الفاطميين من أول يوم لهم في المغرب، متجهة كلية الى المشرق وهذه نظرة أوائل العلويين في المغرب من الزيدية، وإذا كان أبو عبد الله الشيعي قام بفتح تيهرت وسجلماسة، قبل البيعة العامة للمهدي، فهذا في إعتقاد يعود إلى جملة من العوامل الأساسية منها، تخليص عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم من السجن الذي أودعهما إيها بن مدرار (270هـ- 297هـ) حاكم سجلماسة، وحماية الدولة الناشئة من الخلف، وضمان تدفق التجارة الدولية على إفريقية من أجل فتح مصر وبلاد المشرق،

---

(1) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج6، صص 75-76

(2) اي دولة العبيدية انظر الميلي -ن م س ص 502

(3) لم اعثر على ما يشير الى وجود بعثات علمية من المغرب اتجهت الى المشرق على غرار الخوارج

(4) موسى لقبال -دورة كتامة 349

والإستيلاء على الأماكن المقدسة منطقة الحجاز لإعطاء الشرعية للخلافة الفاطمية، وتأديب زناتة وقبائل المغرب الأوسط على الإعتداءات المتكررة على عمال الفاطميين في الزاب وتيهرت، وسجلماسة، (طريق غرب إفريقيا).

إذا كانت الدولة الفاطمية تقوم من حين إلى آخر بحملة تأديبية على سكان المغربين الأوسط والأقصى، يبدو الغرض منه، ما قلناه قبل الآن، وتلبية دعوى علوي المغرب من الزيدية والإمامية وابن حفصون المنشق عن الدولة الأموية في الأندلس الذي تحول من الدعوة الى إمام فاس، كما أسلفنا إلى الفواطم، وتحسبا لما سيقع، والتقارير التي تصل الى افريقية، كانت تحث على التوسع غربا، «بث الفاطميون عيونهم ودعاتهم بالأندلس لتقصى أحوال هذه البلاد متنكرين في زي التجار أو طلاب العلم أو المتصوفة من أمثال : «أبو جعفر هارون البغدادي، والرحالة الجغرافي ابنحوقل النصيبي»[1].

وبما أن أجزاء من أراضي وقبائل كتامة وصنهاجة وزواوة، كانت تابعة للإمارات العلوية الشرقية، وزحف عبد الله الشيعي على معظم الحواضر الواقعة على حدود الدولة السليمانية الشرقية غير الخاضعة لسلطتهم، والتابعة أحيانا الى الدولة الأغلبية وفي معظم الأحيان مستقلة عنها، مثل : سطيف بلزمة طينة، باغية[2] ... إلخ، ولم يتوغلفي الأراضي الدولة السليمانية، مما يبرز ولاء علوي المغرب الى الدعوة الإمامية

وهذا قبل إحضار الإمام المهدي من سجنه في سجلماسة بداية سنة 297 هـ، وقد ذكرنا، نص الدعوة، مع ضرب السكتة باسمه، ويبدو أن الإمام وافق داعيته على الإجراءات التي نفذها مع علوي المغرب، وأضحى الجميع يدعو الى اللامام المهدي (297-322هـ)، وهذا طيلة عشرين سنة على الأقل مما جعل ابن حيان يقول : «نصرا للعصبية واغماضها على الدنية ... وانحرافا عن هوادة (المودة) بني أمية للأحقاد القديمة»[3]. بالرغم ما تخلل

(1) دياب صابر محمد – سياسة الدولة الاسلامية في الحوض الابيض المتوسط .من اوائل القرن الثاني حتى نهاية العصر الفاطمي عالم الكتي القاهرة مصر 1973م ص 115

(2) اليعقوبي البلدان ص 108/ النعمان افتتاح الدعوة ص 168

(3) ابن حيان المقتبس .ج5 ص262

هذه المدة الزمنية من خرقات من لدن عمال الفاطميين في تيهرت والمسيلة، وخاصة من قبل زعماء مكناسة، وعد السليمانيون ذلك في إطار الصراع بين مغراوة ومكناسة ولم يكن يستهدفهم، هذا منذ سنة (297هـ- 298هـ)، عندما تحول أبو عبد الله الشيعي في المغرب الأوسط، وخاصة أراضي الدولة السليمانية وحارب صدينة وزناتة، ونزوله قرب مدينة تنس بالموضع المعروف بالثور»[1]، وأسهب ابن عذاري في وصف هذه الجملة، إلا أنه لم يشير الى السليمانيين مما يدل على انهم لم يكونو مستهدفين هذه المرة.

الإمام المهدي بمكافأة رجاله بالمال والوظائف، «وقسم عليهم (وجوه رجال كتامة وغيرهم) أعمال إفريقية وجعل لكل عسكر من كتامة ناجية منها ومن غيرها من البلدان حيث انتهت طاعته وبلغ أمره، واستعمل وجوههم على مدائنها»[2]. «استغلت مكناسة الظروف العامة للمغرب الاسلامي «كونوا من أعظم أوليائه وشيعته، وكان مصالة بن حبوس من أكبر قواده لانحياشه إليه وولاه على مدينة تيهرت والمغرب الأوسط.»[3] وكان ذلك في سنة 299 هـ. واستمر[4] واليا على المغرب الأوسط وتيهرت، إلى أن قتله محمد بن خزر الزناتي في شعبان سنة 312 هـ[5].

من المشهور أن مكناسة كانت من بين القبائل الموصوفة بوفرة الجباية وقوة الشكيمة لهذا العهد، وكانت رئاستهم لصالت بن حبوس، وموسى بن أبي العافية، وتحل على كثير من مناطق المغرب الأقصى، «وكانت بينهم وبين ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب»[6].

وقدح اغار موسى بن أبي العافية صدر ابن عمه مصالة، فتحين هذا الأخير الفرصة للانقضاض على علوي المغرب لما بينهما من حروب، وجاءت الفرصة من إفريقية

(1) ابن عذاري البيان ج-1 ص161/ النعمان ن م س ص 312

(2) النعمان افتتاح الدعوة ص303 302

(3) ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 274 297

(4) ابن يعداري البيان ج1 ص 197

(5) ن م س ص 197

(6) ابن خلدون : ترجمان العبر، ج6، ص 273

حيث كتب إليه الخليفة الفاطمي «يأمره بالنهوض إلى مدينة نكور» ويأمر بمحاربة سعيد بن صالح المذكور، فخرج مصالة من تيهرت (تيهوت) في غرة ذي الحجة من السنة الفارطة عن هذه المؤرخة[1] أي سنة 305 هـ، فكانت النتائج الآتية، دخل مصالة مدينة نكور، وقتل سعيد صاحبها والرجال والنساء والأطفال، ومكث بها نحو ستة شهور[2]، واستخلف عليها ذلول[3]، وتوجه مصالة الى فاس واستولى عليها واسترسل صاحبها يحي بن ادريس العلوي، من إمارة الدولة الادريسية الى أمير على مدينة فاس، تابعا للخلافة الفاطمية إفريقية[4] ثم قصد قبيلته حيث «عقد حينئذ لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وامصاره . مضافة الى عمله من قبل تسول[5] وتازا[6] وكرسيف»[7][8] .وهذا العمل اللامسؤول يدخل المنطقة في حروب لازيد من ثلاثين سنة في مرحلة أولى.

وبالرغم من ولاء الزيدية في المغرب إلى الإمامية السبعية في إفريقية، إلا أن كيد مصالة زعيم مكناسة إليهم عند المهدي، جعله لا يثق فيهم بحجة أنهم من وراء هجمات محمد بن خزر المغراوي «ثم عاود غزو المغرب سنة تسع فدوخه ومهد جوانبه، وأغراه قريبه عامل المغرب موسى بن أبي العافية، بيحي بن ادريس، صاحب فاس، فتقبض عليه، وضم فاس إلى أعمال موسى، ومحا دعوة الإدريسية من المغرب وأجهضهم عن أعماله

(1) ابن عداري -البيان ج1 ص 179

(2) ن م س ص 179-180

(3) دلول احمد رجالات الكتامة انتخبه مصالة على مدينة نكور سنة 305هـ مع قوة عسكرية من كتامة ومكناسة الا انه عجز عن المحافظة عن المهمة التيب كلف بها وقتله صالح بن سعيد واسترد ملك اجداده سنة 360هـ انظر لقبال -دور كتامة ص 353.

(4) ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 174.

(5) مدينة بالمغرب الاقصى تقع عاى ثلاث جبال في نواحي تازا -المغرب ص 141.

(6) تازا تقع في منتصف طريق بين وجدة وفتس.

(7) كرسيف : اسم لأكثر من مدينة في المغرب منها : كرسيف بالول إلى الغرب من تيهرت وكرسيف مكناسة يبعد عن وجدة إلى الغرب ب158 كلم، امظر البكري : المغرب، صص 118-142 .

(8) ابن خلدون ترجمان العبر ج 6 ص 150.

فتحيزوا إلى بلاد الريف وغمارة واستحودوا بها ولاية».[1] يظهر من بين الأسباب التي تركت علوي المغرب الأوسط والأقصى لا يتحمسون إلى الدعوة الفاطمية هي هذه الأفعال غير المبررة التي اقترفها مصالة وابن أبي العافية في العلويين، والخليفة المهدي كأن الأمر لا يعنيه.

وجد آل الحسن أنفسهم في ضائقة، نتيجة تصارع القوى الفاطمية الأموية على أرضهم في المغربين الأوسط والأقصى، متدخلين في شؤونهم الداخلية، مستغلين قبائل المغرب الموالية لهم إلى أبعد الحدود، وهكذا اختار آل الحسن موافقتهم، لآل الحسين في إفريقية، أم لأعدائهم بني أمية في الأندلس، ولا تركوهم لحالهم، ولا قبيلة مكناسة العدو اللدود لهم كفت عن ذبحهم، في أثناء موالاتها للفاطميين أو عندما تركتهم متجهة إلى خصومهم، بني أمية، من الأعمال التي قام بها موسى بن أبي العافية خادم العبيدين كان يقوم بذبح الأدارسة (آل إدريس وآل سليمان) ويرمي بهم في نهر فاس سمي حتى بالنهر الأحمر لكثرة القتلة في آل محمد (ص)[2] «ولم يكن ذلك مقتصرا على آل إدريس بل شمل آل سليمان» وفي سنة 320 هـ طلب موسى بن العافية، أمير فاس من قبل عبد الرحمان الناصر، من أن يساعده على افتتاح جزيرة ارشكول، فرضة تلمسان، فاستجاب عبد الرحمن لرغبته، وأمر أهل بجانة[3] وغيرهم من أهل السواحل باعداد خمسة عشرة مركبة حربية، مجهزة بالرجال والسلاح لمحاصرة جزيرة أرشكول التي لجأ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش، وقد حاصرت هذه السفن الجزيرة المذكورة فترة من الوقت،»[4] ولم تكن الأخيرة بل توالت الحملات الأندلسية على المغرب طيلة القرن الرابع الهجري تقريبا في إطار الصراع الفاطمي الأموي.

---

(1) ابن خلدون ترجمان العبرج 6 ص 274

(2) الادريسي ن م س ص11 المقدمة

(3) بجانة –هو مرسي مرية من ارض الاندلس انظر البكري المغرب ص 89

(4) السيدعبد العزيز سالم .احمد مختار العبادي .تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس دار النهضة العربية . بيروت لبنان 1969 مص176

يبدو أن مسألة الولاء أحرجت كثيرا، علوي المغرب الأوسط من آل الحسن والحسين، فانقسموا على أنفسهم، من أجل المحافظة على كيانهم، فالموجودون إلى الشرق من نهر شلف، وأغنى إمارات تقدمت، الهاز، سوق حمزة، متيجة[1]، مذكرة، تنس إلى حد ما، قد حافظوا على إمارتهم مع الولاء إلى الخلافة الفاطمية والدعوة لهم، أما علويا لجزء الغربي من الدولة السليمانية والدولة الإدريسية، من سنة 316 هـ بإقدام صاحب أرشكول إدريس بن ابراهيم السلماني بإعلان الطاعة لبني أمية في الأندلس[2]. أضحوا في تبعية لهم مع الترقب جططظ، وانتظار الفرص السانحة، وأخذ أمراء الولايات العلوية يعيشون التقلب في الولاءات والطاعات فمرة مع بني أمية وأخرى مع القواطم، مما جعل المؤرخ اسماعيل محمود يقول : «ذلك ان عداء الأدارسة للفواطم كان أكثر حدة من عدائهم لأموي الأندلس. ولم تكن مواقفهم هؤلاء أو أولئك إلا لخدمة طموحاتهم في استرد نفوذهم المفقود»[3]

إلا أن الواقع التاريخي يدحض ذلك وينفيه تماما، فموقف العلويين أدارسة وسليمانيين، قد لاحظنا في أوقات الشدة والأزمات الصعبة كثيرا ما لجأ قادة العلويين في المغربين الأوسط والأقصى، إلى الدولة الفاطمية في المهدية أو القاهرة مثل : يحي بن ادريس بن عمر بن إدريس سنة 309 هـ، الذي اتجه إلى المهدية، لكن ابن العافية سجنه دهرا طويلا، وعندما أطلق سراحه، واصل السير إلى المهدية[4]. والحسن بن محمد القاسم سنة 313 هـ، مع أبي العافية ففر الى المهدية، والحسن بن القاسم 373 هـ حيث فر إلى مصر وأكرمه العزيز بالله الفاطمي، وأمر بلكين بن زيري بائبه العام في إفريقية بتقويته ومساعدته[5]، وفي سنة 363 هـ، قام بلكين بن زيري بنقل سكان تلمسان الى أشير وبلغه

---

(1) اسماعيل العربي دوات الادارسة في تلمسان وفاس وقرطبة ص4-5

(2) ابن حين المقتبس ج 5 ص263 262 / ابنخلدون ترجمان العبر ج 6 ص53

(3) اسماعيل محفوظ دولة الادارسة 172--375ص 165

(4) البكري ن م س ص 125-126

(5) دروزة محمد غزة العرب والعروبة من القرن الثالث الى الرابع عشر هجري ص 380-384

كتاب المعز ينهاه عن التوغل في المغرب[1] وبدون شك كان فيهم من السليمانيين الكثير، وربما كان ذلك بطلب من الخليفة الفاطمي، ونحن نعتقد بأنه تم نقل أو ترحيل قطاعات واسعة من السكان وليس جميعهم.

لقد عرفت العلاقة السياسية السليمانية الفاطمية نوعا من التفاهم والتقارب نتيجة الروابط الدينية والتاريخية والعصبية، إلا أن الصراعات الفاطمية الأموية وتورط القبائل المغربية فيه، كان ضد إرادة آل سليمان الذين عرفوا بالتسامح والدعوة إلى نصرة الحق، وتعاطف سكان المغرب الأوسط معهم، وتلك الأيام نداولها بينكم.

(1) ابن خلدون: ترجمان العبر/ ج6، ص 318/ عبد الرحمن الجلالي تاريخ الجزائر العام ج1 ص 247

ان الدولة السليمانية والإمارات العلوية (173-342هـ) (789-954م)، والتي شملت معظم المناطق الشمالية في المغرب الأوسط، الممتدة من وادي الصومام شرقا، إلى نهر ملوية ووادي زاغ غربا، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب سلسلة الأطلس التلي، وكثيرا ما توغلت جنوبا إلى إقليم الهضاب العليا حساب الدولة الرستمية. الدولة السليمانية والإمارات العلوية، هي إحدى الدول العلوية التي تمكن العلويون من إقامتها في المغرب الاسلامي على غرار الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى والدولة الحمودية في الأندلس.

إن الاتصالات بين الشرق والغرب لا تعود إلى أيام الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ولكن تعود إلى فجرالتاريخ ولكنها تعززت وقويت عن طريق الروابط الجديدة : الدين، اللغة، التاريخ، الثقافة المشتركة.

وبوفاة النبي (ص)، ابتلي المشرق باضطرابات سياسية بسبب الخلافة والتعصب القبلي، فنتج عن ذلك فتن وحروب وفر على إثرها وإثر المآسي الأخرى المتلاحقة في المغرب جمع غفير من المشارقة.

إذا كان تفطن العلويون إلى المغرب متأخرا بالنسبة إلى المذاهب الإسلامية الأخرى، فإن محمد ذا النفس الزكية ولاعتبارات سياسية وعسكرية وحتى إجتماعية حيث نجده يبعث الى المغرب ثلاثة من ألمع عناصره منه بأفضليتهم علما وورعا وصبرا وهم : عيسى، إدريس، سليمان، والكل أبناء عبد الله الكامل.

وقد عرف المولاي سليمان وأخوه إدريس تلمسان، وهما من الدعاة للحركة العلوية، وشاء القدر أن ينجو من مذبحة فخ 169 هـ، وأن يعودا الى المغرب، وأن يؤسس إدريس

دولته في المغرب الأقصى، ثم توجه الى المغرب الأوسط، وكان ذلك في منتصف رجب 173هـ، وأثناء إقامة إدريس بتلمسان أشرف على انجاز العديد من الاعمال الحضارية من أهمها : بناء المسجد الأعظم، وترتيب أمور الدولة، وإخضاع قبائل زناتة، وكلف المولاي سليمان باقي المشاريع الحضارية، مع الاستقلال باقليم المغرب الأوسط، على أن يربطا المغرب روحيا من أجل استعادة الشرق الاسلامي، وارجاع الشرعية الإمامية الى أصحابها.

وما إن تسلم المولاي سليمان وأحفاده قيادة المغرب الأوسط، حتى ظهرت بوادر التقدم والتطور في مختلف مجالاته واندهش الزوار لما شاهدوه من عمران ورخاء، فأحدهم يقول : «ثم إلى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب التي يقال تلمسان، وعليها سور حجارة وخلفها آخر من الحجارة، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة» وهذا لا يقتصر على العاصمة بل عم الدولة السليمانية والامارات العلوية بأكملها وانتفع المغرب الأوسط برمته، وربما المغرب والمشرق الإسلاميين معا.

ويظهر ذلك جليا في الحياة الاقتصادية من خلال النشاط الزراعي والحرفي والتجاري، ويقر جل الرحالةالجغرافيون والمؤرخون الذين عاينوا الدولة السليمانية والإمارات العلوية، إن المغرب الأوسط عرف تطورا هائلا فانعكس ذلك إيجابا على المجتمع السليماني، حيث لاحظنا تطور عمراني وثقافي واكب النهضة الاقتصادية وأنالأوسط ولأول مرة، تظهر به حواضر جذبت انتباه ذوي الحاجة من علماء وتجار وحرفيين ونافس أهله اخوانهم في المغرب والمشرق، وساهموا بشكل بارز في النهضة العربية الإسلامية.

لقد حقق السليمانيون قفزة نوعية في المغرب الأوسط، خلال قيادتهم له (173-342هـ)، تجلت في مختلف الميادين السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وكانت نتائجها جد بارزة على المجتمع السليماني العلوي تمثلت في اندماج العلويين مع البربر حتى أصبح المغرب الأوسط ينسب إليهم، وزادت الصلات توثقا وتماسكا بفضل الزواج بين المسلمين، فخلف أجيال تمازجت بمرور الزمن، وبإمكانها أن تؤكد

أن البربر ولأول مرة تساووا مع العرب والفرس في ظل السلطة العلوية في المغرب الأوسط والأقصى، حيث تقلدوا السلطة كوزراء وأمراء وقادة ومرابطين.

والمرأة في المجتمع السليماني، كما في غيره من المجتمعات الاسلامية في المشرق والمغرب، نالت الكثير من حقوقها وبلغت مرحلة متقدمة، لما أحدثه الإسلام من تحولات إيجابية في تكريم المرأة، وتسابقت مع الرجال في البذل والعطاء.

إن المستوى المعيشي، من حيث الرخاء العام ورخص الأسعار، ووفرة المواد الغذائية، حتى بيع وسق القمح بدرهمين وثلاثة دراهم، ووسق الشعير بنصف ذلك، والكبش بدرهم ونصف، والبقر بأربعة دراهم، وخمسة وعشرون رطلا من العسل بدرهم واحد، أما الفواكه والخضر والبقول والقطنية فلا ثمن لها، الجميع يأخذ حاجته، لأن الفلاح قد اقتنع، أن ذلك يدخل في إطار التكافل الاجتماعي. وإذا كان المغرب الإسلامي، وجدت فيه بعض الظواهر السلبية كاللصوصية والكهانة والسحر والتطفل. البعيد عن الدين الاسلامي، رغم محاربة العلماء والدعاة ورجال السلطة لها، فهذا شيء عادي وطبيعي في اعتقادي، كما أن البلد قد مر ببعض الأزمات الإقتصادية والإجتماعية الحادة، وهذا نتيجة عوامل بشرية وطبيعية مجتمعة. وأحيانا أوجدتها ظروف جهوية ودولية.

لم يكن إسلام البربر دفعة واحدة، لكن جاء تدريجيا كأي كائن حي آخر، ويظهر أن جهود قادة الفتح الاوائل، قبل آل البيت العلوي، كانت غير كافية لنشر الإسلام، خاصة في المناطق النائية والجبلية وأقصى جنوب المغرب، ويعد الإمام إدريس والمولاي سليمان وأحفادهما من كبار الفاتحين في المغرب، مع تصحيح العقيدة الاسلامية في المناطق التي كان فيها الإسلام، لأن الصفرية شوهت الكثير من العقائد.

وأدرك سكان المغرب القاعدة الفقهية المعمول بها، ما يجب الواجب إلا به فهو واجب، ولا يمكن فهم الإسلام، إلا عن طريق التبحر في اللغة العربية وعلومها، وهضم اللغة يكن عن طريق حب أهلها والاندماج في الفهم والاحتكاك بهم. وقد ساهم في حركة التهريب العلويون والوفود العربية والبربر والمولدون والعلماء وطلبة العلم بشكل كبير، وهذا ما نلمسه بشكل بارز في التعليم والعلوم الدينية.

في هذا الجو الاسلامي نشأت وتطورت المذاهب والعقائد الاسلامية، فمذهب السلطة في الدولة السليمانية والامارات العلوية كان التشيع، إلا أنهم لم يجبروا السكان على مذهبهم، لذا نجد الجميع تعايش معهم من سنة وإمامية وإباضية وصفرية، هذا التسامح الديني المثالي، جعل الناس يتساءلون عن مذهبهم وهذه من مميزاتهم عن غيرهم في المغرب.

وعلم الجميع أن أول واجب أوجبه الله على المسلم المعرفة، هذه القاعدة الثابتة في الإسلام حفزت الأمة على إنشاء المؤسسات التعليمية وتعميرها من المساجد من مساجد ورباطات وكتاتيب وشريعات (خيم للتعليم)، وعن طريق هده المؤسسات التعليمية – التي تبدو بسيطة للوهلة الأولى –، إلا أنها كانت ذات فعالية كبيرة، حيث تخرج فيها الرعيل الأول من الفقهاء والعلماء ومن حفاظ القرآن الكريم وقرانه، ورواة الحديث وحملة الفقه... وما إلى ذلك.

واعتمد السليمانيون في سياستهم الداخلية والخارجية على المبادئ الأساسية الإسلامية، وهذا من القرآن والسنة الصحيحة، الدولة في الإسلام، دين ودولة، الأخوة الدينية، الشورى، أهداف الحكم... واستندت في سياستها الخارجية على الأصول الآتية : السلام، حظر الدم وحقن الدماء، احترام المعاهدات والمواثيق، وعلى ضوء هذه القواعد العامة للسياسة الخارجية، تم تقسيم البلاد من حيث علاقتها مع المسلمين إلى : دار سلام، ودار حرب.

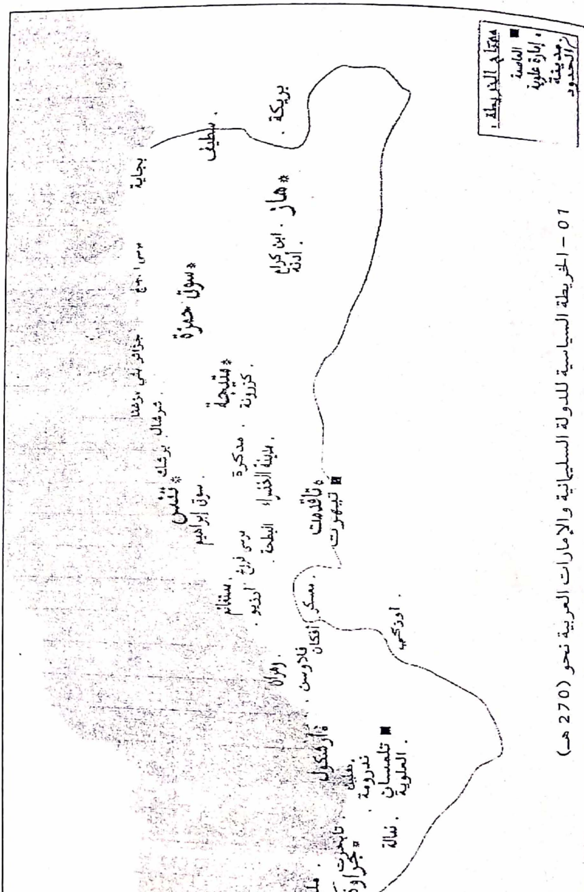
وأولى هذه العلاقات السياسية، علاقة السليمانيين بالأدارسة، وقد توصلنا بما لا يدع الشك إلى استقلال الدولة السليمانية والإمارات العلوية عن الدولة الإدريسية، وتبعية الدولة السليمانية والإمارات العلوية لها تمثلت في جانب واحد فقط في التمذهب أي الخطبة إلى الإمام فوق المنابر، هذا لا ينفي الروابط الأخرى التي تقام بين دولة ودولة، وعلاقة الدولة السليمانية السياسية مع جيرانها حددتها جملة من العوامل البشرية والعقائدية والمادية، واتسمت في معظمها بالهدوء ومراعاة مصلحة البلدين، وهذا لا ينفي وجود خلافات من حين لآخر لكنها لم تصل لدرجة تجهيز الجيوش، وإن كان

القرن الرابع الهجري من بدايته حمل بوادر التغيير والتدافع، واشترك السليمانيون في الصراع الدائر بين الفواطم في إفريقية وبني أمية في الأندلس، والذي انتهى بتغيير خريطة المغرب الاسلامي بما فيه الدولة السليمانية والامارات العلوية وزوال السلطة الزمنية العلوية وإن بقيت السلطة الروحية، ولله في خلقه شؤون.

وهكذا انتقل السليمانيون بالمجتمع المغاربي من مجتمع قبلي بدائي، إلى مجتمع حضاري، في جل عاداته وتقاليده، وقررت الدولة السليمانية والامارات العلوية مصير المغرب الأوسط، ديانته الإسلام وثقافته العربية الإسلامية، ووضعوا له القواعد الأساسية للإقلاع الحضاري وهذا ما تجلى في مختلف الميادين، وستبقى هذه الأصول القاعدية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما ذلك على الله بعزيز.

الملاحق :

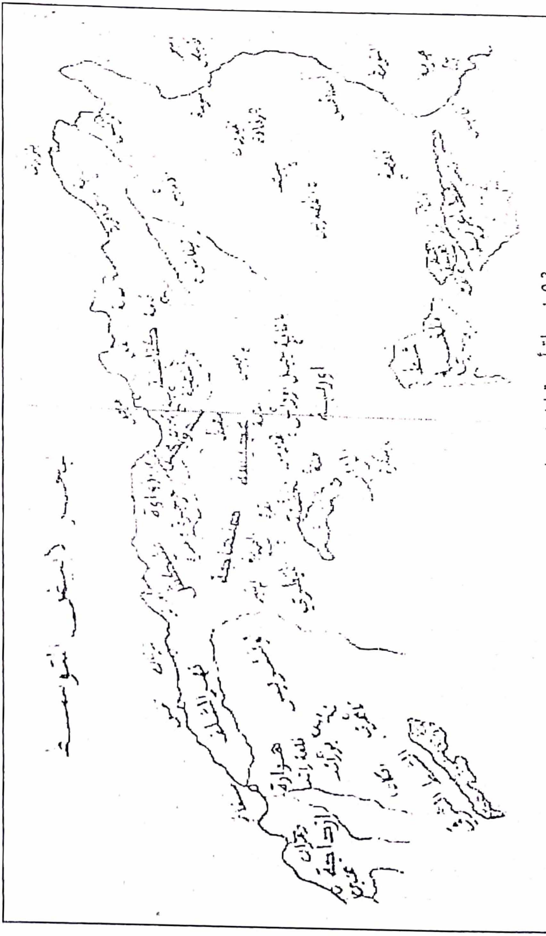
- الخريطة السياسية للدولة السليمانية والإمارات العربية
- الخريطة الطبيعية للدولة السليمانية والإمارات العربية
- خريطة البرانس
- خريطة زناتة
- أشجار الأنساب
- الدينار الذهبي للدولة السليمانية
- الرسائل الثلاثة
- مقادير الأطوال :
- الأطوال
- مقادير المساحة
- مقادير المكاييل



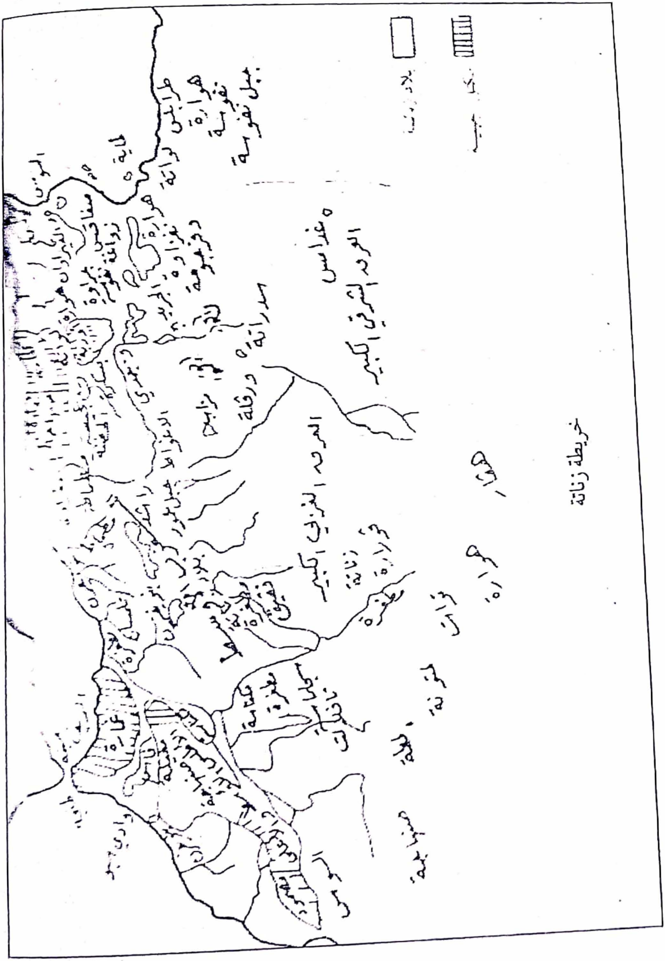
01 – الخريطة السياسية للدولة السليمانية والإمارات العربية نحو (270 هـ)
وفق وصف اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ من كتاب البلدان ص 103 – 107



02 - الخريطة السياسية للدولة السليمانية والإمارات العربية نحو (270 هـ)
وفق وصف اليعقوبي المتوفي سنة 284 هـ، من كتاب البلدان ص 103 - 107



03 خريطة أهم قبائل فرع البرانس في المغرب الأوسط
لعهد الدولة السليمانية والإمارات العلوية

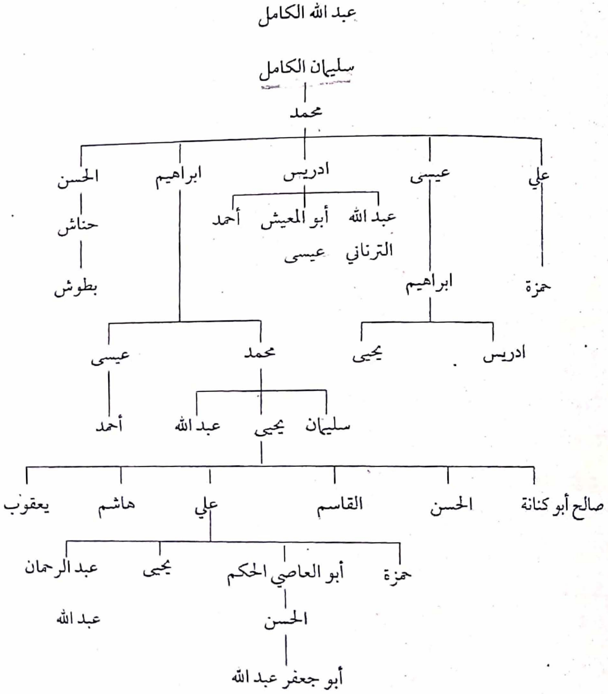


خريطة زناتة

الشكل هـ:

شجرة نسب آل سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي (رضو)

الشجرة الأولى



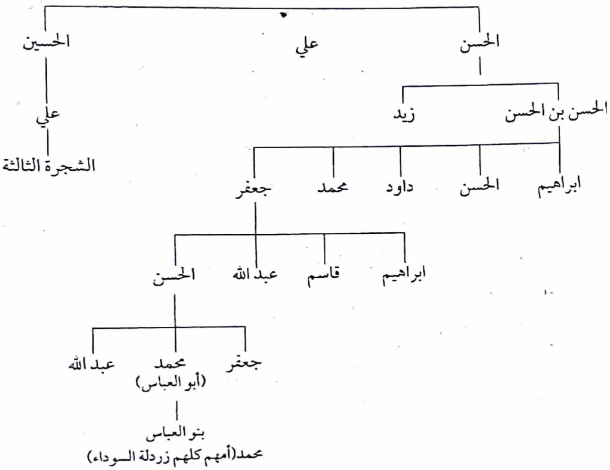
مجلة التاريخ: المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 10، الجزائر 1981 - الأستاذ: عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة... من خلال كتاب «نظم الدور والعقبان»، القسم الثاني، ص 29.

الشكل و:

شجرة نسب آل آل جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي (رضو)

الشجرة الثانية

علي (ض)



وهم بناحية متيجة وسوق حمزة ومنهم : واغزن وبكان ابنا جعفر ابن أبي العباس
وابنا عمهما لحًا : غيلان وسكرديد بن أبي إسحاق، بن أبي العباس المذكور.
والمصري، أبو حاجي، قلليف، أبوفريك (الكافر)، بنو الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثني،
كانت لهما أعمال بالمغرب في جهة سوق حمزة.

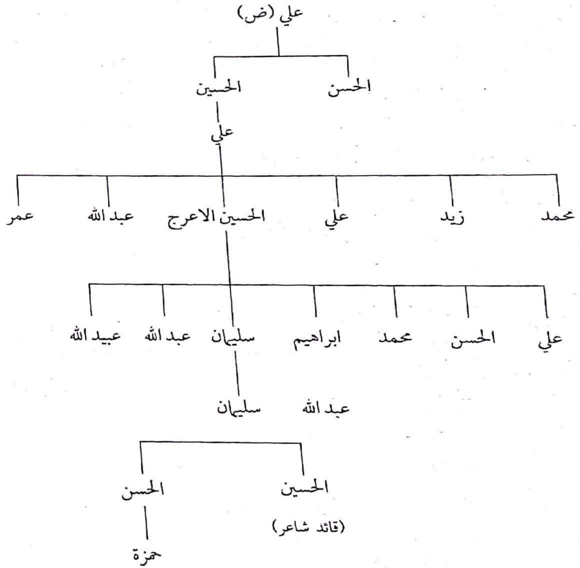
ملاحظة عامة :

وهم بالمغرب كثيرا جدًا (العائلة العلوية الحسنية والحسينية)، وكانت لهم بها ممالك عدة. انظر ابن حزم : جمهرة
أنساب العرب (ص48).

الشكل ز:

شجرة نسب آل سليمانبن سليمان بن الحسين (الأعرج) بن علي بن الحسين بن علي (رضو)

الشجرة الثالثة



الشكل ح:

صورة لدينار ضرب في سوق ابراهيم في عهد أحمد بن عيسى سنة287 هـ



الوجه الأول



الوجه الثاني

الشكل ط:

تأجر السليمانيون والأدارسة عن الدعوة إلى بني أمية، لأنهم كانوا يدعون إلى أبناء عمومتهم الفاطميين في إفريقية، وهذا منذ الإعلان عن قيام دولتهم، ومنها هذه الرسالة التي بعثها إدريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان، صاحب مدينة (أرشقول) السليمانية، إلى الخليفة الأموي بالأندلس الناصر لدين الله، وهو أول خليفة أموي بالمغرب.

من بين ما جاء فيها : " كنا أعزك الله، نقرأ من قريش في هذا الصقع من بلد البربر، الذي رمت بنا الأقدار إليه، أبناء رجل واحد، محمد بن سليمان ... إلا أن فرق الله ملأنا بقيام هذا الداعي الغوي، صاحب إفريقية، وافتتان أكثرنا بالتعصب له، فلما أن نجاني الله من ضلالته، وغصمتي بولاية أمير المؤمنين سيدي، وحباني بمحبته، تسامع بذلك بنوعمي وبلغهم ما صنعته في ذاته، أيده الله، فتبرؤوا مني وتمالأوا علي، ورموني عن قوس واحدة، وقالوا ليس هذا الرجل منا، إذ فارق دعوته إلى ضدنا، وخرج من عترة علي بن أبي طالب، (ص)، إلى عداتها، وعادى أهل بيته واستحاش عليها بصاحب جزيرة الأندلس شانئنا، وذلك شيء لم يرض به قط أحد من أهل بيته، ولا فعله حده، ولا أبوه، فصاروا الي حزبا وآذوي جدا، وإنما الباعث لهم على ذلك؛ والمتوكل بتأليبهم علي، محمد بن إدريس، وابن أخيه الحسن بن عيسى، المعروف بابن أبي العيش، الإدريسيان، أخذهما الله بما قطعاه من رحمي واخفراه من ذمي، وإنما ذلك من أجل ولايتهما للدعي الشيعي، من لا أصل له ولا خير فيه، حمية جاهلية وعصبية مردية ... ختى أخذت بالعروة الوثقى من ولاية سيدي أمير المؤمنين وعدت بدعوته المنصورة ."

الشكل ي:

كتاب من الأمير الإدريسي ابراهيم بن محمد الحسني الى العاهل الأندلسي الناصر لدين الله يعتذر فيه باسم إخوانه، عن تصديهم ومقاومتهم للأسطول الأندلسي الذي سعى على مدينة سبتة سنة 319 هـ/ 931م جاء فيها :

وقد أنعم الله بك، يا أمير المؤمنين، في صرف همتك الى ناحيتنا، وكل عزمك بدعوتنا، فقد كنا نتمنى ذلك، ونستبطئه منك، إلى أن تمم الله عزمك ويسرك بتوفيقه إلى ما نرجو أن نرتقي فيه على يديك إلى أفضل الخطط، وأشرف المنازل، وذلك أن بلد البربر، الذي نحن به، أعز الله أمير المؤمنين سيدنا، لقوم ملكوا أنفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز، (ص) وجارت عادتهم على جحد السلاطين ودفع الأئمة والغدر بالولاية، والتوثب على العمال والملك لأنفسهم والاستبداد لآرائهم، إلى أن دخل إليهم جدنا، إدريس بن عبد الله بن حسين بن الحسين (والأصح الحسن) بن علي رضي الله عنه، هاربا من عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن العباس، الملقب بالمنصور، بعد أن قتل أخوه محمدا وابراهيم أبي عبد الله بن حسن بن حسين وشرد بأهل بيتهم، فلما سار جدنا ادريس اليهم واستجار بهم، أجاروه وأوجبوا حقه، وورضعوا له في بلدهم فرصا توسط ما بينهم من الأحكام من غير أن يضبطهم ضبط السلطان، ومضى لسبيله، وقد تناسلنا منه، وقمنا مقامه، وسلكنا سبيله، فالبربر الى اليوم على عادتهم الأولى معنا، إن هممنا بتشييد السلطان عليهم، هربوا عنا، ونفروا منا، واتخذوا الحصون علينا، فمرة تذهب الى محاربتهم، وتارة نؤول الى مداراتهم، ولا نطمع مع الأيام في ضبطهم وكف عاديتهم الى ان كان وقته، بدنو الأمر الذي شرع فيه سيدنا أمير المؤمنين، بالرأي الذي هم به، وعزم عليه، من ملك عدوتنا، ومد ظله علينا، فلا شيء أسر لأنفسنا ولا أجمع لآمالنا منه، فإلى إمامنا وسيدنا نرفع رغباتنا ونوجه طلباتنا في اتمام عزمك، وتسديد فعلك وتثبيت بصيرتك فيما ألهمك الله إليه، ووفقك له فنحن، أعز الله أمير المؤمنين سيدنا، ممن لا نرغب بأنفسنا عنك، ولا نجيد، عن سنتك، فمرنا بما أحببت وناهض بنا من أردت، فنحن جند لك على أعدائك، ومسارعون إلى ما يسرك، فلا تشك في طاعتنا، ولا ترتب

بمحبتنا وولايتنا، فبالله الرحمن الرحيم، "عالم الغيب، والشهادة" وكل يمين أوجبه الله في الكتاب، مما لا كفارة له إلا بالوفاء به، وكل ما تمتلك على المساكين صدقة، كل نحاشي في ذلك عقلرا، ولا رباعا، وعلينا عهود الله المؤكدة، ومواثيقه المغلظة، وعلينا المشي كل واحد من ثلاثين حجة، وكل مملوك نملكه حر، لوجه الله العظيم، وجميع إيمانا هذه على الطواغية معقودة على الواحد منا، والجماعة لا نقضنا لك بيعة، ولا سعينا معك بغش ولا كيد ولا مكر ولا خديعة ولا حيلة، ومعاد الله، أن نرضى، ولكننا ذهبنا الى تطييب نفسك وتنقية قلبك، وإثلاج صدرك، والذي اعترفنا به لك غير مستنكر علينا، لأنا لم ندخل البلد، عن افتتاح افتتحناه، ولا عن ميراث طلبناه، مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي رضي الله عنه، في التسليم لسلفك، وما مضت عليه جدودنا من البيعة، لأجدادك، رحمهم الله أجمعين .

الشكل ي :

وبعد، أعز الله أمير المؤمنين، فإنه قدم جندك علينا بسبتة، بغتة، لا نعلم معنى الأمر فيه، ولا المذهب إليه، فخف البربر الذين يلونها اليهم، واستبقوا الى محاربتهم، فلما تكافأت الحرب بينهم، واستنصرونا عليهم، واستنهضونا للقيام معهم برجالنا وموالينا، وزعموا أنه إنما قدم الى ما هنالك عامل الجزيرة الخضراء، فبمن خف معه، متطاولا إلى ذلك من ذاته، دون إذنك ولا مذهبك، فتوقفنا عنهم طمعا، في أن يقدم إلينا من عندك كتاب أو رسول، إلى أن طال الأمر علينا، فنهضنا بأنفسنا لاستبانة الخبر، فنادانا القوم من أعلى السور، بأنهم جندك وأنك أنت الذي بعثتهم، وسألونا أن نكتب إليك لتعريفنا حقيقة الأمر وجلية الخبر، فصرفنا عند ذلك عساكرنا عنهم، وأمرنا من يليهم من البربر بمسالمتهم، إلى أن يرد كتابك علينا، فما تطلبه منا وترغبه عندنا، فمرنا بأمرك، يا سيدنا نطعه، فإنما نحن قوادك وعبيدك، وأنصارك على من ناو ... وأولى الناس بتأييدك وحماية سلطانك، فام بنا حيث شئت، وناهض بنا من أردت، واندبنا لما قصدت، تنل نصحا وكفاية، وتختبر تبصرة وصاغية، نرجو بها قضاء حقك، ونيل الخطوة لديك، وابتناء الشرف الذي يبقى لنا لأعقابنا بعدنا، ان شاء الله تعالى .

الشكل ك:

رسالة من موسى بن أبي العافية شيخ مكناسة، إلى الناصر لدين الله، يخبره بحملة القائد الشيعي ميسور الخصي، إلى المغرب الأقصى، وتصديه لهذه الحملة وقتله العديد من المشارقة وأعوانهم، وكذلك يخبره بمساعدة الأداسة لميسور ومساندته وكان ذلك سنة 322 هـ/ 933م، جاء فيها ما يلي :

"وأما ما أراد سيدي، أمير المؤمنين، أبقاه الله، إنهاءه إليه، مما نحن فيه مع المشارقة، أهلكهم الله، فإن اللعين أبا القاسم طاغوتهم بعث إلينا غلامه ميسورا الخصي، وعفرته ابن أبي شحمة الكتامي (عامل تاهرت) وغيرهما من قواده، في كشف من شياطينه، داعيا لمن حولنا، من القبائل إلى الدخول في طاعته، فحلوا في البلاد، وبثوا دعاتهم، فتوقف الناس عنهم، ولاذ البرابرة منهم، بأوعارهم ومعاقلهم،

فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة "فاس"، ولطفوا بهم، ودعوهم الى الدخول في طاعتهم، وأعطوهم العهود المغلظة والإيمان المؤكدة على أمينهم وتقديمهم، فاغتر بهم أميرهم، محمد بن ثعلبة، صاحب مدينة الأندلسيين، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القرويين، وقدما عليهم مع وجوه من رجالهما، فلما صاروا بين يدي الخصي، غدر بهم فأخذهم، وأخذ جميع ما كان معهم، من دواب وأسلحة، فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك، توقفوا عنه، وامتنعوا من إدخاله، فنكب عنهم، وصار إلينا صامدا، حتى نزل منا على مسافة ستة اميال، فأقام في محلته أربعة أيام يكاتبنا فلا نصغي إليه، ولا نجيبه، فمشى نحونا، هو وأولئك القواد، في عدد عديد، وقوة قوية، وآلة تامة ضاق بهم الفضاء، وقسموا عسكرهم فأتونا من ثلاثة طرق، من جهة القبلة والغرب والشرق، فوقعت الحرب بيننا من ضحوة النهار، فاتصلت الى بعد العصر، وضمونا الى الأوعار، وكنا قد كمنا لهم كمينين، فلما لصقوا بنا، وقد طمعوا فينا، خرج الكمين الواحد، فأثر فيهم، وصبروا له، ثم ردفه الكمين الثاني، فغلب صبرهم، وولوا مدبرين، ومنحنا الله أكتافهم، فعمل السلاح عمله فيهم، وأخذ ما أخذه منهم فقتلنا منهم في تلك الردة، اثنين وعشرين ومائة قتيل، وأخذنا عامة دوابهم، إلا ما أدركه العقر منها، ورجعوا الى

مناخهم بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكان ذلك يوم الخميس لاثني عشر ليلة مضت من شوال منها، ثم عاودنا يوم الجمعة بجميع عدتهم، ومن كان تخلف في الأخبية منهم، فرأينا عساكر عظيمة لا تسقيها المياه، فثاروا بالحرب من غدوة الى وقت العصر، فاستظهرنا عليهم وردعناهم ردعتين عظيمتين، وقتلنا خلقا منهم، وانصرفوا عشاء الى محلتهم خاسرين مغيظين، فانصرفوا بعد ذلك عنا، ولم يحاربونا الى ان انقلبوا على أديارهم، والحمد لله .

ونحن، أبقى الله أمير المؤمنين سيدنا، في قوة شديدة وعدة كاملة، وجمع جامع، ما تخلف عنا، أحد من رجال المغرب وأشرفه تمسكا بولايته، واستبصارا في طاعته، وكان الأدعياء في قريش الأدارسة من أولاد محمد وبني عمهم من أولاد عمر، المعرفين ببني "ميالة"، قد مشوا إلى مدينة "أصيلا"، أيام اشتغالنا – بمعسكر المشارقة، كيما يكبسوها أو ينتهزوها فرصة، فلم يعنهم الله تعالى، على ذلك، ولا قواهم، فرجعوا بعسكرهم الى ميسور الخصي، فإنهم لمعة الى هذه الغاية.

وقد كنا كتبنا الى ابن حزب الله صاحب سبتة، ليخرج القواد في المركب ليخالفوا هؤلاء الأدارسة إلى تيحساس، وما حولها من ديارهم ويغنموها فرد إلينا الجواب يذكر أن الأدارسة بعد موادون للسلطان يظهرون اعتقاد الطاعة، وأنه لا ينابذهم إلا بعد مؤامرة، فعذرناه، وعلمنا أين ذهب هؤلاء الأدعياء بالمماكرة، وهذا كله، أعز الله أمير المؤمنين، منهم دوافع والمكر، وبالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، أن ابراهيم بن إدريس كبيرهم وشريفهم بعسكرهم لعند الخصي ميسور، مازال ولا يرح الى هذه الغاية، وأن ابن حزب الله لمخدوع كثير الطمأنينة، ولم يحكم معاملة البرابرة، فليكن من أمير المؤمنين إليه تبصرة، والله يكشف له عن الضمائر وبقية المكاره بمنه.

الشكل ل :

مقادير الأطوال الشرعية [1]

نظرا لورود العديد من المرات المقادير والمكاييل والأطوال والمساحات الشرعية، ارتأيت أن أقدم هذه المعايير لزيادة الفهم والتوضيح :

شعرة البغل = 0.054 سم

الشعيرة = 0.320 سم (يعد قطع ما دق واستطال منها)

الأصبع 6 شعيرات = 1.925 سم

القبضة 4 أصابع = 7.7 سم

الشبر 6 أصابع = 11.55 سم

القدم 4 قبضات = 30.8 سم

ذراع العامة = ذراع الكرباس 6 قبضات = 46.2 سم

الخطوة 3 أقدام= 92.6 سم

الغلوة 400 ذراعا = 184.80 مترا (سم)

الميل 400 ذراعا = 1848 سم

الفرسخ 3 أميال = 12.000 ذراعا = 5544 سم

البريد 4 فراسخ = 12 ميلا = 4800 ذراعا = 22.176 سم

المرحلة 2 بريدان = 8 فراسخ = 24 ميلا = 44.352 سم

مقادير المساحة الشرعية :

الذراع الهاشمي 8 قبضات = 61.6 سم = 3.79456 سم 2

القصبة 6 أذرع 369.6 سم = 13.660416 سم 2

الجريب 10 قصبات = 3696 سم = 1366.0416 سم 2

---

(1) عن معجم لغة الفقهاء للأستاذين محمد رواس قلعنجي، حامد صادق قنبي، ص 450-451.

الشكل م:

الوحدة	بالصاع	بالغرام قمح		باللتر		وحدات أخرى
		جمهور	حنفي	جمهور	حنفي	
المد	1 / 4	543	815، 39	0، 687	1، 032	3/ 1.1 رطلا=171،4درهما
الصاع		2172	3261، 5	2، 748	3، 362	4 أمداد=1/ 3. 5 رطلا= 685
الكليجة	1 / 2	1086	1630،75	1، 374	1، 680	
القسط	1 / 2	1086	1630،75	1، 374	1، 680	6 أقساط
المكوك	1.1 /2	3258	4892،25	4، 122	5، 043	
الفرق	3	6516	5،9784	8، 244	086،10	8 مكوكا
الويبة	5 .1 /2	11946	25،17938	114،15	18،491	15 مكوكا
القفيز	12	26064	39138	32،976	40،344	
المدي	5،22	48870	75،73383	61، 83	75،645	
الاردب	24	25128	78276	65،952	80،688	4 أقفزة
القربة	40	6848 ماء	6848 ماء	68، 48	68، 48	
الجريب	48	104256	156552	904،131	376،161	500 رطلا
الوسق	60	130320	192690	164، 88	201،72	
القلتان	75،93	5،160ماء	5،160ماء	160، 5	160، 5	
الكر	720	1563840	280،2348	56،1978	2420،64	

ببيلوغرافية :

المصادر : القرآن الكريم :

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) (ت.658 هـ/ 1260م).

- الحلة السيراء، تحقيق ودراسة : د. عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعة، بيروت، لبنان، 1962م.

- ابن أبي زرع (علي الفاسي) (ت.741هـ).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، وراقة الرباط، 1973م.

- ابن أبي زيد (عبد الله القيرواني).

- الرسالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ب،ت).

- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم...) (ت،630هـ) .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، انتشارات اسماعيليان، نهران، (ب.ت).

- الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان 1981/ 1401هـ.

- ابن تومرت (محمد) (ت.في القرن 5هـ).

- أعز ما يطلب : تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم -) (ت.720هـ/ 1328م).

- شرح العقيدة الواسطية : تحقيق : - الشيخ اسماعيل الأنصاري، منشورات دحلب، الجزائر، (ب.ت).

- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد- القريشي البغدادي) (ت.597 هـ).

- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تحقيق : - السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1997م.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد -) (ت.852هـ).

- تهذيب التهذيب، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، 1325 هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب، بيروت، لبنان، (ب.ت).

- ابن جزم الأندلسي (لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد -) (ت.456 هـ).

جمهرة أنساب العرب : تحقيق : - عبد السلام محمد هارون، دار المعرف بمصر، القاهرة، 1962م.

- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) (ت.367 هـ).

صورة الأرض : منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان (ب.ت).

- ابن حيان القرطبي (أبو مروان – ابن خلف بن حسين) (ت.469 هـ/ 1076م).

المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق : ب. شاليمتا وآخرون، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979 م.

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله -) (ت.300هـ)،المسالك والمالك، مكتبة المثنى، بغداد، 1889م.

- ابن الخطيب (لسان الدين)(ت.776هـ/ 1374م).

تاريخ العربي في العصر الوسيط . أعمال الأعلام القسم الثالث، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتابي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964 م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن-المغربي) (ت.808هـ/ 1405م).

ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب اللبناني، 1968م.

- المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ب.ت).

- شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: - محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1417 هـ/ 1996م.

- ابن خلدون (أبو زكرياء يحي)(ت.780هـ/ 1378م).

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الملوك من بني عبد الواد، الجزء الأول، تقديم وتحقيق وتعليق :.

- ابن حلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) (ت.681هـ/ 1282م).

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، بيروت، لبنان ،1972م.

- ابن سعد (محمد) (ت.230هـ).

الطبقات الكبرى، السيرة الشريفة النبوية، دار صادر، بيروت، لبنان، 1380هـ/ 1960م.

- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى -) (ت.685هـ/ 1286م).

المغرب في حلى المغرب، تحقيق : -د.شوقي ضيف، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1964م.

كتاب الجغرافية : تحقيق : إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.

- ابن سلام (اللواتي الإباضي) (ت. في القرن 3هـ).

-الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية: تحقيق ر، ف، شفارتز، وسالم بن يعقوب، دار إقرأ للنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1405 هـ / 1985م.

- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) (ت257 هـ/ 871م)الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين: تحقيق أحمد عبيد، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1996م.

فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق : - عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964 م.

- ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد -) (ت، 327 هـ).

- العقد الفريد : تحقيق أحمد أمين، وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1982م.

- ابن عذاري (أبو عبد الله محمد المراكشي) (ت. في القرن الثامن هجري).

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق : -ج،س، كولان، إ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (ب،ت).

- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي) (ت. 1089 هـ/ 1678 م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ب.ت).

- ابن الفقيه الهمذاني (إلى بكر أحمد بن محمد).

- مختصر كتاب البلدان، بمطبع بربل، مدينة ليدن، سنة 1302 هـ.

- ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بعلي بن محمد -) (ت. 799 هـ).

تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1966م.

- ابن قتيبة الدينوري (أبي محمد عبد الله بن مسلم) (ت. 276هـ/ 889م.

- المعارف : تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1969 م.

- الإمامة والسياسة ج1،ج2 تحقيق : طه محمد الزيني، مؤسسة الحلي، القاهرة، مصر، (ب.ت).

- عيون الأخبار : المجلد الأول والثاني ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1925م.

ابن القوطبة (أبو بكر) (ت. 367 هـ).

- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق : اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء القرشي الدمشقي) (ت.774هـ).

- تفسير القرآن الكريم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط3، 1983م.

- السيرة النبوية، تحقيق : - مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1402 هـ/ 1982م.

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (ب.ت).

- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد) (ت. في القرن 11هـ).

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق : محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - الإفريقي المصري) (ت.711 هـ/ 1311م).

- لسان العرب، دار الصادر، دار بيروت، لبنان 1388 هـ/ 1968م.

- لسان العرب، دار الصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الإصدار (1،0) 1995م، النشر الإلكتروني،.

- ابن النديم (محمد بن اسحاق) (ت. في القرن 5هـ).

- الفهرست : تحقيق الشيخ ابراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1977م.

- أبو بكر المالكي (عبد الله بن أبي عبد الله) (عاش في القرن 5هـ).

- رياض النفوس : تحقيق حسين مؤنس، دار القاهرة، القاهرة، مصر، 1371هـ/ 1952م.

- أبو حامد الغرناطي (عبد الرحيم بن سليمان ·) (ت.565هـ).

- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب : تحقيق اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق، الجديدة، المغرب، 1413هـ/ 1993م.

- أبو الحسن العجلي (أحمد بن عبد الله بن صالح) (ت.261هـ/ 874م) : تاريخ الثقات، ضمنه ابن حجر العسقلاني : تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1984م.

- أبو راس (محمد -الناصري الجزائري) (ت.1238هـ).

- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

- أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر) (ت.471هـ).

- كتاب سير الأئمة وأخبارهم : تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/ 1979م.

- أبو عبد الله الصنهاجي (محمد) (ت.626هـ/ 1230م).

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق : جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ.

- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني)(ت.333هـ).

- طبقات علماء افريقية وتونس : تحقيق علي الشابي، نعيم حسن الباقي، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985 م.

- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)(ت.732هـ).

- تقويم البلدان، مكتبة المثنى، ببغداد، (ب.ت).

- المختصر في أخبار البشر، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، مصر، (ب.ت).

- أبو يوسف (القاضي يعقوب بن ابراهيم -) (ت.182هـ).

- كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ب.ت).

- الادريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) (ت.560هـ/ 1066م).

- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

- الأشعري (أبو الحسن علي بن اسماعيل)(ت.324هـ/ 935م).

- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1389هـ/ 1969م.

- الأصفهاني (أبو الفرج)(ت.356هـ).

- مقاتل الطالبيين : تحقيق السيد أحمد الصقر، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، تهران، إيران، ط2، 1970م.

- الأيوبي (الملك المؤيد عماد الدين بن اسماعيل صاحب حماة).

تقويم البلدان، صححه وطبعه : رينودو البارون مالك كوكين ديسلان، دار الطبعة السلطانية، باريس، 1840م.

- البكري الأندلسي (أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز)(ت.487هـ).

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، ببغداد، 1859م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والموضع، 4 أجزاء، تحقيق : مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1368هـ/ 1949م.

- البلاذري (احمد بن يحي بن جبار)(ت.قبل 302هـ/ 914م).

- كتاب فتوح البلدان، القسم الأول : تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (ب.ت).

- البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل)(ت.322هـ/ 934م).

- البدء والتاريخ، ج1،2 : تحقيق خليل عمران المنصور، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي).

- أخبار المهدي بن تومرت: تحقيق / عبد الحميد جاجبات المؤسسة الوطنية للكتاب
- الجزائر، ط2، 1986م.
- الترميذي (أبو عيسى.)
- الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1408هـ.
- التبكي (أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد ..... أوقيت).
- نيل الابتهاج بتطوير الديباج، طبع على هامش الديباج لابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ت).
- التنبسي (لأبي عبيد الله)(ت.899هـ).
- تاريخ دولة الأدارسة : «من كتاب نظم الدر والعقبان» تحقيق : عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- التيجيني (عيسى بن موسى).
- بغية الطالب، شرح محمد الأعرج الغريسي الفاسي، مطبعة بن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961.
- الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر-)(ت.869م).
- البيان والتبيين : 4ج، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1968م.
- الجيلاني (سيدي عبد القادر).
- الفتح الرباني والقبض الرحماني: تحقيق الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- الخشلاف (عبد الله بن محمد بن شارف بن علي).
- كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929م.
- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)(ت.488هـ/ 1095م).
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : روجية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 14717هـ/ 1997م.

- الحشبي (أبوعبد الله محمد بن الحارث)(ت.361هـ).
- قضاة قرطبة، تحقيق : ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
- الداودي (السيد أحمد بن علي الحسني) عمدة النسابين.
- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب.ت).
- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي) (ت.696هـ).
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه : التنوخي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى): تحقيق ابراهيم شبوح /ج2، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1960م.
- الدرجيني (الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد) (ت.670 هـ).
كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، 3 أجزاء، حققه، ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م.
- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد) (ت.748هـ).
- الإعلام بوفيات الأعلام : تحقيق : رياض عبد الحميد مراد، عبد الجبار زكار، دكار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.
- الخلفاء الراشدون : تحقيق حسام الدين القدسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م.
- الدهلوي (أحمد شاه ولي الله بن عبد الرحيم)(ت.1176هـ).
حجة الله البالغة : تحقيق الشيخ محمد الشريف سكر، مج1،2، دار أحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط2، 1992م.
- توفيق (أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم)(ت،في القرن 5هـ).
- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله علي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

- الزبيدي (السيد محمد مرتضى) (ت،300/ 989م).
- تاج العروس، مج7، دار ليبيا، بنغازي، (ب،ت).
- الزركلي (خير الدين).
الأعلام، مطبعة كرستا توماس (لا،ب)، 1956م.
- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) (ت،539هـ).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 4مج، انتشارات، آفتاب، تهران، (ب،ت).
- أسس البلاغة، تحقيق : أ.عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ب،ت).
- الزهار (الحاج أحمد الشريف).
المذكرات : تحقيق أحمد توفيق المدني، ش ،و، ن، ت، الجزائر ،1980م.
- سرنهك (اسماعيل).
- حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج1، دار الطباعة البهية، ببولاق، القاهرة، مصر، 1314هـ.
- السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي).
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1329هـ.
- سيف بن عمر (الضبي الأسدي) (ت، 200 هـ).
-الفتنة الكبرى ووقعة الجمل : تحقيق أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط4، 1982م.
- الشبلنجي (الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن).
من علماء القرن 13 هـ.
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (ص)، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1989م.

- الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت، 928هـ/ 1521م).

- كتاب السير، طبع بمطابع القاهرة، مصر، 1301 هـ.

- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) (ت،548هـ).

- الملل والنحل، 3 أجزاء، تحقيق : أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب،ت).

- الشيرازي (أبو اسحاق الشافعي) (ت، 476هـ).

- طبقات الفقهاء، تحقيق : إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جزير) (ت،310هـ).

- تاريخ الأمم والملوك، مج6، دار عز الدين، بيروت، لبنان، ط3، 1413هـ/ 1992م.

- العشماوي (أحمد بن محمد).

- السلسلة الوافية والياقوتية الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، بمطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961م.

- العلاوي (احمد بن مصطفى).

- القول المعروف في الرد على من أنكر ،المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط3، 1986م.

- علي بن أبي طالب (ت، 40هـ).

نهج البلاغة : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، شرح : محمد عبده، مطبعة الإستقامة، القاهرة، مصر، (ب ،ت).

- العيني (بدر الدين) (ت،855هـ).

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1387هـ/ 1967م.

- الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) (ت، 704هـ).
- عنوان الدراية (فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)، تحقيق : رابح بونار، الشريكة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.
- الشيخ المختاري (الطيب بن المختار الغريسي) (ت، 1320هـ).
- القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، المطبعة الخلدونية تلمسان، الجزائر، 1961م.
- القرطبي (أبو عمران يوسف بن عبد الله النمري) (ت،463هـ).
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ،4مج، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ب،ت).
- القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود) (ت، 682هـ).
-عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة مصطفى الباقي الحلبي، القاهرة، 1956.
- القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي) (ت،821هـ).
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، حققه ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.
- نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دون تاريخ).
- الكلبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن جزي-) (ت، 741هـ/ 1349م).
القوانين الفقهية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ/ 1989م.
مالك (بن أنس -الإمام) (ت، 178هـ).
في أدب الدنيا والدين إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، تحقيق : محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار هومة، الجزائر، 1997م.
كتاب الموطأ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1401هـ.

- الماوردي (علي بن محمد حبيب البصري-) (ت، 450هـ).
- الأحكام السلطانية في الولايات الدينية : ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- المجليدي (احمد سعيد) (ت، 1084/ 1683).
- كتاب التيسير في أحكام التسعير، تحقيق : موسى لقبال، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981.
- المرزوقي الأصفهاني (الشيخ أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن) (ت، 421هـ/ 1029م).
- الأزمنة والأمكنة، ضبط وتخريج : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1471هـ/ 1996م.
- المزاري (الأغا بن عودة).
- طلوع سعد السعود (في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م)، مج2، تحقيق : د. يحي وعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- المسعودي (أبو الحق علي بن الحين -) / (ت، 346هـ/ 956م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، الأجزاء 4، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1385 هـ/ 1965م.
- مسلم (أبو الحق بن الحجاج النيسابوري).
- الجامع الصحيح، ج7، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، (ب، ت).
- مسلم (بن عبد القادر).
- أنيس الغريب والمسافر، تحقيق : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 13945 / 74.
- المعتزلي (أبو الحسن عبد الجبار بن الخليل بن عبد الله الهمذاني ...) (ت، 415هـ).
- شرح الأصول الخمسة، ج1، موفم للنشر، الجزائر 1996.

- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد)(ت، 387 هـ/ 997م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، (ب، ت).

- المقري (الشيخ أحمد بن محمد – التلمساني) (ت، 104 هـ).

- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (1388هـ/ 1968م.

- المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) (ت، 845هـ/ 1442م).

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956.

- كتاب المواعظ والإعتبار بذكر المخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1270 هـ.

- مؤلف مجهول (ت، في النصف الأول من القرن 4 هـ).

كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها.. تحقيق : إسماعيل العربي، أضافة إلى كتاب تاريخ افتتاح الأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980م.

- السدوي (الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) (ت، 1315 هـ / 1898م).

- كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق : جعفر الناصري، محمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

- النسائي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب) (ت، 303 هـ).

- كتاب خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تخريج، أبو إسحاق الجوبي الأثري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1996 م.

- النويزي (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (677-733هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر الثاني وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.

- الونشريسي (أحمد بن يحيى -) (ت، 914 هـ).
- المعيار المغرب والجامع المغرب، عن قدري علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، م13، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981.
- كتاب الولايات ومناصب الحكومات الاسلامية والخطط الشرعية، تعليق: محمد الأمين بلغيث، م. لافوميك، بالجزائر، (ب، ت).
- الوزان الفاسي (الحسن بن محمد-) (مات بعد 957 هـ/ 1530م).
- وصف إفريقيا: ج1،2، تحقيق وترجمة محمد حاجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983.
- اليافعي (الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان) (ت، 768 هـ).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط2، 1970.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) (ت، 284 هـ/ 897م).
- تاريخ اليعقوبي، المجلد الثاني، دار صادر، دار بيروت، لبنان، 1960م.
- كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م..

المراجع:

- الإبراهيمي (محمد البشير): في قلب المعركة، شركة دار الأمة، الجزائر، 1997م.
- ابن عاشور محمد الطاهر: أليس الصبح بقريب، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ط2، 1967م.
- المحاضرات المغربيات: جمع وإعداد عبد الكريم محمد، الدار التونسية للنشر، ش، و، ن، ت، ج، تونس، 1974م.
- ابن عميرة (محمد): دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي الى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

- أبو ريان (د.محمد علي) : تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام : دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1986م.

- أبو ضيف (مصطفى – أحمد عمر) : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

- أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة : ج1، دار المعارف الاسلامية، القاهرة، مصر، (ب،ت).

- أرسلان شكيب : الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية : مج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب،ت).

- أرشيبالد .ر.لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، (500-1100م) ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.

- أركون محمد : الفكر الإسلامي (نقد واجتهاد)، ترجمة : هاشم صالح، لافوميك، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.

- أرنولد توينبي : تاريخ البشر، ج2، ترجمة: نقولا زيار، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986م.

- اسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

- دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

- المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- اسماعيل محمود : الأدارسة (172-375هـ)، مكتبة مديولي، القاهرة، مصر، 1411هـ/ 1991م.

- الخوارج في المغرب الاسلامي : دار العودة، بيروت، لبنان، 1976م.

- الأعظمي محمد حسن : عبقرية الفاطميين (أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب،ت).

- ألفرد بل : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ر: عبد الحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م.

- أندري بريان، أندري بوشي، إيف لاكوست : الجزائريين الماضي والحاضر، ترجمة: استمبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

- باشا (اللواء محمد مختار) : كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية، مج (1-750هـ)، دراسة وتحقيق وتكملة : د- محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1980م.

- بروكلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 1979م.

- بلهاشمي (بن بكار): رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، (حاشية)، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 1961.

- بوروبية (رشيد موسى)، موسى لقبال وآخرون، العهد الإسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1184م.

- الدولة الحمادية (تاريخها وحضارتها)، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977م.

- بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته، ج1، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

- بيطار (أمينة) : تاريخ العصر العباسي، مطابع مؤسسة الوحدة، جامعة دمشق، دمشق، سورية، 1981م.

- توماس السير، وأرنولد : الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرون .... مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1970م.

- حب هاملتون : دراسات في حضارة الإسلام، إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1979م.

- جودت (عبد الكريم يوسف) الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10)، د. الوطني للمطبوعات، ج، ج (ب،ت).

- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، م، و، ك، الجزائر، 1984 م.

- الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تارخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط4، 1980م.

- حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1964م.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، الجزء الثاني (132-232هـ)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1964م.

- حسن (ابراهبم حسن)، علي ابراهيم حسن : النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ج، م، ع، ط3، 1962م.

- حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارات العربية بافريقية التونسية، ج1، مكتبة المنار، تونس، 1964م.

- حركات (ابراهيم) : المغرب عبر التاريخ، المجلد الأول، دار الشلمي، الدار البيضاء، المغرب 1965م. .

- الخضري بك (الشيخ محمد) : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، 1970م.

- خطاب (محمود شيت) : قادة فتح المغرب العربي، ج1، 2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط7، 1984م.

- دبوز (محمد علي)، تاريخ المغرب الكبير، ج3، طبع بدار إحياء الكتب العربية، ط1، 1963م.

- دروزة محمد عزة : العرب والعروبة في القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر هجري، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سورية ،1960م.

- دنيا (عبد العزيز حافظ) : موسى بن نصير حياته وعصره، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (ب، ت).

- الدوري (عبد العزيز) : التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1984م.

- الدوري (عبد العزيز) : الجذور التاريخية للقومية العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ـ 1960م.

- دينكن ميتشيل : معجم علم الإجتماع، ترجمة، ومراجعة : إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

- ذياب صابر محمد : سياسة الدول الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط من أوائل القرن الثاني حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، سنة م، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1973م.

- روجي لي تورنو : حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة : د. أمين الطبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ،1982م.

- الزاوي الطرابلسي (الطاهر أحمد) : تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، القاهرة، ج، م، ع، 1963م.

- الزبيري محمد العربي : مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1975م.

- الزعبي (محمد علي) : لا سنة ولا شيعة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1961م.

- سالم (عبد العزيز) : تاريخ الدولة العربية، تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971م.

- سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الكبير العصر الإسلامي، المجلد الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.

- سالم (بن عبد العزيز، أحمد مختار العبادي) : تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969م.

- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج1، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971.

- سعدون (عباس نصر الله) : دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي، (172-223هـ) / (788-835م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1987م.

- سليمان داود بن يوسف : حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993م.

- سليمان داود بن يوسف : مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان، الجزء الثاني من الخوارج هم أنصار الإمام علي، مطبعة أبو داود القرارة، الجزائر، 1992م.

- سليمان داود بن يوسف : ثورة أبي يزيد جهاد لإعلان كلمة الله، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر.

- (الحاج محمد بن رمضان) : باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

- عاصي (أحمد ...) : الأئمة الأربعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ب، ت).

- (عبد الله)، محمد مبارك الميلي : مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- (أحمد ابراهيم) : دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الفكر، القاهرة، 1968م.

- (محمد عبد الحي محمد) : الدولة العباسية، الفاطميون (750-1055م/ 132-448هـ)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1982م.

- (د. فيصل) : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، دار النشر للملايين، بيروت، لبنان، 1981م.

- (هند) : القراءات بإفريقية من الفتح الى منتصف، ق 5 هـ، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1983.

- الشهابي (محمود) : الشيعة، الفصل الخامس، من كتاب الإسلام السراط المستقيم، ج1، دار مكتبة الحياة، شركة النبراس، بغداد، 1963م.

- الصادق (محمد الحاج) : مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.

- صبحي عبد الرؤوف عصر : المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1992م.

- الصياد محمود محمد : معالم جغرافية الوطن العربي، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (ب، ت).

- الطمار (محمد بن عمرو) تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- العبدي (ابراهيم خلف) : البرغواطيون في المغرب (127-542هـ)، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1983م.

- علي الشابي، أبو لبابة حسين، عبد المجيد النجار : المعتزلة بين الفكر والعمل، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1979م.

- عمارة (محمد) : تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، 1983م.

- عون (عبد الرؤوف -) : الفن الحربي في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1961.

- عويس (عبد الحليم) : دولة بني حماد (صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1980م.

- عيون عبد الكريم : جغرافية الغذاء في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- تشنر، فريتس شتيباب، سلوى الخماش : تاريخ العالم العربي، ترجمة : نقولا زيادة وسلوى الخماش، دار، بيروت، لبنان، 1975م.

- (صالح بن فوزان -) : كتاب التوحيد، مطبعة سفير، الرياض، م، ع، السعودية (ب، ت).

- (عبد العزيز) : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ش، و، ن، ت، 1982 م، حى : العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1968م.

- الإسلام منهاج حياة، ترجمة : د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.

- حى وآخرون : تاريخ العرب (مطول)، ج2، مطابع الغندور، بيروت، لبنان، ط4، 1965م.

- (نعيم) : حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

- (مناع خليل) : التشريع والفقه في الإسلام، تاريخا ومنهجا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1982م.

- حالة عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مج2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1388 هـ.

– (عبد الله) : النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1961م.

– (موسى) : دور كتامة في تاريخ الخلافة منذ تأسيسها الى منتصف ق 5 هـ (11م)، ش، و، ن، الجزائر، ط 2، 1981م.

– الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1971م.

– ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

– (غوستاف) : حضارة العرب، تر : عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط4، 1964م.

– بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب، ت).

– بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة : السيد عبد العزيز سالم، نشر مكتبة النهضة المصرية، 1956 .

– ماجد (عبد المنعم) : التاريخ السياسي الدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1971م.

– آدم : الحضارة الإسلامية في ق 4 هـ أو عصر النهضة في الإسلام، ج1، 2، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1967م.

– عبد العزيز : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، (رسالة ماجستير)، نوقشت في ماي 1972م، جامعة الزيتونة، تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975م.

– رضا : الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء، مطبعة مصطفى البابا الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1939 / 1358 هـ.

- (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 2، 1984م.

- (محمد صالح) : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.

- حسين : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ج1، الفارابي، بيروت، لبنان، ط5، 1985م.

- عيسى علي : جغرافية العالم الإقليمية، دار الفكر، دمشق، 1401 هـ/ 1981 م.

- عيسى حسين : ثورة زيد بن علي، مكتبة المهضة بغداد، العراق، 1966 / 1386م. رسالة ما جستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد لسنة 1963م.

- (الشيخ عبد الله -) : فلاسفة الشيعة، حياتهم - آراؤهم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب، ت).

- بهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

المراجع الأجنبية :

- BELHAMISSI Moulay : Histoire de Mostaganem des origines à l'occupation française , centre national des études historiques – alger , 1976.

- BERNARD Lewis : The Fatimids and the Route to India, revue de faculté de science économique de l'université, n° 14 . Istanbul 1953..

- CLAUDE cahen : Bulletin d'études orientales l›Institut Français de Damas. t.12, année, 1947- 1948.

- EDMOND, doute : Les minarets à la prière, revue africaine, n° 43 année, 1898, o.p.u Alger .

- E.levi provençal : La conquête et lémirat Hispano-Umaiyade, (710-912),t1 Paris, 1950.

- GAUTIER (E.F) : Le passé de l'Afrique du Nord, Paris, 1952.

- JULIEN, Charles André . Histoire de l'Afrique du Nord: Tunisie, Algérie, Maroc, 2: De la conquête arabe à 1830, Paris, Payot, ed, 1961.

JULIEN, Charles André, Histoire de l'Afrique de Nord (depuis la conquête arabe jusqu'à 1930, Paris .1952.

LAROUI Abdallah : L'histoire du Maghreb, Paris, François Maspero, Paris, 1975.

La voix ; M.H : Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Espagne et Afrique, Paris.

الدوريات :.

- ابن حميرة (وسيلة بلعيد ...) : الرحلة في طلب العلم، مجلة سيرتا، ع3، س2، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1980م.
- ابن قربة صالح : العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر، مجلة سيرتا، ع2، س2، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1980م.
- إحسان عباس : المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، ع45، س5، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1375 / 1975م.
- إسماعيل العربي : صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر سكان شمال إفريقيا، ص41، مجلة الأصالة، ع16، س3، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، شعبان - رمضان، 1399 هـ / 9-10-1973م.
- العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، ع19، س4، 1394هـ/ 3-4-1974م.
- دور اليهود في التجارة في صدر الإسلام، مجلة الثقافة، ع32، وزارة الثقافة، الجزائر، 1396/ 4، 5 / 1976م، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر.
- مسالك الإسلام والعربية الى الصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، ع62، س11، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1401هـ/ 1971م.
- الغراد (محمد) : مسيرة الكتاب، مجلة الأصالة، ع68 / 69، س8، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ماي، 1979م.
- بورويبة رشيد : جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع26، س4، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1395هـ/ 1975م.
- الفن الرستمي بتيهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، ع41، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر / 1977م.

- وعبدلي (المهدي -) : مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، مجلة الأصالة، ع7، س2، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1392 هـ / 1972م.

- الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة، ع13، س3، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1393هـ / 1973م.

- مدينة آرزيو، مجلة الأصالة، ع38 / 59، س7، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1398 هـ / .

- جواب من ماضي وهران الثقافي عبر العصور، مجلة الثقافة، ع89، س15، وزارة الثقافة، الجزائر، 1406 / 1985م.

- بوعزيز يحي : ازدهار الحضارة والفكر الإسلامي في المغرب الإسلامي ودورهما في النهضة الأوروبية ويقظتها.

- الأصالة، ع75 / 76 / 77 / 78، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1401هـ / 1981م.

- حاجيات (عبد الحميد -) : مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، م - الثقافة، ع81، 1404 / 1984م.

- مقابلة، بمدينة وهران، يوم 15 يونيو 1999م.

- بنحاني (الحبيب) : السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، مجلة الأصالة، ع49/ 50، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1397هـ/ 1977م.

- ليمي (عبد القادر -) : أصول النشأة لمدينة الجزائر، مجلة الأصالة، ع8، س2، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، هـ / 1972م.

- راوجة (أبو القاسم -) : العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مجلة بحوث، ع2، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994م.

- هيئة عطاء الله : دور تلمسان في العلاقات التجارية بين السودان والصحراء، مجلة الأصالة، ع26، س4، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1395 هـ / 1995م.

- رفعت (ي.عبيد) : فضل العرب على أوروبا في ميدان نشأة وتطور النظام الجامعي في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، ع62 / 63، س7، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1398 هـ، 1978م.

- الزاهري (زهير -) : حول قرية موقع برشك، مجلة الأصالة، ع25، س4، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1395 هـ/ 1975م.

- زبادية (عبد القادر -) : السودان الغربي والمملكة الإسلامية الكبرى (نظرة عامة) القسم الأول، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980م.

- السامرائي (ابراهيم) : كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدس، مجلة الثقافة، ع 35، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1396 هـ/ 1979 م.

- سليمان داود يوسف : مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها، مجلة الأصالة، ع49، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1397 هـ / 1977م.

- دولة بني يفرن الإباضية بتلمسان، مجلة الأصالة، ع 26، س4، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، / 1975م.

- سيزكين (فؤاد) : مكانة المسلمين والعرب في تاريخ الرياضيات، مجلة الثقافة، ع96، س 16، وزارة الثقافة، الجزائر، 1407هـ/ 1986م.

- العيدوني (ناصر الدين -) : المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية، مجلة الثقافة، ع80، س14، وزارة الثقافة، الجزائر، 1404هـ/ 1984م.

- صاري (الجيلالي -) : أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين)، مجلة التاريخ، ع21، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980م.

عقاب (محمد الطيب -) : مدينة تيهرت في بعض المصادر التاريخية المبكرة، مجلة بحوث، ع2، جامعة الجزائر، 1990م.

- علي عبد الواحد وافي : المرأة والأسرة في الإسلام، مجلة الأصالة، ع51، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، هـ / 1977م علي محمد (عبد الباقي) : نظام الإحسان وحماية الوطن والموطن بين المنهج الإسلامي والواقع المعاصر، مجلة سيرتا، ع4، س2، جامعة قسنطينة، 1980م.

- عناية المسلمين بالزراعة ووسائلها في صدر الإسلام، مجلة سيرتا، ع2، س1، جامعة قسنطينة، 1979م.

- فخار (إبراهيم) : الجماعات الإباضية في شمال إفريقيا، مجلة الثقافة، ج3، س1، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، 1391 هـ / 1971 م.

- العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول، تاريخ تيهرت الحضاري من الفتح الإسلامي إلى نهاية ق 3 هـ تيهرت، الجزائر، أبريل 1987م.

- فيلالي (عبد العزيز) : جواب من النشاط السياسي والدبلوماسي للدولة الإدريسية في عهدي إدريس الأول والثاني، مجلة سيرتا، معهد العلوم الإجتماعية، ع6/ 7، س4، جامعة قسنطينة، 1402 هـ / 1982 م.

- جوانب من العلاقة التجارية بين الرستميين والأمويين في الأندلس، مجلة سيرتا، ع3، س2، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1980 م.

- الكبيسي (عدنان عبد المجيد -) : البعد القومي لعملية النقود في الدول العربية الإسلامية، مجلة سيرتا، ع6/ 7، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1402 هـ / 1982م.

- الكعاك (عثمان -) : الوحدة الثقافية للمغرب العربي، مجلة الأصالة، ع11، س2، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، هـ / 1972م.

- لقبال موسى : زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، مجلة الأصالة، ع 26، س5، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1395 هـ / 1975م.

- البيئة وسير التاريخ الوطني، بجلة الأصالة، ع1، س1، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1391 هـ / 1971 م.

- البتر والبرانس والمظهر الإجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة، ع24، س4، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1395م / 1975 م.

- الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة وغرداية من قضايا التاريخ الرستمي، مجلة الأصالة، ع41، س6، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1397 هـ / 1977م.

- عناصر التكامل والوحدة ودور أبناء المغرب الأوسط (الجزائر) في تدعيمها وتعميمها مغربيا ومنذ أقدم العصور، مجلة حوليات، ع3، جامعة الجزائر، 1988 / 1989 م.

- لومبارد (موريس -) : الفتوحات الإسلامية و آثارها الاقتصادية في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ..

- مجلة الأصالة، ع56 ،س7، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1398هـ / 1978م.

- ماجدى صالح : الثورات والانتفاضات الشيعية، مجلة الأصالة، ع 68 / 69، س8، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1399 هـ / 1979 م.

- غرمول محمد الصالح : المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية ق 3 هـ، مجلة الأصالة، ع54/ 55، س7، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1398هـ / 1978م.

- مزيان عبد المجيد : المجتمعات العربية الإسلامية بين الجماعية والقبلية، مجلة الأصالة، ع68 / 69، س8، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1399 هـ / 1979م .

- المنحي الكعبي : من أسباب توطيد الإسلام بإفريقيا والمغرب، مجلة الثقافة، ع84، س14، وزارة الثقافة والإعلام، 1405هـ / 1984م.

- هلال عمار : العلماء الجزائريون في الأندلس، بين القرنين 10/ 14 م، مجلة التاريخ، ع8، س4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1994م.

بيبلوغرافية

- العلماء الجزائريون في فاس، فيما بين القرنين 10/ 14 م، مجلة التاريخ، ع9، س3، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1995م.

- هونكة (سيغريد) : المرأة في صدر الإسلام، مجلة الأصالة، 46/ 47، س5، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1397هـ/ 1977م.

- و.بوفيل : العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها، عرض : حمزة ج، مجلة الأصالة، ع58، س7، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1398 هـ/ 1978م.

1 – فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	رقمها في السورة	الصفحة
قال تعالى :«وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن ...	البقرة، 61	148
قال تعالى :«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ...	البقرة، 126	173
قال تعالى :«أم كنتم شهداء ...	البقرة، 133	92
قال تعالى :«سيقول السّفهاء من النّاس...	البقرة، 142	21
قال تعالى :«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله.	البقرة، 207	73
قال تعالى :«يا أيها الذين آمنوا ادخولا في السلم كافة...	البقرة، 208	275
قال تعالى :«لاإكراه في الدين...	البقرة، 225	234
قال تعالى :«وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ...	البقرة، 275	171
قال تعالى :«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ...	آل عمران، 18	244
قال تعالى :«إلا أن تتقوا منه تقاة ...	آل عمران، 28	44
قال تعالى :«واذكروا نعمت...	آل عمران، 103	30
قال تعالى :«وشاورهم في الأمر ...	آل عمران، 153	274
قال تعالى :«فإن اعتزلوكم ...	النساء، 90	275
قال تعالى :«ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعهود ...	المائدة، 1	276
قال تعالى :«وإن جنحوا للسلم ...	الأنفال، 61	234، 275
قال تعالى :«قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...	التوبة، 29	128
قال تعالى :«وما أرسلنا من رسول...	إبراهيم، 4	262
قال تعالى :«وإن الساعة لآتية ...	الحجر، 85	275
قال تعالى :«فكلوا مما رزقكم الله...	النحل، 114	197
قال تعالى :«وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ...	الإسراء، 34	276

قال تعالى :«وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ...	الإسراء، 35	126
قال تعالى :« فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ... أَجْرًا	الكهف، 77	97
قال تعالى :« وأوفوا الكيل ولا تكونوا ...	الشعراء، 181	126
قال تعالى :«....لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ ...	الروم، 4، 5	128
قال تعالى :«إنما يريد الله ...	الأحزاب، 33	34
قال تعالى :«مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا	الأحزاب، 40	222
قال تعالى :«أتقتلون رجلا ...	غافر، 28	223
قال تعالى :« ...إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...	الشورى، 23	242
قال تعالى :«وأمرهم شورى بينهم	الشورى، 38	274
قال تعالى : «وما خلقت الجن والإنس...	الذاريات، 56	244
قال تعالى :«... يرفع الله الذين آمنوا..:	المجادلة، 11	252
قال تعالى :«....لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»	الممتحنة، 1	59
قال تعالى :«كأسا دهاقا ...	النبأ، 4	145
قال تعالى :«وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ...	المطففين، 1، 2	126
قال تعالى :«لست عليهم بمصيطر	الغاشية، 22	274
قال تعالى : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»	العلق، 1	244

2 -فهرس الأحاديث النبوية :

قال النبي (ص):"يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبهم" 34
قال النبي (ص):"ذرية النبي في صلب فاطمة" 34
قال النبي (ص):"وأنشدكم الله في أهل بيتي" 34
قال النبي (ص):"نزلت هذه الآية في خمسة ..." 34
قال النبي (ص):"حديث غدير خم" 34
قال النبي (ص):"النظر الى وجه علي..." 34
قال النبي (ص):"....خير الناس حمزة وجعفر وعلي ..." 35
قال النبي (ص):"إن ابني هذا سيد ..." 37
قال النبي (ص):"من أخاف أهل المدينة ..." 39
قال النبي (ص):"قاتل عمار وسالبه في النار" 74
قال النبي (ص):"لا يقولن أحدكم للعنب الكرم ..." 150
قال النبي (ص):"رحم الله رجلا ..." 174
قال النبي (ص):"يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك..." 204
قال النبي (ص):"خطبة الوداع ..." 215
قال النبي (ص):"لم يبق بعدي من النبوة ..." 222
قال النبي (ص):"أذكركم الله في أهل بيتي..." 241
قال النبي (ص):"العلماء ورثة الأنبياء" 244
قال النبي (ص):"أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ..." 275
قال النبي (ص):"تألفوا الناس، وتأنوا بهم ..." 275

3 - فهرس الشعر

القوافي ....الصفحة
قال الشاعر: "عين جودي بعبرة وعويل ... .40
قال الشاعر: "محمد إبراهيم موسى 87
قال الشاعر: "وثالثهم مولاي سليمان 90
قال الشاعر: "قد كنت أعدى أعاديها 105
قال الشاعر: "يا آل بيت رسول الله ... .119
قال الشاعر: "سائل زواغة عن فعال سيوفه ... .264
قال الشاعر: "نأى النوم عني واضمحلت عرى الصبر 265

الفهارس

تقديم 5

المقدمـة 7

نقد المصادر : 14

تمهيـد 21

الجغرافية الطبيعية للدولة السليمانية والإمارات العلوية : 25

الفصل الأول : الشيعة في المغرب والمشرق الإسلاميين 29

أولا : الشيعة في المشرق الإسلامي 29

ثانيا : الشيعة في المغرب الإسلامي 55

ثالثا: المغرب الأوسط قبيل قيام الدولة السليمانية 70

الفصـل الثاني : الحياة السياسية والحضارة للدولة السليمانية والإمارات العلوية 85

أ / سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ض) 85

ب / نبذة تاريخية عن علويي المغرب الأوسط : 90

ج / نشأة الدولة السليمانية 93

د/ تطور مدينة تلمسان الحضاري........................ 101

هـ/ الإمارات العلوية في المغرب الأوسط.................. 103

و/ سقوط الدولة السليمانية والإمارات العلوية.............. 114

ز/ التنظيم السليماني في المغرب الأوسط.................. 117

الفصل الثالث : الحياة الإقتصادية في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.................. 139

أولا : الزراعة :............................ 139

ثانيا : الحرف الصناعية :.................... 163

ثالثا : التجارة :............................ 170

أ/ التجارة الداخلية :........................ 170

ب/ التجارة الخارجية :...................... 174

رابعا : الخدمات التجارية في المغرب الأوسط :.............. 185

1 - المراكز التجارية البرية.................. 185

2 - وسائل النقل :............................ 190

3 - المسالك :................................ 192

الفصل الرابع : الحياة الإجتماعية والثقافية في الدولة السليمانية والإمارات العلوية.................. 197

أولا : الحياة الإجتماعية :.................. 197

أ - السكان :................................ 204

ب – المرأة : 215
ج – علاقة السلطة بالسكان : 217
د – المرابطون : 219
هـ – المستوى المعيشي : 220
و – الآفات الإجتماعية : 222
ز – الأزمات الإجتماعية : 226
ح – الكوارث الطبيعية : 227
ثانيا : الحياة الثقافية : 228
أ – نشر الإسلام : 228
ب – دور السليمانيين في التعريب : 231
ج – التسامح المذهبي بين المذاهب الفقهية : 234
د – الإمتزاج العربي البربري : 242
هـ – المؤسسات التعليمية : 244
و – العلوم والعلماء : 251
ز – العلوم النقلية : 256
ح – العلوم العقلية : 261
ط – العلوم التجريبية : 266
ي – الموسيقى : 268
الفصل الخامس : العلاقات الخارجية للدولة السليمانية والإمارات العلوية 271
سياسة الدولة السليمانية : 271

العلاقة السياسية السليمانية الإدريسية : 278

العلاقة السياسية السليمانية بالخلافة العباسية : 290

العلاقة السياسية السليمانية الأغلبية : 296

العلاقات السياسية السليمانية الرستمية : 299

العلاقة السياسية السليمانية الأموية في الأندلس : 304

العلاقة السياسية السليمانية المدرارية : 312

العلاقة السياسية السليمانية البرغواطية (127-542 هـ) : 315

العلاقة السياسية السليمانية النكارية : 316

العلاقة السياسية السليمانية الفاطمية : 318

الخاتمة.. 327

الملاحق : 333

بيبلوغرافية : 351

الفهارس... 383

1 - فهرس الآيات القرآنية.. 383

2 -فهرس الأحاديث النبوية : 353

3 - فهرس الشعر 385

الفهارس... 386